الأعمال التاريخية للسان الدين بن الخطيب

الإحاطة في أخبار غرناطة



تقديم مراجعة وتعليق:
بوزياني الدراجي

القسم الثاني



الإحاطة

في أخبار غرناطة

للسان الدين

أبي عبد الله محمد بن الخطيب

القسم الثاني

مراجعة وتقديم وتعليق بوزياني الدراجي



صدر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة في إطار الصندوق الوطني
لترقية الفنون والآداب

Cet ouvrage a été publié avec le soutien du Ministère de la Culture, dans le cadre du Fonds National pour la Promotion et le Développement des Arts et des Lettres.

دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع
شارع بلخوني يوسف السحاولة (16305) الجزائر
هاتف وفاكس: 29 78 35 21 0

الإيداع القانوني: 2349. 2009
ردمك: 978.9961.858.35.6



بسم الله الرحمن الرحيم

الرموز المستعملة
للدلالة على نسبة المخطوطات

اعتمد عبد الله عنان رموزاً لكي يختصر الكلام في تعيين نسبة المخطوط المراد ذكره في الهوامش. وقد ارتأينا السير على نهجه عند التطرق للمخطوطات التي اكتشفها. وتلك الرموز كما يلي:

1 ـ مخطوط دار الكتب المصرية بالقاهرة يرمز له بحرف: ((ك)).

2 ـ مخطوط أكادمية التاريخ (جاينجوس) يرمز له بحرف: ((ج)).

3 ـ مخطوط (كوديرا) المنقول عن مخطوط الزيتونة يرمز له بحرف: ((ت)).

4 ـ مخطوط رواق المغاربة بالجامع الأزهر؛ وهو المعتمد عليه في بعض التراجم الواردة فيه؛ يرمز له بحرفي: ((ر. م)).

5 ـ مخطوطي: دار الكتب وجاينجوس مجتمعين؛ يرمز لهما بكلمة: ((المخطوطين)).

6 ـ مخطوط الخزانة الملكية بالرباط؛ يرمز له بكلمة: ((الملكية)).

الحسن بن محمد

ابن الحسن النباهي الجُزامي[1]؛ من أهل مالقة؛ يكنى أبا علي.

أوليته

قال القاضي المؤرخ **أبو عبد الله بن أبي عسكر** فيه: من حسباء **مالقة** وأعيانها وقضاتها، وهو جد **بني الحسن المالقيين**، وبيته بيت قضاء وعلم وجلالة، لم يزالوا يرثون ذلك كابراً عن كابر، استقضى جده **المنصور بن أبي عامر**، وكانت له ولأصحابه حكاية[2] مع **المنصور**.

قال القاضي **ابن بياض**، أخبرني أبي، قال: اجتمعنا يوماً في منتزه لنا بجهة **الناعورة بقرطبة** مع **المنصور بن أبي عامر** في حداثة سنه، وأوان طلبه، وهو مرتج مؤمل، ومعنا ابن عمه **عمرو بن عبد الله بن عسكلاجة**[3]، والكاتب **ابن المرعزى**، والفقيه **أبو الحسن المالقي**، وكانت سفرة فيها طعام، فقال **ابن أبي عامر** من ذلك الكلام

---

[1] توجد ترجمة للحسن بن محمد النباهي أيضاً في الصلة.

[2] جاءت كلمة ((ولأصحابه)) بعد كلمة ((حكاية)) في المخطوطين؛ فأعاد ترتيبها عنان.

[3] في المخطوطين: ((عمر بن عبد اله بن عسكلاجة))؛ وهو تحريف.

الذي كان يتكلم به، لا بد أن نملك **الأندلس**، ونحن نضحك منه ومن قوله. ثم قال: يتمنى كل واحد منكم عليَّ ما شاء أُوَلِّيه؛ فقال **عمرو**: أتمنى أن توليني المدينة، نضرب ظهور الجنات، وقال **ابن المرعزى**: وأنا أشتهي الأسفح[1]، القضاء في أحكام السوق، وقال **أبو الحسن**: وأنا أحب هذه أن [توليني][2] قضاء **مالقة** بلدي. قال **موسى ابن غدرون**، قال لي تمن أنت؛ فَشَقَقْتُ لحيته بيدي، واضطربت به وقلت قولاً قبيحاً من قول السفهاء. فلما ملك **ابن أبي عامر الأندلس**، ولي ابن عمه المدينة، وولى **ابن المرعزى** أحكام السوق، وولى **أبا الحسن المالقي** قضاء **ريُّه**[3]، وبلغ كل واحد ما تمنى، وأخذ مني مالاً عظيماً أفقرني لقبح قولي. فبيت **بني الحسن** الشهير، وسيأتي من أعلامه ما فيه كفاية.

---

[1] أي الأقل جدوى. والأسفح: الأصلع. والمقصود هنا هي الأرض التي لا جدوى منها في العطاء. وقد حرفت في ك؛ فكتبت: ((الأسفنج)).

[2] سقطت في ك؛ بينما وردت في ج:

[3] رَيُّه: هو الاسم القديم لولاية مالقة.

حاله

قال **ابن الزبير**: كان طالباً نبيلاً من أهل الدين والفضل والنهى والنباهة.

نباهته

[قال **ابن الزبير** في **كتاب نزهة البصائر والأبصار**: اسْتُقْضيَ **بغرناطة**][1].

وفاته

توفي سنة اثنين وسبعين وأربعمائة [2]، ذكره **ابن بشكوال** في **الصلة**، وعرف بولايته قضاء **غرناطة**، وذكره **ابن عسكر**، وتوهم فيه **الملاحي**، فقال: هو من **أهل إلبيرة**.

***

[1] ما بين الحاصرتين ورد في ج فقط.
[2] الموافق لـ 1079م.

حسن بن محمد

ابن حسن القيسي؛ من أهل مالقة؛ يكنى أبا علي؛ ويعرف بالقلنار.

حاله

كان رحمه الله بقية شيوخ الأطباء ببلده، حافظاً للمسائل الطبية، ذاكراً للدواء، فسيح التجربة، طويل المزاولة، متصرفاً في الأمور التي ترجع إلى صناعة اليدين[1] صدلة واخراعةً[2]، محارباً، مقدوراً عليه في أخرياته[3]، ساذجاً، مخشوشناً، كثير الصحة والسلامة، محفوظ العقيدة، قليل المصانعة، بريأً من التشمت، يعالج معيشته بيده في صبابة فلاحة. أخذ صناعة الطب عن **أبي الحسن الأركشي**[4]، ومعرفة أعيان النبات عن المصحفي وسرح معه، وارتاد منابت[5] العشب في صحبته، فكان آخر السحارين[6] **بالأندلس**، وحاول عمل الترياق الفارق

---

[1] في ج: ((الدين)).
[2] يقصد ((صيدلة واختراعاً)).
[3] في ك: ((آخر أيامه)).
[4] نسبة إلى بلدة أركش إلتي تتبع أعمال شريش؛ وتنام على وادي لُكَّة؛ وتسمى بالإسبانية Arcos.
[5] في المخطوطين: ((مناقب))؛ فصوبها عنان.
[6] في ك: ((السحارير)).

بالديار السلطانية عام اثنين وخمسين وسبعمائة[1] مبرزاً في اختيار[2] أجزائه، وإحكام تركيبه، وإقدام على اختبار مرهوب حياته، قتلاً وصنجاً وتقريصاً، بما يعجب من إدلاله فيه، وفراهته عليه.

***

[1] الموافق لـ 1351م.
[2] في ك: ((اختبار)).

حسن بن محمد

ابن باصّة[1]؛ يكنى أبا علي؛ ويعرف بالصَّلَعْلَعْ؛ رئيس المؤقتين بالمسجد الأعظم؛ من غرناطة؛ أصله من شرق الأندلس.

حاله

كان فقيهاً إماماً في علم الحساب والهيئة، أخذ عنه الجلة والنبهاء قائماً على الأطلال والرخائم وآلالات الشعاعية[2]، ماهراً في التعديل، مع التزام السنة، والوقوف عندما حد العلماء في ذلك، مداوم النظر، ذا مستنبطات ومستدركات وتواليف، نسيج وحده ورحلة وقته.

وفاته

توفي **بغرناطة** عام ستة عشر وسبعمائة[3].

***

[1] ـ في ك: ((ماصة)).
[2] ـ نفسه: ((الشاعية)).
[3] الموافق لـ 1316م.

الحسن بن محمد

ابن علي الأنصاري، من أهل..... [1] يكنى أبا علي،
ويعرف بابن كسرى

حاله

كان متقدماً في حفظ الأدب واللغة، مبرزاً في علم النحو، شاعراً مجيداً، ممتع المؤانسة، كثير المواساة، حسن الخلق، كريم النفس، مُثِرّاً [2] في نظم الشعر [في غير فن] [3]، مدح الملوك والرؤساء، مؤثراً للخمول على الظهور وفي تخامله يقول شعراً ثبت في موضعه.

مشيخته

روى عن **أبي بكر بن عبد الله بن ميمون الكندي، وأبي عبد الله الكندي، وأبي الحكم بن هرودس** [4]**، وأبي عبد الله بن غالب الرصافي.** ممن روى عنه، روى عنه **أبو**

---

[1] بياض هنا في المخطوطين.
[2] أيمكغراً ومخصباً.
[3] في ج: ((في فن غير))؛ وهو تحريف.
[4] في المخطوطين: ((أبو هردوس))؛ وصوبت من صلة الصلة لابن الزبير.

الطاهر أحمد بن علي الهواري السبتي، وأبو عبد الله إبراهيم بن سالم بن صالح بن سالم.

نباهته وإدراكه

من **كتاب نزهة البصائر والأبصار**؛ قال القاضي **أبو عبد الله بن عسكر**: نقلت من خط صاحبنا الفقيه القاضي رحمه الله ما معناه: قال: حدثني الفقيه الأديب **أبو علي**؛ قال: كنت **بإشبيلية**؛ وقد قصدتها لبعض الملوك، فبينما أنا أسير في بعض طرقها، لقيت **الشيخ أبا العباس**، فسلمت عليه، ووقفت معه، وكنت قد ذُكِرَ لي أن بها رجلاً من الصالحين، زاهداً، فاضلاً ينتقد من الشعر في الزهد والرقائق، ببدائع تعجب؛ [وكان **بالمغرب** قد قصد الهربيّ والنادر][1]، فسألني **أبو العباس** عن مصيري؛ فأعلمته بقصدي، فرغب أن يصحبني إليه، حتى أتيناه، فرأيناه رجلاً عاقلاً، قاعداً في موضع قذر، فسلمنا عليه، فرد علينا، وسألناه عن قعوده في ذلك

[1] **هكذا في المخطوطين؛ غير أن عنان أضاف حرف الباء في بداية كلمة المغرب. والمقصود بهذه العبارة أن هذا الزاهد ـ عندما كان مقيماً بالمغرب ـ أخذ ينظم القصائد المعضلة النادرة.**

الموضع، فقال أتذكر الدنيا وسيرتها، فزدنا به غبطة، ثم استنشدناه في ذلك الغرض من كلامه، ففكر ساعة ثم[1] أنشدنا كلاماً قبيحاً، تضمن من القبيح ومن الإقذاع والفواحش ما لا يحل سماعه، فقمنا نلعنه، وخجلت من **أبي العباس**، واعتذرت له. ثم اتفق أن اجتمعنا في مجلس الأمير الذي كنت قد قصدته، فقال **أبو العباس**، إن **أبا علي** قد حفظ لبعض الحاضرين شعراً في الزهد، من أعذب الكلام وأحسنه، فسألني الأمير وطلب مني إنشاده؛ فخجلت ثم ثاب إليَّ عقلي، فنظمت بيتين فأنشدتهما إياه وهما[2]:

أشهد ألا إله إلاّ الله
محمد المصطفى رسول الله

لا حول للخلق في أمورهم
إنما الحول كله لله

---

[1] وردت كلمة ((قال)) بعد ((ثم)) في المخطوطين؛ ولكن عنان حذفها.
[2] هاذان البيتان من بحر المنسرح.

قال: فأعجب الأمير ذلك واستحسنه.

ومن مقاماته بين يدي الملوك وبعض حاله، نقلت من خط صاحبنا الفقيه القاضي **أبي الحسن بن أبي الحسن**، قال: **المروي** منسوب إلى قرية بقرب **مالقة**، وهو الذي قال فيه **الشيخ أبو الحجاج بن الشيخ** رضي الله عنه[1]:

إذا سمعت من أسرى
ومن إلى المسجد أسرى
فقل ولا تَتَوَقَّف
أبا علي[2] بن كِسْرى

قال وهو قريب الأستاذ الأديب **أبي علي[3] الإسْتِجي[4]** ومعلمه، وأحد طلبة **الأستاذ أبي القاسم السهيلي،** وممن نبع[5] صغيراً، وارتحل إلى **غرناطة ومرسية**، وهو الذي أنشد في طفولته **السيد أبا إسحاق بإشبيلية[6]:**

---

[1] هاذان البيتان من بحر المجتث.
[2] في ك: ((أبو علي)).
[3] في المخطوطين: ((أبو علي))؛ وهو تحريف.
[4] نسبة إلى مدينة إستجة Ecija الواقعة جنوب غربي قرطبة. سبق التعريف بها.
[5] في ج: ((تبع)).
[6] هذا البيت من بحر الكامل.

قسماً بحمص[1] وإنه لعظيـــم
وهي المقام وأنت إبراهيـــم

وكـان بالحضـرة **أبـو القاسـم السهيلي**، فقـام عنـد إتمامه القصيـدة، وقـال لمثـل هـذا أحسيك الحسـا، وأواصـل فـي تعليمـك الإصبـاح والإمسـا، وكـان يومـاً مشهـوداً[2].

وأنشـد الأمير **أبـا يعقـوب** حيـن حلهـا[3]:

أمعشر أهل الأرض في الطول والعرض
بهذا استنادي[4] في القيامة والعـــرض
لقد قال فيـــك اللـــه ما أنـــت أهلـــه
فيقـــضي بحكم اللـــه فيك بلا نقـــض
وإيـــاك يُعـــنى ذو الجـــلال بقولـــه
كذلـــك مكنـــا ليوســـف في الأرض

---

[1] **يسـمي أهل إشبيليـة مدينتهـم ((حمصـاً))؛ تشبيهـا بحمـص الشـام.**
[2] **في المخطوطيـن: ((مشهـوراً))؛ فصوبهـا عنـان.**
[3] **هذه الأبيـات مـن البحـر الطويـل.**
[4] **في ك: ((أستـاذي))، وفي ج: ((السـادي))؛ والتصويـب مـن ت.**

وذكره **ابن الزبير، وابن عبد الملك، وابن عسكر**، وغيرهم؛ ومن شعره في معنى الانقطاع والتسليم إلى الله تعالى، وهي لزومية، ولنختم بها، ختم الله لنا بالحسنى[1]:

إلهي أنت [اللـــه][2] ركـــني وملجــئي
وما لي إلى خلــق ســواك ركـــون

رأيـــت بني الأيام عُقْــبَي سكونهـــم
حِراكٌ وفي عُقبى الحِـــراك سكـــون

رِضًى بالذي قَـــدَّرت تسليـــم عالـــمٍ
بـــأن الـــذي لا بـــد منـــه يكـــون

وفاته

توفي بمدينة **مالقة** في حدود ثلاث وستمائة[3].

***

[1] هذه الأبيات من البحر الطويل.
[2] هذه الكلمة سقطت في المخطوطين.
[3] الموافق لـ 1206م.

الحسين بن عتيق

ابن الحسين بن رشيق التغلبي؛ يكنى أبا علي؛ مُرْسِيٌّ [الأصْل][1] سبْتِيٌّ الاسْتيطان؛ مُنْتَمٍ إلى صاحب الثورة على المعتمد[2].

حاله

كان نسيج وحده، وفريد دهره، إتقاناً ومعرفة، ومشاركة في كثير من الفنون اللسانية والتعالمية، متبحراً في التاريخ، رياناً من الأدب، شاعراً مفلقاً، عجيب الاستنباط، قادراً على الاختراع والأوضاع، جهم المحيا، موحش الشكل، يضم برداه طوياً لا كفاء له، تحرف بالعدالة، وبرز **بمدينة سبتة**، وكتب عن أميرها، وجرت بينه وبين الأديب **أبي الحكم مالك بن المُرَحِّل** من الملاحات والمهاترات أشد ما يجري بين متناقضين، آلت به إلى الحكاية الشهيرة، وذلك أنه نظم قصيدة نصّها[3]:

---

[1] سقطت هذه الكلمة في ج، والملكية.

[2] المعتمد: هو المعتمد ابن عباد أمير إشبيلية؛ والثائر على المعتمد: هو عبد الله بن رشيق؛ الذي ثار في مرسية التي كانت آنذاك تابعة لإمارة إشبيلية.

[3] هذه القصيدة من البحر الكامل.

لكـــلاب سبتـــة فـــي النباح مـــدارك

وأشدهـــا [دركـــاً لذلـــك][1] مالـــــك[2]

شيـــخ تفـــانى في البطالـــة عمـــره

وأحـــال فكيـــه الكـــلام الآفـــــك

كلـــبٌ لـــه في كل عِـــرض عضـــة

وبكـــل مُحْصَنَـــةٍ لســـانٌ آفـــك

مُتْهـــم[3] بـــذوي الخنـــا متزمِّـــــعٌ[4]

متهـــازلٌ بـــذوي التـــقى متضاحـــك

أحـــلى شمائلـــه السبـــاب المفتـــري

وأعـــف سيرته الهجـــاء الماعـــك

وألـــذ شــــيء عنـــده فـــي محفـــلٍ

لمـــزٌ لأستـــار المحافـــل هاتـــــك

---

[1] في ج؛ كتب في موضعها: ((رأس)).
[2] هو مالك بن المرحل؛ المقصود بقصيدة الهجاء هذه.
[3] جعلها د. طويل: ((مُتَّهَمِّم))؛ وهو أسلم.
[4] في ك: ((متدمع)).

يَغْـــشى[1] مخاطـــره اللَّئيـــم تفكهـــــا

ويعـــاف[2] رؤيتـــه الحليـــم الناســـك

لـــو أن شخصـــاً يستحيـــل كلامـــه

خـــرْءاً[3] لَـــلاَك الخـــرْءَ منه لائـــك[4]

فكأنـــه التمســـاح يقـــذف جوفـــه

مـــن فيـــه مـــا فيـــه ولا يتماســـك

أنفاســـه وفُســـاؤُه مـــن عنصـــر

وسُعالُـــه وضُراطُـــه متشـــــارك

[مـــا ضرفـــــا مـــن معـــــدَّ اللـــه

لـــو أسلمتـــه نَواجِـــذٌ وضواحـــك][5]

فـــي شعـــره مـــن جاهليـــة طبعـــه

أثقـــال أرضٍ لـــم ينلهـــــا فاتـــك

---

[1] في ج، والملكيـة: ((تخشى))؛ فصوبهـا عنـان.
[2] في المخطوطيـن: ((يعافر)).
[3] الخُرْء: الغائـط.
[4] وردت هـذه العبـرة في ج، والملكيـة: ((لـلاك الحروميـة لائـك)).
[5] هكـذا جـاء هـذا البيـت في المخطوطيـن والملكيـة. وهـو غيـر سليـم في الـوزن والمعنى؛ خاصـة صـدره.

صـــدر وقافيـــة [تعارضتـــا معـــاً][1]

في بيت عنـــسٍ أو بعـــرسٍ فـــارك

قـــد عـــم أهـــل الإرض بلعنـــــه

فللأعنيـــة فـــي السمـــاء ملائـــــك

ولأعجـــب العجبيـــن أن كلامـــــه

لخلالـــه مســـكٌ يـــروح ورامَـــــك

إن ســـام[2] مكرمـــة جثـــا متثاقـــــلا

يرغـــو كما يرغو البعيـــر البـــارك

ويدب في جنـــح الظـــلام إلى الخنـــا

عَـــدْواً كما يعـــدو الظليـــم الراتـــك

نبـــذ الوقـــار لصبيـــةٍ يهجونـــــة

فسيالـــه فـــرشٌ لهـــم[3] وأرائـــــك

يبـــدي لهـــم سوآتـــه ليسوءهـــــم

بمسالـــك لا يرتضيهـــــا سالـــــك

---

[1] **في المخطوطين والملكية: ((تعارض في بيت)).**
[2] **في ج، و ت: ((إن سم)).**
[3] **في ت: ((كلهم)).**

والدهـــر بـــاكٍ لانقـــلاب صروفـــه

ظهـــراً لبطـــن وهـــو لاه ضاحـــك

واللســـن تتصحه بأفصـــح منطـــق

لو كـــان ينجـــو بالنصيحـــة هالـــك

تـــب يا ابن تسعين فقد جزت المـــدا

وارتـــاح للُّقيـــا بسنِّـــك مالـــــك

[أو ما ترى من حافديـــك][1] نشابهـــا

ابـــنٌ يضاجـــع جـــده ويناســـــك

هيهـــات أيـــة عِشـــرة لهجـــت بـــه

هَنـــوات مملـــوك وطيِّـــع مالـــــك

يا ابن المُرحَّل لو شهـــدت مَرَحَّـــلاً

وقدِ انْحـــنى بالرَّحـــل منه الحـــارك

وطريـــد لـــومٍ لا يحـــل بمعشــــــر

إلا أمـــال قفـــاه صفـــــعٌ دالـــــك

[1] في ك: ((لـو مـا تـرى حنفد))؛ وفي ج؛ ورد البيت كلـه كمـا يلـي: ((لـو أمـا تـرى حفيداً مـن ابـن يضاجـع جـده ويناسـك))؛ في الزيتونـة هكـذا: ((أومـا تـرى حفيـد ابـن...))

[مركوب لهــوِ لجاجــة وركاكــة][1]

وأراك مــن ذاك اللجــاج البــارك

لرأيــت لِلْعَيْــن اللئيمـــة سحّـــة

وعلا بصَفْــع عَرْك أُذْنــك عــارك

وشغُلــتَ عــن ذم الأنــام بشاغــل

وثنــاك خصـــمٌ من أبيــك مماحــك

قسمــاً بمن سمك السمــاء مكانهــا

ولديــه نفــس رداء نفســك شائــك

لأقــول للمغــرور منــك بشيبـــةٍ

بيضاء طي الصحف منهــا حالــك

لا تأمَنَــنْ للذئــب دفــع مضـــرة

فالذئــب إن أعفتيــه بــك فاتـــك[2]

عــارٌ على الملك المنزه أن يــرى

فـــي مثــل هــذا للملــوك مسالــك

---

[1] في ك، وت: ((مركوب لهو المحجة ركاكة)).

[2] في ك: ((أشارك)).

فكلامـــــه للديـــــن ســـــم قاتــــل
ودنـــوه للعـــــرض داء ناهـــــك
فعليـــه ثـــم على الـــذي يصغى لـــه
ويـــلٌ يعاجلـــه وحتـــفٌ واشـــــك
وأتـــاه مـــن مثـــواه آت مجهـــــزٍ
لـــدم الخناجـــر بالخناجـــر سافـــك

وهي طويلة تشتمل من التعريض والصريح على كل غريب، واتخذ لها كنانة خشبية كأوعية الكتب، وكتب عليها: ((رقاص مُعَجَّل، إلى **مالك بن المرحل**)). وعمد إلى كلب، وجعلها في عنقه، وأوجعه خبطاً حتى لا يأوي إلى أحد، ولا يستقر، وطرده بالزقاق متكتما بذلك. وذهب الكلب وخلفه من الناس أمة، وقرئ مكتوب الكنانة[1]، واحتمل إلى **أبي الحكم**، ونزعت من عنق الكلب، ودفعت إليه، فوقف منها على كل فاقرةٍ[2] كفت من طماحه، وغضت عن عنان مجاراته، وتُحدِّث بها

[1] في ك: ((الكتابـة)).
[2] أي الداهيـة الشديـدة.

مدة، ولـم يغـب عنـه أنهـا مـن حيـل **ابـن رشيـق**، فعـوق سهـام المراجعـة، ثـم أقصـر مكبوحـاً، وفـي أجوبتـه عـن ذلـك يقـول[1]:

كـــلاب المزابـــل آذينـــــني[2]
بأبوالهـــــن عـــلى بـــــاب داري
وقد كنـــت أوجعهـــا بالعصـــا
ولكـــن عـــوت من وراء الجـــدار

واستدعـاه بآخـرةٍ **أمير المغـرب السلطـان أبـو يعقـوب**؛ فاستكتبـه، واستكتـب **أبـا الحكـم** صدقـةً، فيقـال أن جـر عليـه خجلـةً كانـت سبـب وفـاة **أبـي عـلي**. ودخـل **الأندلـس**، وحـط بهـا **بألمريـة**، وقـد أصيـب بأسـر عيالـه؛ فتوسـل إلـى واليهـا مـن قرابـة **السلطـان الغالـب باللـه**، بشعـر مدحـه فيـه مـن قصيـدة أولهـا[3]:

---

[1] هـاذان البيتـان مـن البحـر المتقـارب.
[2] في ك، والملكيـة: ((أدبتـني)).
[3] الأبيـات المواليـة مـن بحـر الكامـل.

ملــقي النــوى ملــقٍ لبعض نوالكــا

فاشــف المحب ولو بطيــف خيالكــا

ومنها:

لا تحسبــنّي مــن فــلانٍ أو فــــلا[1]

أنــا مــن رجــال اللــه ثم رجالكــا

ومنها:

نصــب العــدو حبائـــلا لحبائــبي

وعَلِقْــتُ في استخلاصهــا بحبالكــا

وفي خاتمها:

وكفــاك شــر العين عيــبٌ واحــد

لا عيــب فيه سوى فلــول نصالكــا

ولحق **بغرناطة**، ومدح السلطان بها، ونجحت لديه مشاركة الرئيس **بألمرية**. فجبر الله حاله، وخلص أسره. ومما جمع فيه بين نثره ونظمه [ما كتبه][2] لما كتبه إليه الأديب الطبيب **صالح بن شريف** بهاتين القصيدتين،

---

[1] **في ك: ((فل)).**
[2] **سقطت هذه العبارة في ك، وفي الملكية.**

اللتين تنازع فيهما الأقوام، واتفقوا[1] على أن يحكم بينهما الأحلام، وعبر عن ذلك الأقلام، ولينظرهما من تشوق إليهما بغير هذا الموضع.

تواليفه

وأوضاعه غريبة، واختراعاته عجيبة، تعرفت أنه اخترع في سفرة الشطرنج شكلا مستديراً. وله **الكتاب الكبير في التاريخ**، **والتلخيص المسمى بميزان العمل** وهو من أظرف الموضوعات، وأحسنها شهرة[2].

وفاته

كان حيا عام أربعة وسبعين وستمائة[3].

***

[1] في ك: ((وأنتفوا)).
[2] في المخطوطين: ((شهير)).
[3] الموافق لـ 1271م. هكذا في ج، أما في ك؛ فكتب: ((سبعمائة))؛ وهو تحريف.

حَبُّوس بن ماكسَن[1]

ابن زيري بن مناد الصّنْهاجي؛ يكنى أبا مسعود؛
ملك إلبيرة وغرناطة وما والاها.

حاله وأوليته

أما أوليته فقد مر ذلك بما فيه الكفاية عند ذكر **بلكين**. ولما دخل **زاوي بن زيري** على **الأندلس** غب إيقاعه **بالمرتضى**، الذي نصبته الجماعة، واستيلائه على محلته بظاهر **غرناطة**؛ وخاف تمالؤ **الأندلس** عليه، ونظر للعاقبة، فأسند الأمر إلى ابن أخيه، **حبوس بن ماكسن**، وكان **بحصن أشتر**[2]، فلما ركب البحر من **المنكب**، وودعه به زعيم البلدة وكبير فقهائها **أبو عبد الله بن أبي زمنين**، ذهب إلى ابن أخيه المذكور واستقدمه، وجرت بينه وبين

---

[1] ترجمة حبوس بن ماكسن موجودة أيضاً في: البيان المغرب، والمُغرب في حُلَى المَغرب، والمختصر في أخبار البشر، وصبح الأعشى، وإعمال الأعلام (القسم الثاني)، وكتاب العبر.

[2] حرفت في المخطوطين والملكية؛ فكتبت: ((أشد)). وحصن أشتر هو من حصون غرناطة القديمة. أما د. طويل؛ فيرى ـ حسب مذكرات الأمير عبد الله ـ أنه حصن آشر؛ وليس أشتر. ثم يذكر أن اسمه بالإسبانية هو Iznajar؛ ويقع غرب غرناطة.

ابن عمه المتخلف على **غرناطة** من قبل والده، محاورة أنجلت عن رحيله تبعاً لأبيه، وانفرد[1] **حبُّوس**، فاستبد بالملك، ورأب الصدع سنة أحد[2] عشر وأربعمائة[3]، قال **ابن عذاري** في تاريخه[4]: فانحازت[5] **صنهاجة** مع شيخهم ورئيسهم **حبوس بن ماكسن**، وقد كان أخوه **حباسة** هلك في الفتنة، وبقي منهم معه بعد انصراف **زاوي** إلى **إفريقية**، جماعة عظيمة، فانحازوا إلى مدينة[6] **غرناطة**، وأقام **حبوس** بها ملكاً عظيماً، وحامى[7] رعيته ممن جاوره من سائر **البرابرة**[8] المنتشرين حوله، فدامت[9] رياسته.

---

[1] في المخطوطين، والملكية: ((وأنفد)).
[2] صوبها د. طويل؛ فجعلها: ((إحدى عشر)).
[3] الموافق لـ 1020م.
[4] هو البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب.
[5] في البيان المغرب: ((وانحاز)).
[6] في ك: ((المدنية)).
[7] في البيان المغرب: ((وحمى)).
[8] نفسه: ((وسائر الأمراء المتنزين حوله...)).
[9] في ك: ((فرامت)).

وفاته

توفي **بغرناطة** سنة ثمان وعشرين وأربعمائة[1].

***

[1] الموافق لـ 1036م. ذكر في الفصل السابق المعنون بـ((فيمن تداول هذه المدينة)): أن حبوس بن ماكسن مات سنة تسع وعشرين وأربعمائة.

الحكم بن عبد الرحمن[1]

ابن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام
ابن عبد الرحمن بن معاوية.

صفته وحاله

كان أصهب العين، أسمر، أقنى، معسّل اللحية، جهير الصوت، طويل الصلب، قصير الساقين، عظيم الساعد، أفصم[2]، وكان ملكاً[3] جليلاً، عظيم الصيت، رفيع القدر، عالي الهمة، فقيهاً بالمذهب، عالماً بالأنساب، حافظاً للتاريخ، جماعاً للكتب، محباً في العلم والعلماء، مشيراً[4] للرجال من كل بلد، جمع العلماء من كل قطر، ولم يكن في **بني أمية** أعظم همة، ولا أجل رتبة في العلم، وغوامض الفنون منه. واشتهر بهمته

---

[1] يعرف بلقب ((المستنصر))؛ وترجمته موجودة أيضاً في: جذوة المقتبس، وبغية الملتمس، والحلة السيراء، والمغرب، والبيان المغرب، ونفح الطيب، ورسائل ابن حزم، وجمهرة أنساب العرب.
[2] في ك: ((أفضم))، بينما سقطت في الملكية. وربما قصد بكلمة أفصم: القاطع في الرأي والقرار.
[3] كان يقلب بلقب الخلافة.
[4] في ك: ((مشاراً)).

بالجهاد وتُحدِّث بصدقاته في المحلول، وأملته الجبابرة والملوك.

دخوله إلبيرة

قال **ابن الفيّاض**: كتب إليه من **الثغر الجنوبي**[1] أن **عظيم الفرنجة** من **النصارى** حشدوا إليه [وسألوه الممرة][2] بطول المحاصرة[3]، فاحتسب شخوصه بنفسه إلى **ألمرية**[4] في رجب سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة[5]، في جحفل لجبٍ من نجدة[6] الأولياء وأهل المراتب. ولما أحل **إلبيرة** ورد عليه عليه كتاب **أحمد بن يَعْلى** من **طرطوشة** بنصر الله العزيز وصنعه الكريم على **الروم**، ووافى **ألمرية**، وأشرف على أمورها، ونظر إلى أسطولها وجدده، وعدته يومئذ ثلاثمائة قطعة، وانصرف إلى **قرطبة**.

[1] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((الحنوي))؛ فصوبها عنان تبعاً لما يأتي في سياق الكلام.
[2] أي الاستمرار. ووردت في ج، والملكية: ((وسأله المبرة)).
[3] في المخطوطين: ((مطول المحاضرة)).
[4] في ج: ((المريبة))، وفي ك: ((المرتلة))؛ فصوبها عنان؛ لاعتقاده بأن ثغر ((ألمرية)) هو المقصود؛ على انه لم يستبعد أن يكون هذا الثغر هو ((مربلة)).
[5] الموافق لـ 964م.
[6] في ك: ((صفحة)).، وفي الملكية: ((صفوة)).

مولده

لست بقين من جمادى الآخرة؛ سنة اثنتين ثلاثمائة[1].

وفاته

لأربع[2] خلون من صفر؛ سنة ست وستين وثلاثمائة[3]، وعمره نحوٌ من ثلاث وستين سنة، وهو خاتمة العظماء من **بني أمية**.

***

[1] الموافق لـ 914م.
[2] جاء في الحلة السيراء أنه ((توفي لليلتين خلتا من صفر)).
[3] الموافق لـ 976م.

الحكم بن هشام[1]

ابن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ابن أمية؛ كنيته أبو العاصي.

صفته

آدَمُ شديد الأُدْمَة[2]، طويل، أشم، نحيف، لم يخضب.

بنوه

تسعة عشر من الذكور؛ منهم **عبد الرحمن**؛ ولي عهده.

بناته

إحدى وعشرون[3].

---

[1] توجد أيضاً ترجمة الحكم بن هشام في: جذوة المقتبس، وبغية الملتمس، والحلة السيراء، والمغرب في حلى المغرب، والبيان المغرب، ونفح الطيب، ورسائل ابن حزم.

[2] أي أسمر.

[3] في المغرب: ((ثلاثون)).

أمه

أم ولد؛ اسمها **زخرف**.

وزراؤه وقواده

خمسة منهم: **إسحاق بن المنذر، والعباس بن عبد الله، وعبد الكريم بن عبد الواحد، وفُطَيس بن سليمان، وسعيد بن حسّان**.

قضاته

مصعب بن عمران، وعمر[1] بن بشر، والفرج بن كنانة[2]، وبشر بن قطن، وعبد الله[3] بن موسى، ومحمد ابن تليد، وحامد بن محمد بن يحيى.

---

[1] في البيان المغرب: ((محمد بن بشير)).

[2] في المخطوطين: ((قتامه))؛ وهو تحريف؛ وقد صوبه عنان؛ تبعاً لما ورد في كتاب تاريخ قضاة الأندلس؛ حيث ذكر فيه أن الفرج بن كنانة كان قاضياً للجماعة بقرطبة في زمن الحكم بن هشام.

[3] في البيان المغرب: ((عبيد الله بن موسى)).

كتابه

فُطَيس بن سليمان. وعطاف[1] بن زيد، وحجّاج بن العُقَيْلي[2].

حاجبه

عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث.

حاله

كان **الحكم** شديد الحزم، ماضي العزم، ذا صولة تتقى، وكان حسن التدبير في سلطانه، وتولية أهل الفضل، والعدل في رعيته، مبسوط اليد[3] بالعطاء الكثير، وكان فصيحاً، بليغاً، شاعراً مجيداً، أديباً، نحوياً.

---

[1] في البيان المغرب: ((وخطّاب بن زيد)).
[2] نفسه: ((وحجاج العقيلي)).
[3] نفسه: ((باسط الكف)).

قال **ابن عذاري**: كانت فيه بطالة، إلاّ أنه [كان شجاعاً، مبسوط اليد][1]، عظيم العفو، وكان يسلط قضاته وحكامه على نفسه، فضلاً عن ولده وخاصته، وهو الذي جرت على يده الفتكة العظيمة **بأهل رَبْض قرْطُبَة**[2]؛ الذين هاجوا به وهتفوا بخلعانه؛ فأظهره الله عليهم، في خبر شهير، وهو الذي أوقع **بأهل طليطلة** أيضاً، فأبادهم بحيلة الدعاء إلى الطعام بما هو معلوم.

دخوله غرناطة

قالوا: **وبإلبيرة وأحوازها** تلاقى مع عمه **أبو أيوب سليمان بن عبد الرحمن**؛ فهزمه وقتله حسبما ثبت في اسم **أبي أيوب**.

---

[1] في البيان المغرب: ((كان شجاع النفس باسط الكفّ)).

[2] الربض: هي ضاحية في قرطبة تسمى بالربض؛ حدث في هذه الضاحية عصيان؛ أعلنه من أهلها ضد الحكم؛ فقمعهم ونكل بهم، وشردهم. وعلى هذا سمي بـ(الحكم الربضي). وكانت أسرة ابن الخطيب الأولى من بين ضحاياه. وقد سبقت الإشارة إلى هذا.

شعره

قالوا وكان له خمس جوارٍ؛ قد استخلصهن لنفسه، ومَلَّكْهُنَّ أمره؛ فذهب يوماً إلى الدخول عليهن، فتأبين عليه، وأعرضن عنه؛ وكان لا يصبر عنهن، فقال[1]:

قضبٌ من البان ماست فوق كثبان

ولَّيْنَ[2] عنِّي وقد أزمعن هجراني

ناشدتهن بحقي فاعتزمن على الـ

ـعصيان[3] حتى خلا منهن هِمْياني[4]

ملكنني ملك من ذلت عزيمته

للحب ذل أسيرٍ مُوثَقٍ عاني

من لي بمُغْتَصِبات[5] الرُّوح من بدني

يُغْصِبَنِنِي[6] في الهوى عزي وسلطاني

---

[1] هذه الأبيات موجودة أيضاً في البيان المغرب. وهي من البحر البسيط.
[2] في البيان المغرب: ((أعْرَضْنَ)).
[3] نفسه: ((الهجران)).
[4] في الملكية وفي ج: ((هيمان)).
[5] في نفح الطيب: ((بمقتضيات)).
[6] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((عصبتني)).

ثـم عَطَفْـن عليـه بالوصـال فقـال[1]:

نلـــت الوصــــال بعد البُعــــاد
فكــأنِّي ملكـــت كلّ العبـــاد

وتناهى السرور إذ نلت ما لم
يُغْـــن عنه تَكاثُـــفُ الأجنـــاد

مناقبه

أنـهى إليـه **عبـاس بـن ناصِـح**[2]؛ وقـد عـاد [مـن][3] **الثغـر**[4]؛ أن امـرأة مـن ناحيـة **وادي الحجـارة**[5] سمعهـا تقـول: وَاغَوْثـاه، **يــا حكـــم**؛ ضيعتنـــا، وأسلمتنـــا، واشتغلـــت عنـــا؛ حـــتى استأســـد[6] العـــدو

[1] هـذان البيتـان في البيـان المغـرب. وهمـا مـن البحـر الخفيـف.
[2] في النسـخ الأربـع: ((صالـح))؛ وصوبـت مـن البيـان المغـرب.
[3] كلمـة ((مـن)) أضافهـا عنـان. وعبـاس بـن ناصـح الثقـفي الجزيـري؛ هـو شاعـر الأندلـس في وقتـه، مقـرب مـن الحكـم بـن هشـام الربـضي. تـولى قضـاء الجزيرة الخضراء مع شذونة. أرسله الحكم إلى بغداد لجلب الكتب النادرة في تلك الديار. حيث قابل أشهر الأدباء والشعراء؛ كأبي نواس الحكمي.
[4] المقصـود بكلمـة الثغـر هنـا؛ هـو الثغـر الأدنى؛ الـذي يشمـل: طليطلـة ومـا يتبعهـا. ويمكـن تحديـده بمـا يعـرف الآن بقشتالـة القديمـة. بينمـا يمثـل الثغـر الأعلـى: ولايـة الأراغـون؛ الـتي تشتمـل علـى: سرقسطـة ومـا يتبعـا.
[5] وادي الحجـارة Guadalajara: مدينـة تقـع شمـال غـربي مدريـد.
[6] حرفـت في المخطوطيـن؛ فكتبـت: ((أسـت أسـر)).

علينـــا؛ ورفـــع إليـــه شعـــر[1] في هذا المعنى والغرض؛ فخرج من **قرطبة** كاتماً وجهته؛ وأوغل في بلاد الشرك؛ ففتح الحصون، وهدم المنازل، وقتل وسَبى[2]، وقفل بالغنائم على الناحية التي فيها تلك المرأة؛ فأمر لأهل تلك الناحية بمال من الغنائم؛ يفدون به أسراهم[3]، ويصلحون به أحوالهم؛ وخَصَّ المرأة وآثرها، وأعطاها عدداً من الأسرى؛ وقال لها: هل أغاثك **الحكم**؟[4] قالت: أي والله؛ أغاثنا وما غفـل عنـا؛ أعانـــه اللـــه وأعـــز نصـــره[5].

---

[1] أورد المقري في نفح الطيب شيئاً منه؛ وهو:

تَمَلْمَلْتُ في وادي الحجارة مُسْهَرا * أراعي نجوماً ما يُردْنَ تغوُّرا
إليك أبا العاصي نَضَيْتُ مَطِيَّتِي * تَسِيرُ بِهِمْ سارياً ومُهَجِّرا
تَـداركْ نساء العالمين بنصـرة * فإنَّكَ أحْرَى أن تغيثَ وتَنْصُرا

[2] في البيان المغرب: ((وقتل كثيراً وأسر كذلك)).

[3] في البيان المغرب: ((سباياهم)).

[4] جاء في نفح الطيب: ((قال للعباس: سَلْهَا: هل أغاث الحكم؟ فقالت المرأة؛ وكانت نبيلة: والله لقد شفى الصُّدور، وأنكَى العدو، وأغاث الملهوف؛ فأغاثه الله، وأعزّ نصره. فارتاح لقولها؛ وبدا السرور في وجهه؛ وقال:

أَلَمْ تَرَ يا عَبَّاسُ أنِّي أجَبْتُهَا * عَلى البُعْدِ أَقْتَادُ الخَمِيسَ المُظَفَّرا
فأدْرَكتُ أوْطاراً وبَرَّدْتُ غُلَّة * ونَفَّستُ مَكْروباً وأغْنَيْتُ مُعْسِرا

فقال العباس: نعم؛ جزاك الله خيراً عن المسلمين؛ وقبل يده)). نفح الطيب: مج: 1، ص ص: 343 - 344.

[5] هذه القصة تستحث الانتباه، وتستدعي بعض التأمل والبحث. إذ ثمة قصة مشابهة لها؛ ترددها المصنفات الأدبية بالمشرق؛ مفادها أن امرأة في عمورية (الواقعة على الثغور البيزنطية المتاخمة للدولة العباسية) صرخت ـ بدورها ـ

وفاته

توفي لأربع بقين لذي الحجة؛ سنة ست ومائتين[1]، وكان عمره اثنين[2] وخمسين سنة. وجرى ذكره **في الرجز**؛ من نظمي في **تاريخ دول الإسلام**[3] بما نصه:

منادية ومستنجدة بالمعتصم (الخليفة العباسي)؛ قائلة ((وامعتصماه)). فلمّا وصله خبر ذلك؛ جهز جيشاً فتح به عمورية، وأخذ بثأر المرأة المستنجدة. وقد سجل أبو تمام الطائي أحداث هذا الفتح بقصيدته الشهيرة:

السَّيفُ أصدقُ أنباءً منَ الكُتُبِ * في حدِّه الحدّ بينَ الجدِّ واللَّعِبِ

ولكنه لم يشر إلى المرأة المذكورة، ولا إلى حكايتها. غير أن الغريب في الأمر أن قصة المرأة المستنجدة بالحكم بن هشام (الربضي)؛ تبدو أقدم عهداً من قصة المرأة العمورية المستنجدة بالمعتصم. وذلك أن الحكم توفي في سنة 206هـ/821م. بينما معركة عمويرية حدثت في سنة 223هـ/838م. وبذلك تكون هذه القصة الأندلسية أقدم عهداً من القصة المنسوبة للمعتصم العباسي. كما أن عباس بن ناصح المشارك في الحكاية وراويها؛ ذهب إلى بغداد في عهد المأمون بن الرشيد؛ حيث التقى بشعراء وأدباء تلك الديار؛ ومنهم الشاعر أبو نواس الحكمي. وهذا كله؛ حدث قبل وقعة عمورية، وقبل عهد المعتصم. إذن؛ ألا يكون عباس بن ناصح قد روى حكايه الحكم مع المرأة الحجارية؛ فتناقلها أدباء وأخباريو بغداد؛ ونسبوها للمعتصم؟ المهم أن خبر هذه القصة ذكره أيضاً المقري في نفح الطيب (مج: 1، ص ص: 343 - 344).

[1] الموافق لـ 821م.

[2] صوبها د. طويل؛ فجعلها: ((اثنتين))؛ وهو أصح.

[3] في الكتاب المسمى رقم الحلل في نظم الدول؛ لابن الخطيب.

حــتى إذا الدهــر عليــه احتكمــا

قــام بهــا ابنــه المسمى حكمــا

واستشعــر الثــورة فيهــا وانقبــض

مستوحشــاً كالليث أقــعى وربــض

حــتى إذا فرصتــه لاحــت تفــض

فأفحــش الوقعــة في أهل الربــض

وكــان جبــــاراً بعيــــد الهمــــة

لــم يــرع مــن آلٍ بهــا أو ذمــة

***

حكم بن أحمد

ابن رجا[1] الأنصاري؛ من أهل غرناطة؛ يكنى أبا العاصي.

حاله

كان من قرائها [2]، ونبهائها، وكان من أهل الفضل والطلب، وإليه ينسب **مسجد أبي العاصي**، **وحمام أبي العاصي**، **ودربه بغرناطة**. وكفى بذلك دليلاً على الأصالة والتأثل. ذكره **أبو القاسم**؛ ولم يذكر [من] [3] أمره مزيداً على ذلك.

***

[1] في ك: ((وجا))، وفي ج: ((رجلا)).
[2] في ج: ((قراريها))؛ وهو تحريف، وفي ك: ((وزرائها))، وفي الملكية: ((غررها)).
[3] سقطت هذه الكلمة في المخطوطين.

حاتم بن سعيد[1]

ابن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن
ابن عثمان بن سعيد بن عبد الملك بن سعيد بن عمار بن ياسر

أوليته

قد مر بعض[2] ذلك ؛ وسيأتي بحول الله.

حاله

قال **أبو الحسن بن سعيد** في **كتابه الموضوع في مآثر القلعة**[3]: كان صاحب سيف وقلم وعلم، ودخل في الفتنة **المردنيشيه**[4]؛ حسبما مرّ ذلك عند ذكر أخيه **أبي جعفر**؛ فصار من جلساء الأمير **أبي عبد الله [محمد]**[5] **بن سعد بن مردنيش بمرسية**، وأرباب آرائه، وذوي الخاصة من وزرائه، وكان مشهوراً بالفروسية والشجاعة [والرأي][6].

---

[1] ترجمة حاتم بن سعيد موجودة أيضاً في المغرب في حُلى المغرب، وفي نفح الطيب.
[2] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((بعين)).
[3] عنوان هذا الكتاب هو: الطالع السعيد في تاريخ بني سعيد؛ وهذه القلعة معروفة أيضاً بقلعة يحصب؛ وقد مرّ الحديث عنتها.
[4] نسبة إلى محمد بن سعيد بن مردنيش؛ وقد سبق الحديث عنه.
[5] هذه الكلمة أضافها عنان.
[6] أضيفت هذه الكلمة من ت.

حكاياته ونوادره

قال: كانت التندير والهزل قد غلبا عليه. وعرف بذلك؛ فصار يحمل منه ما لا يحمل من غيره، قالوا: فحضر يوماً مع **الأمير محمد بن سعد.** يوم الجلاب[1] من حروبه، وقد صبر الأمير صبراً جميلاً[2]، ووالى الكر المرة بعد المرة. وذلك بمرأى من **حاتم**، فرد رأسه إليه، وقال: يا قائداً **أبا الكرم** كيف رأيت؟ فقال له **حاتم**: لو رآك السلطان اليوم؛ لزاد في مرتبك؛ فضحك **ابن مردنيش**، وعلم أنه أراد بذلك: لا تليق به المخاطرة، وإنما هو للثبات والتدبير. وقال له يوماً وقد جرى ذكر الجنات: جُنّ اليوم يا **أبا الكرم** على بستانك بالزنقات، وأردت أن أكون من ضيافتك، فقال **عبد الرحمن بن عبد الملك**؛ وهو إذ ذاك وزير الأمير، وبيده المجابي والأعمال: لعل الأمير اغتر بسماع اسمه **حاتم**، ما فيه من الكرم إلا

---

[1] في ج: ((يوم الحلاب)). وهو تحريف. والجلاب عبارة عن فحص يقع بالقرب من مرسية؛ في الجهة الغربية منها. وفي هذا الفحص وقعت معركة - عرفت باسمه - بين الموحدين وابن مردنيش؛ اكتسح فيها الموحدون عدوهم فانهزم هزيمة نكراء.

[2] في ك: ((عظيماً)).

الاسم، فقال **الحاتم**[1]، ولعل الأمير اغتر[2] بسماع [أمانة][3] **عبد الرحمن**، فقدمة على وزرائه، وما عنده من الأمانة إلا الاسم، فقال **ابن مردنيش** وقد ضحك، الأولى فهمت، ولم أفهم الثانية، فقال له كاتبه **أبو محمد السلمى**، إنما أشار إلى قول رسول الله صلى الله عليه، في **عبد الرحمن بن عوف** رضي الله عنه: (أمير هذه الأمة، وأمين في أهل السماء، وأمين في أهل الأرض) [4]؛ فطرب **ابن مردنيش**، وجعل يقول: أحسنتما.

شعره

قال **أبو الحسن**: ولم أحفظ[5] من شعر **حاتم** ما أورده في هذا المكان إلا قوله يخاطب **حفصة الركونية الشاعرة**، التي يأتي ذكرها؛ حين فرّ إلى **مرسية**، وتركها **بغرناطة**[6]:

---

[1] هكذا في المخطوطين.
[2] سقطت في المخطوطين؛ وأضافها عنان.
[3] سقطت في ج؛ بينما وردت في ك.
[4] في ج: ((أمير في أهل السماء وأمير في أهل الأرض))؛ وقد صوبت من الملكية.
[5] في ك: ((حفظت)).
[6] هذه الأبيات من بحر الوافر.

أحـــن إلـــى ديـــارك يا حيـــاتي

[وأبصر ذو وهد سيل الظُّبـــاتِ][1]

وأهـــوى أن أعود إليـــك لكـــن

[خفـــوق البَنْد[2] عاق عن القنـــات][3]

وكيـــف إلى جنابك[4] من سبيـــل

وليـــس يحلــــــه إلا عــــــداتي

مولده

في سنة خمس وثلاثين وخمسمائة[5]. وقال **أبو القاسم الغافقي** فيه عند ذكره: كان طالباً نبيهاً جميلاً سرياً، تام المروءة، جميل العشرة.

[1] هكذا ورد ما بين الحاصرتين في المخطوطين. وهو مختل المعنى والوزن.
[2] خفوق البند؛ معناها ((العلم خفاقاً يرفرف)).
[3] ورد هذا الشطر في المخطوطين هكذا: ((خفوق البندر عاق القنات)).
[4] في ك: ((جانبك)).
[5] الموافق لـ 1140م.

وفاته

قال: مات **بغرناطة** سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة[1].

***

[1] الموافق لـ 1195م. جاء في نفح الطيب أنه: ((توفي بغرناطة سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة)).

حباسة [بن ماكسن[1]

ابن زيري بن مناد الصنهاجي][2]؛ كان شهماً، هيباً، بُهْمَةً من البُهم؛
كريماً في قومه، أبياً في نفسه، صدراً من صدور صنهاجة؛
وكان أشجع من أخيه حَبّوس.

وفاته

قال **أبو مروان**[3] عند ذكر وقعة ((**رمداي**)) **بطرف قرطبة**؛ في حروب **البرابرة** لأهلها في شوال؛ عام اثنين وأربعمائة[4] .

قال: واستلحم **حباسة بن ماكسن الصنهاجي** ابن أخي **زاوي بن زيري**، [وهو][5] فارس **صنهاجة** طراً وفتاها، وكان قد تقدم إلى هذه الناحية. زعموا لما بلغه اشتداد الأمر فيها، فرمى بنفسه على طلابها، واتفق أن ركب بسرج طري العمل متفتح اللبد، وخانه مقعده عند

---

[1] ترجمة حباسة بن ماكسن موجودة أيضاً في: المغرب، والبيان المغرب، وإعمال الأعلام (القسم الثاني)، واللمحة البدرية.
[2] في المخطوطين والملكية وردت كلمة ((حباسة)) فقط. وقد أضاف عنان ما جاء بين الحاصرتين. كما أن هذه الترجمة جاءت في غير موضعها؛ إذ لم يراع هنا الترتيب حسب الحروف الهجائية.
[3] ابن حيان. صاحب كتابي: المتين، والمقتبس.
[4] الموافق لـ 1011م.
[5] وردت هذه الكلمة في الملكية بينما سقطت في المخطوطين.

المجاولة، لتقلبه على الصهوة، وقيل إنه كان منتبذاً على ذلك. فتطارح على من بإزائه، ومضى قدماً بسكرى شجاعته ونشوته، يصافح البيوت بصفحته، ويستقبل القنا بلباته، لا يعرض له شيء إلا حطه، إلى أن مال به سرجه، فأتيح حمامه لاشتغاله بذلك، بطعنة من يد المسمى النبيه **النصراني**؛ أحد فرسان **الموالي العامريين**، فسقط لفيه، وانتظمته رماح الموالي فأبادته، وحامى أخوه **حبوس**، وبنو عمه، وغيرهم من أنجاد **البرابرة** على جثته، فلم يقدروا على استنقاذها؛ بعد جلاد طويل. وغلب عليه الموالي؛ فاحتزوا رأسه، وعجلوا به إلى قصر السلطان، وأسلموا جسده للعامة، فركبوه بكل عظيمة، واجتمعوا إليه اجتماع البغاث[1] على كبير الصقورة، فجروه في الطريق وطافوا به الأسواق، وقطعوا بعض أعضائه، وأبدوا شواره وكبده بكل مكروه من أنواع الأذى، بأعظم ما ركب ميت، فلما سئموا تجراره[2]، وأوقدوا له ناراً فحرقوه بها جرياً على ذميم عادتهم، في قبح المثلة،

[1] في المخطوطين: ((النفاث)).
[2] هكذا في المخطوطين والملكية.

ولؤم القدرة. وانجلت الحروب في هذا اليوم لمصابه، عن أمر عظيم، وبلغ من جميع **البرابرة** الحزن عليه مناله، ورأت أن دماء أهل **قرطبة** جميعاً لا تعدله. من **الكتاب المتين**.



حبيب بن محمد

ابن حبيب؛ من أهل النجش[1] من وادي المنصورة[2]؛ أخوه مالك النجشي؛ دباب الحلقات؛ ومراو أذناب المقربين.

حاله

كان على سجية غريبة من الانقباض المشوب[3] بالاسترسال، والأمانة مع الحاجة، بادي الزِّي[4] واللسان، يحفظ الغريب من اللغة، ويحرك شعراً لا غاية وراءه في الركاكة. وله قيامٌ على الفقه وحفظ القرآن ونغمةٌ حسنة عند التلاوة. قدم الحضرة غير ما مرة، وكان الأستاذ، إمام الجماعة، **وسيبويه** الصناعة، **أبو عبد الله بن الفخار** المعروف **بالبيري**[5]؛ أبا مثواه ومحط طيته، يطلب منه مشاركته[6] بباب السلطان في جراية يرغب في تسميتها،

---

[1] في الملكية: ((النحش)).
[2] هي منطقة تنسب إلى نهر المنصورة؛ الذي يسيل في الجهة الشمالية من مدينة ألمرية. أما النجش فهو حصن بتلك المنطقة.
[3] في ك: ((المنشوب)).
[4] في الملكية: ((الرَّأي)).
[5] أي الإلبيري؛ نسبة إلى إلبيرة.
[6] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((ممتاركته ـ ممماركته)).

وحال يروم إصلاحها، فقصدني مصحباً منه رقعة تتضمن الشفاعة، وعرض على قصيدة من شعره [يروم][1] إيصالها إلى السلطان، فراجعت الأستاذ برقعة أثبتها على جهة الإحماض[2] وهي:

((يا سيدي الذي أتشرف، وبالانتماء إلى معارفه أتميز، وصل إلى عميد **حصن النجش**، وناهض أفراخ ذلك العُشّ، تلوح عليه مخائل أخيه المسمى **بمالك**، ويترجج به الحكم في الغاية في أمثال تلك المسالك، أشبه من الغراب بالغراب، وإنها لمن عجائب الماء والتراب، فألقى من ثنائكم الذي أوجبته السيادة والأبوة، ما يقصر عن طيب الألوة، وتخجل عند مشاهدته الغرر المجلوة، وليست بأولي برّ[3] أسديتم، ومكرمة أعدتم وأبديتم، والحسنات وإن كانت فهي [إليكم][4] منسوبة، وفي أياديكم أياديكم محسوبة، وبلوت من الرجل طلعة نتفة، لم يغادر

[1] هذه الكلمة سقطت في المخطوطين.
[2] أي على سبيل التفكه والتندر.
[3] في الملكية: ((يد)).
[4] سقطت هذه الكلمة في المخطوطين.

من صفات النبل صفة، حاضر بمسائل [من][1] الغريب، وقعد مقعد الذكي[2] الأريب، وعرض عليّ حاجته وغرضه، وطلب مني المشاركة، وهي مني لأمثاله مفترضة، ووعدني بإيقافي على قصيدة حبرها وأنسى بالخبر خبرها، وباكرني بها اليوم مباكرة الساقي بدهاقه، وعرضها على عرض التاجر نفائس أعلاقه، وطلب مني أن أهذب له ما أمكن من معانيها وألفاظها، وأجلو القذى عن ألحاظها، فنظرت منها إلى روضٍ كثرت أثغابه[3] وجيشٍ من الكلام زاحم خواصه أو شابه، ورمت الإصلاح ما استطعت، فعجزت عن ذلك وانقطعت، ورأيت لا جدوى[4] إلى ذلك الغرض، ما لم تبدل الأرض غير الأرض. وهذا الفن أبقى الله سيدي، ما لم يمت إلى الإجادة بسبب وثيق، وينتمي في الإحسان إلى مجد عريق، وكان رفضه أحسن وأحمد، واطراحه بالفائدة أعود، وإذا اعتبره من عدل وقسط، وجده طريقين لا

---

[1] أضيفت هذه الكلمة من الملكية.
[2] في ج: ((الزكي)).
[3] سقطت في المخطوطين والملكية.
[4] في ج: ((جدنوا)).

يقبل الوسط، فمنهما مال يقتنى ويدخر، وسافلٌ يهزء به ويسخر، والوسط ثقيل لا يتلبس به [نبيل][1].

قيل لبعضهم ألا تقول الشعر؟ فقال أريد منه ما لا يتأتى لي، ويتأتى لي منه ما لا أريده. وقال بعضهم، فلان كمُغَنّ وسط؛ لا يجيد فيطرب، ولا يسيء فيسلي[2]. فاقتضى نظركم الذي لا يفارق السداد والتوفيق، وإرشادكم الذي رافقه[3] الهدى ونعم الرفيق، أن يشير عليه بالاستغناء عن رفعها، والامتساك عن دفعها، فهو أقوى لأمته[4]، وأبقى على سكنته وسمته، وأستر لما لديه، قبل أن يمد **أبو حنيفة** رجليه، [وإن][5] أصمت عن هذا العذل مسامعه، وهفت به إلى النجاح مطامعه، فليعمد على الاختصار، فذو الإكثار جم العثار، وليعدل إلى الجادة عن ثنيات[6] الطرق، ويجتزئ عن القلادة بما أحاط بالعنق،

---

[1] سقطت هذه الكلمة في ك؛ بينما وردت في ج.
[2] في ك: ((فيلهى)).
[3] في المخطوطين: ((أرفقه)).
[4] أي أقوى لمقامه الرفيع.
[5] سقطت هذه الكلمة في المخطوطين؛ وأضافها عنان.
[6] في المخطوطين، والملكية: ((نبيات))؛ فصوبها عنان.

بالعنق، فإذا رتبها[1] وهذبها، وأوردها من موارد العبارة أعذبها، توليت زفافها وإهداءها، وأمَطْتُ بين يدي الكفوء الكريم رداءها والسلام)).

***

[1] في المخطوطين، والملكية: ((رهبها))؛ وهو تحريف.

حمدة[1] بنت زياد

المكتّب؛ من ساكني وادي الحمّة؛ بقرية بادي؛
من وادي آش.

حالها

قال **أبو القاسم**: نبيلةً، شاعرةٌ، كاتبة، ومن شعرها وهو مشهور[2]:

أبـــاح الدمـــع أســـراري بـــوادي
لـــه فـــي الحســـن[3] آثـــارٌ بـــوادي

---

[1] توجد أيضاً ترجمة حمدة بنت زياد في: المطرب، ورايات المبرزين، والمغرب، وفوات الوفيات، والذيل والتكملة؛ والمقتضب في كتاب تحفة القادم، والتكملة، وبغية الملتمس، ونفح الطيب.
[2] هذه الأبيات موجودة في: المغرب، ورايات المبرزين، وفوات الوفيات، والمقتضب، والمطرب، والتكملة، ونفح الطيب، وبغية الملتمس، والذيل والتكملة. وهي من بحر الوافر.
[3] في كتاب المقتضب: ((أباح الدهر أسراري بوادي * به للحسن آثار بوادي)). وفي نفح الطيب وفوات الوفيات: ((له للحسن...)) بدل: ((له في الحسن...)). وفي المطرب والتكملة لكتاب الصلة، والذيل والتكملة؛ في مكانهما: ((به للحسن...)).

فمـــن نهـــر[1] يطـــوف بكـــل روض

ومـــن روض يطـــرف بكـــل وادي

ومـــن بيـــن الظِّبـــا مهـــات إنْـــس[2]

[سبـــت لـــبِّي][3] وقد سلبـــت فـــؤادي

لهـــا لحـــــظٌ ترقِّـــــده لأمـــــرٍ

وذاك الأمـــر يمنعـــني رقـــــادي

إذا سَدَلَـــــتْ ذوائبهـــــا عليهـــــا

رأيـــت البـــدر في جُنْـــح الســـوادي[4]

---

[1] في المخطوطين والملكية: ((واد))؛ وصوبت من نفح الطيب؛ أما كلمة ((يطوف)) فقد كتبت في النفح: ((يرف)). وجاء صدر البيت في المقتضب هكذا: ((فمن واد يطوف بكل روض)).

[2] في المخطوطين والملكية ((رمل))؛ وصوبت من نفح الطيب. الشطر الأول صوبه د. طويل فجعله: ((ومن بين الظباء مهاة أنس))؛ وهو أسلم وأصح. ومن جهة أخرى كتب هذا البيت في المغرب هكذا:
((ومن بين الظباء مهاة رمل تبدت لي وقد سلبت قيادي)). وفي النفح: ((ملكت)) عوض ((سلبت)).

[3] في ج: ((هبت لي))، وفي ك: ((هبت لبي))، وفي المغرب: ((لها لبي)).

[4] في كتاب المقتضب جاء البيت هكذا:
((إذا سدلت ذؤابتها عليه * كمثل البدر في الظلم الدادي)).
وجاء العجز في المطرب هكذا: ((رأيت الصبح أشرق في الدآدي))، وفي النفح: ((أفق)) في مكان ((جُنْح)). وفي التكملة، والذيل والتكملة، وفوات الوفيات: ((الدآدي)) بدل ((السواد)).

كـــأن الصبـــح مـــات لـــه شقيـــق

فمن حـــزن تسربـــل في الحـــدادي[1]

ومـن غرائبها[2]:

ولمـــا أبـــى الواشـــون إلا قتالنـــا[3]

وما لهـــم عندي وعنـــدك من ثـــار

وشنـــوا على آذاننـــا[4] كـــل غـــارة

وقلّت حُمـــاتي عند ذاك وأنصـــاري[5]

---

[1] صوبهـا د. طويـل؛ فجعلهـا: ((في الحـداد)). وجاء البيت في المقتضب هكذا: ((تخال الصبح مات له خليل * فمن حزن تسربل في الحداد)). والبيت في المطرب كما يلي: ((تخال البدر مات له خليل * فمن حزن تسربل بالحداد)). وفي فوات الوفيات، والتكملة والذيل والتكملة، والنفح: ((... تسربل بالحداد)).

[2] هذه الأبيـات موجـودة في: رايـات المبرزيـن، والمغـرب، وفـوات الوفيـات، ونفـح الطيـب. وهي مـن البحـر الطويـل.

[3] في المغـرب، والرايـات، وفـوات الوفيـات، ونفـح الطيـب: ((فراقنـا)) عـوض ((قتالنـا)). وفي الرايـات: ((وليـس لهـم بـدل)). ((ومـالهـم)).

[4] في النفح، والمغرب وفوات الوفيات: ((وشنـوا علـى أسماعنـا كـل غـارة)).

[5] في النفـح، والمغـرب وفـوات الوفيـات:" ((وقـل حمـاتي)).

رَمَيْتُهُم[1] مِن مُقْلَتَيْك وأدْمُعي
ومن نفسيَ [بالسيف والسيل][2] والنار

وقال **أبو الحسن بن سعيد** في **حمدة** وأختها **زينب**: شاعرتان، أديبتان من أهل الجمال، والمال، والمعارف والصون، إلا أن حب الأدب، كان يحملها على مخالطة أهله، مع صيانة مشهورة، ونزاهةٍ موثق بها.

***

[1] في المغرب، وفوات الوفيات، والنفح: ((غزوتهم)). أما الرايات فقد جاء فيها: ((غزوتهم من ناظريك وأدمعي)).
[2] في المخطوطين والملكية: ((السيل - اليل))؛ وصوبت من النفح.

حفصة

بنت الحاج الرّكوني[1] من أهل غرناطة؛ فريدة الزمان في الحسن، والظرف، والأدب، واللوذعية

قال **أبوالقاسم**: كانت أديبة، نبيلة، جيدة البديهة، سريعة الشعر.

بعض أخبارها

قال الوزير **أبو بكر بن يحيى بن محمد ابن عمر الهَمْداني**: رغبت أختي ـ إلى **حفصة** ـ أن تكتب شيئاً بخطها فكتبت[2]:

يا ربة الحسن بل يا ربة الكرم
غضى جفونك عما خطه القلم[3]

---

[1] نسبة إلى بلدة ركونة المتواجدة غربي بلنسية؛ وتسمى بالإسبانية Requena. وترجمة حفصة موجودة أيضاً في المغرب، ورايات المبرزين، والتكملة لكتاب الصلة، والمقتضب، والمطرب، ومعجم الأدباء، ونفح الطيب.
[2] هذان البيتان موجودان في نفح الطيب. وهما من البحر البسيط.
[3] في نفح الطيب: ((قلمي)).

تصفحيــه [بلحــظ الـــود منعمـــة][1]
لا تحفـــلي بقبيـــح[2] الخـــط والكلـــم

قال **أبو الحسن بن سعيد**؛ وقد ذكر أنهما باتا **بحوز مؤمل**[3]؛ في جنة له هنالك؛ على ما يبيت عليه أهل الظرف والأدب؛ قال[4]:

رعى اللـــه ليـــلاً لم يُـــرَع بمذمـــم
[رعانـــا ووارانـــا بحَـــوْزِ مُؤَمَّـــل][5]
وقد نفحـــت[6] من نحـــو نجد أريجـــه[7]
إذا نفحت[8] هبـــت بريـــح[9] القرنفـــل

---

[1] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((خط الود سقية)).
[2] في نفح الطيب ((بردىء)).
[3] موضع جميل؛ يرتاده الناس للتنزه والتمتع بجمال الطبيعة.
[4] هذه الأبيات موجودة في رايات المبرزين، ومعجم الأدباء، ونفح الطيب. وهي من البحر الطويل.
[5] كتبت في نفح الطيب هكذا: ((بمذمم عشية وأرانا بحور مؤمل)). وفي رايات المبرزين ومعجم البلدان: ((بمذمم عشية وارانا بحوز مؤمل)).
[6] في نفح الطيب، ورايات المبرزين، ومعجم الأدباء: ((وقد خفقت)).
[7] في المخطوطين: ((أريحه))؛ وفي نفح الطيب، ورايات المبرزين: ((أريجَةً)). ((أريجَةً)).
[8] في الرايات ومعجم الأدباء، ونفح الطيب: ((وقد خفقت)).
[9] في نفح الطيب ورايات المبرزين: ((بريّا)). وجاء العجز في معجم الأدباء هكذا: ((إذا نفحت جاءت بريّا القرنفل)).

وغرد قمــريٌ على الدوح وانثـــنى

قضيبٌ من ريحان[1] من فوق جـــدول

يرى[2] الروض مسروراً بما قد بدا له

عنــاق وضـــم وارتشـــاف مُقَبّــل

فقالت[3]:

[لعمرك ما ســرَّ الرياض وصالنـــا][4]

ولكنّـــه أبـــدَى لنا الغِـــلَّ والحَسَـــد

ولا صفق النهـــر ارتياحـــاً لقربنـــا

ولا مـــدح[5] القمـــريُّ[6] إلاّ لما وَجَـــد

فلا تحسبن[7] الظـــن الذي أنت أهلُـــه

فمـــا هو في كل المواطـــن بالرَّشَـــد

---

[1] في رايـات المبرزيـن، ونفـح الطيـب: ((الرَّيحـان))؛ وهـو أسلـم.
[2] نفسهما: ((تـرى)).
[3] البحـر الطويـل.
[4] في نفـح الطيـب: ((لعمـرك مـا سـر الريـاض بوصلنـا)).
[5] نفسـه: ((غـرد))، وورد هـذا العجـز في رايـات المبرزيـن هكـذا:
((ومـا صفـق القمـري بقربنـا إلا بمـا وجـد)).
[6] القمـري: هـو ذكـر الحمـام؛ اشتـهر بصوتـه المعبـر.
[7] ورايات المبرزين، ومعجم الأدباء، ونفح الطيب: ((فلا تُحْسِن))؛ وهو أسلم.

فما خِلْــت هذا الأفق أبدى نجومـــه

لأمرٍ سوى كي ما يكون[1] لنا رَصَــد

قال **أبو الحسن بن سعيد**: وبالله ما أبدع ما كتبت به إليه؛ وقد بلغها[2] أنه علق بجارية سوداء؛ أسعت له من بعض القصور؛ فاعتكف معها أياماً وليالي، بظاهر **غرناطة**؛ في ظل ممدود، وطيب هوى مقصور وممدود[3]:

يا أظــرف النـــاس قبـــل حـــالٍ

أوقعــــه نحــــوه[4] القــــدر

عشقـــت ســـوداء مثـــل ليـــل

بدائـــع الحســـن قـــد ستـــــر

لا يظهـــر البشـــر في دجاهـــا

كـــلا ولا يبصــــــر الخفــــــر

---

[1] في رايـات المبرزيـن، ونفـح الطيـب: ((تكـون)).

[2] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((بلغنـا)).

[3] هـذه الأبيـات موجـودة أيضـاً في معجـم الأدبـاء. ونظمت في مخلـع البسيـط.

[4] في معجـم الأدبـاء: ((وَسْطـه)).

باللـــه قـــل لـــي وأنـــت أدرى
بكـــل مـــن هـــام في الصـــور[1]
مـــن الـــذي هـــام فـــي جنـــان[2]
لا نـــوار[3] فيـــــه ولا زهـــــر
فكتب إليها[4] بأظرف اعتذار، وألطف أنوار[5]:
لا حكـــم إلا لآمـــر نـــاهٍ لـــه من ذنبـــه معتـــذر[6]
لـــه محيـــا به حيـــاتي أعيـــذ مـــداه بالســـــور[7]
كصحبة[8] العيد في ابتهاج وطلعـــةٍ الشمس والقمـــر
سعده[9] لـــم أمـــل إليه إلا اطِّرافـــــاً لـــه خبـــــر
عدمت صبحي فاسود عشـــ ـــقي[10] وانعكس الفكر والنظر

---

[1] كتبت في المخطوطين: ((المسطور)).
[2] صدر هذا البيت كتب في معجم الأدباء هكذا: ((من الذي حبّ قبل روضا))
[3] في معجم الأدباء: ((لا نور))؛ وهو أسلم.
[4] في ج: ((إليه)).
[5] هذه الأبيات من مخلع البسيط.
[6] في معجم الأدباء: ((له من الذنب يعتذر))؛ وهو أسلم.
[7] نفسه: ((أعيذ مجلاه بالسور))؛ وهو أسلم.
[8] نفسه: ((كضحوة)).
[9] نفسه: ((بسعده))؛ وهو أسلم.
[10] هكذا أيضاً في معجم الأدباء.

إن لم تلـــح يا نعيـــم رو   حي فكيف لا تفسد الفكـــر

قال: وبلغنا أنه خلا مع **حاتم** وغيره من أقاربهم، لهم طربٌ ولهو؛ فمرت على الباب مستترة. وأعطت البواب بطاقةً فيها مكتوب[1]:

زائر قد أتى بجيـــد غـــزال[2]

طامع من محبـــه بالوصال[3]

أتراكـــم بإذنكـــم مسعفيـــه

أم لكم شاغلٌ من الأشغـــال[4]

فلما وصلت الرقعة إليه؛ قال ورب الكعبة، ما صاحب هذه الرقعة إلاّ الرقيعة **حفصة**، ثم طلبت فلم توجد. فكتب إليها راغباً في الوصال والأنس الموصول[5]:

---

[1] هاذان البيتان موجودان في معجم الأدباء ونفح الطيب. وهما من البحر الخفيف.
[2] في نفح الطيب: الغزال)).
[3] ورد هذا البيت في نفح الطيب هكذا:
((زائر قد أتى بجيد الغزال * مطلع تحت جنحه للهلال)).
[4] جاء هذا البيت في نفح الطيب هكذا:
((ما ترى في دخوله بعد إذن * أو تراه لعارض في انفصال)).
[5] وردت هذه الأبيات أيضاً في معجم الأدباء. وهي من البحر الخفيف.

أي شغـــل عـــن الحبيـــب يعـــوق

يا صاحبـــاً[1] قـــد آن منـــه الشـــروق

صل وواصل فأنـــت أشـــهى إلينـــا

من جميـــع المـــنى فكـــم ذا تشـــوق

بحيـــاة الـــرضى يطيـــب صبـــوحٌ

عرفـــاً إن جفوتنـــــا أو غبـــــوق[2]

لا وذل الهـــوى وعـــز التـــــلاقي

واجتمـــاع إليـــه عـــز الطريـــــق

وذكرها الأستاذ في **صلته**؛ فقال: وكانت أستاذة وقتها. وانتهت إلى [3] أن علمت النساء في **دار المنصور**، وسألها يوماً أن تنشده ارتجالاً فقالت [4]:

---

[1] في معجم الأدباء: ((يا صباحاً))؛ وهو أسلم.

[2] جاء هذا البيت في معجم الأدباء هكذا:

((لا وحبيك لا يطيب صبوح * غبت عنه ولا يطيب غبوق)).

[3] ((إلى)) سقطت في المخطوطين؛ وأضافها عنان.

[4] هذان البيتان موجودان أيضا في رايات المبرزين، والمغرب، والمقتضب، ومعجم الأدباء، والتكملة، ونفح الطيب. وهما من بحر المجتث.

أمنـــن عليّ بصـــك[1] يكـــون للدهـــر عـــدة
تختـــط يمنـــاك فيـــه الحمـــد للـــه وحـــده[2]

قـال: فمـنّ عليهـا، وحـرز لهـا مـا كـان لهـا مـن ملـك.

وفاتهـا

قالـوا: توفيـت بحضـرة **مراكـش**؛ فـي آخـر ثمانيـن أو إحـدى وثمانيـن وخمسمائـة[3].

***

[1] في المغرب، ومعجم الأدباء، ونفح الطيب، وريات المبرزين: ((بطرس)).
[2] في التكملـة: ((والحمـد)) في مكـان ((الحمـد))؛ بـدون واو. وجـاء البيـت في المقتضب هكـذا: ((خطـت يمينـك فيـه والحمـد للـه وحـده)).
[3] الموافـق لـ 1185م. في معجـم الأدبـاء أن وفاتهـا حدثـت في سنـة ست وثمانيـن وخمسمائـة.

الخضر بن أحمد[1]

ابن الخضر بن أبي العافية من أهل غرناطة؛ يكنى أبا القاسم.

حاله

من **كتاب عائد الصلة**: كان رحمه الله صدراً من صدور القضاة، من أهل النظر والتقييد، والعكوف على الطلب، [مضطلعاً بالمسائل، مسائل الأحكام][2]، [مهتدياً لظنات النصوص][3]، نسخ بيده الكثير، وقيد على الكثير من المسائل، حتى عرف فضله، واستشاره الناس[4] في المشكلات. وكان بصيراً بعقد الشروط، ظريف الخطاب[5]، بارع الأدب، شاعراً مكثراً، مصيباً غرض الإجادة. وتصرف في الكتابة السلطانية، ثم في القضاء، وانتقل في الولايات[6] الرفيعة النبيهة. وجرى ذكره في **التاج المحلي** بما

---

[1] توجد ترجمة الخضر بن أحمد في تاريخ قضاة الأندلس، والكتيبة الكامنة، ونيل الابتهاج.

[2] ما بين الحاصرتين؛ ورد عوضه في تاريخ القضاة الأندلس؛ ما يلي: ((مضطلعاً بنوازل الأحكام)).

[3] في تاريخ قضاة الأندلس: ((مهتدياً لاستخراج غرائب النصوص)).

[4] نفسه: ((القضاة)).

[5] في ك: ((الخط)). وفي تاريخ قضاة الأندلس: ((ظريف الخط)).

[6] في ج: ((الولاية)).

نصه: ((فارس في ميدان البيان. وليس الخبر كالعيان، وحامل لواء الإحسان، لأهل هذا الشّأن[1]، رَفَلَ في حُلَل[2] البَدائع فسحب أذيالها، وشعشع أكواس[3] العجائب فأدار [جرياً لها][4]، واقتحم على الفحول أغيالها[5]، وطمح إلى الغاية البعيدة فنالها، وتذوكرت المعضلات[6] فقال: أنا لها. عكف واجتهد، وبرز إلى مقارعة المشكلات ونهد، فعلم وحصل، وبلغ الغاية وتوصل، وتولى القضاء، فاضطلع بأحكام الشرع. وبرع في معرفة الأصل والفرع، وتميز في المسائل بطول الباع، وسعة الذراع، فأصبح صدراً في مصره، وغرة في صفحة عصره، وسيمر من بديع كلامه، وهثات أقلامه[7]، وغرر

[1] في الكتيبة الكامنة: ((هذا اللسان)).
[2] نفسه: ((سحائب)).
[3] نفسه: ((أكؤس)).
[4] نفسه: ((جريالها)). وهو أصح؛ لأن كلمة (جريالها) تعني: خمرها. فالجريال: هو الخمر.
[5] أي أجماتها.
[6] في ك: ((المخترعات)).
[7] أي سرعة الكتابة بها.

إبداعه[1] ودرر اختراعه، ما يستنير لعلم الحليم، وتلقي له البلغاء يد التسليم.

شعره

قال في غرض الحكمة والأمثال[2]:

عـز[3] الهوى نقصان والرأي الـذي
ينجيـك منه [إذا ارتأيـت مرومـا][4]
فـإذا رأيت الـرأي يتبـع الهـوى
خالـف وفاقهمـا تعـد حكيمـا
[وكيف تخاف من الحليـم مراجيـاً][5]
خف من نصيحك ذي السفاهة[6] شوما[7]

---

[1] في الملكية: ((براعته)).
[2] هذه القصيدة موجودة أيضاً في الكتيبة الكامنة. وهي من البحر الكامل.
[3] في الكتيبة الكامنة: ((عُدَّ)).
[4] وفي الكتيبة الكامنة كتب: ((نئوما)). ذكر عنان أن ثمة نصاً كتب فيه: ((إن نأيت خزيماً))؛ ولكنه لم يحدد ذلك النص.
[5] نفسه: ((ومداجيا)) ومعنى مداجياً هوك مدارياً. وهنا كذلك يشير عنان إلى نص - لم يحدده - جاء فيه: ((فكما تروم من الحليم مراحماً)).
[6] نفسه: ((في السفاهة)).
[7] في ك: ((شر ما))، وفي ج: ((نتر ما)).

واحــذر معــادات الرجــال توقيــاً

منهــم ظلومــاً كنــت أو مظلومــا

فالنــاس[1] إمــا جاهــلٌ لا يتـــقي

عــاراً ولا يخــشى العقوبــة لؤمــا

أو عاقــلٌ يُــرمى بسهــم مكيــدةٍ

كالقــوس ترســل سهمها مسمومــا

فاحلــم عن القسميــن تسلــم منهما

وتســد فتـــدعى سيــداً وحليمـــا[2]

ودع المعــادات[3] التي مــن شأنهــا

أن لا تديــم عــلى الصفــاء قديمــا[4]

أبــت المغالبــة الــوداد فــلا تكــن

ممــن يغالــب مــا حييــت نديمــا[5]

---

[1] في الكتيبة الكامنة: ((والناس)).

[2] نفسه: ((وحكيماً)).

[3] نفسه: ((المماراة)).

[4] نفسه: ((نديما)).

[5] نفسه: ((حليما)).

وإذا منيـــت بقربـــه[1] فاخفــض لـــه

جناح[2] الذل واخضع ظاعناً ومقيمـــا

إن الغريـــب لكالقضيـــب محايـــر[3]

إن لـــم يمـــل للريـــح عـــاد رميمـــا

وارع[4] الكفـــاف ولا تجـــاوز حـــده

مـــا بعـــده يجـــني عليـــك همومـــا

وابســـط يديك متى غنيت ولا تكـــن

فيمـــا[5] يكـــون بـــه المديـــح ذميمـــا

وإذا بذلـــت فـــلا تبـــذر إن ذا الـــ

تبذيـــر [يومئـــذ أخـــــوه][6] رجيمـــا[7]

وعف الـــورود إذا تزاحـــم مـــوردٌ

واحســـب ورود المـــاء منه حميمـــا

---

[1] في الكتيبـة الكامنـة: ((بغربـة)).

[2] البيـت في حقيقتـه مـدور؛ وورد في الكتيبـة الكامنـة هكـذا:
((وإذا منيـت بغربـة فاخفـض جنـ * ـاح الـذل واخضع ظاعنـا ومقيمـا)).

[3] في الكتيبـة الكامنـة: ((تَحَيَّـرا)).

[4] في ج، والملكيـة: ((وأربـع)). وفي الكتيبـة: ((وابْـغ)).

[5] في الكتيبـة الكامنـة: ((فيمـن)).

[6] في ك: ((مثـل أخيـه)).

[7] في الكتيبـة: ((... التبـ * ـذير مثل أخيـه كان رجيمـا)).

واصحب كريم الأصل ذا فضلٍ فمن

يصحـــب لئيـــم الأصـــل عُدَّ لئيمـــا

فالفضل من لبس الكـــرام فمن عـــرا

عنـــه فليـــس لمـــا يقـــول[1] كريمـــا

[إن المَقـــارَنَ بالمُقـــارِنِ يُقتَـــــدَى][2]

مثـــلٌ [جَرَى جَـــرْيَ الرياح][3] قديمـــا

وجماع كل الخير في التقـــوى فـــلا

تعـــدم حُـــلَى التقـــوى تعـــد عديمـــا

وقال يصف الشيب من قصيدة، وهي طويلة، أولها[4]:

لاح الصبـــاح صباح شيب المفـــرقِ

فاحمـــد ســـراك نجـــوت مما تَتَّـــقِي

هي شيبـــة الإسلام فاقـــدر قدرهـــا

قد أعتقتـــك وحـــق قـــدر المعتـــقِ

---

[1] في الكتيبـة: ((كمـا يقـال)).

[2] صدر هذا البيت مقتبس؛ وهو للشاعر عدي بن زيد العبادي؛ الذي توفي سنة 35 قبل الهجرة. ولكن هذا الشاعر الجاهلي أورده في عجز البيت؛ إذ جاء هكذا: ((عن المرء لا تسأل وأبصر قرينـه * فإن القرين بالمقـارن مُقْتَـدى)).

[3] في الملكيـة: ((جرى بين الأنـام)).

[4] توجد هذه القصيدة أيضاً في الكتيبـة الكامنـة. وهي من بحر الكامل.

خَطَّــت بفــودك أبيضـــاً في أســـودٍ

بالعكــس من معهــود خطٍ مُهْــرَقِ[1]

كالبرق راع بسيفـــه طــرف الدجى

فأعـــار دُهْمَتَـــه شتـــات[2] الأبلـــــق

كالفجر يرســـل في الدّجنـــة خيطـــه

ويجـــر[3] ثـــوب ضيائـــه بالمشـــرق

كالمـــاء يستـــره بقعـــر[4] طحلـــب

فتـــراه بيـــن خلالـــــه كالزئبـــــق

كالحيـــــة الرقشـــــاء إلا أنـــــه

لا يبـــرأ الملســـوع منـــه إذا رقـــي

كالنجم عد لرجـــم شيطـــان الصّبـــا

يا ليـــت شيطان الصِّبـــا لم يحـــرق

---

[1] في الكتيبـة: ((المهرق))؛ بالألـف والـلام. والمهرق: هـي الصحيفـة.

[2] ورد هـذا البيـت في الكتيبـة الكتمنـة هكـذا:

((كالبـرق راع بسوطـه طرف الدجـا * فأعـاد دهمته شيـات الأبلـق)).

[3] في المخطوطيـن: ((ويحـرك)). وفي الكتيبـة الكامنـة: ((ويحـوك)).

[4] في الكتيبـة الكامنـة: ((بقـاع)).

كالزهـــــر إلا أنـــه لـــم يستتـــــم[1]

إلا بغصـــن[2] ذابـــــلٍ لـــم يـــورق

كتبســــم الزنـــــجي إلا أنـــــه

يبكي العيـــون بدمعـــه[3] المترقـــرق

وكذا البياض قذى العيون ولا تـــرى

للعيـــن[4] أبكى[5] من بيـــاض المفـــرق

ما للغـــواني وهـــو لـــون خدودهـــا

يجزعـــن مـــن لألائـــه المتألـــــق

وأخلتـــه لمـــع السيوف [ومن يشـــم

لمع السيـــوف][6] على المفارق يفـــرق

هو ليـــس ذاك ولا الـــذي أنكرتـــه[7]

فكـــن[8] خائفـــاً ما خفـــن منه واتّـــق

---

[1] في الكتيبـة الكامنـة: ((يبتسم)).
[2] نفسـه: لغصـن)).
[3] نفسـه: ((بدمعهـا)).
[4] في المخطوطين: ((للعيـون)).
[5] في الكتيبـة الكامنـة: ((أنـكى)).
[6] وردت هـذه الكلمـات في ج، والملكيـة؛ بينمـا سقطت في ك.
[7] في الكتيبـة الكامنـة: ((أنكرنـه)).
[8] صوبهـا د. طويـل فجعلهـا: ((كـن))؛ وهـو أسلـم. ووردت هـذا العجـز في الكتيبـة هكـذا: ((نكـراً فخـف مـا خفـن منـه واتـق)).

داءٌ يعــز عــلى[1] الطبيــب دواؤه
ويضيــع خســرا فيه مــال المنفــق
لكنــه والحــق أصــدق مِقْــولٍ
شيــن المسيء الفعــل زين المتــقي

ومن مقطوعاته قوله[2]:

أقــلِّي فمــا الفقــر بالمــرء عــارٌ[3]
ولا دار مــن يألــف الهــون دارا
ومــا[4] يكســب العــز إلا الغـــنى
غــنى النفــس فاتخــذه[5] شعـــارا
ومــا اجتمــع الشمــل فــي غيــره
فيحســن إلا وســـاء انتشـــارا

---

[1] في الكتيبة الكامنة: ((عن)).
[2] هذه الأبيات موجودة في الكتيبة الكامنة. وهي من بحر المتقارب.
[3] في الكتيبة الكامنة: ((عاراً)).
[4] في الكتيبة: ((ولا)).
[5] في الكتيبة الكامنة: ((فالتتَّخِذه))؛ وهو أسلم.

فدهـــــر غيــــرك لا تنظـــــرن[1]

فيألـــــم قلبـــــك [منـــه][2] انكســـارا

وهـــزي إليـــك بجـــــذع الـــرِّضَى

تساقـــط عليـــك الأمـــاني ثمـــارا

وقال أيضاً[3]:

العلـــم حســـنٌ وزيـــنُ   والجهل قبـــحٌ وشيـــنُ

والمال عـــزٌ وعيـــشٌ   والفقـــر ذلٌ وحَيْـــــنُ

والناس أعضاء جســـم   فمنهمُ أســـتٌ وعيـــنُ

هـــذي مقالـــة حــــــق   ما في الذي قلت مَيْـــنُ

وقال أيضاً[4]:

إن أراك الزمـــان وجهـــاً عبوســـاً[5]

فتلقـــــاه[6] مـــن بعـــد ذاك طلْقـــــا[7]

---

[1] ورد هذا الشطر في الكتيبة الكامنه هكذا: ((فزهرة غيرك لا تنظري)).
[2] ((منه)) سقطت في المخطوطين.
[3] هذه الأبيات من بحر المجتث.
[4] هذه الأبيات من بحر الخفيف.
[5] في ك: ((حبوساً)).
[6] في المخطوطين: ((فستلقى)).
[7] هذا الشطر صوبه د طويل؛ فجعله: ((فسَتلقاهُ بعد ذلك طلْقا)).

لا يهمنــك حالــه إنّ فــي طَــــرْ
فَـــة عيــنٍ ترتــاح فيــه وتشــقى[1]

أي عـــــز رأيــــت أو أي ذل
لذوي الحالتيــن في الدهــر يبــقَى

سل نجــوم الدجى إذا ما استتــارت
ما الذي في وقــت الظهيــرة تلــقَى

وتفكـــــر وقــل بغيــر ارتيـــابٍ
كــل شيء يفــنى وربــك يبــقى

وقال أيضاً[2]:

لــو أن أيــام الشبــاب تعــود لـــي
عود النضـــارة للقضيـــب المــورق

ما إن بكيــت عــلى شبـــابٍ قد ذَوَى
وبقيــت منتظــراً لآخــر مونــــقَ

---

[1] في المخطوطين: ((ويشقى)).

[2] هاذان البيتان موجودان أيضاً في الكتيبة الكامنة. وهما من بحر الكامل.

وقـال فـي القلـم[1]:

لك القلم الأعلى الذي طـــال فخـــره

وإن لـــم يكـــن إلا قصيـــراً مُجَوَّفَـــا

تعلـــم منه [النـــاس][2] أبـــدع حكمـــة

فها هو أمـــضى ما يكـــون محرفـــا

وقـال فـي التشبيـه[3]:

كأنما السوسن الغض الذي افتتـــحــــ

ـــت منـــه كمائمه المبيضـــة اللـــون

بنـــان كف فتـــاةٍ قـــط ما خضبـــت[4]

تلـــقى بها من يراها خيفـــة العيـــن

وقـال يعـرض بقـوم مـن بـني أرقـم[5]:

إذا ما نزلـــت بـــوادي الآشي[6]

فقـــل رب من لدغـــه سلـــم

[1] هاذان البيتان موجودان أيضاً في الكتيبـة الكامنـة. وهمـا مـن البحـر الطويـل.
[2] سقطت هـذه الكلمـة في المخطوطيـن والملكيـة.
[3] هـذان البيتـان مـن البحـر البسيـط.
[4] في ك: ((خطبـت)).
[5] هـذان البيتـان مـن بحـر المتقـارب.
[6] صوبهـا د. طويـل فجعلهـا: ((الأشى))؛ وهـو أسلـم.

وكيف السلامـــة في موطـــنٍ

بـــه عصبـــةٌ من بني أرقـــم

وقال موريـاً بالفقه. وهو بديع[1]:

لـــي ديـــنٌ على الليـــالي قديـــمٌ

ثابت الرسم منذ خمسين حجـــة[2]

أقاعـــداً بالحكـــم عليها أم لهـــا[3]

فـــي تقـــادم الدهـــر[4] حجـــــة

ونختم مقطوعاته بقوله[5]:

نجـــوت بفضـــل اللـــه مما أخافـــه

ولـــم لا وخيـــر العالميـــن شفيـــــع

وما ضعـــت في الدنيا بغير شفاعـــة

فكيـــف إذا كـــان الشفيـــع أضيـــع

---

[1] هذان البيتـان في الكتيبـة الكامنـة. وهمـا مـن بحـر الخفيـف.

[2] الحِجَّـة: هي السنـة.

[3] جـاء صـدر هـذا البيـت في الكتيبـة الكامنـة هكـذا:

((أفأعدى بالحكم بعد عليهـا)). وهـذا اسلـم.

[4] في الكتيبـة الكامنـة: ((العهـد)).

[5] هـاذان البيتـان في الكتيبـة الكامنـة. وهمـا مـن البحـر الطويـل.

وقال أيضاً[1]:

عليك بتقوى الله فيما ترومه
من الأمر تخلص بالمرام وبالأجر

ولا ترج غير الله في نيل حاجةٍ
ولا دفع ضرٍ في سرار ولا جهر

فمن أم[2] غير الله أشرك عاجلا
وفارقه إيمانه وهو لا يدر[3]

وفاته

توفي قاضياً **ببرجة**، وسيق إلى **غرناطة** ؛ فدفن **بباب إلبيرة** عصر يوم الأربعاء آخر يوم من ربيع[4]؛ عام خمسة وأربعين وسبعمائة[5].

***

---

[1] هذه الأبيات من البحر الطويل.
[2] في ت: ((رام)).
[3] صوبها د. طويل فجعلها: ((يدري)).
[4] ذكر في تاريخ قضاة الأندلس: ((ربيع الأول)).
[5] الموافق لـ 1344م.

خالد بن عيسى

ابن إبراهيم بن أبي خالد البلوي[1]؛ من أهل قنتورية[2]؛
من حصون وادي المنصورة

حالـه

هذا الرجل من أهل الفضل والسذاجة، كثير التواضع، منحط في ذمة التخلق، نابه الهيئة، حسن الأخلاق، جميل العشرة، محبٌّ[3] في الأدب، قضى ببلده وبغيره، وحج **وقيد رحلته**[4] في سفر[5]، وصف فيه البلاد ومن لقي، بفصول جلب أكثرها من كلام **العماد الأصبهاني**، **وصفوان** وغيرهما، من ملح. وقفل إلى **الأندلس**، وارتسم في **تونس** في الكتابة عن أميرها زماناً يسيراً، وهو الآن قاض ببعض الجهات الشرقية.

---

[1] توجد ترجمة خالد بن عيسى البلوي أيضاً في: الكتيبة الكامنة، ونفح الطيب.

[2] تقع بلدة قنتورية Cantoria على ضفاف نهر المنصورة؛ ولا تبعد عن بلدة المنصورة؛ من أعمال المرية.

[3] في ك: ((محبب)).

[4] حدثت رحلة خالد بن عيسى إلى المشرق بين سنتي: 736هـ/1335م. و740هـ/1339م. وسجل أحداث رحلته في كتاب سماه: ((تاج المفرق في تحلية أهل المشرق)).

[5] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((سفن)).

وجرى ذكره في **الرحلة** التي صدرت عني[1] في صحبة الركاب السلطاني عند تفقد البلاد الشرقية، في فصل حفظه الناس، وأجروه في فكاهاتهم وهو: ((حتى إذا الفجر تبلج[2]. والصبح من باب المشرق تولج، عدنا[3] وتوفيق الله قائدٌ، وكنفنا[4] من عنايته صلةٌ وعائدٌ، تتلقى ركابنا الأفواج، وتحيينا الهضاب والفجاج إلى **قنتورية**، فناهيك من مرحلة قصيرة كأيام الوصال، قريبة البكر من الآصال، كان المبيت بإزاء قلعتها السامية الارتفاع، الشهيرة الامتناع، وقد برز أهلها في العديد والعدة، والاحتفال الذي قدم به العهد على طول المدة، صفوفاً بتلك البقعة خيلاً ورجلا كشطرنج الرقعة، لم يتخلف ولدٌ عن والدٍ، وركب قاضيها **ابن أبي خالد**، وقد شهرته **النزعة الحجازية**، وقد لبس من **الحجازي**، وأرخى من البياض طيلساناً[5]، وتشبه **بالمشارقة** شكلاً ولساناً، وصبغ

---

[1] هي رسالة صغيرة كتبها ابن الخطيب وسماها: خطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف. وقد خلط د. طويل بينها وبين رحلة البلوي المشار إليها أعلاه.
[2] في ك: ((تلـج)).
[3] نفسـه: ((زهدنـا)).
[4] في ج: (وكنفـه)).
[5] في ك: ((كيطلسانـاً)).

لحيته بالحناء والكتم[1]، ولاث عمامته واختتم، والبداوة تسمه على الخرطوم، وطبع الماء والهواء يقوده قود الجمل المخطوم، فداعبته مداعبة الأديب للأديب، والأريب للأريب، وخيرته بين خصلتين، وقلت نظمت مقطوعتين، إحداهما مدحٌ، والأخرى قدحٌ، فإن همت ديمتك، وكرمت شيمتك، فللذين أحسنوا الحسنى. وإلا فالمثل الأدنى. فقال: انشدني لأرى على أي أمري أتيت، وأفرق بين ما جنيتني وما جنيت، فقلت[2]:

قالــوا وقــد عظمــت مبــرة خالــد
قاري الضيــوف بطــارفٍ[3] وبتالــد
مــاذا تممــت[4] بــه فجئــت بحجــة
قطعــت بكــل مجــادل ومجالــد

---

[1] الكتم: نبات يجلب من اليمن؛ طوله فوق قامة الإنسان؛ له ورق كورق الزيتون؛ ثمره كحب الفلل؛ له نوى بداخله؛ تستخرج من ورقه عصارة سوداء تميل إلى الاحمرار؛ تستخدم للخضاب عند خلطها بالحناء؛ كما تستعمل هذه العصارة أيضاً كمداد للكتابة.
[2] هذه الأبيات من بحر الكامل.
[3] في المخطوطين: ((بالطارف))؛ وهذا يخل بالوزن والسياق الحديث.
[4] نفسهما: ((تمت)).

أن يفتـــرق نســـبٌ يؤلـــف بيننـــا
أدبٌ أقمنـــــاه مقـــــام الوالـــــد

وأما الثانية فيكفي من البرق شعاعه، وحسبك من شر سماعه. ويسير التنبيه كافٍ للنبيه[1]. فقال: لست إلى قراي بذي حجة، وإذا عزمت[2] فأصالحك على دجاجة، فقلت ضريبةٌ غريبةٌ، ومؤنةٌ قريبةٌ، عجل ولا تؤجل، وإن انصرم أمد النهار فأسجل، فلم يكن إلا كلا ولا، وأعوانه من القلعة تنحدر، والبشر منهم بقدومها يبتدر، يزفونها كالعروس فوق الرؤوس، فمن قائل يقول أمها يمانية، وآخر يقول أخوها الخصي الموجه إلى الحضرة العلية، وأدنوا مرابطها من المضرب بعد صلاة المغرب، وألحفوا في السؤال، وتشططوا في طلب النوال، فقلت يا بني اللكيعة جئتم ببازي، بماذا كنت أجازي، فانصرفوا وما كادوا يفعلون، وأقبل بعضهم على بعض يتلاومون، حتى إذا

[1] في ج: ((التنبه)).
[2] في ك: ((أعزمت)).

سلت لذبحها المُدى، وبلغت من طول[1] أعمارها المَدى، قلت يا قوم ظفرتم بقرة[2] العين، وابشروا باقتراب[3] اللقاء، فقد ذبحت لكم غراب البين)).

ولقد بلغني أنه لهذا العهد بعد أن طال المدى، يتظلم من ذلك، وينطوي من أجله على الوجدة، فكتبت إليه: وصل الله عزة الفقيه النبيه، العديم النظير والتشبيه، وارث العدالة عن عمه وابن أبيه، في عزة تظلله، وولاية تتوج جاهه وتُكلله.

***

---

[1] سقطت في ك؛ بينما وردت في ج.
[2] أغفلت في ك؛ بينما وردت في ج.
[3] حرفت في ك؛ فكتبت: ((بالعتراب)).

داود بن سليمان[1]

ابن داود بن عبد الرحمن بن سليمان بن عمر بن حَوْط الله الأنصاري الحارثي الأَنْدي[2]؛ يكنى أبا سليمان.

أوليته

قال الأستاذ **أبو جعفر بن الزبير**: من بيت علم وعفاف، أصله من **أندة**، **حصن بشرقي الأندلس**، وانتقل **أبو سليمان** هذا ـ مع أخيه **أبي محمد** ـ إلى حيث يذكر بعد.

حاله

قال **ابن عبد الملك**: كان حافظاً للقراءة، عارفاً بإقراء القرآن بها، أتقن ذلك عن أبيه، ثم أخيه كبيره **أبي محمد**، محدثاُ متسع الرواية، شديد العناية بها، كثير السماع، مكثراً، عدلاً، ضابطاً لما ينقله، عارفاً بطرق

---

[1] ترجمة داود بن سليمان الأندي توجد أيضاً في: التكملة لكتاب الصلة، والوافي بالوفيات، وشذرات الذهب.

[2] نسبة إلى حصن أندة؛ التابع لبلنسية.

الحديث، أطال الرحلة في **بلاد الأندلس**، شرقها وغربها، طالبا للعلم بها، ورحل إلى **سبتة** وغيرها، من **بلاد الأندلس العدوية**[1]، وعني بلقاء الشيوخ كباراً وصغاراً، والأخذ منهم، أتم عناية، وحصل له بذلك ما لم يحصل لغيره، وكان فهيماً بصيراً بعقد الشروط، حاذقاً في استخراج نكتها، تلبس بكتبها زماناً طويلاً بمسجد الوحيد من **مالقة**، وكان محباً في العلم وأهله، حريصاً على إفادته إياهم، صبوراً على سماع الحديث، حسن الخلق طيب النفس، متواضعاً، ورعاً، منقبضاً، لين الجانب، مخفوض الجناح، حسن الهدى، نزيه النفس، كثير الحياء، رقيق القلب، تعدد الثناء عليه من الجِلَّة.

قال **ابن الزبير**، كان من أهل العدالة والفضل، وحسن الخلق، وطيب النفس والتواضع، وكثرة الحياء. وقال **ابن عبد المجيد**: كان ممن فضله الله بحسن الخلق

---

[1] أي البلاد المغربية التي كانت تحت السيادة الأندلسية؛ وذلك حين أصبحت بعض المقاطعات المغربية خاضعة للحكم الأموي بقرطبة.

والحياء على كثير من العلماء. **وقال أبو عبد الله بن سلمة**: مثل ذلك[1]. وقال ابن...[2] بمثله.

مشيخته

قال الأستاذ: أقرأ **بمرسيه**، وأخذ بها، **وبقرطبه، ومالقة، وإشبيلية، وغرناطة وسبتة**، وغيرها من **بلاد الأندلس. وغرب العدوه**، واعتناؤه يُعينُه وأخاه[3] بباب الرواة، والأخذ عن الشيوخ، حتى اجتمع لهما ما لم يجتمع لأحد من أهل عصرهما، فمن ذلك: أبوهما **أبو داود**[4]، **وأبو الحسن صالح بن يحيى بن صالح الأنصاري، وأبو القاسم بن حسن، وأبو عبد الله بن حميد، وأبو زيد السهيلي، وأبو عبد الله محمد بن محمد بن عراق الغافقي، وأبو العباس يحيى بن عبد الرحمن المجريطي**[5]،

---

[1] في ج، والملكية: ((كذلك)).
[2] بياض في موضع بقية الاسم؛ وهذا في النسخ الأربع كلها.
[3] في المخطوطين: ((وأخباره))
[4] سقطت في ك؛ بينما وردت في ج.
[5] نسبة إلى مدينة مجريط **Magerit**: هي مدريد الحديثة.

وعن **ابن بشكوال**[1]، وأخذ عن: **أبي بكر بن الجد، وأبي عبد الله بن زرقون، وأبي محمد بن عبد الله، وأبي عبد الله بن الفخار الحافظ، وأبي العباس بن مضاء، وأبي محمد بن بونة**[2]**، وأبي محمد بن عبد الصمد بن يعيش الغساني، وأبي بكر بن أبي حمزة، وأبي جعفر بن حكم الزاهد، وأبي خالد بن يزيد بن رفاعة، وأبي محمد عبد المنعم بن الفرس، وأبي الحسن بن كوثر، وأبي عبد الله ابن عروس، وأبي بكر بن أبي زمنين، وأبي محمد بن جمهور، وأبي بكر بن النيار، وأبي الحسن بن محمد بن عبد العزيز الغافقي الشقوري، وأبي القاسم الحوفي القاضي، وأبي بكر بن [بيبش] بن محمد بن [بيبش]**[3] **العبدري، وأبي الوليد بن جابر بن هشام الحضرمي، وأبي بكر بن مالك الشريشي، وأبي عبد اليسر الجزيري، وأبي**

---

[1] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((ابن شكوال)). وابن بشكوال هو أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى بن بشكوال الأنصاري؛ ولد سنة **494هـ/1100م**. وتوفي سنة **578هـ/1182م**. سبقت الإشارة إليه.

[2] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((بونو - بونوا))؛ وصوبت من صلة الصلة.

[3] حرفت الأولى والثانية في ج؛ فكتبتا: ((بيشر - بيش)).

بكر بن عبد الله السَكْسَكي[1]، **وأبي الحجاج بن الشيخ الفهري**، وغيرهم ممن يطول ذكرهم.

قضاؤه وسيرته فيه

قال **ابن أبي الربيع**[2]: لازمت **ابني**[3] **حوط الله**، فكان **أبو محمد** يفوق أخاه والناس في العلم، وكان **أبو سليمان** يفوق أخاه والناس في الحلم. واستقضي **بسبتة والمرية والجزيرة الخضراء**، وقام قاضياً بها مدة، ثم نقل منها إلى قضاء **بلنسية** آخر ثمان وستمائة[4]، ثم صرف **بأبي القاسم ابن نوح**، وقدم على القضاء **بمالقة** في حدود إحدى عشر[5] وستمائة[6]، فشكرت أحواله كلها، وعرف في قضائه بالنزاهة. قال **أبو عبد الله بن سلمة**: كان إذا حضر خصوم[7]، ظهر منه [من][8] التواضع ووطأة الأكناف،

---

[1] في ج: ((والسكساكي)).
[2] في المخطوطين: ((ابن الربيع)).
[3] نفسه: ((أبي))؛ وصوبها عنان.
[4] الموافق لـ 1211م.
[5] صوبها د. طويل؛ فجعلها: ((عشرة))؛ وهو أصوب.
[6] الموافق لـ 1214م.
[7] في ج: (((حضر خصما))، وفي ك: ((خصوما)).
[8] سقطت في المخطوطين؛ وأضافها عنان.

وتبيين المراشد والصبر على المداراة، والملاطفة، وتحبيب الحق، وتكريه الباطل، ما يعجز عنه، ولقد حضرته، وقد أوجبت الأحكام عنده[1] الحدود على رجل، فهاله الأمر، وذرفت عيناه، وأخذ يعتب عليه ويؤنبه على أن ساق نفسه إلى هذا، وأمر بإخراجه ليحد بشهود في موضع آخر لرقة نفسه، وشدة إشفاقه، واستمرت ولايته **بمالقة** إلى أن توفي.

مولده

ببلدة أندة سنة ستين وخمسمائة[2].

[1] في ج: ((عند)).
[2] الموافق لـ 1164م. جاء في التكملة: ((ومولده بأنْدة سنة 552هـ)).

وفاته

قال **أبو عبد الرحمن بن غالب**: توفي إثر صلاة الصبح؛ من يوم السبت سادس ربيع الآخر؛ سنة إحدى وعشرين وستمائة[1]، ودفن إثر صلاة العصر يوم وفاته، بسفح **جبل فَارُه**[2]، في الروضة المدفون بها أخوه **أبو محمد**، فأتبعه الناس ثناءً جميلا، ذكر، واختلفوا في جنازته، وخرج إليها النساء، والصبيان داعين متبكين.

***

---

[1] **الموافق لـ 1224م.**

[2] **يسمى هذا الجبل بالإسبانية Gibral Faro؛ ويطل على مدينة مالقة.**

رضوان النصري[1]

الحاجب المعظم؛ حسنة الدولة النصرية، وفخر مواليها.

أوليته

رومي الأصل. أخبرني أنه من أهل **القلصادة**[2]، وأن انتسابه يتجاذبه **القشتالية**[3] من طرف العمومة، **والبَرْجِلُونِيَّة**[4] من طرف الخؤولة، وكلاهما نبيه في قومه. وأن أباه ألجأه الخوف بدم ارتكبه في محل أصالته من داخل **قشتالة**؛ إلى السُّكنى بحيث ذكر، ووقع عليه سباءٌ[5] في

---

[1] أخبار الحاجب رضوان النصري موجودة أيضاً في اللمحة البدرية.
[2] القلصادة: تقع جنوب قشتالة؛ وتتواجد في منتصف الطريق بين طليطلة وبياسة. واسمها بالإسبانية **La Calzada de Calatrava**. بينما يرى شكيب أرسلان أن اسمها بالإسبانية هو: **Santa Dominigo de la Calzada**. وتقع على بعد 19 كيلو إلى الغرب من بلدة ناجرة؛ على طريق برغش. وإلى قلصادة ينسب الرحالة الأندلسي أبو الحسن علي القرشي القلصادي الندلسي؛ المتوفي بباجة بإفريقية سنة 891هـ/1486م.
[3] أي هم أهل قشتالة **Castile**؛ وهي مملكة نصرانية قامت في أحد أجزاء مملكة ليون في الشمال الغربي من إسبانيا.
[4] أي ((البرشلونية))؛ وهم أهل برشلونة **Barcelona**؛ عاصمة منطقة كاتالانيا حاليا؛ وتدخل آنذاك في إطار مملكة الأراغون. وتقع في الجزء الشمالي الشرقي من إسبانيا، وعلى شاطئ البحتر الأبيض المتوسط بين مصبي نهري لوبريجات وبيزيوس كما تبعد بـ 160 كم عن جبال البرانس؛ وهي الآن ثاني أكبر مدن إسبانيا بعد مدريد.
[5] أي وقع عليه سَبي وأسْر.

سن الطفولية[1]، واستقر بسببه بالدار السلطانية، ومَحضَ[2] إحراز رقه، السلطان دايل قومه، **أبو الوليد** المار ذكره، فاختص به، ولازمه قبل تصيير الملك إليه، مؤثراً له مغتبطاً بمخائل فضله، وتماثل استقامته، ثم صير الملك إليه فتدرج في معارج حظوته، واختص بتربية ولده، وركن إلى فضل أمانته، وخلطه في قرب الجوار بنفسه، واستجلى الأمور المشكلة بصدقه، وجعل الجوائز السنيه لعظماء دولته على يده، وكان يوجب حقه، ويعرف فضله، إلى أن هلك، فتعلق بكنف ولده، وحفظ شمله، ودبر ملكه، فكان آخر اللَّخْف، وستراً للحرم، وشجىً للعدا وعدة في الشدة، وزيناً في الرخاء، رحمة الله عليه.

حاله وصفته

كان هذا الرجل مليح الشيبة والهيئة. معتدل القد والسحنة، مرهب البدن. مقبل الصورة، حسن الخلق،

[1] هكذا في المخطوطين.
[2] في المخطوطين: ((ومحمض)).

واسع الصدر[1]، أصيل الرأي، رصين[2] العقل، كثير التجمل، عظيم الصبر، قليل الخوف من الهيعات[3]، ثابت القدم في الأزمات، ميمون النقيبة[4]، عزيز النفس، عالي الهمة، بادي الحشمة، آية في العفة، مثلاً في النزاهة، ملتزماً للسنة، دؤباً على الجماعة، جليس القبلة، شديد الإدراك مع السكون، ثاقب الذهن مع إظهار الغفلة، مليح الدعابة مع الوقار والسكينة، مستظهراً لعيون التاريخ، ذاكراً للكثير من الفقه والحديث، كثير الدّالة[5] على تصوير الأقاليم وأوضاع البلاد، عارفاً للسياسة، مكرماً للعلماء، متركاً للهوادة[6]، قليل التصنع، نافراً من أهل البدع، متساوي الظاهر والباطن، مقتصداً في المطعم والملبس.

---

[1] وردت بعد هذه الكلمة ـ في المخطوطين ـ العبارة التالية: ((متين. سليم الصدر)).
[2] في ك: ((رصيد)).
[3] مفردها هيعة؛ وهي الأمر المفزع والمخيف.
[4] أي محمود النفس.
[5] أي غزير العلم واسع الإحاطة.
[6] في المخطوطين: ((للهودة)).

مكانته من الدين

أتفق على أنه لم يعاقر مسكراً [قط][1]، ولا زُنَّ بهَناة، ولا لطخ بريبة، ولا وصم بخلة تقدح في منصب، ولا باشر عقاب جاز[2]، ولا أظهر شفاء من غائظ، ولا اكتسب من غير التجر والفلاحة مالاً.

آثاره

أحدث المدرسة **بغرناطة**. ولم تكن بها بعد، وسبب إليها الفوائد ووقف عليها الرباع المغلة، وانفرد بمنقبها[3]، فجاءت نسيجة وحدها بهجة وصدراً وظرفاً وفخامة، وجلب الماء [الكثير إليها من النهر][4]، فأبد سقيه عليها، وأدار السور[5] الأعظم على الربض الكبير المنسوب **للبيازين**[6]، فانتظم منه النجد والغور، في زمان قريب،

---

[1] أضيفت هذه الكلمة من الملكية.

[2] هكذا في المخطوطين؛ وربما قصد بها: العقاب المستحق.

[3] المنقب: هو الطريق إلى الجبل. والمقصود هنا هو أنه انفرد بالفضل والمأثرة. لأن الطريق إلى الجبل يلزم السائر فيه بالانفراد أثناء السير.

[4] ما بين الحاصرتين وارد في الملكية؛ بينما كتب في موضعها ـ في ج ـ كلمة: ((الموقف)).

[5] ما زالت بعض آثار هذا السور قائمة إلى الآن في غرناطة.

[6] ما زال ـ في غرناطة ـ إلى الآن بقية من هذا السور قائمة خلف ربض البيازين.

وشارف التمام إلى هذا العهد، وبنى من الأبراج المنيعة في مثالم الثغور وروابي[1] مطالعها المنذرة، ما ينيف على أربعين برجا، فهي ماثلة كالنجوم ما بين البحر الشرقي من **ثغر بيرة**[2] إلى الأحواز الغربية، وأجرى الماء **بجبل مورور**، مهتدياً إلى ما خفي على من تقدمه، وأفذاذ أمثال هذه الأنقاب يشق تعداده.

جهاده

غزا في السادس والعشرين من محرم؛ عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة[3] بجيش **مدينة باغة**[4]، وهي ما هي من الشهرة، وكرم البقعة، فأخذ بمخنقها، وشد حصارها وعاق الصريخ عنها، فتملكها عنوة، وعمرها بالحماة ورتبها بالمرابطة، فكان الفتح فيها عظيما، وفي أوائل شهر المحرم؛ من عام اثنين وثلاثين وسبعمائة[5] غزا بالجيش عَدْو المشرق، وطوى المراحل مجتازاً على **بلاد قشتالة**،

[1] في ك: ((ورواقي)).
[2] بلدة بيرة Vera؛ سبقت الإشارة إليها. وتقع في الشمال الشرقي من ألمرية.
[3] الموافق لـ 1332م.
[4] باغة Priego: وهي حصن منيع يقع شمال لوشة من ولاية جيان.
[5] الموافق لـ 1331م.

لورقة ومرسية، وأمعن فيها، ونازل **حصن المدور**، وهو حصن أمن غائلة العدو [مكتنفٌ بالبلاد، مُدَّ بالبسيني[1]، موضوعٌ على طية التجارة، وناشبه القتال، فاستولى عنوة][2] عليه منتصف المحرم من العام المذكور، وآب مملوء الحقائب سبياً وغنماً.

وغزواته كثيرة، كمظاهرة الأمير الشهير **أبي مالك** على منازلة **جبل الفتح**، وما اشتهر عنه فيه من الجد والصبر، وأوثر عنه من المنقبة، الدالة على صحة اليقين، وصدق الجهاد، إذ أصابه سهم في ذراعه وهو يصلي، فلم يشغله عن صلاته، ولا حمله توقع الإغارة على إبطال عمله.

---

[1] البسيني: هي التجهيزات والآلات الضخمة.

[2] ما بين الحاصرتين سقط في ج؛ بينما ورد في ك.

ترتيب خدمته وما تخلل عن ذلك من محنته

لما استوثق أمر الأمير المخصوص بتربيته، **محمد ابن أمير المسلمين أبي الوليد نصر**، وقام بالأمر وكيل أبيه الفقيه **أبو عبد الله محمد بن المحروق**، ووقع بينه وبين المترجم عهدٌ على الوفاء والمناصحة، ولم يلبث أن نكبه وقبض عليه ليلة كذا من رجب؛ عام ثمانية وعشرين وسبعمائة[1]، وبعثه ليلا إلى **مرسى المُنَكَّب**[2]، واعتقله في المطبق من قصبتها بغياً عليه، وارتكب فيه أشنوعة أساءت به العامة، وأنذرت باختلال الحال، ثم أجازه البحر، فاستقر **بتلمسان**، ولم يلبث أن قتل المذكور، وبادر سلطانه الموتور بفرقته[3] عن سدته، فاستدعاه[4] فلحق محله من هضبة الملك متملياً ما شاء من عز وعناية، فصرفت إليه المقاليد، ونيطت به الأمور، وأسلم إليه الملك،

---

[1] الموافق لـ 1327م.
[2] المنكب: يسمى بالإسبانية Almunecar؛ وهو مرسى يطل على البحر الأبيض المتوسط؛ ويقع جنوب غرناطة.
[3] حرفت هذه الكلمة في المخطوطين؛ فكتبت: ((بغرفيه)).
[4] في المخطوطين: ((استدعاه)).

وأطلقت يده في المال[1]، واستمرت الأحوال إلى عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة[2]. والتأث الأمر وظهر من سلطانه التنكر[3] عليه؛ فعاجله الحمام فخلصه الله منه، وولى أخوه **أبو الحجاج** من بعده، فوقع الإجماع على اختياره للوزارة أوائل المحرم من عام أربعة وثلاثين وسبعمائة[4]، فرضي الكل به، وفرحت العامة والخاصة للخطة، لارتفاع المنافسات بمكانه، ورضي الأضداد بتوسطه، وطابت النفوس بالأمن من غائلته، فتولى الوزارة وسحب أذيال الملك، وانفرد بالأمر واجتهد في تنفيذ الأحكام، وتقدم الولاة، وجواب المخاطبات، وقواد الجيوش. إلى ليلة الأحد الثاني والعشرين من رجب؛ عام أربعين وسبعمائة[5]، فنكبه الأمير المذكور نكبة ثقيلة[6] البرك، هائلة هائلة الفجأة من غير زلة مأثورة، ولا سقطة معروفة، إلا ما لا يعدم بأبواب الملوك من شرور المنافسات، ودبيب

[1] في المخطوطين: ((الحال))، وصوبها عنان.
[2] الموافق لـ 1332م.
[3] في المخطوطين: ((المتنكر)).
[4] الموافق لـ 1333م.
[5] الموافق لـ 1339م.
[6] في ج: ((بقيلة))، وفي ك: ((نفيلة))؛ فصوبها عنان.

السعايات الكاذبة، وقبض عليه بين يدي محراب **الجامع** من **الحمراء**[1] إثر صلاة المغرب، وقد شهر الرجال سيوفهم فوقه يحفون به، ويقودونه إلى بعض دور **الحمراء**، وكبس ثقات السلطان منزله، فاستوعبوا ما اشتمل عليه من نعمة، وضم إلى **المستخلص**[2] عقاره، وسوغ الخبر عظيم غلاته، ثم نقل بعد أيام إلى **قصبة ألمرية** محمولا على الظهر، فشد بها اعتقاله، ورتب الحرس عليه إلى أوائل شهر ربيع الثاني من عام أحد وأربعين وسبعمائة[3]. فبدا للسلطان في أمره واضطر إلى إعادته[4]، ووجد فقد نصحه، وأشفق لما عدم من أمانته، والانتفاع برأيه، وعرض عليه بما لنوم الكف والإقصار عن ضره، فعفا عنه، وأعاده إلى محله من الكرامة، وصرف عليه من ماله، وعرض الوزارة فأباها، واختار برد العافية، وأنس لذة التخلي، فقدم لذلك من سد الثغور، فكان له اللفظ،

---

[1] **توجد الآن مكان هذا الجامع كنيسة سانتا ماريا؛ وكان من قبل مبنياً على سنام الهضبة الحمراء القريبة من القصر الملكي.**

[2] **سبق ذكر أن المستخلص يعني: الأملاك السلطانية.**

[3] **الموافق لـ 1340م.**

[4] **في المخطوطين: ((إعانته))؛ وصوبها عنان.**

ولهذا الرجل المعنى، فلم [يزل][1] مفزعاً للرأي، محلى في العظة على الولاية، كثير الآمل والغاشي؛ إلى أن توفي السلطان المذكور؛ غرة شوال؛ من عام خمسة وخمسين وسبعمائة[2]. فشعب الثأي[3]، وحفظ البلوى، وأخذ البيعة لولده سلطاننا الأسعد **أبي عبد الله**، وقام خير قيام بأمره، وجرى على معهود استبرائه[4]. وقد تحكمت التجربة، وعلت السن، وزادت أنة الخشية، وقربت من لقاء الله الشقة، فلا تسأل عما حط من خل، وأفاض من عدل، وبذل من مداراة، وحاول عقد السلم، وسد أمور الجند على القِل، ودامت حاله متصلة على ما ذكر، وسنه تتوسط عشر التسعين إلى أن لحق بربه. وقد علم الله أني لم يحملني على تقرير سيرته، والإشادة بمنقبته داعيةٌ،

---

[1] هذه الكلمة سقطت في المخطوطين.
[2] الموافق لـ 1354م.
[3] في ك: ((الشائن))، وفي ج: ((الشاني)).. الثأي: الركاكة والضعف وآثار الجرح.
[4] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((استبراده)).

وإنما هو قول بالحق، وتسليم لحجة الفضل، وعدل في الوصف، والله عز وجل يقول: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا ﴾[1].

وفاته

في ليلة الأربعاء الثامن والعشرين من رمضان؛ من عام ستين وسبعمائة[2]، طرق منزله؛ بعد فراغه من إحياء ثلث الليل، متبذل اللبسة، خالص الطوية، مقتضياً للأمن مستشعراً للعافية، قائماً على المسلمين بالكل حاملاً للعظيمة؛ وقد بادره الغادرون بسلطانه؛ فكسروا غلقه بعد طول معالجة، ودخلوا عليه، وقتلوه بين أهله وولده، وذهبوا إلى الدايل برأسه؛ وفجعوا الإسلام، بالسائس الخصيب المتغاضي[3]، راكب متن الصبر، ومطوق طوق النزاهة والعفاف، وآخر رجال الكمال والستر. الضافي على **الأندلس**، ولوئم من الغد بين رأسه وجسده، ودفن

---

[1] الآية كاملة هكذا: (وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ اليَتِيمِ إلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الكَيْلَ وَالمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ). سورة الأنعام؛ الآية: 152.

[2] الموافق لـ 1358م.

[3] في ج والملكية: ((المغاضي))، وفي ك: ((المقاضي)).

بإزاء لحود[1] مواليه[2] من **السبيكة**[3] ظهراً، ولم يشهد جنازته إلا القليل من الناس، وتُبُرِّك بعد بقبره. وقلت عند الصلاة عليه، أخاطبه دون الجهر من القول لمكان التقية[4]:

أرضـوان لا توحشـك فتكـة ظالـم
فـلا مـوردٌ إلا سيتلـوه مـصـدرً
وللـه سـرٌ في العبـاد مُغَيَّـبٌ
يشهـد بخافيـه[5] القضـاء المُقَـدَّرُ
سَمِيُّـك مرتـاحٌ إليـك مسلـم
عليـك ورضـوان مـن اللـه أكبـر
فحَـثَّ المَطالَيْـسَ النعيـم منغـصٌ
ولا العيـش في دار الخلـود مكـدر

***

[1] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((لجود ـ انجود)).
[2] في ك: ((مواليفه)).
[3] السبيكة موضع خارج غرناطة؛ سبق التعريف به.
[4] هذه الأبيات من البحر الطويل.
[5] في المخطوطين: ((تجافيه)).

زاوي بن زيري[1]

ابن مناد الصنهاجي؛ الحاجب المنصور؛ يكنى أبا مثنى

أوليته

قد مر ما حدث[2] بين أبيه **زيري** وبين قرابته من **ملوك إفريقية، وباديس بن منصور** من المشاحنة التي أوجبت مخاطبة **المظفر بن أبي عامر؛** في اللحاق **بالأندلس**، وإذنه في ذلك. فدخل **الأندلس**، منهم على عهده جماعة وافرة من مساعير الحروب وآثار[3] الحتوف، مع شيخهم هذا وأميرهم، ودخل منهم معه أبناء أخيه: **ماكسن وحباسة وحبوس**، وقاموا في جملة المظفر، **وزاوي** مخصوصٌ باسم **الحجابة**. فلما اختل بناء الخلافة، **بمحمد بن عبد الجبار الملقب بالمهدي**؛ أذلهم وتنكر لهم، وأشاع بينهم وبين أمثالهم من **البرابر**، المغايرة؛ فكان ذلك

[1] ترجمة زاوي بن زيري موجودة أيضاً في: الذخيرة، والبيان المغرب، والمغرب في حلى المغرب، وإعمال الأعلام، (قسم الثاني)، واللمحة البدرية ونفح الطيب، وكتاب العبر.
[2] أي في ترجمة بلكين بن باديس.
[3] في ك: ((وأطار)).

سبب الفتنة التي يسميها **أهل الأندلس بالبربرية**؛ فانحاشوا، ونفروا[1] عهده، وبايعوا **سليمان بن الحكم**، واستعانوا **بالنصارى**، وحركوا على **أهل قرطبة** خصوصاً، وعلى **أهل الأندلس** عموماً، ما شاء الله من استباحة[2]، وإهلاك النفوس، وغلبوا على **ملك الأندلس**، وما وراء البيضة، واقتسموا أمهات الأقطار، وانحازوا[3] إلى بلاد تضمهم. فانحازت **صنهاجة** ـ مع رئيسهم المذكور ـ إلى **غرناطة**؛ فأووا إليها، واتخذوها ملجأ، وحماها **زاوي** المذكور، وأقام[4] بها ملكاً، وأثل بها سلطاناً لذويه. فهو أول من مدن **غرناطة**، وبناها وزادها تشييداً ومنعة، واتصل ملكه بها، وارتشحت عروقه، إلى أن كان من ظهوره بها وأحوازها، على عساكر الموالي، الراجعين بإمامهم **المرتضى** إلى **قرطبة**، البادين بقتاله، والآخذين بكظمه، بما تقرر ويتقرر في اسم **المرتضى**، من باب **المحمدين** بحول الله. وكان **زاوي** كبش الحروب، وكاشف

---

[1] في ج، والملكية: ((ونفدوا)).
[2] في ج: ((واستبحه))، وفي ك: ((استباحات)).
[3] في ج: ((واجتازوا)).
[4] في المخطوطين: ((وقام)).

الكروب، خدم قومه شهير الذكر أصيل المجد، المثل المضروب في الدهاء، والرأي، والشجاعة، والأنفة، والحرم. قال بعضهم: أحكم التدبير، والدولة تسعده، والمقادر تنجده، وحكيت له في الحروب حكايات عجيبة.

بعض أخباره في الرأي

قال **أبو مروان**: وقد مرّ ذكر **الفتنة البربرية**، لما خلص ملأ القوم، لتشاور أميرهم وهم فرض في خروجهم من **قرطبة**، عندما انتهوا إلى **فحص هلال**، واجتمعوا على التأسي، وضرب لهم زعيمهم **زاوي بن زيري بن مناد الصنهاجي**، مثلا بأرماح خمسة جمعها مشدودة، ودفعها لأشد من حضره منهم، وقال، إجهد نفسك في كسرها كما هي وأغمزها، فعالج ذلك فلم يقدر عليه، فقال له حلها وعالجها رمحاً رمحاً، فلم يبعد عليه دقها، فأقبل على الجماعة، فقال: هذا مثلكم يا **برابرة**، إن جمعتم لم تطاقوا، وإن تفرقتم لم تبقوا، والجماعة في طلبكم، فانظروا لأنفسكم وعجلوا،

فقالـــوا نأخـــذ[1] بالوثيقـة، ولا نلـقي[2] بأيدينا [إلـى][3] التهلكـة، فقـال لهـم: بايعـوا لهـذا **القـرشي سليمـان**، يرفـع عنكـم الأنفـة فـي الرياسـات[4]، وتستميلـون إليـه العامـة بالجنسيـة؛ ففعلـوا، فلمـا تمـت البيعـة، قـال إن مثـل هـذا الحـال لا يقـوى علـى أهـل الإستطالـة، فيقيـد لـه رئيـس كـل قبيلـة منكـم، قبيلـة يتكفـل السلطـان بتقويمهـم، وأنـا الكفيـل **بصنهاجـة**، قـال: وامتـارت بطـون القبائـل علـى أرحامهـا[5]، وقبائلهـا إلـى أفخاذهـا وفصائلهـا، فاجتمـع كـل فريـق منهـم علـى تقديـم سيـده، فاجتمعـت **صنهاجـة** علـى كبيرهـا **زاوي**، ولـم تـزل[6] تلـك القبائـل المتألفـة **بالأندلـس** لطاعـة أميرهـا، المناديـن[7] لـه[8] إلـى أن أورثوهـم الإمـارة.

---

[1] في ك: ((نأخذوا)).
[2] في المخطوطين: ((نلقوا))؛ وصوبها عنان.
[3] وردت في الملكية؛ بينما سقطت في المخطوطين.
[4] في ك: ((الرياسة)).
[5] في ج، والملكية: ((((أرحامهم)).
[6] في المخطوطين: ((ولم تر الذم)).؛ وصوبها عنان.
[7] نفسهما: ((المغادين)).
[8] ((له)) سقطت في المخطوطين؛ وأضافها عنان.

التوقيع

قالوا: ولما نازله **المرتضى** الذي أجلب به **الموالي العامريين** بظاهر **غرناطة**، خاطبه بكتاب يدعوه فيه إليه[1] طاعته، وأجمل موعده فيه، فلما قرئ على **زاوي**؛ قال لكاتبه، اكتب على ظهر رقعته: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ**﴾[2]. **الْكَافِرُونَ**﴾[2]. السورة. فلما بلغت[3] **المرتضى** أعاد عليه كتاباً؛ يعده فيه بوعيده؛ فلما قرئ على **زاوي**، قال رد عليه: ﴿**أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ**﴾[4]؛ إلى آخرها، فازداد **المرتضى** غيظاً، وناشبه القتال؛ فكان الظهور **لزاوي**.

قال المؤرخ: واقتتلت **صهناجه** - مع أميرهم - مستميتين لما دهمهم من بحر العساكر؛ على انفرادهم، وقلة عددهم؛ إلى أن انهزم **أهل الأندلس**، وطاروا على وجوههم: **مسلموهم، وإفرنجهم**؛ لا يلوون[5] على أحد.

---

[1] **هكذا.**
[2] **سورة الكافرون؛ الآية: 1.**
[3] **في ج: ((أبلغ)).**
[4] **سورة التكاثر؛ الآية: 1.**
[5] **في المخطوطين: ((يلوا))؛ وصوبها عنان.**

أحـد. فأوقـع[1] **البرابر** بهـم السيف، ونهبـوا تلك المحـلات، واحتـووا عـلى مـالا كفـاء لـه؛ اتساعـاً وكثرة، ظـل الفـارس يـجيء مـن أتبـاع المنهزميـن ومعـه العشـرة. ولا تسـل عمـا دون ذلـك مـن فـاخـر النهـب، وخيـر الفسـاطيـط، ومضـارب الأمـراء والرؤسـاء.

قـال **ابـن حيـان**: فحـل بهـذه الوقيعـة ـ عـلى جماعـة **الأندلـس** ـ مصيبـةٌ؛ أنسـت مـا قبلهـا، ولـم يجتمـع لهـم جمـعٌ بعدهـا، وفـروا بإدبـار، وبـاءوا بالصغـار.

منصرفه عن الأندلس

قـال المـؤرخ: ولـهـول مـا عاينـه **زاوي؛** مـن [اقتـدار][2] **أهـل الأندلـس** فـي أيـام تلـك الحـروب وجعاجعهـم، وإشرافهـم عـلى التغلـب عليـه، هـان سلطانـه عنـده **بالأندلـس**، وخـرج عنهـا نظـراً إلـى عاقبـة أمـره، ودعـا

[1] في المخطوطين: ((فوقـع)).
[2] سقطت هذه الكلمـة في ج؛ بينمـا وردت في ك.

بجماعة من قومه لذلك فعصوه؛ وركب البحر بجيشه وأهله، فلحق **بإفريقية** وطنه.

قال: فكان من أغرب الأخبار ـ في **الدولة الحمودية**[1] ـ انزعاج ذلك الشيخ **زاوي** عن سلطانه؛ بعد ذلك الفتح العظيم؛ الذي ناله[2] على **أهل الأندلس**، وعبوره البحر، بعد أن استأذن **ابن عمه المعز بن باديس**؛ فأذن له. وحرص بنو عمه[3] **بالقيروان**، على رجوعه لهم [لحال سنه][4]، وتقريبهم يومئذ من مثله من مشيختهم لمهلك جميع إخوتهم، وحصوله هو على مقرر **بني مناد** الغريب الشأن، في أن لا تحجب عنهم[5] نساؤهم؛ [وكن][6] زهاء ألف امرأة في ذلك الوقت، هن ذوات محرم من بنات أخوته وبناتهن وبين بنيهن.

---

[1] في ج، والملكية: ((المحمودية)). والحمودية نسبة إلى بني حمود الأدارسة العلويين؛ الذين انتصبوا خلفاء في الأندلس.
[2] سقطت هذه الكلمة في المخطوطين؛ وأضافها عنان.
[3] في المخطوطين: بني عمه؛ وهو تحريف.
[4] نفسه: ((بحال سئه))؛ وصوبت من الذخيرة.
[5] هكذا. ربما تكون: عنه.
[6] هذه الكلمة أضافها عنان.

وكان رحيل **زاوي** عن **الأندلس** سنة ستة عشر[1] وأربعمائة[2]. قال **ابن حيان**، وأخبار هذا[3] الداهية كثيرة، وأفعاله ونوادره مأثورة.

***

[1] في الذخيرة: ((سنة عشر وأربعمائة)).
[2] الموافق لـ 1025م.
[3] في المخطوطين: ((هذه)).

زهير العامري[1]

فتى المنصور بن أبي عامر.

حاله

كان شهماً داهية، سديد المذهب، مؤثراً للأناة، ولي بعد **خيران صاحب ألمرية**، وقام بأمره أحمد قيام، سنة تسعة[2] عشر وأربعمائة[3]، يوم الجمعة لثلاث خلون من جمادى الأولى. وكان أميراً **بمرسية**، فوجه عند **خيران** حين أحس بالموت؛ فوصل إليه، وكان عنده إلى أن مات؛ فخرج **زهير** - مع **ابن عباس**[4] - إلى الناس؛ فقال لهم: أما الخليفة **خيران** فقد مات، وقد قدم أخاه **زهيراً** هذا. فما تقولون: فرضي الناس به؛ فدامت مدة[5] ولايته عشرة أعوام ونصف عام إلى أن قتل.

---

[1] ترجمة زهير العامري موجودة أيضاً في: الذخيرة، البيان المغرب، والمغرب في حلى المغرب، وإعمال الأعلام (القسم الثاني).

[2] صوبها د. طويل؛ فجعلها ((تسع))؛ وهو أصوب.

[3] الموافق لـ 1028م.

[4] حرفت في ج؛ فكتبت: ((ابن العباس)). وابن عباس هو وزير خيران العامري؛ ويسمى أحمد بن عباس بن زكرياء الأنصاري. ترجم له ابن الخطيب في الإحاطة.

[5] سقطت هذه الكلمة في ك.

مناقبه

قال **أبو القاسم الغافقي**: وكان حسن السيرة جميلها، بنى المسجد في **ألمرية**[1]، ودار فيه من جهاته الثلاث، المشرق والمغرب والجوف، وبنى مسجداً **ببجّانة**[2]، وشاور الفقهاء، وعمل بقولهم، وملك **قرطبة**، ودخل قصرها، يوم الأحد لخمس بقين من شعبان؛ سنة خمس وعشرين وأربعمائة[3]، ودام سلطانه عليها خمسة عشر شهراً ونصف شهر.

قال **ابن عذاري**: وأما **زهير الفتى**؛ فامتدت أطناب مملكته من **ألمرية** إلى **قرطبة** ونواحيها، وإلى **بياسة**[4]، وإلى الفج من أول **طليطلة**. وقالوا[5]: قرَّ ما بينه وبين **باديس**؛ [فأرسل **باديس**][6]، إلى **زهير** رسوله؛ مكاتباً

---

[1] في ك: ((بالمريـة)).
[2] حرفت في ج؛ فكتبت: ((مجاية)). وبجانة: بلدة تقع شمال شرق ألمرية؛ وتسمى بالإسبانية Pechina.
[3] الموافق لـ 1033م.
[4] في المخطوطين: ((بيانة))؛ وصوبت من البيان المغرب. وبيّاسة: مدينة بالأندلس؛ تبعد عن جيان بـ 20 ميلاً. وتطل بياسة على النهر الكبير المنحدر نحو قرطبة؛ امتلكها النصارى سنة 623هـ/1226م.
[5] النص الآتي لابن حيان؛ كتبه في المقتبس؛ ونقله عنه ابن بسام في كتاب الذخيرة.
[6] سقطت هذه العبارة في المخطوطين؛ وأضيفت من الذخيرة.

مستدعياً تجديد المحالفة[1]؛ فسارع **زهير**، وأقبل نحوه، وضيع الحزم، واغتر بالعجب، ووثق بالكثرة؛ أشبه شيء بمجيء الأمير الضخم إلى عامل من عماله؛ قد ترك رسم الالتقاء بالنظراء، وغير ذلك من وجوه الحزم؛ وأعرض عن ذلك كله؛ وأقبل ضارباً بسوطه[2]؛ حتى تجاوز الحد الذي جرت العادة بالوقوف عنده؛ من عمل **باديس** دون إذنه؛ وصير الأوعار والمضايق خلف ظهره، فلا يفكر فيها؛ واقتحم البلد؛ حتى صار[3] إلى **باب غرناطة**. ولما وصل خرج **باديس** في جمعه، وقد أنكر اقتحامه عليه، وعده حاصلاً في قبضته، [فبدأه بالجميل][4] والتكريم، وأوسع عليه وعلى رجاله في العطاء والقرى، والتعظيم بما مكن اغترارهم، وثبت طمأنينتهم، ووقعت المناظرة بين **زهير وباديس**، ومن حضرهما من رجال دولتيهما؛ فنشأ بينهما عارض الخلاف[5] لأول وهلة، وحمل **زهير** أمره

[1] في المخطوطين: ((المخالفة))؛ وصوبت من الذخيرة.
[2] نفسهما: ((سوطه)).
[3] نفسهما: ((طار)).
[4] حرفت هذه العبارة في المخطوطين؛ فكتبت: ((فبدا له بالجيل. فبدا له بالحيل)).
[5] سقطت هذه الكلمة في ك؛ بينما كتبت في الملكية: ((خلاف)).

على التشطط ؛ فعزم **باديس** على اللقاء ووافقه عليه قوم من خدامه، فأقام المراتب، ونصب الكتائب، وقطع قنطرة لا محيد عنها **لزهير**، والحائن[1] لا يشعر ؛ وغاداه عن تعبية محكمة ؛ فلم يرعه إلا رجة[2] القوم راجعين ؛ فدهش **زهير** وأصحابه ؛ إلا أنه أحسن تدبير الثبات لو استتمه ؛ وقام فنصب الحرب، وثبت في قلب العسكر، وقدم خليفته **هذيلا** في وجوه أصحابه إلى الموالي. فلما رأتهم[3] **صنهاجة**، علموا أنهم الحماة والشوكة، ومتى حُصدوا[4] لم يثبت من وراءهم، فاختلطوا بهم، واشتد القتال، فحكم الله لأقل الطائفتين من **صنهاجة** ؛ ليُري[5] قدرته ؛ فانهزم **زهير** وأصحابه وتقطعوا، وعمل السيف فيهم فمزقوا، وقتل **زهير**، وجهل مصرعه، وغنم[6] رجال **باديس** من المال والمرافق والأسلحة والحلية والعدة والغلمان والخيام، ما لا يحاط بوصفه. وكانت وفاة **زهير**

---

[1] هكذا في المخطوطين، وفي الذخيرة؛ أما البيان المغرب فكتب فيه: ((الخائن)).
[2] في المخطوطين: ((وجوه))؛ وصوبت من البيان المغرب.
[3] نفسهما: ((رأوهم))؛ وصوبها عنان.
[4] نفسهما: ((حضروا))؛ وصوبت من الذخيرة.
[5] سقطت هنا كلمة ((الله))؛ بينما هي موجودة في الذخيرة والبيان المغرب.
[6] في المخطوطين: ((وختم)).

يوم الجمعة عقب شوال؛ سنة تسع وعشرين وأربعمائة[1]؛ **بقرية ألفنت**[2]؛ خارج **غرناطة**.

***

---

[1] **الموافق لـ 1037م.**

[2] **هي قرية صغيرة تسمى بالإسبانية Daifontes؛ وتقع في الجهة الشمالية من غرناطة؛ وعلى بعد 5 كم عنها.**

طلحة بن عبد العزيز

ابن سعيد البلطيوسي[1]، وأخواه: أبو بكر، وأبو الحسن؛
بنو القبطرنة[2]؛ يكنى أبا محمد.

حالهم

كانوا عيوناً من عيون الأدب **بالأندلس**، ممن اشتهروا بالظرف، والسّرو[3] والجلالة. وقال **أبو الحسن بن بسام**: وقد ذكر **أبا بكر** منهم؛ فقال: أحد فرسان الكلام، وحملة السيوف والأقلام، من أسرة أصالة، وبيت جلالة، أخذوا العلم أولا عن آخر، وورثوه كابراً عن كابر، ثلاثة[4] كهقعة الجوزاء[5]، وإن أربوا عن الشهر في السنا والسناء. كتب **أبو محمد عبد العزيز** وأخواه عن ملك

---

[1] مدينة بطليوس هي Badajoz بالإسبانية؛ وتقع في منطقة إكستريمادورا غرب إسبانيا؛ على مقربة من حدود البرتغال. شيد هذه المدينة عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقي؛ وذلك عندما كان ثائراً على بني أمية بقرطبة في سنة 262هـ/876م. وكانت بطليوس ـ في بداية أمرها تابعة لمدينة ماردة Mérida؛ قاعدة غرب الأندلس، ثم نمت و اتسعت؛ حتى أصبحت ـ في عصر ملوك الطوائف عاصمة لمملكة بني الأفطس.

[2] يرى عنان أن هذه التسمية ليست عربية أندلسية؛ وقد تكون إسبانية الأصل؛ شاعت بين المولدين.

[3] في الملكية ((والسر)). وفي ك: ((والسرور)).

[4] كتبت في ك: ((كلاثمة)).

[5] أي كنجوم ثلاثة؛ تطل فوق منكب الجوزاء.

لمتونة، ودخلوا معه **غرناطة**. ذكر ذلك غير واحد. واجتزأت[1] بذكر **أبي محمد**، وأتبعه أخويه اختصاراً.

شعره

من شعر **أبي محمد**، قوله في الاستدعاء[2]:

هلـــم إلى روضنـــا[3] يا زُهـــر
ولُـــحْ في سمـــاء المنى يا قمـــر

وفَوِّق إلى الأنس سهم الإخـــاء
فقـــد عُطِّلـــت قوسُـــه والوتـــر

إذا لـــم تكن عندنـــا حاضـــراً
فمـــا بغصـــون الأمـــاني ثمـــــر

وقعـــت من القلب وقـــع المنى
وحـــزت من العيـــن حسن الحـــور

---

[1] حرفت في ج، وفي ك؛ فكتبت: ((واجتزأت)).
[2] بحر المتقارب.
[3] في المخطوطين: ((أرضنا))؛ وصوبت من قلائد العقيان.

قال **أبو نصر**[1]: بات مع أخويه في أيام صباه، واستطابة جنوب الشباب[2] وصباه، **بالمنية** المسماة **بالبديع**، وهو روض كان **المتوكل** يكلف بموافاته، ويبتهج بحسن صفاته، ويقطف ريحانه وزهره، ويقف عيه إغفاءه وسهره، ويستفزه الطرب متى ذكره، وينتهز فرص الأنس فيه روحاته وبكره، ويدير حمياه على ضفة نهره[3]، ويخلع سره فيه لطاعة جهره، ومعه أخواه، فطاردوا اللذات حتى أنضوها[4]، ولبسوا برود السرور فما نضوها، حتى صرعتهم العقار، وطلحتهم[5] تلك الأوقار، فلما هم رداء الفجر أن يندى، وجبين الصبح أن يبتدى، قام الوزير أبو محمد فقال[6]:

---

[1] **هو أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان بن عبد الله القيسي؛ قلائد العقيان. ولد بإشبيلية سنة 480هـ/1087م وتوفي بمراكش سنة 528هـ/1134م. كاتب ومؤرخ؛ من مؤلفاته: قلائد العقيان، ومطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، وراية المحاسن وغاية المُحاسن.**

[2] **في المخطوطين والملكية: ((الشمال))؛ وصوبت من قلائد العقيان.**

[3] **هكذا في ج والقلائد؛ بينما في ك: ((قصره)).**

[4] **هكذا في ج، و ك، والملكية والقلائد؛ بينما في ك: ((قضوها)).**

[5] **هكذا في ك، وفي القلائد؛ بينما في ج: ((طرحتم)).**

[6] **البحر الخفيف.**

يا شقيــقيَّ وافى الصباح بوجهــه

ستــر الليــل نــوره وبهـــــاؤه

فاصطبح واغتنــم مســرة يــومٍ

لست تدري بما يجيء مســاؤه

ثـم استيقـظ أخـوه **أبـو بكـر** فقـال[1]:

يا أخي قم تــر النسيــم عليـــلا

باكر الروض والمــدام شمـــولا

[في رياض تعانق الزهر فيهـــا

مثــلُ ما عانق الخليل خــليـــلا][2]

لا تنم واغتنــم مســرة يـــــوم

إن تحت التراب نومـــاً طويـــلا

---

[1] **البحـر الخفيـف.**

[2] **سقـط هـذا البيت في المخطوطيـن والملكيـة؛ ونقلـه عنــان مـن القلائـد.**

ثـم استيقـظ أخوهما **أبـو الحسـن** [وقـد ذهـب مـن عقلـه الوسـن][1] فقـال[2]:

يا صاحـــبيّ ذرا لـــومي ومعتبـــتي

قم نصطبح قهوة[3] من خير ما ذخروا

وبادرا غفلـــة الأيـــام واغتنمـــا

فاليوم خمرٌ ويبدو في غد خبـــر [4]

وقـال **أبـو بكـر** فـي بقـرة أخذهـا لـه **الرنـق**[5] صاحـب **قلمورية**[6]، وقـد أعـاد أرضـه[7]:

---

[1] مـا بيـن الحاصرتيـن؛ نقـل مـن القلائـد.

[2] البحـر البسيـط.

[3] في ك: ((نـهـوة)). ويطلـق اسـم (قهـوة) قديمـاً علـى الخمـر.

[4] ورد هـذا الشطـر في ج، وفي القلائـد. أما في ك؛ فقد جاء هكذا: ((اليوم خمر وليل وفي غد خبر)). وقد اقتبس قول امرء الشهير: ((اليوم خمر وغداً أمر)).

[5] حرفت في المخطوطيـن والملكيـة؛ فكتبـت: ((الرتـو)). والمقصـود بالرنـق أو ابـن الرنـق هـو: ألفونسـو هنريكنـز ملـك البرتغـال، وصاحـب مدينـة قلموريـة أو قلمريـة (522هـ/1128م - 581هـ/1185م).

[6] هكـذا ورد رسمهـا فـي المخطوطيـن؛ بينمـا الرسـم الصحيـح هـو: ((قلموريـة))؛ وهـي مدينـة قديمـة تتواجـد فـي شمـال البرتغـال؛ تسـمى بالإفرنجيـة: Coimbra.

[7] البحـر الطويـل.

وأفقدنيهـــا الرنـــق أمًّا حَفِيَّـــة

إذا هي حفت ألفت بين وفديـــن

تعنفـــني أمي على أن رثيتهـــا

وأن أتبعـــتهـــا الـــدم مـــن عيـــن

لها الفضل عنـــدي أرضعتـــني[1]

[وبالرغم ما بلغتني وأمي حوليـــن][2]

***

---

[1] في الذخيـرة: ((أرضعتـني أربعـاً)).

[2] هكـذا في المخطوطيـن. وأشـار عنـان إلى وجـود نصـوص أخـرى؛ ولكنـه لـم يحددهـا. وفي الذخيـرة: ((بلغتـني رأس عاميـن)).

محمد بن إسماعيل

ابن فرج بن إسماعيل بن نصر؛ الرئيس المتوثب على الملك،
وحيٌّ كرسي الإمارة، وعاقد صفقة الخسران المبين؛
يكنى أبا عبد الله.

أوليته

معروفة.

حاله

من **نفاضة الجراب**[1] وغيره: كان شيطاناً، ذميم الخلق، حرفوشاً، على عُرف **المشارقة**، مترامياً للخسائس، مَأْلَفاً للدعرة والأجلاف والسوار[2] وأولي الريب، خبيثاً كثير النكر، منغمساً في العهن، كلفاً بالأحداث، متقلباً عليهم في الطرق، خليع الرسن، ساقط الحشمة، كثير التبذل، [قواد عصبة كلاب][3]، معالجاً لأمراضها، مباشراً للصيد بها، راجلاً في ثياب منتاب الشعر من الجلود والسوابل والأسمال. عقد له السلطان على بنته لوقوع

---

[1] أحد كتب ابن الخطيب.
[2] في ج: (السرار)). ويقصد بالسوار: الناقمون.
[3] في المخطوطين، والملكية: ((قواداً عصبة كلاباً)).

القحط في رجال بيتهم، ونوههه[1] بالولاية، وأركبه، وأغضى له عن موبقات تقصر به، إلى أن هلك، وحاد الأمر عن شقيق زوجه، واستقر في أخيه، وثقل على الدولة، لكراهة طلعته، وسوء الأحدوثة به، فأمر بترك المباشرة، والدخول **للقلعة**. وأذن له في التصرف في البلد والفحص، وأبقيت عليه النعمة، فداخل أم زوجه، وضمن لها تمام الأمر لولدها، وأمدته[2] بالمال، فنظر من المساعير شيعةً، من كسرة الأغلاق، وقتلة الزقاق، ومختلسي البضائع، ومخيفي السابلة، واستضاف[3] من أسافلة الدولة، من آسفته بإقصار قصد، أو مطل وعد، أو حط رتبة، أو عزل عن ولاية، فاستظهر منهم بعدد ولا، كالشقي **الدليل المورِوي**، الغريب الطور، **وإبراهيم بن أبي الفتح** المنبوذ بالإضليع، قريع الجهل، ومستور العظيمة، وارتادوا عورة **القلعة**، فاهتدوا منها إلى ما شاءوا وتألفوا[4]

---

[1] في ج، والملكية: ((وتوجهه)).
[2] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((وأمرته)).
[3] في الملكية: ((واستظهر)).
[4] في ك: ((وتابعوا)).

بخارج، ثم تسللوا ببطن الوادي المعروف **بهداره**[1]، إلى أن لصقوا بجناح السور الصاعد، الراكبة قوسه جرية النهر، وصعدوا مساوقين جناحه المتصل بسور **القلعة**، وقد نقص كثير من ارتفاعه، لحدثان إصلاح فيه، فتسوروه عن سلم، ودافع بعض محاربيهم بعضاً، في استباق أدراجه. فدخلوا البلد في الثلث الأخير من ليلة الأربعاء الثامن والعشرين لرمضان؛ [عام ستين وسبعمائة][2]، ثم استغلظوا بالمشاعل[3]، وقتلوا نائب الملك **رضواناً النصري**، سايس الأمر، وبقية المشيخة، واستخرجوا السلطان الذي هو يزيفه[4]، فنصبوه للناس، وتم الأمر، بما دل على احتقار الدنيا عند الله، وانخرط هذا الخَبُّ[5]، في طور غريب من التنزل للسلطان، والاستخدام لأمه، والتهالك في نصحه، وخلط نفسه فيه، وتبذل في خدمته، يتولى له الأمور، ويمشي في زي الأشراط بين يديه، ويتأتى لشهواته،

---

[1] هدارة، أو حدارة: اسم لنهر يشق غرزاطة؛ وهو عبارة عن فرع من نهر شنيل. ويسمى بالإسبانية **El Darro**.

[2] 1358م. ما بين الحاصرتين؛ أضيف من اللمحة البدرية.

[3] في المخطوطين: ((بالمشاغيل))؛ وصوبت من اللمحة البدرية.

[4] في ج: ((يفه)).

[5] في المخطوطين: ((الحب)).

ويتظاهر بحراسته. ولما علم أن الأمر يشق تصيره إليه من غير واسطة، بغير انقياد الناس إليه، من غير [تدريج كاده][1]، فألطف الحيلة في مساعدته على اللذات، وإغرائه بالخبائث، وشغله بالعهر، وقتله بالشهوات المنحرفة، وجعل يتبرأ من دنيته وينفق بين الناس من سلع اغتيابه، ويرى الجماهير الإنكار لصنيعه، ويزين لهم الاستعاضة منه بعد ما غلظت[2] شوكته، وضم الرجال إلى نفسه مورياً بحفظه، والاستظهار على صونه.

وفي الرابع من شعبان عام أحد وستين وسبعمائة[3]، ثار به في محل سكناه في جواره، واستجاش أولياء غدره، وكبس منزله، مداخلا للوزير المشئوم، عاقداً معه صفقة الغدر. وامتنع السلطان بالبرج الأعظم، فاستنزله وقتله، كما مر في اسم المذكور قبل، واستولى على الملك، فلم يختلف عليه اثنان، واشتغل **طاغية الروم**

[1] كتبت هذه العبارة في المخطوطين والملكية بشكل غامض. وكلمة ((كاده)) من ((الكده))؛ وتعني الغلبة أو الإخضاع والقهر.
[2] في ج: ((غلظ)).
[3] الموافق لـ 1359م.

بحرب، كان بينه وبين **القطالنيين**[1]، فتمالأ لمسالمته، فاغتبط الصنيع وتهنا المنحة، وتشطط على **الروم** في شروط غير معتادة، سامحوه بها مكيدة واستدراجاً.

واجتاز أمير المسلمين المصاب بغدره إلى **الأندلس**، طالباً لحقه، ومبادراً إلى رد أمره، فسقط في يده، ووجه الجيش إليه بمثواه من **بلد رندة**، فانصرف عنها خائباً، ورجع أدراجه، يشك في النجاة، وتفرغ إليه **الطاغية**، [ففضَّ عليه جمه][2]، وقد أجرت عليه شوكته وقيعةً، نصر الله فيها الدين، وأملى لهذا الوغد[3] فلم يُقْله[4] العَثْرة بعدها. ونازل حصونه المهتضمة واستولى على كثير منها، وحام فلم يُصْحر غَلْوة، وأكذب ما موه به من البسالة. وظهر[5] للناس بلبس الصوف، وأظهر التوبة على سريرة دَخِلة، وفسق مبين، وقل ما بيده، ونفد بيت

---

[1] أي أهل قطلونيا Cataluna وهي مقاطعة وإقليم تاريخي في شمال شرقي إسبانيا. تشكلت ـ فيما بعد ـ إمارة كتالونيا من اتحاد بعض المقاطعات النصرنية ـ بعد استرادها ـ في ظل سيادة برشلونة. ثم توحدت ضمن تاج مملكة أراغون في سنة 532هـ/1137م.

[2] في ج، والملكية: ((ففغر عليه فمه)).

[3] في المخطوطين: ((الوعد)).

[4] حرفت في ج؛ فكتبت: ((يلقه)).

[5] في المخطوطين: ((وطور)).

ماله، فلم يجد شيئاً يرجع إليه، من بعد ما سبك الآنية والحلية، وباع العقار لبتذيره، وسحه المال سحاً، في أبواب الأراجيف والاختلاف، والبهج بالغنا، فشرف الإنقاب إلى الفرار، وأزمع إلى الانسلال.

وعندما تحرك السلطان إلى غربي **مالقة**، ونجع أهلها بطاعته ودخلوا في أمره، وسقط عليه الخبر. اشتمل على الذخيرة جمعاء، وهي التي لم تشتمل خزائن الملوك مطلقاً على مثلها، من الأحجار واللؤلؤ والقصب، والتف عليه الجمع المستميت، جمع الضلال ومرد الغي، وخرج ـ عن المدينة ـ ليلة الأربعاء السابع عشر من جمادى الآخرة. وصوب وجهه إلى سلطان **قشتالة**، مكظومٌ تجنيه، وموتور سوء جواره، من غير عهد، إلا ما أمل من التبقي عنده من التذميم به، وضمان إتلاف الإسلام، واستباحة البلاد والعباد بنُكْرته[1].

ولما استقر لديه نَزْله، تَقَبَّضَ عليه، وعلى شِرْذِمَته المُنيفَة على ثلاثمائة فارس من البغاة[2]، كشيخ جنده الغربي

[1] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((بكرته ـ فكرته)).
[2] في المخطوطين: ((ابغاوة ـ البغارة)).

إدريس بن عثمان بن إدريس بن عبد الله بن عبد الحق، ومن سواه، تحصل بسببهم بيد **الطاغية**، كل ما تسمو إليه الآمال، من جواد فاره، أو منطقة ثقيلة، وسلاح مُحَلَّى، وجوشن رفيع، ودرع حصينة، وبُلْبُلة[1] منيعة، وبيضة مذهبة، وبزة فاخرة، وصامت عتيد، وذخيرة شريفة، فتنخل[2] منهم متولي التسور فجعلهم أسوة رأسهم في القتل، خر بعضهم يومئذ على بعض، في القتل، وأخذتهم السيوف، فحلوا بعد الشهرة، والتمثيل في أزقة المدينة، وإشاعة النداء في **الجزيرة**، ثاني رجب من العام المؤرخ به، وركب أسوق سايرهم الأداهم، واستخلصهم الإسار. وبارد بتوجيه رؤسهم، فنصبت من فوق العورة التي كان منها تسورهم **القلعة**، فمكثت بها إلى أن استنزلت ووريت، وانقضى أمره على هذه الوتيرة[3] مشئوماً دبيراً، لم يمتعه الله[4] بالنعيم، ولا هناه سكنى المحل الكريم، ولا سوغه راحة، ولا ملأه موهبة، ولا أقام

---

[1] في المخطوطين: ((وبلبة)).
[2] في ك: ((فتتخذ)).
[3] في المخطوطين: ((الوثيرة)).
[4] أغفلت هذه الكلمة في ك.

على فضله حجة، ولا أعانه على زلفة، إنما كان رئيس السراق وعريف الخراب، وإمام الشرار؛ ندر يوما في نفسه، وقد رفعت إليه امرأة من البدو تدعي أنها سرقت دارها، قال: إن كان ليلا بعد ما سد **باب الحمراء** علي وعلى ناسي، فهي والله كاذبة، إذ لم يبق سارق في الدنيا، أو في البلاد[1]، إلا وقد تحصل خلفه، وقانا الله المحن، وثبتنا على مستقر الرشد، ولا عاقنا عن جادة الاستقامة.

وزراء دولته

استوزر الوزير المشئوم ممدةً في الغي، الوغد، الجهول، المرتاش من السرقة، الحقود على عباد الله لغير علة عن سوء العاقبة، المخالف في الأدب سنن الشريعة، البعيد عن الخير بالعادة والطبيعة، دودة القز، وبغل طاحونة الغدر، وزق القطران[2]، **محمد بن إبراهيم بن أبي الفتح الفهري**، فانطلقت يده على الإبشار، ولسانه على

[1] في ك: (البلد)).
[2] هكذا في المخطوطين والملكية.

الأعراض، وعينه على النظر الشزر، وصدره على التأوه والرين، يلقى الرجل كأنه قاتل أبيه، محدقاً إلى كميه، يحترش بهما خبيئة، أو يظن بهما رشوة، فأجاب الله دعاء[1] المضطرين، ورغبات السائلين، وعاجله بالأخذة الرابية، والبطشة القاضية فقبض عليه في ليلة السبت العاشر لرمضان؛ من العام المذكور، وعلى ابن عمه العصر **فوط**[2] وعلى الحيرا من نواهض بيتهما وأنفذ الأمر بتعريضهم، فمضى حكم الله بهذه المنية الفرعونية فيهم ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾[3]، قاهر الجبابرة، وغالب الغلاب، وجاعل العاقبة للمتقين.

واستوزر بعده، أولى الناس وأنسبهم إلى دولته، وأحقهم بمظاهرته، المسوس الجبار اليأس والفطرة، المختبل الفكرة، القيل، المرجس، الحول، الشهير[4]، الضجر، **محمد ابن علي بن مسعود**، فما بُلِيَ الناس على طول الحُمرة،

---

[1] **في ج، والملكية: ((دعوة)).**
[2] **في ك، والملكية: ((العصر بوط)).**
[3] **الآية كاملة هكذا: (لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ). سورة يونس؛ الآية: 64.**
[4] **هذه الكلمة ساقطة في ج.**

وانفساح زمان التجربة، أسوأ تدبيراً، ولا أشر معاملة، ولا أبذأ لساناً، ولا أكثر شكوى ومعاتبة، ولا أشح يداً، ولا أجدب خواناً، من ذلك المشئوم، [بنعق البوم][1]، ينعق بما لا يسمع، ويسرد الأكاذيب، ويسيء السمع، فيسيء الإجابة، ويقود الجيش فيعود بالخيبة، إلى أن كان الفرار، فصحبه إلى مصرعه، وكان ممن استؤثر به القيد الثقيل، والأسر الشديد، والعذاب الأليم، عادة بذلك عبد ((المالاخوينا))[2]، التي كان يحجب سمتها، زمان ترفيهه، فقضت عليه سَيِّءَ المَيتة، مُطرح الجثة. سترنا الله بستره ولا سلبنا في الحياة، ولا في الممات ثوب عنايته.

كاتب سره

صاحبنا الفقيه الأهوج، قصب الريح، وشجرة الخور، وصوت الصدى، **أبو محمد عبد الحق بن عطية**،

---

[1] **سقطت في الملكية؛ بينما وردت في المخطوطين هكذا: ((بنعق اليوم)).**

[2] **مرض نفسي؛ وبالتحديد مرض الصرع؛ كما ذكر ابن سنا. بينما يقول آخرون أنه: (مرض معروف من قديم الزمان في علم النفس (المانخوليا، الماخوليا، المالخوينا....) ويمثل الاكتئاب في أعلى درجاته، وقد ذكره ابن الجوزي في صيد الخاطر).**

المستبد بتدبير الدبير، خطأً فوق الرقاع الجاهلة، ومسارةً في الخلوات الفاسقة، وصدعاً فوق المنابر الكبيبة، بحلة لث الراية، ويذب عنه ذب الوالدة، ينتهي في الاعتذار عن هناته إلى الغايات القاصرة.

قضاته

شيخنا **أبو البركات**، قيسُ لَيْلَى القضاء، المخدوع بزخرف الدنيا على الكبرة والعناء، لطف الله به، وألهمه رشده.

شيخ الغزاة على عهده

إدريس بن عثمان بن إدريس بن عبد الحق بن محيو[1]، بقية بيت الدبرة ووشيجة الشجرة المجتثة، عذب في الجملة من أهل بيته عند القبض عليهم، واستقر في القبض الأشهب من **قبيله بالمغرب**، مطلق الإقطاع، مرموقاً بعين التجلة، مكنوفاً بشهرة الأب، إلى أن سعى به إلى السلطان، نسيج وحده **فارس بن علي**، واستشعر البث فطار به الذعر لا يلوي عناناً، حتى سقط **بإفريقية**،

---

[1] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((فحو)).

وعبر البحر إلى ملك **برجلونة**[1]. ثم اتصل **بالدولة النصرية**، بين إدالة الغدر[2]، وإيالة الشر، فقلده الدائل مشيخة الغزاة، ونوه به، فاستراب مُعْزُله **يحيى بن عمر**، ففر إلى **أرض الروم** حسبما يذكر في اسمه، فقام له بهذا الوظيف، ظاهر الشهرة والأبهة، مخصوصاً منه بالتجلة، إلى أن كان ما كان من إزمانه وفراره، فوفى له وصحبه ركابه، وقاسمه المنسجة شق الأبلة، واستقر بعد قتله أسيراً عانياً علق الدهر[3]، لضنانة العدو بمثله، إلى أن أفلت من دون الأغلاق، وشد الوثاق، ولحق بالمسلمين في خبر لم يشتمل كتاب الفرج بعد الشدة على مثله، والأغراب منه، يستقر في اسمه إلماعٌ[4] به، ثم استقر **بالمغرب** معتقلا. ثم مات رحمه الله.

---

[1] **أي برشلونة؛ عاصمة الأراغون. سبقت الإشارة إليها.**
[2] **حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((العذر ـ العدد)).**
[3] **في ك: ((الذهن)).**
[4] **نفسه: ((الأمام)).**

من كان على عهده من الملوك

وأولاً **بمدينة فاس** دار **ملك المغرب**، السلطان، الخير، الكريم الأبوة، المودود قبل الولاية، اللين العريكة، الشهير الفضل في الحياة، آية الله في إغراب الصنع، وإغراب الإدبار[1]، **أبو سالم إبراهيم بن علي بن عثمان ابن يعقوب بن عبد الحق،** أمير المسلمين، المترجم به في حرف [الألف][2]. ولما قتل يوم الحادي والعشرين لذي قعدة؛ من عام اثنتين وستين[3]، قام بالأمر بعده أخوه المتحيل **أبو عامر تاشفين بن علي** إلى أواخر صفر عام ثلاثة وستين[4]، ولحق **بالبلد الجديد**، الأمير **أبو محمد زيان ابن الأمير أبي عبد الرحمن بن علي بن عثمان**؛ المترجم به في بابه، ثم المتولي من عام ثمانية وستين وسبعمائة[5]

---

[1] هكذا في المخطوطين.
[2] في مكانها ترك بياض في المخطوطين. وبالفعل فقد وضع ابن الخطيب ترجمة لهذا الأمير؛ بين من تبدأ أسماؤهم بحرف الألف.
[3] الموافق لـ 1360م.
[4] الموافق لـ 1361م.
[5] الموافق لـ 1366م.

السلطان **أبو فارس**[1] عمه، المؤمل لِلَمِّ الشعث، وضم النشر، وتجديد الأمر بحول الله، **ابن السلطان** الكبير المقدس، **أبي الحسن بن سعيد بن يعقوب بن عبد الحق**، وهو بعد متصل الحال إلى اليوم.

وبتلمسان الأمير **أبو حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن**[2] **بن زيان.**

وبإفريقية الأمير الخليفة على عرفهم، **إبراهيم ابن أمير المؤمنين أبي يحيى بن حفص.**

وبقشتالة، بطره بن ألهنشة[3] **بن هراندة بن شانجه** المصنوع له، ولي النعمة منه، ومستوجب الشكر من المسلمين لأجله، بإراحته منهم.

وبرغون، بطره بن شانجه[4].

---

[1] **أبو فارس عبد العزيز بن أبي الحسن؛ حكم من سنة 767هـ/1365م. إلى يوم وفاته سنة 774هـ/1372م.**

[2] **حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((بغمراسن)). وأبو حمو ترجم له ابن الخطيب في الإحاطة.**

[3] **يسمى بيدرو الثالث بن ألفونسو الحادي عشر؛ تولى الحكم في قشتالة سنة 751هـ/1350م إلى سنة 770هـ/1368م.**

[4] **يسمى بيدرو الرابع؛ حكم أراغون من سنة 737هـ/1336م إلى سنة 788هـ/1387م.**

وبرندة، مزاحمه بالملك[1] الفخم، أمير المسلمين حقيقة، المرتب الحق، المعقود البيعة، وصاحب الكرة، وولي حسن العاقبة، مجتث شجرته الخبيثة، وصارخ إيالته الدنية، **أبو عبد الله محمد ابن أمير المسلمين أبي الحجاج، ابن أمير المسلمين أبي الوليد بن نصر**.

مولده

مولد هذه النسمة المشئومة أول يوم من رجب؛ عام اثنين وثلاثين وسبعمائة[2].

---

[1] في ك: ((بالمنكب)).
[2] الموافق لـ 1331م.

وفاته

توفي قتيلاً ممثلاً به **بطيلاطة**[1]، من ظاهر **إشبيلية**، في ثاني من رجب؛ عام ثلاثة وستين وسبعمائة[2]، وسيقت رؤوس أشياعه[3]، الغادرين مع رأسه إلى الحضرة؛ فصلبت بها. وفي ذلك قلت[4]:

في غير حفـظ اللـه مـن هامـةٍ
هام بهـا الشيطـان في كـل واد
لا خـلفـت ذكـراً ولا رحـمـةً
في فـم إنـسـانٍ ولا في فـؤاد

***

[1] تقع هذه البلدة الأندلسية في الجنوب الغربي من إشبيلية.
[2] الموافق لـ 1361م.
[3] كتبت في ك: ((أتباعه)).
[4] البحر السريع.

محمد بن إسماعيل

ابن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن محمد بن أحمد بن خميس
ابن نصر الخزرجي[1]؛ أمير المسلمين بالأندلس بعد أبيه رحمه الله.

أوليته

معروفة.

حاله

كان معدوداً في نبلاء الملوك[2]، صيانة، وعزاً وشهامة، وجمالاً، وخصلاً، عذب الشمائل، حلواً لبقاً، لوذعياً هشاً، سخياً، المثل المضروب به في الشجاعة المقتحمة حد التهور[3]، حلس[4] ظهور الخيل، وأفرس[5] من جال على ظهورها[6]، لا تقع العين، وإن غصت الميادين على أدرب بركض الجياد منه، مغرماً بالصيد عارفاً بسمات

---

[1] هكذا وردت محرفة. وردت هذه الترجمة بكاملها في اللمحة البدية؛ وسمي فيها: ((محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجي؛ أمير المسلمين بالأندلس بعد أبيه؛ يكنى أبا عبد الله)).

[2] في اللمحة: ((الملوك وأبناء الملوك صرامة وعزة وشهامة...)).

[3] في المخطوطين: ((الهور)).

[4] في ج: ((جلس)).

[5] في اللمحة: ((أفرس)).

[6] في المخطوطين: ((ظهوره))، وفي اللمحة: ((على صهوة)).

السقار[1] وشتات الخيل، يحب الأدب، ويرتاح إلى الشعر وينبه على العيون، ويلم بالنادرة الحارة. أخذت له البيعة يوم مهلك أبيه، وهو[2] يوم الثلاثاء السابع والعشرين لرجب؛ من[3] عام خمسة وعشرين وسبعمائة[4]. وناله الحجب، واشتملت عليه الكفالة إلى أن شبَّ[5] وظهر، وفتك بوزيره، المتغلب على ملكه، وهو غلام لم يَبْقِل خدُّه، فهيب شأنه[6]، ورهبت سطوته، وبرز لمباشرة الميادين، وارتياد المطارد، واجتلاء الوجوه[7]، فكان ملء العيون والصدور.

[1] في اللمحة: ((الشفار وشيات الخيل)). والسقار والصقَّار: النمام. وهذه الكلمة يشوبها بعض الغموض؛ لأنها لا تنسم مع سياق الكلام.
[2] سقطت كلمة ((هو)) في اللمحة.
[3] سقطت كلمة ((من)) في اللمحة.
[4] الموافق لـ 1324م.
[5] في اللمحة: شدا وظهر، وشبّ عن الطوق؛ وفتك...)).
[6] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((شاه)).
[7] في ك: ((الوجدة)).

ذكاؤه

حدثني القائد **أبو القاسم بن الوزير عبد الله بن عيسى** وزير جده[1]؛ قال، تُذُوكِرَ يوماً بحضرته تباين قول[2] **المتنبي**[3]:

ألا خــدَّد[4] اللـــه ورد الخـــدود

وقــد قُــدُودَ الحســان القُــدود[5]

وقول **امرئ القيس**[6]:

وإن كنت قد ساءتك مني خليقةً

فسُلِّي ثيابي من ثيابــك تنســلِ[7]

---

[1] في اللمحة: ((حدثني ابن وزير جده القائم أبو القاسم بن محمد بن عيسى؛ قال:...)).
[2] نفسه: ((تباين معنى قول...)).
[3] البحر المتقارب.
[4] أشار عنان إلى نص جاء فيه: ((أيا خدد))؛ ولكنه لم يعرف بهذا النص. ويمكن أنه يقصد اللمحة البدرية أو ديوان المتنبي؛ إذ كتب فيهما: ((أيا خدَّد)).
[5] في ك: ((القدور)).
[6] البحر الطويل.
[7] أي إذا لم تعجبك هيئتي وفطرتي؛ فاسحبي نفسك من حياتي كما ينسل ريش الطائر. الطائر.

وقول **إبراهيم بن سهل**[1]:

إني له من دمي المسفوك معتذراً[2]

أقول حمّلتـــه في[3] سفكـــه تعبـــا

فقال رحمه الله، بديهة[4]: بينهما ما بين نفس ملك **عربي** وشاعر[5]، ونفس **يهودي** تحت الذمة، وإنما تتنفس بقدر همتها، أو كلاماً هذا معناه[6]. ولما[7] نازل **مدينة قبرة**[8] ودخل جفنها عنوة[9]، ونال قصبتها، ورماها بالنفط، وتغلب عليها، وهي ما هي عند **المسلمين**، وعند **النصارى**[10]، من الشهرة والجلالة، بادرناه[11] نهنيه بما نُسِّق[12] له، فزوى وجهه عنا،

---

[1] البحر البسيط.
[2] في اللمحة البدرية، والديوان: ((معتذرٌ)).
[3] في اللمحة البدرية والديوان: ((من)).
[4] في اللمحة: ((بديهاً)).
[5] نفسه: ((وشاعر عربي)).
[6] في اللمحة: ((هممها، أو ما معناه هذا)).
[7] نفسه: ((لمّا)).
[8] سبق التعريف ببلدة قبرة.
[9] في اللمحة: ((ودخلها عنوة؛ وهي ما هي...)).
[10] نفسه: ((والنصارى)).
[11] نفسه: ((وبادرنا)).
[12] نفسه: ((تسنَّى)).

وقـال مـاذا[1]، تهنوننـي[2] بـه، كأنكـم رأيتـم تلـك الخرقـة بكـذا[3] يعـني العلـم الكبيـر فـي منـار **إشبيلية**[4]، فعجبنـا مـن بعـد همتـه، ومرمى عزمـه[5].

شجاعته

أقسـم أن يغيـر علـى بـاب **مدينـة بيانـة**[6] فـي عـدة قليلـة عينهـا الميمـن[7]، فوقـع البهـت وتوقعـت الفاقـرة، لقـرب الصريـخ، ومنعـة الحـوزة، وكثـرة الحاميـة، واتصـال[8] تخـوم البـلاد، ووفـور الفرسـان بذلـك الصقـع، وتنخـل أهـل الحفـاظ، وهجـم[9] علـى بـاب الكفـار نهـاراً، وانتـهى إلـى بـاب

---

[1] في اللمحـة: ((فـزوى عنـا وجهـه قائـلاً: ومـاذا...)).
[2] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((همونـني - تهمونـني)).
[3] في اللمحـة: ((الكـذا)).
[4] أي منـار جامـع إشبيليـة الـذي شيـده الخليفـة الموحـدي يعقـوب المنصـور. المقصـود هنـا هـو منـار جامـع إشبيليـة الأعظـم؛ الـذي شيـده الخليفـة الموحـدي يعقـوب المنصـور بـن عبـد المؤمـن. وبـقي هـذا المنـار معلمـاً حضاريـاً هامـاً في إشبيليـة. وقـد حـول النصـارى الجـزء العلـوي منـه إلى بـرج لأجـراس كنيسـة إشبيليـة الكبـرى. ومـا زال هـذا المنـار قائمـاً إلى الآن؛ ويسـمى عنـد الإسبـان: ((الخيرالـدا)) **La Giralda**.
[5] في اللمحـة: ((أملـه)).
[6] سبـق التعريـف ببلـدة بيانـة.
[7] في اللمحـة: ((في عدة يسيـرة مـن الفرسـان عَيَّنَتَهـا اليميـن)).
[8] في المخطوطيـن: ((واتصـل)).
[9] في اللمحـة: ((وهجـم عليهـا فانتـهى إلى بابهـا، وحمـل علـى أضعافـه...)).

باب المدينة وقد برزت الحامية، وتوقع فرسان **الروم** الكمناء، فأقصروا عن الإحصار، وحمى المسلمون فشد عليهم، فأعطوهم الضمة ودخلوا أمامهم المدينة، ورمى السلطان أحد الرجال الناشبة بمزراق كان بيده محلى السنتان رفيع القيمة، وتحامل[1] يريد الباب فمنع الإجهاز[2] الإجهاز[2] عليه، وانتزاع الرمح الذي كان يجره خلفه، وقال اتركوه يعالج به رمحه[3] إن كان أخطأته المنية، وقد أفلت من أنشوطة خطر عظيم.

جهاده ومناقبه

كان له وقائع في الكفار، على قلة أيامه، وتحرك ونال البلاد، وفتح **قبرة**، ومقدم جيش العدو الذي بيت بظاهرها وأثخن فيه، وفتح الله على يده مدينة **باغوة**[4]، وتغلب المسلمون على حصن **قشتالة**، ونازل حصن **قشرة**[5]

---

[1] في اللمحة: ((وتحامل الطعين يريد...)).
[2] نفسه: ((من الإجهاز)).
[3] نفسه: ((جرحه إن أخطأته...)).
[4] يرجح عنان؛ أنها مدينة باغة Priego؛ القريبة من قبرة. وقد سبقت الإشارة إليها.

قشرة[1] بنفسه لدى **قرطبة**، فكاد أن يتغلب عليه، لولا مددٌ اتصل **للنصارى** به. وأعظم مناقبه تخليص **جبل الفتح**[2]، وقد أخذ **الطاغية** بكظمه، ونازله على قرب العهد من تلك المسلمين إياه، وناخ[3] بكلكله، وهد بالمجانيق أسواره، فدارى[4] **الطاغية**، واستنزل عزمه وتحفه[5]، ولحق في موضع اختلاله، إلى أن صرفه عنه، وعقد له له صلحاً، ففازت به قداح الإسلام، وتخلصه من بين ناب العدو وظفره، فكان الفتح عظيماً لا كفاء له.

بعض الأحداث في دولته

وفي شهر المحرم[6] من عام سبعة وعشرين وسبعمائة[7]، نشأت بين المتغلّب[8] على دولته، وزيره، وبين

---

[1] يعتقد عنان احتمال أن يكون هو الحصن المسمى **Castro**؛ الذي يقع بين بيانة وقبرة. وورد النص في اللمحة البدرية هكذا: ((... قشرة لأول مرة، وهدَّ سوره؛ وكاد يتغلب عليه لولا مدد دخله؛ فارتحل؛ وقد دوخ الصّقْع)).

[2] هو جبل طارق؛ وقد سماه بجبل الفتح؛ عبد المؤمن بن علي.

[3] في اللمحة: ((وأناخ عليه بكلكله)).

[4] في ك: ((فدار)).

[5] في اللمحة: ((وتاحفه إلى أن صرفه عنه؛ ففازت به قداح الإسلام)).

[6] في اللمحة: ((محرّم)).

[7] الموافق لـ 1326م.

[8] في اللمحة: ((بين وزيره المتغلب على أمره محمد بن أحمد المحروق، وبين شيخ الغزاة عثمان ابن أبي العلى؛ فصبّت...)).

وبين شيخ الغـزاة وأميـر **القبائـل العُدْوِيَـة**[1]، **عثمـان بـن أبي العلاء**[2]، الوحشة وألحقت ريحها السعايات، فصبت على المسلمين شؤبوب فتنة عظم **فيهـم أثرهـا**[3] **أثرهـا**[3] **معاطبـاً**، وسئم الانصراف عن **الأندلس**، فلحق[4] بساحل **ألمرية**، وأحوزته المذاهب، وتحامت جواره الملوك، فداخل[5] أهل **حصن أندرش**[6]، فدخل في طاعتـه، طاعتـه، ثـم استضاف[7] إليـه مـا يجاوره، فأعضـل الـداء[8]، وتفاقمـت الـلأواء[9]، وغامت سماء الفتنة [10]، واستنفد[11] خزائن الأموال المستعدة لدفاع العدو، واستلحق **الشيخ أبو سعيد** عم السلطان، وقد استقر **بتلمسان**، فلحق به، وقام بدعوته في أخريات صفر

---

[1] يقصد بالقبائـل العدويـة: قبائـل العدوة المغربيـة.
[2] يرسمون هذا الاسم أحياناً: ((ابن أبي العلى، وأحياناً أخرى ابن أبي العلاء)).
[3] في اللمحـة: ((أثرهـا؛ فخـرج مغاضبـاً وهـمّ للانصـراف...)).
[4] نفسـه: ((ولحـق)).
[5] نفسـه: ((ثـم داخـل)).
[6] سبـق التعريـف بهـاذا الحصـن.
[7] في اللمحـة: ((واستضـاف)).
[8] في المخطوطيـن: ((الـدواء)).
[9] حرفت في المخطوطين والملكية؛ فكتبت: ((الألواء)). واللأواء: تعني الشدة.
[10] في اللمحـة: ((المحنـة؛ وتستلحـق المذكـور عـمّ السلطـان...)).
[11] في ج، والملكيـة: ((واستفـز)).

عام[1] سبعة وعشرين وسبعمائة[2]. واغتنم **الطاغية** فتنة **المسلمين** فنزل **ثغر بيرة[3]**، ركاب الجهاد، وشجى العدو، فتغلب عليه، واستولى على جملة من الحصون التي تجاوره، فاتسع نطاق الخوف[4]، وأعيى داء الشر، وصرف إلى [نظر][5] **ملك المغرب** ـ في أخريات العام ـ **رندة[6] ومربلةً** وما يليهما[7]، وترددت الرسائل بين السلطان وبين **شيخ الغزاة** فأجلت[8] الحال عن مهادنة، ومعاودة للطاعة، فصرف أميرهم أدراجه إلى **العدوة**، وانتقلوا إلى سكنى **وادي آش** على رسم الخدمة والحماية على شروط مقررة[9]، وأوقع السلطان بوزيره، وأعاد الشيخ إلى محله من حضرته، أوائل عام ثمانية وعشرين[10]

---

[1] **في اللمحة: ((من عام)).**
[2] **الموافق لـ 1326م.**
[3] **بالإسبانية Vera؛ وتقع شمال شرق المرية، وبالقرب منها؛ حيث تطل على البحر الأبيض المتوسط. وكتب في اللمحة البدرية: ((ونازل ثغر وبرة)).**
[4] **في اللمحة: ((الضر)).**
[5] **أضيفت هذه الكلمة من اللمحة البدرية؛ حيث كتب: ((نظر السلطان ملك...)).**
[6] **تقع بلدة رندة غربي مالقة.**
[7] **حرفت في ج؛ فكتبت: ((وما آل إليها)). وفي اللمحة: ((إليهما)).**
[8] **في اللمحة: ((وأجلت الحال إلى مهادنة عثمان ابن أبي العلى، وصرف...)).**
[9] **سقطت هذه الكلمة في ك.**
[10] **الموافق لـ 1327م.**

بعده. واستقدم القائد **الحاجب أبا النعيم رضوان** من أعاصم حباليه[1] قتيله، فقام بأمره أحسن قيام. وعبر البحر البحر بنفسه بعد استقرار ملكه في الرابع والعشرين من شهر ذي حجة؛ من[2] عام اثنين وثلاثين وسبعمائة[3]، فاجتمع مع ملك **المغرب** السلطان الكبير **أبي الحسن بن عثمان**، فأكرم نزله، وأصحبه إلى **الأندلس**، وحباه بما لا يحب به ملك تقدمه، من مغربيات[4] الخيل، وخطير الذخيرة، ومستجاد العدة، ونزل[5] الجيش على أثره **جبل الفتح**. وتوجه الحاجب **أبو النعيم** بأكبر إخوة السلطان، مظاهراً على سبيل النيابة، وهيأ[6] الله فتحه، ثم استنقاذه[7] استنقاذه[7] بلحاق السلطان، ومحاولة أمره كما تقدم، فتم ذلك يوم[8] الثلاثاء الثاني عشر لذي الحجة من عام[1] ثلاثة ثلاثة وثلاثين وسبعمائة[2].

---

[1] هكذا في المخطوطين.
[2] سقطت كلمة ((من)) في اللمحة البدرية.
[3] الموافق لـ 1331م.
[4] في اللمحة: ((مقربات)).
[5] نفسه: ((ونازل على أثره...)).
[6] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((هنا)).
[7] في المخطوطين والملكية: ((استقاده)).
[8] في اللمحة: ((في يوم)).

وزراء دولته

وزر له وزير أبيه[3]، وأخذ له البيعة، وهو مثخن[4] بالجراحات، التي أصابته يوم الفتك بأبيه **السلطان أبي الوليد**، ولم ينشب[5] أن أجهز[6] جرح تجاوز عظم الدماغ، بعد مصابرة ألم العلاج الشديد، حسبما يأتي في اسمه، وهو **أبو الحسن علي بن مسعود بن يحيى بن مسعود المحاربي**، وترقى إلى الوزارة والحجابة وكيل أبيه **محمد بن أحمد**[7] **المحروق**، من أهل **غرناطة**، يوم الإثنين غرة شهر رمضان؛ من[8] عام خمسة وعشرين وسبعمائة[9]، ويأتي التعريف بهم. ثم اغتيل[10] بأمره، عشي ثاني يوم من محرم

---

[1] نفسه: ((منم شهر ذي حجة عام...)).
[2] الموافق لـ 1332م.
[3] في اللمحة: وزير أبيه أبو الحسن بن مسعود؛ وأخذ...)).
[4] في ك: ((ثخن)). وفي اللمحة البدرية: ((وهو مثخن بما أصابه من الجراحات يوم...)).
[5] في المخطوطين: ((يتشبث))؛ وصوبت من اللمحة البدرية.
[6] في اللمحة: ((أن أجهز عليه عدواها...)).
[7] نفسه: ((أحمد بن محمد بن المحروق)).
[8] سقطت كلمة ((من)) في اللمحة.
[9] الموافق لـ 1324م.
[10] في اللمحة: ((ثم قتل ثاني يوم من...)).

فاتح تسعة وعشرين وسبعمائة[1]. ثم وزر له، **القائد**[2] **أبو عبد الله ابن القائد أبي بكر عتيق بن يحيى بن المول** من وجوه الدولة، وصدور من يمت بوصله، إلى السابع عشر من رجب؛ من العام، ثم صرف إلى **العدوة**، وأقام رسم الوزارة والحجابة والنيابة[3]، **أبو النعيم** مولى أبيه، [إلى آخر آخر مدته، بعد أن التأث][4] أمره لديه، وزاحمه بأحد المماليك المسمى[5] **بعصام** حسبما يأتي ذكره في موضعه إن شاء الله.

رئيس كتابه

---

[1] **الموافق لـ 1328م.**

[2] **في اللمحة: ((مقربات)).**

[3] **في اللمحة: ((والنيابة مولى أبيه القائد أبوالنعيم رضوان؛ الشهير الديانة والسعادة؛ إلى آخر مدته...)).**

[4] **أي الْتَبس.**

[5] **في اللمحة: ((يسمى عصاماً؛ أياماً يسيرة بين يدي وفاته)).**

كتب له[1] كاتب أبيه قبله وأخيه بعده، شيخنا نسيج وحده، **أبو الحسن علي بن الجياب** الآتي ذكره في موضعه إن شاء الله.

[1] في اللمحة: ((كتب عنه كاتب أبيه وأخيه شيخنا الإمام العلامة الصالح أبو الحسن بن الجياب؛ رحمه الله إلى آخر مدته)).

قضاته

استمرت الأحكام لقاضي أبيه، أخي[1] وزيره، الشيخ الفقيه **أبي بكر بن مسعود[2]**؛ رحمه الله إلى عام سبعة وعشرين وسبعمائة[3]، ووجهه[4] رسولاً عنه إلى **ملك المغرب**، فأدركته وفاته[5] **بمدينة سلا**، فدفن بمقبرة **سلا[6]**. رأيت قبره بها رحمه الله. وتخلف ابنه[7] **أبا يحيى مسعود[8]** عام أحد وثلاثين وسبعمائة[9]، وتولى الأحكام الشرعية القاضي **أبو عبد الله محمد بن يحيى بن بكر الأشعري[10]**، خاتمة الفقهاء، وصدر العلماء، رحمة الله، فاستمرت [له][11] الأحكام إلى تمام مدة أخيه بعده.

---

[1] في اللمحة: ((وأخي)).
[2] نفسه: ((أبي بكر يحيى بن مسعود المحاربي؛ رحمه الله...)).
[3] الموافق لـ 1326م.
[4] في اللمحة: ((فتوجه رسولاً إلى ملك المغرب)).
[5] نفسه: ((وأدركته الوفاة...)).
[6] نفسه: ((شالة)).
[7] نفسه: ((ولده)).
[8] نفسه: ((أبا يحيى مسعود نائباً عنه؛ فاستمرت له الأحكام...)).
[9] الموافق لـ 1330م.
[10] في اللمحة: ((الأشعري المالقي)).
[11] أضيفت هذه الكلمة من الملكية.

أمــه

رومية اسمها **عَلْوَة** وكانت أحظى لداتها[1] عند أبيه، وأم بكره، إلى أن نزع عنها في أخريات أمره، لأمر جرته الدالة، وتأخرت وفاتها عنه إلى مدة أخيه.

من كان على عهده من الملوك بأقطار المسلمين والنصارى.

فبفاس[2]، السلطان الكبير، الشهير، الجواد، خِدْن[3] العافية، وحلف السعادة، وبحر الجود، وهضبة الحلم، **أبو سعيد عثمان بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق؛** الذي بذل[4] المعروف، وقرب الصلحاء والعلماء، وأدنى مكانهم، وأعمل إشارتهم، وأوسع بأعطيته المؤمنين المسترفدين، وعظم قدره، واشتهر في الأقطار صيته،

---

[1] في المخطوطين: ((لذاتها)).
[2] في اللمحة البدرية: ((وأولاً؛ بفاس دار الملك بالمغرب؛ السلطان الشهير الكبير الجواد؛ ولي العافية، وحليف السعادة؛ أبو سعيد عثمان...)).
[3] حرفت في ك؛ فكتبت: ((حون)).
[4] في ج: ((بدا)).

وفشا معروفه، وعرفت بالكف عن الدماء والحرمات عفته، إلى أن توفي يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر ذي القعدة[1]؛ عام أحد وثلاثين وسبعمائة[2]، ثم صار الأمر إلى ولده السلطان، مُقْتفي[3] سننه في الفضل والمجد، وصخامة السلطان، مبراً عليه، بالبأس المرهوب، والعزم الغالب، والجد الذي لا يشوبه هزل، والاجتهاد الذي لا يتخلله[4] راحة، الذي بعد مداه، وأذعن لصولته عداه، واتصلت [ولايته][5] مدته، ومعظم مدة أخيه الوالي بعده.

[1] في اللمحة: ((ذي قعدة)).
[2] الموافق لـ 1330م.
[3] في اللمحة: ((المقتفي سننه في المجد والفضل...)).
[4] غير د. طويل هذه الكلمة؛ فكتبها: ((تتخلله)). وذلك أصوب.
[5] سقطت هذه الكلمة في المخطوطين؛ وأضافها عنان.

وبتلمسان الأمير **عبد الرحمن بن موسى بن يغمراسن**[1]، من **بني عبد الواد**، مشيد القصور، ومروض الغروس[2]، ومُتبنِّك[3] الترف، واتصل[4] إلى تمام مدته، وصدرا من مدة أخيه بعده.

وبتونس الأمير **أبو يحيى، أبو بكر بن الأمير أبي زكريا بن الأمير أبي إسحاق** لبنة تمام قومه، وصقر الجوارح[5] من عشه، وسابق الجياد من حلبته، إلى تمام المدة، وصدراً كبيراً من دولة أخيه بعده.

ومن **ملوك النصارى**[6]، ملك على عهده **الجفرتين**[7] **القنيطية والتاكرونية**[8]، **الطاغية** المرهوب

---

[1] هو أبو تاشفين الأول عبد الرحمن بن أبي حمو الأول موسى بن أبي سعيد عثمان بن أبي يحيى يغمراسن بن زيان. حكم أبو تاشفين الأول من سنة 718هـ/1318م إلى سنة 737هـ/1337م.

[2] في المخطوطين: ((العروس)).

[3] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((متبك))؛ وصوبت من اللمحة البدرية. والتبنك هو: الإقامة في ظل كذا..

[4] كلمة: ((واتصل))؛ سقطت في اللمحة البدرية.

[5] في اللمحة: ((وصقر جوارح متأخريهم؛ إلى تمام مدته،؛ وصدراً كبيراً في دولة أخيه)).

[6] في اللمحة البدرية: ((من ملوك النصارى؛ أولاً بقشتالة: ألفونش بن هراندة ابن شانجة بن الفونش بن هراندة؛ الذي ملك على عهده الجفرتين...)).

[7] في ج: ((الخفرتين)).

[8] في المخطوطين والملكية: ((التاركونية))؛ ويبدو أنها حرفت عن كلمة: ((التاكرونية)).

الشبا، المسلط على دين الهدى، **ألهنشة**[1] **بن هراندة بن شانجه بن ألفش بن هراندة،** الذي احتوى على كثير من **بلاد المسلمين** حتى **الجفرتين**[2] واتصلت أيامه إلى أخريات أيام أخيه، وأوقع بالمسلمين على عهده، وتملك **الجزيرة الخضراء** وغيرها. **وبرغون ألفنش**[3] **بن جايمش بن ألفنش ابن بِطْرُه**[4] **بن جايمش؛** الذي استولى على **بلنسية**[5]، ودام إلى آخر مدته، وصدراً من مدة أخيه. وقد استقصينا من العيون أقصى ما سح به الاستقصاء، وما أغفلناه أكثر، ولله الإحاطة.

---

[1] **يسمى ألفونسو الحادي عشر؛ وهو ملك قشتالة تولى الحكم من سنة 712هـ/1312م إلى سنة 751هـ/1350م.**

[2] **في ج: ((الخفرتين)). ويعتقد عنان أن المؤلف يقصد: فتح النصارى لثغري الجزيرة الخضراء، وطريف؛ لأن كلمة ((الجفر صفة لما اتسع جنباه؛ وهذا ينطبق على المثلث الإسباني المقابل للعدوة المغربية.**

[3] **لاحظ عنان خطأ في قول ابن الخطيب؛ إذ أن المتملك في أراغون في ذلك الوقت هو بيدرو الرابع بن خايمي (جايمش)؛ وهو الذي حكم من سنة 737هـ/1336م إلى سنة 789هـ/1387م.**

[4] **في اللمحة البدرية: ((بيطْرُه بن ألفونش بن بيطره بن جايمش؛ المستولي على بلنسية إلى آخر...)).**

[5] **استولى النصارى على بلنسية سنة 636هـ/1238م.**

مولده

في الثامن من شهر المحرم؛ من عام خمسة عشر وسبعمائة[1].

وفاته

وإلى هذا العهد مات، وغِرت عليه رؤوس الجند، من **قبائل العدوة**، الصدور، وشحنت عليه القلوب غيظاً، وكان شرها لسانه، غير جزوع ولا هياب[2]، فربما يتكلم بملئ فيه[3] من الوعيد الذي لا يخفى على المعتمد به، وفي ثاني يوم من إقلاع **الطاغية** من **الجبل**[4]، وهو يوم الأربعاء الثاني عشر من ذي حجة[5]، وقد عزم على ركوب البحر من **ساحل مربلة**[6]، فهو مع **وادي ياروا** من ظاهر **جبل الفتح**، تخفيفاً للمؤنة، واستعجالا للصدور، وقد أخذت على حركته المراصد. فلما توسط كمين القوم، ثاروا إليه

---

[1] **الموافق لـ 1324م.**
[2] **في اللمحة: ((هيابة)).**
[3] **في المخطوطين والملكية: ((بما فيه)).**
[4] **في اللمحة: ((عن جبل الفتح))؛ والمقصود هو جبل طارق.**
[5] **نفسه: ((ثالث عشر من شهر ذي الحجة...)).**
[6] **سبقت الإشارة إلى بلدة مربلة.**

وهو راكب بغلا أثابه به **ملك الروم**، فشرعوا في عتبه بكلام غليظ، وتأنيب قبيح، وبدأوا بوكيله فقتلوه، وعجل بعضهم بطعنه، وترامى عليه مملوك من مماليك أبيه، زنمة[1] من أخابيث العلوج يسمى **زياناً**، صونع على مباشرة الإجهاز عليه، فقضى لحينه بسفح[2] الربوة الماثلة، يسرة العابر[3] للوادي ممن يقصد **جبل الفتح**[4]، وتركوه بالعراء[5] بادي البوار، مسلوب البزة، سيء المصرع، قد عدت عليه نعمه، وأوبقه[6] سلاحه، وأسلمه[7] وأسلمه[7] أنصاره وحماته. ولما فرغ القوم من مبايعة أخيه السلطان[8] **أبي الحجاج**، صرفت الوجوه يومئذ[9] إلى دار الملك، ونقل القتيل إلى **مالقة**، فدفن على حاله تلك برياضٍ تجاور **منية السيد**، فكانت وفاته ضحوة يوم

---

[1] أي وغد زنيم. وكتب في اللمحة البدرية: ((زنمة؛ من اخابث المعلوجا اسمه زيان؛ صونع على...)).
[2] في اللمحة: ((في سفح)).
[3] في المخطوطين: ((العابرة)).
[4] في اللمحة: ((الجبل)).
[5] في اللمحة: ((بالعراء مسلوب الساتر؛ سيء المصرع)).
[6] نفسه: ((وأوافقه))؛ وصوبت من اللمحة البدرية.
[7] في ك: ((وأسلموه)).
[8] في اللمحة: ((السلطان يوسف؛ صُرفت الوجوه...)).
[9] سقطت كلمة ((يومئذ)) في اللمحة البدرية.

الأربعاء الثالث عشر [لذي حجة؛ من عام][1] ثلاث[2] ثلاث[2] وثلاثين وسبعمائة[3]. وأقيمت على قبره ـ بعد حين ـ حين ـ قبة، ونوه بقبره، وهو اليوم ماثلٌ رهن غربةٍ، وجالب عبرة، جعلنا الله للقائه على حذر وأهبة، وبلوح الرخام الماثل عند رأسه مكتوب: ((هذا قبر السلطان الأجل، الملك الهمام، الأمضى الباسل، الجواد ذي المجد الأثيل، والملك الأصيل، المقدس، المرحوم، **أبي عبد الله محمد** ابن السلطان الجليل، الكبير، الرفيع، الأوحد، المجاهد، الهمام، صاحب الفتوح المسطورة، والمغازي المشهورة، سلالة أنصار **النبي** صلى الله عليه وسلم، أمير المؤمنين[4]، وناصر الدين، الشهيد، المقدس، المرحوم **أبي الوليد [بن فرج]**[5]، **بن نصر**، قدس الله روحه وبرد ضريحه. كان مولده في الثاني لمحرم؛ عام خمسة عشر وسبعمائة[6]، وبويع في اليوم الذي استشهد فيه والده

---

[1] **سقطت هذه العبارة في اللمحة البدرية.**
[2] **جعلها د. طويل: ((ثلاثة))؛ وذلك أصوب.**
[3] **الموافق لـ 1332م.**
[4] **في اللمحة البدرية: ((أمير المسلمين))؛ وهو أصوب.**
[5] **سقطت هذه الكلمة في المخطوطين؛ وأضيفت من اللمحة البدرية.**
[6] **الموافق لـ 1315م.**

رضي الله عنه السادس والعشرين [لرجب؛ عام خمسة وعشرين][1] وسبعمائة[2]، وتوفي رحمه الله في الثالث عشر لذي حجة من عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة[3]، فسبحان من لا يموت))[4]:

يا قبـــر سلطان الشجاعة والنـــدى
فرع الملوك الصيـــد أعلام الهـــدى
وسلالـــةٍ السلـــف الـــذي آثـــاره
وضاحة[5] لمن اقتـــدى ومن اهتـــدى
سلـــفٌ لأنصـــار النـــبي نجـــاره
قد حل منـــه في المكـــارم محتـــدا
متـــوســـط البيـــت قـــد أسستـــ
ـــه ســـادة الأمـــلاك[6] أوحد أوحـــدا

---

[1] ما بين الحاصرتين سقط في المخطوطين؛ بينما هو وارد في اللمحة البدرية.
[2] الموافق لـ 1324م.
[3] الموافق لـ1332م.
[4] البحر الكامل.
[5] في المخطوطين والملكية: ((واضحة))؛ وصوبت من اللمحة البدرية.
[6] نفسهما: ((أملاك))؛ وصوبت من اللمحة البدرية.

بيــتٌ بنــاه[1] محــمــدون ثلاثــةٌ

مــن آل نصــر أورثــوه محمــدا

أودعت وجهاً قــد تهلــل حسنـــه

بــدراً بآفــاق الجلالـــة [قــد بــدا][2]

ونـــداً يســح على العفاة مواهبــاً

مثنى الأيـــادي السابغات وموحـــدا

يبكيك مذعورٌ بـــك استعدى عـــلى

أعدائـــه فسقيتهـــم كـــاس الـــردى

[يبـــكيـــك محتـــاجٌ أتـــاك مؤمـــلا

فغدا وقد شفعــت يداك له اليـــدا][3]

أما سماحـــك فهـــو أســـنى ديـــة[4]

أما جلالـــك فهـــو أسمى مصعـــدا

---

[1] في اللمحـة البدريـة: ((بنـوه)).
[2] نفسـه: ((مـر بـداً))، وفي الملكيـة: ((مبـرداً)).
[3] سقـط هـذا البيـت في المخطوطيـن؛ بينمـا هـو وارد في اللمحـة البدريـة.
[4] في اللمحـة: ((أهمى ديمـة)).

جادت ثـــراك من الإلـــه سحابـــةٌ[1]

لرضاه عنك تجـــود هذا المعهـــدا

[وشر[2] ما تبع هذا السلطان تواطؤ قتلته من **بني أبي العلاء** وأصهارهم وسواهم من شيوخ خدامه، كالوكيل في مدة أخيه بعد، الشيخ الذهول **مسافر بن حركات**[3] وسواه، على اكتتاب عقد [بعد][4] وفاته، بأمور من القول تقدح في أصل الديانة، وأغراض تقتضي إلى الوهن في الدين، وهنات تسوغ إراقة دمه الذي توفرت الدواعي على حياطته، والذب عنه، تولى كبرها شيخنا **أبو الحسن بن الجياب**، مرتكباً منها وصمة[5] محت على غرر فضله إلى كثير من خدامه ومماليكه، وبعثوا بها إلى **ملك المغرب**، فاقتطعت جانب التمهيل والتأخير واللبث

[1] في اللمحة: ((سحائب)).
[2] من هنا؛ وحتى تقفل الحاصرة الأخرى؛ في نهاية الفقرتين المواليتين؛ غير وارد في اللمحة البدرية.
[3] في ك: ((حرطات)).
[4] سقطت هذه الكلمة ف ك؛ بينما وردت في ج.
[5] في ك: ((وصمته)).

عن الحكم، والتعليل عن السماع، وبروز[1] الأغراض، واتباع السيئة أمثالها.

وقد كان رحمه الله من الجهاد[2] وإقامة رسم الدين، بحيث تزل عن هذه الهنات صفاته، وتنكر هذه المذمات[3] صفاته وكان بمكان من العز، وإرسال السجية، ربما عذله الشيخ في بعض الأمر، فيسجم إضجاراً وتمليحاً بإخراجه، ولم يمر إلا الزمان اليسير، وأوقع الله بالعصبة المتمالئة عليه من **أولاد عبد الله**، فسفتهم رياح النكبات، واستأصلت نعمهم أيدي النقمات، ولم تقم لهم من [بعد][4] ذلك قائمة، والله غالب على أمره][5].

وتبعت[6] هذا السلطان نفوس أهل[7] الحرية، ممن له طبع رقيق، وحسٌ[8] لطيف، ووفاءٌ كريم، ممن كان بينه وبين

---

[1] في ك: ((وبدو)).
[2] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((الجياد)).
[3] في ج: المهمات)).
[4] سقطت هذه الكلمة في المخطوطين.
[5] هنا؛ تنتهي الفقرتان اللتان سقطتا في اللمحة البدرية.
[6] في المخطوطين: ((وتبعث)).
[7] في اللمحة: ((أولي)).
[8] نفسه: ((وحسن)).

سطوته دفاعٌ، وفي جو اعتقاده له صفاءٌ، فصدرت[1] مـــراث[2] مؤثـــرة، وأقاويــــل للشجــون مهيجــة، نثبــت[3] منها يسيراً على العادة. فمن ذلك ما نظمه الشيخ الكاتب[4] القاضي **أبو بكر بن شبرين**، وكان على[5] فصاحة فصاحة ظرفه، وجمال روايته، غراب قربه، ونائحة مأتمه، يرثيه ويعرض ببعض من حمل عليه من[6] ناس وخدامه[7]:

استــقــلا ودعـــاني ظائفـــاً بين المغـــاني
وانعمـــا[8] بالصبـــر إني لا أرى مـــا تريـــان

ومن قوله[9]:

عيـــنٌ بكي لميت غـــادروه
في ثراه ملقى وقد غـــدروه

---

[1] في اللمحة البدرية: ((فصدر فيه من التأبين أقاويل...)).
[2] نفسه: ((مداثر)).
[3] سقطت في ج.
[4] سقطت كلمة: ((الكاتب)) في اللمحة البدرية.
[5] في اللمحة البدرية: ((وكان على ظرفه، وحسن روائه؛ غراب ندبة، ونائحة حاتم يرثيه...)).
[6] في اللمحة: ((من حمل عليه من خدامه...)).
[7] مجزوء الرمل.
[8] في المخطوطين والملكية: ((وأقسما)).
[9] البحر الخفيف.

دفنـــوه ولم يصـــل عليـــه

أحـــدٌ منهـــم ولا غسلـــوه

إنما مات يوم[1] مات شهيـــداً

فأقاموا رسماً ولم يقصـــدوه

***

[1] في اللمحـة: ((حيـن)).

محمد بن محمد

[ابن محمد][1] بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن نصر
ابن قيس الخزرجي[2]؛ ثالث الملوك من بني نصر؛
يكنى أبا عبد الله.

أوليته :

معروفة.

حاله

كان من أعاظم أهل بيته، صيتاً وهمة، أصيل المجد، مليح الصورة، عريق الإمارة، ميمون النقيبة، سعيد [النصبة][3] عظيم الإدراك، تهنأ العيش مدة أبيه، وتَمَلَّى[4] السياسة [في][5] حياته، وباشر الأمور بين يديه، فجاء نسيج وحده إدراكاً، ونبلا، وفخاراً، وشأواً[6]. ثم

---

[1] سقطت هذه الكلمة في المخطوطين.
[2] وردت ترجمة محمد بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر الخزرجي كاملة أيضاً في اللمحة البدرية.
[3] سقطت هذه الكلمة في الملكية والمخطوطين؛ وأضيفت من اللمحة.
[4] كتبت في المخطوطين: ((وتملأ)). وفي اللمحة: ((وتملأ السياسة حياته)).
[5] هذه الكلمة أضافها عنان.
[6] في اللمحة: ((وفخامة وبأواً)).

تولى الأمر بعد أبيه فأجراه على ديدنه، وتقبل[1] سيرته، ونسج على منواله، وقد كان الدهر ضايقه في حصته[2]، ونغصه ملاذ الملك [بزمانة، سَدِكَت][3] بعينيه لمداخلة[4] السهر، ومباشرة [أنوار][5] ضخام الشمع، إذ كانت تتخذ له له منها جذوع في أجسادها مواقيت تخبر بانقضاء ساعات الليل، ومضيّ الرّبع[6]، وعلى التزامه؛ لِكِنِّه وغيبوبته في كِسْر بيته، فقد خدمته السعود، وأملت بابه الفتوح، وسالمته الملوك، وكانت أيامه أعياداً. وكان يقرض الشعر، ويصغي إليه، ويثيب عليه، فيجيز[7] الشعراء، ويرضخ للندماء[8]، ويعرف مقادر[9] العلماء، ويواكل[10] الأشراف والرؤساء، [ضارباً][11] في

---

[1] في اللمحة: ((تقيّل)).
[2] في ج: ((عصته)).
[3] بزمانة: أي عاهة أو مرض مزمن، وسدكت: لزمه ذلك المرض.
[4] في اللمحة: ((لمواصلة)).
[5] أضيفت هذه الكلمة من اللمحة البدرية.
[6] هكذا في المخطوطين. وفي اللمحة : ((الهزيع)).
[7] كتبت في ج: ((ويحسن)). وفي ((ك)): يحرز.
[8] في المخطوطين : ((النداد ـ الندا))؛ وصوبت من اللمحة؛ حيث كتب فيها: ((ويرضخ للندامة)).
[9] في اللمحة: ((مقادر)).
[10] في المخطوطين: ((ويوكل)).
[11] سقطت هذه الكلمة في المخطوطين؛ وأضيفت من اللمحة.

كل إصلاح[1] بسهم[2]، مالئاً[3] من كل تجربة وحنكة، حار النادرة، حسن التوقيع، مليح الخط، تغلب[4] تغلب[4] عليه الفظاظة والقسوة.

شعره

كان[5] له شعر مستظرف من مثله، لا بل يفضل به الكثير ممن ينتحل الشعر من الملوك. ووقعت[6] على مجموع له، ألفه بعض خدامه، فنقلت[7] من مطولاته[8]:

واعدني وعدا وقد أخلفا
أقل شيء في المليح[9] الوفا
وحال من عهدي ولم يرعه
ما ضره لَوَ انَّه أنصفا

[1] في اللمحة: ((اصطلاح)).
[2] في المخطوطين: ((((سباهم)).
[3] في اللمحة: ((مليّاً)).
[4] نفسه: ((يغلب)).
[5] نفسه: ((كان شعره مستطرفاً من مثله...)).
[6] نفسه: ((وقفت)).
[7] نفسه: ((فمن بعض المطولات)).
[8] البحر السريع.
[9] في اللمحة البدرية: ((الملاح)).

ما بالهــا لــم تتعطــف عــلى

صاحب[1] لها ما زال مستعطفــا

يستطلــع الأنبــاء من نحوهــا

ويرقــب البــرق إذا ما هفــا

خفيت سقماً عن عيون الــورى

وبان حــبي بعد ما قــد خفــا

للــه كــم مــن ليلــةٍ بتهــا

أديــر من ذاك اللَّــمى قَرْقَفَــا[2]

مَتَّعتــني بالوصل منهــا ومــا

أخْلَفَــتْ وعداً خلت أن يُخلفــا[3]

ومنها:

ملَّكْتُــك [القلب][4] وإني امــرؤٌ

عليّ ملــك الأرض قــد وُقِّفــا

---

[1] في اللمحـة: ((صبّ))؛ وهـذا أسلـم للـوزن. وصب معنـاه: العاشـق الولـهـان. الولـهـان.

[2] القرقـف: هـي الخمـر.

[3] جاء هذا الشطر في اللمحة البدرية هكذا: ((أخلفت عهداً خفت أن يخلفا))

[4] سقطت هـذه الكلمـة في المخطوطين؛ بينمـا وردت في اللمحـة.

أوامري في الناس مسموعــةٌ

وليس مني في الورى أشرفــا[1]

يُرهف سيفي في الوغى متسلطاً[2]

ويُتَّــقَى عزمي إذا ما أرهفــا

وتُرتــجى يُمنــايَ يوم النّــدى

تخالهــا السحب غــدت وُكفــا

نحن ملوك الأرض من مثلنــا

حزنا تليــد الفخر والمطرفــا

نخــاف إقدامــاً ونرجى نــدًى

للـــه مــا أرجى ومــا أخوفــا

لي رايةٌ في الحرب كم غادرت

ربع العدا قاعــاً بها صفصفــا

يا ليت شعري والمــنى جمــة

والدهر يوماً هل يرى منصفــا

---

[1] كتبت في المخطوطين: ((أسرفـا))؛ وصوبت من اللمحة.

[2] في اللمحة: ((مُصْلَتـاً))؛ وهذا أسلم.

هل يَرْتَـــجي العبـــد[1] تداينكـــم
أو يصبـــح الدهـــر له مسعفـــا[2]

مناقبه

وأعظم مناقبه **المسجد[3] الجامع بالحمراء**، على ما هو عليه، من الظرف والتنجيد، والترقيش، وفخامة العمد، وإحكام أتوار الفضة[4]، وإبداع ثراها، ووقف عليه الحمام بإزائه وأنفق فيه مال الجزية[5]، وأغرمها لمن يليه من الكفار، فدوا به[6] زرعاً، نَهَد[7] إليه صائفته[8] لا نتسافه، وقد أهمتهم فتنة، فظهر بها منقبة يتيمة، ومعلوّة[9] فذة، فاق بها من تقدمه، ومن تأخره من قومه.

---

[1] كتبت هذه العبارة في اللمحة: ((هل نرتجى اليوم)).
[2] في ك: ((مضعفا)).
[3] في اللمحة البدرية: ((ابتناء المسجد الأعظم بالحمراء من غرناطة)).
[4] أي أواني الفضة.
[5] في اللمحة: ((جزية اغرمها من يليه...)).
[6] نفسه: ((بها)).
[7] نفسه: ((جهز جيشاً صائفة...)).
[8] أي الجيش الذي يقوم بعمليات عسكري؛ من غزو وغيره في فصل الصيف؛ أما الجيش الذي يقوم بالعمليات نفسها شتاء؛ فيطلق عليه اسم ((الشاتية)).
[9] في ج: ((معلومة)).

جهاده

أغزى الجيش لأول أمره **مدينة المنظر**[1]، فاستولى عليها عليها عنوة، وملك[2] من احتوت عليه المدينة، ومن جملتهم الزعيمة[3] صاحبة المدينة، من أفراد عقائل **الروم**، **الروم**، فقدمت الحضرة في جملة السبي[4]، نبيهة المركب، ظاهرة الملبس، رائقة[5] الجمال، خص بها **ملك المغرب**، فاتخذها لنفسه، وكان هذا الفتح عظيماً، والصيت بمزايه عظيماً بعيداً أنشدني[6].

ما نقل عنه من الفظاظة والقسوة[7]

هجم لأول أمره على طائفة من مماليك أبيه ـ وكان سيء الرأي فيهم ـ فسجنهم في مُطْبق الأريّ من **حمرائه**، وأمسك مفتاح قفله عنده، وتوعد من يرمقهم بقوت بالقتل، فمكثوا أياماً، وصارت أصواتهم تعلو بشكوى

---

[1] يبدو أن هذه المدينة قد اندثرت.
[2] في اللمحة البدرية: ((وتملك من اشتملت عليه؛ ومن جملتهم...)).
[3] نفسه: ((العلجة)).
[4] نفسه: ((من السبي)).
[5] نفسه: ((رائعة)).
[6] هكذا كتبت في المخطوطين؛ ولكن لم يرد بعدها شعر.
[7] هذا العنوان ساقط في اللمحة البدرية.

الجوع، حتى خفتت ضعفاً[1] بعد أن اقتات آخرهم موتاً من لحم من سبقه، وحملت الشفقة حارساً كان برأس المُطبق، على أن طرح لهم خبزاً يسيراً، تنقص أكله مع مباشرة بلواهم، ونُميَ إليه ذلك، فأمر بذبحه على حافة الجب، فسالت عليهم دماؤه وقانا الله مصارع السوء، وما زالت المقالة[2]عنها شنيعة، والله أعلم بجريرتهم لديه.

وزراؤه

بقي[3] على خطة الوزارة. وزير أبيه **أبو سلطان[4] عزيز عزيز ابن علي بن عبد المنعم الداني**، الجاري ذكره بحول الله في محله، متبرماً بحياته إلى أن توفي، فأنشد عند موته[5]:

مـــات أبـــو زيـــد فواحسرتـــا

إن لم يكن[6] مـــات من جمعـــة

[1] كتبت في المخطوطين: ((خفضت))، وفي الملكية: ((خففت))؛ وصوبها عنان.
[2] حرفت في المخطوطين، والملكية؛ فكتبت: ((المالقة)).
[3] في اللمحة البدرية: ((أبقى)).
[4] نفسه: ((وهو الشيخ الوزير أبو سلطان)).
[5] البيتان المروايان لم يردا في اللمحة البدرية. وهما من البحر السريع.
[6] أضاف د. طويل هنا كلمة ((قد))؛ لسلامة الوزن.

مصيبـــة لا غفــر اللـــه لـــي
أن كنـــت أجريـــت لها دمعـــة

وتمادى[1] بها أمره، [[2]يقوم بها حاشيته، وقد ارتاح إليها متوليها بعده، المترفع[3] بدولته، القائد الشهير، البهمة **أبو بكر بن المول**؛ حدث قارئ العشر من القرآن بين يدي السلطان، ويعرف **بابن بكرون**، وكان شيخاً متصاوناً ظريفاً، قال: عزم السلطان على تقديم هذا الرجل وزيراً، وكان السلطان يؤثر الفال، وله في هذا المعنى وساوسٌ ملازمة، فوجه إلي الفقيه الكاتب صاحب القلم الأعلى يومئذ، **أبو عبد الله بن الحكيم** المستأثر بها دونه، والمتلقف لكرتها قبله، وخرج لي عن الأمر، وطلب مني أن أقرأ آياً يخرج فألها عن الغرض، قال فلما غدوت[4] لشأني تلوت بعد التعوذ قوله عز وجل: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا، وَدُّوا مَا**

[1] في اللمحة: ((وتمادى أمره برهة)).
[2] من هنا؛ وإلى الكلمة التي تقفل عندها الحاصرة الأخرى؛ غير وارد في اللمحة البدرية.
[3] كتبت في المخطوطين والملكية: ((المتوقع)).
[4] في المخطوطين: ((عدوت))

عَنِتُّمْ، قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِم...﴾.[1] إلى قوله: ((لنا...))[2] " فلما فرغت الآية، سمعته حاد عن رأيه الذي كان أزمعه][3]. وقدم[4] للوزارة كاتبه **أبا عبد الله بن الحكيم** في ذي قعدة من عام ثلاثة وسبعمائة[5]. وصرف إليه تدبير[6] تدبير[6] ملكه، فلم يلبث أن تغلب على أمره، وتقلد جميع[7] شئونه، حسبما يأتي في موضعه إن شاء الله.

---

[1] **الآية كاملة هكذا: (يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا بطانَةً مِنْ دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً، وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ، قَدْ بَدَتِ البَغْضَاءُ مِنْ أفوَاهِهِم وَمَا تخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إنْ كُنْتُمْ تعقلونَ). سورة آل عمران؛ الآية: 118.**

[2] **يقصد إلى قوله تعالى في الآية الكريمة فيما بعد: (ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الغَمِّ أَمَنَةً نُعَاساً يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ باللَّهِ غَيْرَ الحَقِّ ظَنَّ الجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لاَ يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ القَتْلُ إلى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُور). سورة آل عنران؛ الآية: 154.**

[3] **إلى هنا؛ تنتهي الفقرة المحصورة بين حاصرتين؛ والتي سقطت من اللمحة البدرية.**

[4] **في اللمحة: ((أنهض للوزارة كاتبه وكاتب أبيه الوزير الصدر الحاج المحدث أبا عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن الحكيم اللخمي الرُّنْدي في ذي قعدة...)).**

[5] **الموافق لـ 1303م.**

[6] **في اللمحة: ((تدبيره، وألقى في يده أزمَّة الملك؛ فلم يلبث أن تغلب...)). تغلب...)).**

[7] **نفسه: ((كافة)).**

كتابـه

استقـل برياسته[1] وزيـره المذكـور، وكـان ببابـه مـن كتابه[2] جملةٌ تباهى بهـم دسـوت[3] الملـوك، أدبـاً وتفنناً وفضـلاً وظرفـاً، كشيخنـا تلـوه وولـي[4] الرتبـة الكتابيـة مـن[5] بعـده، وفاصـل الخطبـة علـى أثـره. وغيـره ممـن يشـار إليـه فـي تضاعيـف الأسمـاء، كالشيـخ الفقيـه القـاضي **أبي بكـر بـن شبريـن**[6]، والوزير الكاتـب **أبي عبـد الله بن عاصـم**، والفقيـه والفقيـه الأديـب **أبي إسحـاق بـن جابر**. والوزيـر الشاعـر المفلـق **أبي عبـد الله اللـوشي**[7]، مـن كبـار القادميـن عليـه، والفقيـه الرئيـس **أبي محمـد الحضرمي**، والقـاضي الكاتـب[8]

---

[1] **في اللمحـة: ((برياسة القلم الأعلى؛ وزيره؛ وكان كتابه جملة...)).**
[2] **في المخطوطيـن: ((كتـاب)).**
[3] **في اللمحـة: ((بهـم الـدول؛ أدبـاً وتفننـاً...)).**
[4] **نفسـه: ((ولـي)).**
[5] **كلمـة ((مـن)) سقطت في اللمحـة البدريـة.**
[6] **حرفـت في ج وفي ك؛ فكتبـت: ((بشريـن)).**
[7] **في اللمحـة: ((اللـوشي، والرئيـس أبي محمـد...)).**
[8] **كلمـة ((الكاتـب)) سقطت في اللمحـة البدريـة.**

أبي الحجاج الطرطوشي، والشاعر المكثر **أبي العباس القَرَّاق**[1]**،** وغيرهم.

قضاته

استمرت ولاية قاضي [أبيه][2] الشيخ الفقيه **أبي عبد الله محمد**[3] **بن هشام الألشي**[4] قاضي العدل، وخاتمة أولي[5] أولي[5] الفضل، إلى أن توفي عام أربع[6] وسبعمائة[7]. وتولى وتولى له القضاء، القاضي **أبو جعفر أحمد بن محمد بن أحمد [بن محمد بن أحمد]**[8] **القرشي المنبور**[9] **بابن فركون،** **فركون**، وتقدم التعريف به، والتنبيه على فضله، إلى آخر أيامه.

---

[1] في ك: ((العراق))، وفي الملكية: ((الفراقى)). وفي اللمحة البدرية: ((بن القراق)).
[2] سقطت هذه الكلمة في المخطوطين؛ بينما وردت في اللمحة البدرية.
[3] وفي اللمحة البدرية: ((محمد بن محمد بن هاشم...)).
[4] نسبة إلى بلدة ألش؛ وتسمى بالإسبانية Elche. وتتواجد هذه البلدة بالقرب من بلدة أريولة في شرق الأندلس. وهي الآن مصيف جميل؛ يتميز بغابات النخيل.
[5] في اللمحة: ((ألي)).
[6] صوبها د. طويل؛ فجعلها ((أربعة))؛ وذلك أصوب.
[7] الموافق لـ 1304م.
[8] ما كتب بين الحاصرتين ساقط في ك.
[9] في المخطوطين؛ كتبت: ((المنبوز))؛ وفي اللمحة: ((المنبز))، وفي الملكية: ((الملقب)). والمنبور: هو المعروف والشهير؛ بينما ((النبز)) هو اللقب الكريه في الغالب.

من كان على عهده من الملوك بالأقطار[1]

وأول ذلك **بفاس**، كان على[2] عهده بها، السلطان الرفيع القدر، السامي الخطر، المرهوب الشبا، المستولى في العز وبعد الصيت على المدى، **أبو يعقوب يوسف بن يعقوب المنصور، ابن عبد الحق**، وهو الذي وطّدَ **الدولة المرينية**[3]، وجبا الأموال العريقة[4]، واستأصل من تُتَّقَى[5] شوكته من القرابة وغيرهم، وجاز إلى **الأندلس** في أيام أبيه وبعده، غازياً، ثم حاصر **تلمسان**، وهلك عليها في أوائل ذي قعدة؛ عام ستة وسبعمائة[6]، [فكانت دولته إحدى وعشرين سنة وأشهراً][7]. ثم صار الأمر إلى حافده **أبي ثابت عامر ابن الأمير أبي عامر عبد الله بن يوسف ابن يعقوب** بعد اختلاف وقع، ونزاع انجلى[8] عن قتل

---

[1] في اللمحة البدرية: ((من كان من الملوك على عهده)).
[2] نفسه: ((كان ملاكاً بها على عهده السلطان الرفيع القدر...))
[3] كلمة ((المرينية)) سقطت في اللمحة البدرية.
[4] في اللمحة البدرية: ((العريضة)).
[5] نفسه: ((يتَّقي)).
[6] الموافق لـ 1306م.
[7] ما بين حاصرتين سقط في اللمحة البدرية.
[8] في اللمحة: ((انجلى الأمر فيه عن قتل...)).

جماعة من كبارهم[1] منهم[2] الأمير **أبو يحيى ابن السلطان أبي يوسف**، والأمير **أبو سالم ابن السلطان أبي يعقوب**، واستمر الأمر للسلطان[3] **أبي ثابت** إلى صفر[4] من عام ثمانية وسبعمائة[5]، وصار الأمر[6] إلى أخيه **أبي الربيع سليمان** تمام مدة[7] ملكه وصدرا من دولة أخيه **نصر**[8]، حسبما يذكر في موضعه إن شاء الله.

وبتلمسان الأمير **أبو سعيد عثمان [بن يغمراسن]**[9] ثم أخوه[10] **أبو عمران**[11] **موسى**[1]، ثم ولده **أبو تاشفين تاشفين عبد الرحمن**[2] إلى [آخر][3] مدة أخيه[4].

---

[1] في اللمحة: ((أكابرهم)).
[2] حرفت في المخطوطين والملكية؛ فكتبت: ((سلم - ((بلم)).
[3] في اللمحة: ((بالسلطان)).
[4] نفسه: ((إلى شهر صفر عام...)).
[5] الموافق لـ 1308م.
[6] في اللمحة: ((وصار الأمر بعده إلى...)).
[7] كلمة ((مدة)) سقطت في اللمحة البدرية.
[8] في اللمحة البدرية: ((أخيه نصر بعده حسبما يذكر)).
[9] ورد بدلها في ج: ((ثم يغمر أخيه)).
[10] هنا خطأ؛ لأن السلطان الآتي ذكره ابن السلطان أبي سعيد عثمان؛ وليس أخيه كما جاء. ولقبه هو أبو حمو الأول. ويبدو أن ما ورد في اللمحة البدرية أقرب إلى الصحة.
[11] في اللمحة البدرية: ((أخوه أبو زيان، ثم أبوه الأمير أبو حمو؛ ثم ولده الأمير أبو تاشفين)).

[1] اسمه أبو حمو موسى الأول. حكم من 707هـ/1308م إلى 718هـ/1318م؛ وذلك بعد أخيه محمد أبو زيان؛ حكم من 703هـ/1303م إلى 707هـ/1308م؛ وقد أغفله ابن الخطيب.

[2] هو أبو تاشفين الأول عبد الرحمن بن موسى بن عثمان بن يغمراسن؛ حكم من 718هـ/1318م إلى 737هـ/1337م.

[3] سقطت هذه الكلمة في المخطوطين؛ بينما وردت في اللمحة البدرية.

[4] في اللمحة البدرية: ((آخر مدته)).

وبتونس[1]، السلطان الفاضل، الميمون النقيبة. المشهور الفضيلة، **أبو عبد الله محمد**[2] **بن الواثق يحيى بن المستنصر أبي عبد الله بن الأمير أبي زكريا بن أبي حفص**، من أولي[3] العفة، والنزاهة[4]، والتؤدة والحشمة، والعقل، عني بالصالحين[5]، واختص **بأبي محمد المرجاني**، [فأشار بتقويمه][6]، وظهرت[7] عليه بركته، [وكان يرتبط إليه، ويقف في الأمور عنده، فلم تعدم الرعية بركة ولا صلاحاً في أيامه][8]، إلى أن هلك في ربيع الآخر عام تسعة وسبعمائة[9]، ووقعت بينه وبين هذا الأمير المترجم به[10] المراسلة والمهاداة.

---

[1] في اللمحة البدرية: ((وبتونس؛ كان أميراً بتونس على عهد السلطان الفاضل أبو عبد الله...)).

[2] هو أبو عبد الله (أبو عصيدة) ابن الواثق: حكم من سنة 694هـ/1295م إلى سنة 709هـ/1309م.

[3] في اللمحة: ((ألي)).

[4] سقطت كلمة ((والنزاهة)) في اللمحة البدرية.

[5] في اللمحة البدرية: ((والتؤدة والفضل والحشمة والعقل والعناية بالصالحين؛ اختص منهم بأبي محمد...)).

[6] ما بين حاصرتين سقط في اللمحة البدرية.

[7] في اللمحة: ((فظهرت)).

[8] ما بين حاصرتين سقط في اللمحة البدرية.

[9] الموافق لـ 1309م.

[10] في اللمحة البدرية: ((المترجم به من بني نصر المراسلة...)).

وبقشتالة[1]**، هراندة بن شانجة بن أدفونش**[2] **بن هراندة**[3]**،** [المستولي على **إشبيلية وقرطبة، ومرسية، وجيان**، ولا حول ولا قوة إلا بالله][4]. هلك أبوه وتركه صغيراً، مكفولا على عادتهم، فتنفس المخنق، وانعقدت السلم، واتصل الأمان مدة أيامه، وهلك في دولة أخيه.

وبرغون، جايمش[5] **بن ألفنش بن بِطْرُه**[6]**.**

الأحداث[7]

في عام ثلاثة وسبعمائة نَقِم[8] على قريبه الرئيس **أبي أبي الحجاج بن نصر** الوالي[9] بمدينة **وادي آش**[10]**،** [أمراً[11]

---

[1] في اللمحة: ((وبقشتالة؛ كان على عهده من ملوك قشتالة هراندا...)).
[2] نفسه: ((ألفونش)).
[3] اسمه هو فرناندو الثالث؛ المعروف بالقديس فرناندو San Fernando Fernando
[4] ما بين حاصرتين سقط في اللمحة البدرية)).
[5] في اللمحة: ((الطاغية جايمش بن الهونشة...)).
[6] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((نصره)).
[7] في اللمحة: ((بعض الأحداث)).
[8] نفسه: ((ثار على قريبه الرئيس أبو الحجاج...)).
[9] سقطت كلمة ((الوالي)) في اللمحة.
[10] كتبت في المخطوطين: ((واداش)).
[11] من هنا؛ وإلى الحاصرة الأخرى المالية؛ ساقط في اللمحة البدرية.

أوجب عزله عنها، وكان مقيماً بحضرته فاتخذ [الليل] جملاً[1] وكان أملك بأمرها، وذاع الخبر، فاستركب الجيش، وقد حد ما ينزل في استصلابه، وجدد الصكوك بولايته خوفاً من اشتعال الفتنة، وقد أخذ على يديه، وأغرى أهل المدينة بحربه، فتداعوا لحين شعورهم باستعداده وأحاطوا به، فدهموه وعاجلوه، فتغلبوا عليه، وقيد إلى بابه أسيراً مصفداً، فأمر أحد أبناء عمه فقتله صبراً، وتملا فتحاً كبيراً، وأمن فتنة عظيمة**]**[2]، وفي شهر[3] شوال؛ من عام خمسة وسبعمائة[4]. قرع الأسماع النبأ العظم[5]، الغريب من تملك **سبتة**[6] وحصولها في قبضته[7]، وانتزاعها من يد[1] رئيسها **أبي طالب عبد الله بن**

---

[1] كلمة: ((الليل)) أضافها عنان؛ لكي يتضح المعنى. ويبدو أن الناسخ أسقطها سهوا منه. وهذا التعبير مثل عربي؛ يستعمل؛ للدلالة على من ((سار تحت جنح الليل لقضاء حاجته؛ ولم ينم حتى أنجزها)). وورد هذا المثل غير مرة في كتب الأحاديث النبوية. ويظهر أن ابن الخطيب يحب استعماله؛ كما يقول أيضاً: ((ركبت الليل)).

[2] إلى هنا؛ حيث تختم الحاصرة الفقرة؛ غير وارد في اللمحة البدرية.

[3] سقطت كلمة ((شهر)) في اللمحة البدرية.

[4] الموافق لـ 1305م.

[5] سقطت كلمة ((العظم)) في اللمحة البدرية.

[6] في اللمحة البدرية: ((من تملكه مدينة سبتة)).

[7] نفسه: ((قبضة ملكه)).

بن أبي القاسم، الرئيس الفقيه، ابن الإمام المحدث **أبي العباس العزمي** حسبما يتقرر في اسم الرئيس الفقيه **أبي طالب** إن بلغنا الله ذلك، واستأصل ما كان لأهلها[2] من الذخائر والأموال، ونقل رؤساءها، وهم عدة، إلى حضرته **غرناطة** في غرة المحرم من العام، فدخلوا عليه، وقد احتفل بالملك، واستركب في الأبهة الجند، فلثموا أطرافه، واستعطفه[3] شعراؤهم بالمنظوم من القول، وخطباؤهم بالمنثور منه، فطمأن روعهم[4] وسكن جأشهم، وأسكنهم في جواره، وأجرى عليهم الأرزاق الهلالية، وتفقدهم في الفصول إلى أن كان من أمرهم ما هو معلوم.

اختلاعه

في يوم عيد الفطر؛ من عام ثمانية وسبعمائة[5] أحيط بهذا السلطان، وأتت[1] الحيلة عليه، وهو مصاب بعينيه،

---

[1] نفسه: ((يدي)).
[2] في اللمحة: ((لرؤسائها من الخزائن والذخائر؛ ونقلهم وهم عدّة...)).
[3] نفسه: ((واستعطفته)).
[4] في المخطوطين: ((روحهم)).
[5] الموافق لـ 1308م.

مقعدٌ في كنه، فداخلت طائفة من وجوه[2] الدولة أخاه، وفتكت بوزيره الفقيه **أبي عبد الله بن الحكيم**، ونصبت للناس الأمير **أبا الجيوش نصراً** أخاه، وكبست[3] منزل السلطان، فأحيط به، وجعل الحرس [عليه][4]، وتسومع بالكائنة فكان[5] البهت، وسال من الغوغاء البحر، فتعلقوا **بالحمراء**، يسألون عن الحادثة، فشغلوا بانتهاب[6] دار الوزير، وبها من مال الله ما يفوت الوصف، وكان الفجع في إضاعته على المسلمين، وإطلاق الأيدي الخبيثة عليه عظيماً، وفي آخر اليوم عند الفراغ من الأمر، دخل[7] على السلطان المخلوع، الشهداء، عليه بخلعه، بعد نقله من دار ملكه إلى دار أخرى، فأملى رحمه الله، زعموا، وثقية خلعه، مع شغب الفكر، وعظم الداهية،

---

[1] في اللمحة: ((تمَّت)).
[2] في اللمحة البدرية: ((كبار)).
[3] نفسه: ((وَكُبِسَ)).
[4] لم ترد في المخطوطين؛ وأضافها عنان. وفي اللمحة البدرية: ((وجعل عليه الحرس)).
[5] في اللمحة البدرية: ((فوقع)).
[6] في ك: ((بإنتهاب)). وفي اللمحة البدرية: ((بأنهاب دور الوزير الكائنة بالربض؛ وبها...)).
[7] في اللمحة البدرية: ((أدخل على السلطان قوم من الفقهاء؛ أشهدهم بخلع نفسه؛ ونقل إلى القصر المنسوب إلى السيد...)).

وانتقل رحمه الله بعد، إلى القصر المنسوب إلى **السيد**[1] بخارج الحضرة، أقام به يسيراً، ثم نقل إلى **مدينة المنكب**، وكان من أمره ما يذكر إن شاء الله.] ومما[2] يؤثر من ظرفه، حدث من كان منوطاً به من خاصته، مدة أيام إقامته **بقصر نجد**، قبل خلعه، قال: أرسل الله[3] الأغربة على سقف القصر، وكان شديد التطير والقلق لذلك حسبما تقدم من الإشارة إلى ذلك بحديث العشر، وكان من جملتها[4] غرابٌ[5]، شديد الإلحاح، حاد النعيب والصياح، فأغرى به الرماة من مماليكه بأنواع القسى، فأبادوا من الغربان[6] أمة، وتخطأ الحتف ذلك الغراب الخبيث العبقان[7]، فلما انتقل إلى سكنى **الحمراء**، ظهر ذلك الغراب على سقفه، ثم لما أهبط مخلوعاً إلى **قصر**

---

[1] سبق التعريف بهذا القصر.
[2] هذه الفقرة المحصورة - بداية من هنا - بين حاصرتين؛ سقطت في اللمحة البدرية.
[3] في ك: ((تعالى)).
[4] في المخطوطين: ((جملتهم)).
[5] نفسهماه: ((غريب)).
[6] نفسهما: ((غربان)).
[7] حرفت هذه الكلمة في ج؛ فكتبت: ((العبتاق))؛ وهي ساقطة في ك. والصحيح: ((العبقان))؛ التي تعني: السيء الخلق..

شنيل[1] تبعه، وقام في بعض السقف أمامه، فقال[2] يخاطبه رحمه الله: يا مشئوم، يا محروم بين الغربان، قد خلصت أمرنا، ولم يبق لك علينا طلب، ولا بيننا وبينك كلام، إرجع إلى هؤلاء المحارم فاشتغل بهم، قال، فأضحكنا على حال الكآبة بعذوبة منطقه، وخفة روحه**]**[3].

وفاته

قد تقدم ذكر استقراره **بالمنكب**، وفي أخريات شهر جمادى الآخرة؛ عام[4] عشرة وسبعمائة[5]، أصابت السلطان السلطان **نصراً**[6] سكتةٌ، توقع منها موته، بل شك في حياته، فوقع التفاوض الذي تمحض[7] إلى[8] التوجيه عن السلطان المخلوع الذي **بالمنكب** ليعود إلى[9] الأمر، فكان

---

[1] ما تزال بقايا هذا القصر قائمة إلى الآن في غرناطة؛ وهي المعروفة أيضاً بقصر السيد؛ السابق الذكر.
[2] في ج: ((فقام)).
[3] هذه نهاية الفقرة الساقطة في اللمحة البدرية.
[4] في اللمحة البدرية: ((من عام)).
[5] الموافق لـ 1310م.
[6] سقطت كلمة ((نصرا)) في اللمحة البدرية.
[7] حرفت في ج؛ فكتبت: ((تمخص)).
[8] في اللمحة: ((عن)).
[9] نفسه: ((له)).

ذلك وأسرع إلى إيصاله[1] إلى **غرناطة** في محفة، فكان حلوله بها في رجب[2] من العام المذكور. وكان من قدر الله، أن أفاق أخوه من مرضه، ولم يتم للمخلوع الأمر، فنقل من الدار التي كان بها إلى دار أخيه الكبرى، فكان آخر العهد به. ثم شاعت وفاته أوائل شوال من العام المذكور، فذكر أنه اغتيل غريقاً في البركة في الدار المذكورة لما توقع من عادية[3] جواره، ودفن **بمقبرة السبيكة**، مدفن قومه، بجوار[4] **الغالب بالله** جده، ونوه بجدثه وعليه مكتوب ما نصه[5]:((هذا قبر السلطان الفاضل، الإمام العادل، علم الأتقياء، أحد الملوك الصلحاء، المخبت[6] الأواه، المجاهد في سبيل الله، الرضي الأورع، الأخشى الله الأخشع، المراقب[7] في السر والإعلان، المعمور الجنان بذكره واللسان، السالك في

---

[1] في ك : ((أصالة)). وفي اللمحة البدرية: ((وأسرع به إلى)).
[2] في اللمحة البدرية: ((في غرة شهر رجب)).
[3] كتبت في ك: ((علاديته)).
[4] في اللمحة البدرية: ((وبجوار)).
[5] نفسه: ((ما نصه من جانب)).
[6] نفسه، وفي ك: ((المبخت)). والمخبت؛ معناه: المطيع.
[7] نفسه: ((المراقب لله في السر...))

سياسة الخلق وإقامة الحق، منهاج[1] التقوى والرضوان، كافل الأمة بالرأفة[2] والحنان، الفاتح لها بفضل سيرته، وصدق سريرته، ونور بصيرته، أبواب اليمن والأمان، المنيب الأواب، العامل[3] ما يجده نوراً مبيناً يوم الحساب، ذي الآثار السنية، والأعمال الطاهرة[4]، القائم في جهاد الكفار بماضي العزم وخلص النية، المقيم[5] قسطاس العدل، المنير[6] منهاج الحلم والفضل، حامي الذمار، وناصر دين المصطفى المختار، المقتدي بأجداده الأنصار، المتوسل بفضل[7] ما أسلفوه من أعمال البر والجهاد، ورعاية العباد والبلاد، إلى الملك القهار: أمير المسلمين، وقامع المعتدين، المنصور بفضل الله، **أبي عبد الله، ابن أمير المسلمين الغالب بالله**، السلطان الأعلى، إمام الهدى، وغمام[8] الندى، محيي السنة، حسن الأمة[9]،

---

[1] نفسه: ((منهج)).
[2] في اللمحة البدرية: ((بالكرامة)).
[3] نفسه: ((العامل بكل...)).
[4] نفسه: ((الطاهرة العلية)).
[5] نفسه: ((مقيم)).
[6] نفسه: ((منير)).
[7] نفسه: ((بما)).
[8] نفسه: ((غمام)).

الأمة[1]، المجاهد في سبيل الله، **الناصر لدين الله، أبي عبد الله، ابن أمير المسلمين الغالب بالله، أبي عبد الله بن يوسف بن نصر**، كرم الله وجهه ومثواه، ونعمه برضاه. ولد رضي الله عنه يوم[2] الأربعاء الثالث لشعبان المكرم؛ [من عام خمسة وخمسين وستمائة[3]. وتوفي قدس الله روحه، وبرد ضريحه، ضحوة يوم الإثنين الثالث لشوال؛ عام ثلاثة عشر][4] وسبعمائة، رفعه الله إلى منازل أوليائه الأبرار، وألحقه بأئمة الدين[5]، لهم عقبى الدار، وصلى الله على سيدنا[6] **محمد** المختار، وعلى آله، وسلم تسليماً)). ومن الجانب الآخر[7]:

رضى الملك الأعلى يروح ويغتـــدي

على قبـــر مولانـــا الإمـــام المؤيـــد

---

[1] نفسه: ((ومعز الملة)).

[2] في اللمحة البدرية: ((في يوم)).

[3] الموافق لـ 1257م.

[4] ما بين الحاصرتين ورد في اللمحة البدرية؛ بينما سقط في النسخ الثلاث.

[5] في اللمحة البدرية: ((بأئمة الحق الذين لهم عقبى...)).

[6] نفسه: ((سيدنا ومولانا وآله وصحبه وسلم تسليماً)).

[7] البحر الطويل.

مقرّ[1] العُلى والملك والبــأس والنــدى

فقــدس من مغــنى كريــم ومشهــد

ومثوى الهدى والفضل والعــدل والتــقى

فبورك من مثــوى زكــي وملحــد

فيــا عجبــاً طــود الوقــار جلالــة

ثوى تحت أطباق الصفيــح المنضــد

وواسطة العقــد الكريــم الــذي لــه

مآثــر فخــر[2] بين مثــنى وموحــد

محمــد الــرضيُّ سليــل محمــد

إمام النّــدَى[3] نجــل الإمــام محمــد

فيا نخبــة الأمــلاك غيــر منــازعٍ

ويــا علــم الأعــلام غيــر مفنــد

بكتــك بلادٌ كنــت تحــمي ذمارهــا[4]

بعــزمٍ أصيــلٍ أو بــرأي مســدد

---

[1] في ك: ((قصر)).
[2] في اللمحة: ((مجد)).
[3] نفسه: ((الهدى)).
[4] نفسه: ((ثغورها)).

وكم معلم للديـــن أوضحـــت رسمـــه

بنى[1] لك في الفردوس أرفع مصعــد

كأنـــك ما سســـت البـــلاد وأهلهـــا

بسيـــرة ميمـــون النقيبـــة مهتــد

كأنك ما قـــدت الجيـــوش إلى العـــدا

فصيرتهـــم نهـــب القنـــا المتقصـــد

وفتحـــت من أقطارهـــم كل مبهـــم

فتحـــت بـــه بـــاب النعيـــم المخلـــد

كأنك ما أنفقت عمرك في الـــرضى

بتجديـــد غَـــزْوات[2] وتشييـــد مسجـــد

وإنصاف مظـــلومٍ وتأميـــن خائـــفٍ

وإصراخ مذعـــورٍ وإسعـــاف مجتـــد

كأنـــك مـــا أحييـــت للخلـــق[3] سنـــة

تجـــادل عنهـــا باللســـان وباليـــد[4]

---

[1] سقطت هذه الكلمة في المخطوطين؛ بينما كتبت في الملكية: ((يكن)).
[2] في اللمحة: ((غزو أو بتشييد...)).
[3] نفسه: ((للحق)).
[4] نفسه: ((بالحسام المهند)).

كأنــك ما أمضيت في اللــه عزمــة

تدافــع فيهــا بالحســام المهنــــد

فإن تجهــل الدنيــا عليــك وأهلهــا

بــذاك[1] ثــوب[2] الله يلقــاك في غــد

تعوضــت ذخراً من مقــام خلافــة

مقيــمٍ منيــبٍ خاشــــع متعبــــد

وكل الــورى من كان أو هو كائــنٌ

صريع الــردى إن يكن فكــأن قَــدِ[3]

فــلا زال جــاراً للرســول محمــد

بدار نعيمٍ في رضـــى اللـــه سرمــد

وهذي القــوافي قد وفيــت بنظمهــا

فيا ليت شعري هل يصيــخ[4] لمنشــد

***

---

[1] في اللمحـة: ((فـذاك)).

[2] نفسـه: ((ثـواب))؛ وهـذا أسلـم.

[3] ورد هـذا الشطـر في اللمحـة البدريـة هكـذا:

((صريـع الـردى إن لـم يجـز فكـأن قـدِ)). وهـذا أسلـم.

[4] كتبـت في ك: ((يصبـح))، وفي اللمحـة البدريـة: ((تصيـخ)).

محمد بن محمد

ابن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر الأنصاري الخزرجي[1]؛ ثاني الملوك الغالبين[2] من بني نصر، وأساس[3] أمرهم، وفحل جماعتهم.

أوليته

تقرر بحول الله في اسم أبيه؛ الآتي بعد؛ حسب الترتيب المشترط.

حاله

من **كتاب طُرْفة[4] العصر** من تأليفنا، كان هذا السلطان أوحد الملوك جلالة وصرامة، وحزماً[5]. مهد الدولة[6]، ووضع ألقاب خدمتها، وقرر[7] مراتبها، واستجاد واستجاد أبطالها، وأقام رسوم الملك فيها، واستدر جباياتها، مستظهراً على ذلك، بسعة الذرع،

---

[1] وردت ترجمة محمد بن محمد بن يوسف بن نصر الخزرجي كاملة أيضاً في اللمحة البدرية.
[2] سقطت كلمة ((الغالبين)) في اللمحة البدرية.
[3] فياللمحة البدرية: ((وعظيمهم وأساس أمرهم...)).
[4] حرفت في ك؛ فكتبت: ((ظرف)).
[5] في ك: ((جزما)).
[6] في اللمحة البدرية: ((مَمَهِّد الدولة الذي وضع ألقاب...)).
[7] نفسه: ((قدَّر)).

وأصالـة السياسـة، ورصانة[1] العقـل، وشـدة الأسـر[2] ووفـور الدهـاء، وطـول الحنكة، وتملؤ[3] التجربـة، مليـح الصـورة، تـام الخلق، بعيـد الهمـة، كريـم[4] الخلـق، كثيـر الأنـاة. قـام بالأمـر بعـد أبيـه، وباشـره مباشـرة الوزيـر أيـام حياتـه، فجـرى علـى سنـن أبيـه، مـن اصطنـاع أجناسـه، ومـداراة عـدوه، وأجـرى[5] صدقاتـه، وأربـى[6] عليه بخلال، بخلال، منها براعـة الخط، وحسـن التوقيـع، وإيثـار العلمـاء، والأطبـاء[7]، والعدليـن[8]، والحكمـاء، والكتـاب، والشعـراء، وقـرض الأبيـات الحسنة[9]، وكثـرة الملـح، وحـرارة النـادرة. وطمـا بحرٌ مـن الفتنـة لأول استقـرار[10] أمـره، وكثـر[11] عليـه المنتزون والثـوار، وارتجـت **الأندلـس**، وسـط أكلـب[12]

---

[1] كتبت في الملكيـة: ((ورزانـة)).
[2] في ج: ((الأمـور))؛ وقد صوبت مـن اللمحـة البدريـة.
[3] في المخطوطين والملكيـة: ((وتلـو))؛ وصوبت مـن اللمحـة البدريـة .
[4] في ج: ((كثيـر)).
[5] في اللمحـة البدريـة: ((وإجـراء صدقاتـه)).
[6] كتبت في الملكيـة: ((وأوفى)).
[7] في اللمحـة البدريـة: ((مـن الأطبـاء والمنجميـن والحكمـاء...)).
[8] نفسـه: ((المنجميـن)).
[9] نفسـه: ((الأبيـات مـن الشعـر)).
[10] سقطت كلمـة ((استقـرار)) في اللمحـة البدريـة.
[11] في اللمحـة البدريـة: ((وتكاثـر المنتـزون عليـه والثـوار)).
[12] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((كلـب)).

الكفــار، فصبر[1] لزلزالها، رابط الجأش، ثابت المركز، وبذل من الاحتيال، والدهاء، المكنوفين بجميــل الصبــر، [ما أظفره][2] بخلوِّ الجو[3]. وطال عمره، وجدَّ وجدَّ صيته[4]، واشتهر في البلاد[5] ذكره، وعظمت غزواته، وسَيَمُرُّ[6] من ذكره ما يدل على أجل من ذلك إن إن شاء الله.

شعره وتوقيعه

وقفت على كثير من شعره، وهو نمطٌ مُنْحَطٌّ بالنسبة إلى أعلام الشعراء[7] ومستظرفٌ[8] من الملوك والأمــراء. مــن[9] ذلــك، يخاطب وزيره[10]:

[1] في اللمحة البدرية: ((فثبت)).
[2] في المخطوطين وفي الملكية: ((وما أظهره))؛ وقد صوبت من اللمحة البدرية .
[3] نفسه: ((جوّه)).
[4] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((صمتته ـ صننة)). وفي اللمحة البدرية: البدرية: ((وبَعُدَ صيتُه)).
[5] في اللمحة البدرية: ((في الآفاق)).
[6] نفسه: ((وسيمرّ ما يدّل على جلالة قدره وعلوّ سلطانه)).
[7] في ج: ((الشعر)).
[8] في اللمحة البدرية: ((ومستطرف)).
[9] نفسه: ((فمن ذلك قوله يخاطب...)).
[10] ذكر في اللمحة البدرية أن وزيره هو أبو سلطان عزيز بن علي بن عبد المنعم الداني. وهذه الأبيات من البحر المتقارب.

تذكـــر عزيـــز ليـــالٍ مضـــت

وإعطاءنـــا المـــال بالراحتيـــن

وقد قصدتنـــا ملـــوك الجهـــاتِ

ومالـــوا إلينـــا مـــن العُدوتيـــن

وإذا[1] ســـأل السلـــم منا اللَّعِيـــن[2]

فلـــم يحـــظ إلى بخـــفي حنيـــن[3]

وتوقيعه يشذ عن الإحصاء[4]، وبأيدي الناس إلى هذا هذا العهد كثير من ذلك، فمما كتب به على رقعة كان رافعها يسأل التصرف في بعض الشهادات ويلح عليها[5]:

---

[1] في اللمحة البدرية: ((وإذْ))؛ وهو أسلم.

[2] في المخطوطين: ((لمعين))؛ وصححت من اللمحة.

[3] قصة خفي حنين أضحت مثلا سائراً يتردد بين الناس. ومفادها: أن حنينا الإسكافي خدع اعرابيا جلفأ؛ وفد إلى الحيرة ليستبضع. ولكنه فقد كل ما يملك سوى خفين لحنين الذي خدعه. ولما وصل إلى قومه قالوا له عن البضاعة التي جلبها؛ فقال: لم آت إلا بخفي حنين. فغدت هذه العبارة مثلا شاع في الآفاق. يدل على الخيبة والغباء.

[4] في اللمحة البدرية: ((الإحصاء كثرة)).

[5] البحر الوافر.

يموت على الشهـــادة وهو حي
إلهي لا تمتـــه على الشهـــادهْ

وأطال الخط عند إلهي إشعاراً بالضراعة عند الدعاء والجد. ويذكر أنه وقع بظهر رقعة لآخر اشتكى ضرر أحد الجند المنزلين في الدور، ونبزه[1] بالتعرض لزوجه ((يُخرج هذا النَّازل[2] ولا يُعَوِّض بشيء من المنازل)) [3].

بنوه

ثلاثة: ولي عهده **أبو عبد الله** المتقدم الذكر، **وفرج** المغتال أيام أخيه، **ونصر** الأمير بعد أخيه[4].

بناته

أربع: عقد لهن، جمع أبرزهن إلى أزواجهن، من قرابتهن، تحت أحوال ملوكية، ودنيا عريضة، وهن: **فاطمة، ومؤمنة، وشمس، وعائشة. وفاطمة** منهن أم

---

[1] المقصود بها: اتهمه.
[2] في اللمحة البدرية: ((النازل النازل)).
[3] ذكرت هذه القصة ـ من قبل ـ على أنها للخليفة الموحدي المأمون.
[4] في اللمحة: ((أخيه المخلوع على يده)).

حفيده **إسماعيل** الذي ابتز ملك بنيه عام ثلاثة عشر وسبعمائة[1].

وزيره[2]

كان وزيره، الوزير الجليل الفاضل، **أبو سلطان**[3]، لتقارب الشبه، زعموا في السن والصورة، وفضل الذات، ومتانة[4] الدين، وصحة الطبع، وجمال الرواء، أغنى وحسنت واسطته، ورفعت إليه الوسائل[5]، وطرزت باسمه الأوضاع، واتصلت[6] إلى أيامه أيام مستوزره، ثم صدراً من أيام ولي عهده.

---

[1] الموافق لـ 1313م.
[2] في اللمحة البدرية: ((وزراؤه)).
[3] نفسه: ((أبو سلطان عزيز بن علي بن عبد المنعم الداني)).
[4] نفسه: ((إلى متانة الدين)).
[5] نفسه: ((الممادح)).
[6] نفسه: ((واتصلت أيامه إلى تمام أيامه)).

كتابه

ولي[1] له خطة الكتابة والرياسة العليا في الإنشاء[2] جملةٌ، منهم: كاتب أبيه **أبو بكر**[3] **بن أبي عمرو اللوشي**، ثم الأخوان: **أبو علي الحسن، والحسين**، إبنا **محمد بن يوسف بن سعيد اللوشي**، سبق **الحسن** وتلاه **الحسين**، وكانا توأمين[4]، ووفاتهما متقاربة، ثم كتب له الفقيه[5] **أبو القاسم محمد بن محمد بن العابد الأنصاري**، آخر الشيوخ، وبقية الصدور والأدباء[6]، أقام كاتباً [مدة][7] إلى أن أبرمه انحطاطه في هوى نفسه، وإيثاره المعاقرة، حتى زعموا[8] أنه قاء ذات يوم بين يديه.

---

[1] في اللمحة البدرية: ((تولى)).
[2] نفسه: ((والرياسة العليا لقلم الإنشاء)).
[3] نفسه: ((كاتب أبيه، وابن كاتبه أبو بكر بن يوسف اللوشي اليحصبي؛ ثم الأخوان....)).
[4] كتبت في الملكية وفي المخطوطين: ((راميين))؛ وصوبت من اللمحة.
[5] في اللمحة البدرية: ((كتب له أبو القاسم محمد بن عابد الأنصاري؛ أحد الشيوخ...)).
[6] نفسه: ((الأدباء)).
[7] سقطت هذه الكلمة في المخطوطين؛ وأضيفت من اللمحة؛ التي كتب فيها: ((كاتباً عنه مدة)).
[8] في اللمحة البدرية: ((لزعموا أنه قاء يوماً...)).

فأخـره عـن الرتبة[1]، وأقامه في عداد[2] كتابه[3] إلى أن توفي تحت رفده[4]. وتولى الكتابة الوزير **أبو عبد الله بن الحكيم**[5]، فاضطلع بها إلى آخر دولته.

قضاته

تولى له خطة القضاء، قاضي أبيه، الفقيه العدل[6]، **أبو بكر**[7] **بن محمد بن فتح الإشبيلي** الملقب **بالأشبرون**. تولى قبل ذلك خطة السوق، فلقي سكران[8] أفرط في قحته[9]، واشتد في عربدته، وحمل على الناس، فأفرجوا عنه، فاعترضه واشتد عليه حتى تمكن منه بنفسه، واستنصر[10] في حده، وبالغ في نكاله، واشتهر ذلك

[1] في اللمحة البدرية: ((فأخره عن رتبته)).
[2] في المخطوطين: ((إعداد)).
[3] في اللمحة البدرية: ((كتابه وتحت رفده)).
[4] أي تحت كنفه وعطائه.
[5] في اللمحة البدرية: ((أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن الحكيم الرندي؛ الوزير لولده؛ فاضطلع بها...))
[6] سقطت عبارة: ((الفقيه العدل)) في اللمحة البدرية.
[7] في اللمحة البدرية: ((أبو بكر محمد بن فتح بن علي الإشبيلي)).
[8] في الملكية والمخطوطين: ((سكراناً)). وفي اللمحة البدرية: ((لقي سكراناً من الجند قد افرط في القحة...)).
[9] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((محنة - محنته)).
[10] في اللمحة البدرية: ((استبصر)).

عنه، فجمع له أمر الشرطة وخطة السوق، ثم ولي القضاء، فذهب أقصى مذاهب الصرامة، إلى أن هلك فولي[1]؛ خطة القضاء بعده الفقيه العدل **أبو عبد الله محمد[2] بن هشام** من **أهل ألش[3]**، لحكاية[4] غبطت السلطان السلطان بدينه[5]، ودلته على محله من العدل والفضل، فاتصلت أيام قضائه إلى أيام[6] مستقضية، رحمه الله.

جهاده

وباشر[7] هذا السلطان الوقائع، فانجلت ظلماتها، عن عن صبح نصره، وطرزت مواقعها[8] بطراز جلادته وصبره، فمنها وقيعة المطران وغيرها، مما يضيق التأليف عن استقصائه. وفي[9] شهر المحرم؛ من عام خمسة وتسعين

[1] في اللمحة البدرية: ((فتولّى)).
[2] نفسه: ((محمد بن محمد بن هشام)).
[3] حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((الشر)). وسبقت الإشارة إلى مدينة ألش.
[4] في اللمحة البدرية: ((بحكاية)).
[5] نفسه: ((به)).
[6] نفسه: ((إلى تمام أيام مستقضيه؛ رحمهما الله تعالى)).
[7] نفسه: ((باشر رحمه الله؛ الوقائع)).
[8] نفسه: ((مواقفها بطرر)).
[9] نفسه: ((ففي شهر محرم)).

وتسعين وستمائة[1]، على تفئة[2] هلاك طاغية **الروم**[3]، **شانجه شانجه بن أدفونش**[4]، عاجل الكفار[5] لحين دهشهم، فحشد فحشد **أهل الأندلس**، واستنفر **المسلمين**، [فاغتنم][6] الداعية، وتحرك في جيش، يجر الشوك والشجر[7]، ونازل **مدينة قيجاطة**[8] وأخذ بكظمها، ففتحها الله على يديه، وتملك بسببها جملة من الحصون التي[9] ترجع إليها، وكان وكان الفتح في ذلك[10] عظيماً، وأسكنها جيشاً من المسلمين، وطائفة من الحامية، فأشرقت العدو بريقه. وفي صائفة عام تسعة وتسعين وستمائة[11]، نازل مدينة **القبذاق**[12] فدخل جفنها، واعتصم من تأخر أجله

---

[1] الموافق لـ 1295م.
[2] أي على أثره مباشرة.
[3] أي على أثر هلاك طاغية الروم.
[4] في ج: ((دفونش)).
[5] في اللمحة البدرية: ((عاجل الكفر لحين الدهشة)).
[6] هذه الكلمة سقطت في المخطوطين، وأضيفت من اللمحة البدرية.
[7] في اللمحة البدرية: ((والمدر)).
[8] مدينة بالقرب من أبدة من أعمال جيان؛ ثم الآن في موقعها مدينة Quesada.
[9] في اللمحة البدرية: ((الحصون الراجعة إليه)).
[10] نفسه: ((بذلك)).
[11] الموافق لـ 1299م.
[12] في ك: ((النبذان)). والقبذاق مدينة تابعة لولاية قرطبة؛ وتسمى بالإسبانية Alcaudete.

بقصبتها، ذات القاهرة العظيمة الشأن، الشهيرة في البلدان، فأحيط بهم، فخذلوا وزلزل الله أقدامهم، فألقوا باليد، وكانوا أمنع من عقاب الجو، وتملكها على حكمه، وهي من جلالة الوضع، وشهرة المنعة، وخصب الساحة، وطيب الماء، والوصل إلى أفلاذ[1] الكفر، والاطلاع على عوراته، بحيث شهر. فكان تيسُّر[2] فتحها من غرائب الوجود، وشواهد اللطف، وذلك في صلاة الظهر من يوم الأحد الثامن لشهر شوال؛ عام تسعة وتسعين وستمائة[3]، وأسكن بها رابطة المسلمين[4]، وباشر العمل في في خندقها بيده رحمه الله، [فتساقط[5] الناس، من ظهور ظهور دوابهم إلى العمل، فتم ما أريد[6]..............................[7] منه سريعاً.

---

[1] في اللمحة البدرية: ((أفلاذ فؤاد الكفر)).
[2] نفسه: ((تيسير)).
[3] الموافق لـ 1299م. وكتب في ك: ((سبعين))؛ وهو تحريف.
[4] في اللمحة البدرية: ((من المسلمين)).
[5] من هنا؛ وإلى الحاصرة الموالية؛ سقط في اللمحة البدرية.
[6] هنا انقطع سياق الكلام في مخطوط دارالكتاب المصرية؛ الذي يشار إليه إليه برمز ((ك)). وبذلك انتهى مبتوراً؛ ولم يكتمل.
[7] وهنا؛ يكمل الحديث من بقية المخطوطات.

وأنشدني شيخنا **أبو الحسن الجياب** يهنئه بهذا الفتح[1]:

عدوك مقهورٌ وحزبك غالب

وأمرك منصور وسهمك صائب

وشخصك مهما لاح للخلق أذعنت

لهيبته عجم الورى والأعارب

وهي طويلة][2].

من كان على عهده من الملوك

كان على عهده **بالمغرب**، السلطان الجليل، **أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق**[3]، الملقب **بالمنصور**، وكان ملكاً صالحاً، ظاهر السذاجة، سليم الصدر، مخفوض الجناح، شارعاً أبواب الدالة عليه منهم، أشبه بالشيوخ منه بالملوك، في إخمال[4] اللفظ، والإغضاء عن الجفوة، والنداء بالكنية[5]. وهو الذي استولى على ملك، **الموحدين**،

---

[1] البحر الطويل.
[2] إلى هنا؛ حيث الحاصرة الثانية؛ تنتهي الفقرة التي سقطت في اللمحة البدرية.
[3] حكم من سنة 656هـ/1258م. إلى سنة 685هـ/1286م.
[4] في اللمحة البدرية: ((في احتمال اللغط)).
[5] في ج: ((والكينة))؛ وصححت من اللمحة.

الموحدين، واجتث شجرتهم من فوق الأرض، وورث سلطانهم، واجتاز إلى **الأندلس**، كما تقدم مرات ثلاث[1] أو أزيد منها، وغزا العدو، وجرت بينه وبين السلطان المترجم به أمور، من سَلْم ومناقضة[2]، وإعتاب، وعتب[3]، [حسبما تدل على ذلك القصائد الشهيرة المتداولة، وأولها ما كتب به على عهده، الفقيه الكاتب الصدر، **أبو عمرو بن المرابط**، في غرض استنفاد للجهاد[4]:

هل من معيني في الهوى أو منجـــدي
مـــن مُتْهـــم في الأرض أو مُنْجـــد][5]

وتوفي السلطان المذكور **بالجزيرة الخضراء** في عنفوان وحشة بينه وبين هذا السلطان في محرم[6] خمسة وثمانين وستمائة[7]، وولي بعده ولده[8]، العظيم الهمة، القوي

---

[1] صوبها د. طويل؛ فجعلها: ((ثلاثاً))؛ وهو أصح.
[2] في اللمحة البدرية: ((ومناصبة وعتب وإعتاب)).
[3] نفسه: ((وعتب . وإعتاب)).
[4] البحر السريع.
[5] سقط ما بين الحاصرتين كله في اللمحة البدرية.
[6] في اللمحة البدرية ((محرم من عام...)).
[7] الموافق لـ 1286م.
[8] في اللمحة البدرية: ((بعده السلطان المعظم، البعيد الهمَّة...)).

العزيمة[1]، **أبو يعقوب يوسف**، وجاز إلى **الأندلس** على عهده، واجتمع به بظاهر[2] **مربلة[3]**، وتجدد العهد، وتأكد الود، ثم عادت[4] الوحشة المفضية إلى تغلب، العدو على على **مدينة[5] طريف**، فرضة[6] المجاز الأدنى، واستمرت أيام أيام السلطان **أبي يعقوب** إلى آخر مدة السلطان المترجم[7] به، ومدة ولده بعده.

وبوطن **تلمسان**، **أبو يحيى يغمور[8]**، وهو **يغمراسن ابن زيان بن ثابت بن محمد بن بندوسن[9] بن طاع الله بن علي بن يمل**، وهو أوحد أهل[10] زمانه جرأة وشهامة، ودهاء، وجزالة، وحزماً. مواقفه في الحروب[11] شهيرة،

---

[1] في اللمحة البدرية: ((العزمة)).
[2] كتبت في ج: ((على ظاهر)).
[3] سبقت الإشارة إليها؛ وهي تابعة إلى عمالة قبرة.
[4] في ج: ((عاهد)). وصوبت من اللمحة.
[5] في اللمحة البدرية: ((جزيرة)).
[6] في ج: ((فرصة)).
[7] في اللمحة البدرية: ((المذكور ومدة ولده من بعد)).
[8] اختصاراً لاسم يغمراسن؛ وقد حرف الاسم في اللمحة البدرية؛ فكتب: ((يعمور بن زيان))؛ بالعين المهملة.
[9] هكذا في اللمحة البدرية، وفي ج: ((بندوهن))؛ وكله تحريف. وفي كتاب بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد: ((سدوكسن)). وحكم يغمراسن من سنة 633هـ/1236م إلى سنة 681هـ/1283م.
[10] سقطت كلمة: ((أهل)) في اللمحة البدرية.
[11] في اللمحة البدرية: ((في الحرب)).

وكانت بينه وبين **بني مرين** وقائع، كان عليه[1] فيها الظهور، وربما ندرت الممانعة، وعلى ذلك فقوي الشكيمة، ظاهر المنعة. ثم ولي بعده ولده **عثمان** إلى تمام مدة السلطان المترجم به، [وبعضاً من دولة ولده][2].

وبوطن **إفريقية**، الأمير الخليفة، **أبو عبد الله بن أبي زكريا بن أبي حفص**، الملقب **بالمستنصر**[3]، المثل المضروب، المضروب، في البأس[4] والأنفة، وعظم الجبروت[5]، وبعد الصيت، إلى أن هلك سنة أربعة وسبعين وستمائة[6]، ثم ولده **الواثق**[7] بعده، ثم الأمير **أبو إسحاق**[8] وقد تقدم ذكره. ثم كانت دولة **الدّعي**[9] **ابن أبي عمارة**[10] المتوثب

---

[1] في ج: ((عليها))؛ وصوبت من اللمحة.
[2] أضيفت هذه العبارة من اللمحة.
[3] هو محمد المستنصر بن أبي زكرياء يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص؛ حكم من سنة 647 هـ/1249م إلى سنة 675هـ/1276م.
[4] في اللمحة البدرية: ((في البأو)).
[5] نفسه: ((الجبروتية)).
[6] الموافق لـ 1275م. في إتحاف أهل الزمان سنة وفاته في 675هـ.
[7] هو أبو زكرياء يحيى الواثق: حكم لمدة سنتين وثلاثة أشهر وبعض الأيام بدءا بأواخر سنة 675هـ/1277م إلى سنة 678هـ/1279م.
[8] في ج : ((إسحاق)). هو أبو إسحاق إبراهيم بن أبي زكرياء بن عبد الواحد بن أبي حفص. حكم من سنة 678 هـ/1279م إلى سنة 681هـ/1282م.
[9] في اللمحة البدرية: ((الدّاعي)).
[10] سبق أن عرف ابن الخطيب بأخباره.

على ملكهم، ثم دولة **أبي حفص** مستنقذها من يده، وهو **عمر بن أبي زكريا بن**[1] **عبد الواحد**، ثم السلطان الخليفة الفاضل، الميمون النقيبة، **أبو عبد الله [محمد]**[2] **بن بن الواثق يحيى بن المستنصر**[3] **أبي عبد الله ابن الأمير زكريا.**

وبوطن **النصارى ؛ بقشتالة ؛ ألفنش**[4] **بن هراندة**، إلى إلى أن ثار عليه ولده شانجه، واقتضت الحال إجازة **سلطان المغرب**، واستجار به، وكان من لقائه بأحواز **الصخرة** من **كورة تاكرنا** ما هو معلوم. ثم ملك[5] بعده ولده **شانجه**، واتصلت ولايته مدة أيام السلطان، وجرت بينهما خطوب إلى أن هلك عام أربع[6] وسبعين[7] وستمائة[8]. وولي بعده ولده **هراندة** سبعة عشر[9] عاماً،

---

[1] **في اللمحة البدرية: ((بن أبي زكرياء يحيى بن...)).**
[2] **هذه الكلمة أضيفت من الملكية.**
[3] **في اللمحة البدرية: ((المستنصر بالله)).**
[4] **نفسه: ((الفنش فرانده)).**
[5] **في ج والملكية: ((هلك))؛ وصوبت من اللمحة؛ حيث كتب فيها: ((وملك ((وملك بعده ولده شانجة)).**
[6] **في اللمحة البدرية: ((أربعة))؛ وهذا أصح.**
[7] **في اللمحة البدرية: ((وتسعين)).**
[8] **الموافق لـ 1275م.**
[9] **في اللمحة البدرية: ((سبع عشرة سنة)).**

عاماً، وصار الملك إليه، وهو صبيٌ صغير فتنفس مخنق [أهل][1] **الأندلس**، وغزا سلطانهم[2] [وظهر][3] إلى آخر مدته. مدته.

وبرغون؛ ألفنش بن جايمش بن بطره بن جايمش المستولى على **بلنسية**، ثم هلك وولي بعده **جايمش**[4] ولده، وهو الذي نازل **مدينة ألمرية** على عهد **نصرٍ** ولده، واستمرت أيام حياته إلى آخر مدته. وكان لا نظير له في الدهَّاء[5]، والحزم، والقوة.

من الأحداث في أيامه

على عهده تفاقم الشَّر[6]، وأعيا داء الفتنة، ولقحت حرب الرؤساء، الأصهار من **بني إشقيلولة**، فمن دونهم، وطنب سرادق الخلاف، وأصاب الأسر وفحول الثروة الرؤساء، فكان **بوادي آش** الرئيسان **أبو محمد وأبو**

---

[1] هذه الكلمة أضيفت من اللمحة البدرية.
[2] في اللمحة البدرية: ((سلطانها)).
[3] هذه الكلمة أضيفت من اللمحة.
[4] في اللمحة البدرية: ((ولده جايمش الذي نازل ألمرية)).
[5] نفسه: ((في الحزم والدهاء)).
[6] نفسه: ((تفاقم على عهده الشَّر...)).

الحسن[1]، **وبمالقة وقمارش** الرئيس **أبو محمد عبد الله، وبقمارش**: رئيس آخر [هو][2] **الرئيس أبو إسحاق**، فأما الرئيس **أبو محمد** فهلك، وقام بأمره **بمالقة**، ولده، وابن أخت السلطان المترجم به. ثم خرج عنها في سبيل الانحراف والمنابذة إلى **ملك المغرب**[3]، ثم تصير أمرها إلى السلطان، على يد واليها من **بني علي**[4]. وأما الرئيسان فصابرا[5] المضايقة، وعزماً[6] على النطاق والمقاطعة **بوادي آش** زماناً طويلاً. وكان آخر أمرهما الخروج عن **وادي آش** إلى **ملك المغرب**: معوضين[7] **بقصر كتامة**، حسبما يذكر في أسمائهم. إن بلغنا الله إليه. وفي أيامه كان[8] جواز السلطان المجاهد **أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق**، إلى **الأندلس**، مغازياً[9] ومجاهداً في سبيل الله. في أوائل عام

---

[1] في اللمحة: ((فكان بمدينة وادي آش الرئيسان أبو محمد وأبو حسن)).
[2] سقطت هذه الكلمة في ج؛ وأضافها عنان.
[3] في اللمحة البدرية: ((إلى ملكة ملك المغرب)).
[4] نفسه: ((من بني محلى)).
[5] في ج: ((فصار))؛ وصححت من اللمحة؛ حيث كتب ((فصابرا)).
[6] في اللمحة البدرية: ((ومَرنا على المقاطعة)).
[7] حرفت في ج؛ فكتبت: ((معرضين)).
[8] في اللمحة البدرية: ((جاز السلطان أمير المسلمين أبو يوسف يعقوب ابن عبد الحق إلى الأندلس)).
[9] في اللمحة البدرية: ((غازياً)).

اثنين وسبعين وستمائة[1]، وقد فسد ما بين سلطان **النصارى** وبين ابنه[2]، واغتنم المسلمون الغرَّة، واسْتُدْعِيَ **سلطان المغرب** إلى الجواز، ولحق به السلطان المترجم به، وجمع مجلسه بين المتزين عليه وبينه، وأجلت الحال عن وحشة، وقضيت الغزاة، وآب السلطان إلى مستقره. وفي العام بعده، كان[3] إيقاع السلطان **ملك المغرب** بالزعيم، **دُنُونَه**[4]، واستئصال شأفته، وحصد شوكته. ثم عبر البحر ثانية بعد رجوعه إلى **العدوة**، واحتل **بمدينة طريف** في أوائل ربيع الأول؛ عام سبعة وسبعين وستمائة[5]، ونازل **إشبيلية**، وكان اجتماع السلطانين[6] بظاهر **قرطبة**، فاتصلت

---

[1] **الموافق لـ 1273م.**

[2] **في ج: ((وابنـه))؛ وصوبت من الملكيـة. وفي اللمحـة البدريـة كتب: ((وقد ((وقد فسد مـا بيـن ابـن سلطـان الـروم وبيـن الملـك أبيـه)).**

[3] **في اللمحة البدرية: ((كانت الوقيعة بالزعيم الكبير من زعماء الروم المسمى ذنُّونُه)). على أن مخطوط مراكش من اللمحة البدرية يسميه ((دنونـه))؛ بدال مهملة؛ وهذا أقرب إلى الصحة؛ كما سيظهر في التعليق الموالي.**

[4] **اسمـه دون نونيـو دي لارا Nuno de Lara؛ وهـو صـهـر ألفونسـو العاشـر العاشـر ملـك قشتالـة. كـان يقـود الجيـش النصـراني القشتـالي حيـن وقعت المعركـة الدائـرة بالقـرب مـن مدينـة إستجـة؛ في مواجهـة المسلميـن مـن المغتربـة والأندلسييـن بقيـادة الملـك المريـني أبي يوسـف يعقـوب؛ وانتهت المعركـة بانتصـار المسلمين وذلـك في سنـة 674هـ/1275م.**

[5] **الموافق لـ 1278م.**

[6] **كتبت في ج: ((السلاطين)).**

فاتصلت اليد، وصلحت الضمائر، ثم لم تلبث الحال أن استحالت إلى فساد، فاستولى **ملك المغرب** على **مالقة**، بخروج[1] المنتزي بها إليه، إلى يوم[2] الأربعاء التاسع والعشرين لرمضان؛ عام سبعة وسبعين[3] وستمائة[4]. ثم رجعت إلى **ملك[5] الأندلس** بمداخلة من كانت بيده ولنظره[6]، حسبما يأتي بعد إن شاء الله. وعلى عهده نازل **طاغية الروم الجزيرة[7] الخضراء**، وأخذ بمخنقها، وأشرف على افتتاحها، فدافع الله عنها، ونفس حصارها[8]، وأجاز وأجاز **الروم** بحرها، على يد الفئة القليلة من **المسلمين**، فعظم المنح[9]، وأسفر الليل، وانجلت الشدة، في وسط ربيع[10] الأول من عام ثمانية ـ وسبعة ـ وسبعين وستمائة[1].

---

[1] في ج: ((وخروج))؛ وصححت من اللمحة.
[2] في اللمحة البدرية: ((بخروج المنتزي بها إليه يوم الأربعاء)).
[3] نفسه: ((وتسعين)).
[4] الموافق لـ 1278م.
[5] في اللمحة البدرية: ((ملكة السلطان بمداخلة من كانت لنظره إياه)).
[6] قبل هذه الكلمة؛ كتب في ج: ((وقائع))؛ ويبدو أنها كتبت عن طريق السهو.
[7] سقطت كلمة ((الجزيرة)) في اللمحة البدرية.
[8] في اللمحة البدرية: ((حصارها وأحان أجفان الروم لبحرها وعلى أيدي الفئة القليلة...)). وكتب في مخطوط مراكش من اللمحة البدرية: ((وأجاز أجفان الروم ببحرها)).
[9] في اللمحة البدرية: ((فعظم الفتح)).
[10] نفسه: ((شهر ربيع الأول...))

مولـده

بغرناطـة؛ عـام ثلاثـة وثلاثيـن وستمائـة[2]، وأيـام دولتـه ثلاثـون سنـة، وشهـر واحـد، وستـة أيـام.

وفاتـه

من **كتاب ((طرفة العصر))** من تأليفنا **في التاريـخ**، قال: واستمرت الحال إلى أحد وسبعمائة[3]، فكانت في ليلة الأحد الثامن من شهر شعبان في صلاة العصر، وكان السلطان رحمه الله في مصلاه، متوجهاً إلى القبلة لأداء فريضته، على أتم ما يكون عليه المسلم من الخشية والتأهب، زعموا أن شرقاً كان يعتاده[4] لمادة كانت تنزل من دماغه، وقد رجمت الظنون في غير ذلك لتناول عشية يومه كعكاً اتخذت له بدار ولي عهده، والله أعلم بحقيقة ذلك. ودفن منفرداً، عن مدفن سلفه، شرقي[5]

---

[1] الموافـق لـ 1278- 1279م. وفي اللمحـة البدريـة: ((مـن عـام ثمانيـة وسبعيـن وسمائـة)).
[2] الموافـق لـ 1235م.
[3] الموافـق لـ 1301م.
[4] هكـذا في كـل مـن: ج، والملكيـة، واللمحـة.
[5] في الزيتونـة: ((بشـرق)).

المسجد الأعظم في الجنان المتصل بداره[1]، ثم ثني بحافده السلطان **أبي الوليد**، وعزز[2] بثالث كريم من سلالته، وهو السلطان **أبو الحجاج بن أبي الوليد**، تغمد الله جميعهم برحمته[3]، وشملهم بواسع مغفرته وفضله.

***

[1] في اللمحة البدرية: ((بدارهم)).
[2] في اللمحة البدرية: ((ثم عزز بثالث)).
[3] في الزيتونة، واللمحة البدرية: ((بعفوه)).

وقفة لابد منها

بوزياني الدراجي

هنا ينتهي المجلد الأول الأصلي (تصنيف **عنان**)، ويبدأ بعده المجلد الثاني الأصلي أيضاً. وقد خصه **عنان** بمقدمة؛ أوضح فيها أنه يضعه بين أيدي القراء في طبعته الثانية؛ بعد أن زوده بحواشي تفسيرية، وإضافات مستمدة من أصول مخطوطة عديدة. منها:

1 ــ مخطوط أكادمية التاريخ **بمدريد** (مخطوط العلامة **جاينجوس**) المحفوظ تحت رقم: CXLII.

2 ــ مخطوط **جامع الزيتونة بتونس**؛ المحفوظ في الوقت الحاضر بدار الكتب الوطنية تحت رقم: 8135.

3 ـــ مخطـــوط الإسكوريـــال؛ المحفـــوظ بمكتبـــة ديـــر ســـان لورنـــز بالإسكوريـــال؛ تحـــت رقـــم 1668 الغزيـــري، ورقـــم: 1673 ديرنبـــور.

4 ـــ مخطـــوط الخزانـــة الملكيـــة **بالربـــاط**؛ المحفـــظ بهـــا تحـــت رقـــم: 1840.

وذكـــر **عنـــان**: أنـــه اتخـــذ مخطـــوط **جاينجـــوس** أساســـاً لتدويـــن ومقارنـــة نـــص المجلـــد الثـــاني هـــذا. وبذلـــك يكـــون قـــد ســـار عـــلى النهـــج نفســـه؛ المتبـــع في المجلـــد الأول.

وقـــد ذَكَّـــر بأنـــه لا يوجـــد مـــن بيـــن تلـــك الأصـــول المخطوطـــة مـــا يشتمـــل عـــلى المجلـــد الثـــاني بصـــورة مستقلـــة تمامـــاً؛ ســـوى مخطـــوط **جامـــع الزيتونـــة**؛ الـــذي يقـــدم للباحثيـــن كتـــاب الإحاطـــة ضمـــن أجـــزاء ثلاثـــة متتابعـــة. لأن هـــذا المخطـــوط يوصـــف ـــ وإن كـــان ذلـــك بالخطـــأ ـــ أنـــه النسخـــة الفريـــدة في العالـــم الكاملـــة مـــن كتـــاب الإحاطـــة.

وقـــد سبـــق الحديـــث عـــن هـــذا في المجلـــد الأول. حيـــث اتضـــح أن هـــذا المخطـــوط؛ تشوبُـــه بعـــض

النقائـــص، وينتابـــه شيء مـــن التصحيـــف؛ بالإضافـــة إلى عـــدم اكتمالـــه؛ في مقابـــل مخطـــوط الإسكوريـــال مثـــلاً.

وقـــد اختيـــر ــ هنـــا ــ المســـار الضمـــني نفســـه؛ الـــذي خطـــه **عنـــان**؛ كمـــا روعي فيـــه التبويـــب الداخـــلي ذاتـــه؛ المتبـــع مـــن قبلـــه؛ في الطبعـــة الأصليـــة الثانيـــة. حيـــث التـــزم **عنـــان** فيـــه بنظـــام الأسفـــار المُعَـــد مـــن قبـــل المؤلـــف (**ابـــن الخطيـــب**). وهـــذا لا علاقـــة لـــه بوضـــع المجلـــدات الأربعـــة؛ الـــتي اختارهـــا المحقـــق.

ولـــكي ينجـــلي المقصـــود؛ يستحســـن توضيـــع مـــا عملـــه **عنـــان** بشكـــل مختصـــر. حيـــث نـــأى بنفســـه عـــن اتخـــاذ مخطـــوط **الزيتونـــة** أساســـاً فريـــداً في تصفيـــف المجلـــد الثـــاني هـــذا. واتبـــع طريقـــاً؛ رأى أنـــه الصـــواب.

وعليـــه فقـــد بـــوَّب الكتـــاب بالشكـــل الـــذي يريحـــه؛ مـــع أن تبويـــب **ابـــن الخطيـــب**؛ بُـــنِيَ عـــلى أن كتـــاب الإحاطـــة مُصنَّـــف إلى اثـــني عشـــر سفـــراً؛ هي عبـــارة عـــن أجـــزاء متقاربـــة في أحجامهـــا؛ باستثنـــاء السفـــر الأخيـــر؛ الـــذي يحتـــوي عـــلى تراجـــم ثمـــان؛

بينما تتشكل بقية الأسفار من أربعين ترجمة ــ تقريباً ــ في كل سفر.

المهم؛ أن تقسيم المجلدات الأربعة؛ هو من ابتكار **عنان** شخصياُ؛ حتى وإن كان قد التزم بنظام الأسفار المُعَد أصلاً من قبل **ابن الخطيب**. فكل مجلد يشتمل على أسفار منها. وقد صرح **عنان** بذلك في مقدمة المجلد الثاني؛ حيث قال:

((هذا وقد رأينا أن نفتتح المجلد الثاني؛ بترجمة السلطان **محمد بن يوسف بن إسماعيل ابن فرج بن إسماعيل بن فرج بن يوسف ابن نصر الخزرجي (السلطان محمد الغني بالله)**؛ سلطان **ابن الخطيب**. هذا في حين أن النصف الأول من ترجمة هذا السلطان؛ يرد في نهاية الجزء الأول من مخطوط **الزيتونة**؛ في اللوحات الخمس عشرة الأخيرة (ص 306 ــ 335). ونحن قد وقفنا بالمجلد الأول عند ترجمة السلطان (**محمد بن محمد بن يوسف بن محمد**

ابـن أحمـد بـن محمـد بـن خميـس بـن نصـر الأنصـاري الخـزرجي)؛ ثـاني الملـوك **النصريـين))**.

وعـلى هـذا؛ وجدنـا أن التصـرف في عـدد المجلـدات؛ لا يمـس بأصـل الكتـاب كمـا وضعـه **ابـن الخطيـب**. لأن هـذا الأخيـر صنـف كتابـه إلى اثـني عشـر سفـراً بأحجـام صغيـرة؛ جمعـت في مخطـوط **الزيتونـة** ضمـن ثلاثـة مجلـدات، وفي الإسكوريـال ضمـن مجلديـن؛ والطبعـة المصريـة ـ قبـل طبعـة **عنـان** ـ في مجلديـن؛ بينمـا جعلهـا هـذا الأخيـر أربعـة مجلـدات. وكـل هـذا مـن بـاب الاجتهـاد والتصـرف.

وقـد رأينـا في هـذا العمـل الأخيـر إعـادة تصنيـف الإحاطـة؛ وطبعهـا في خمسـة مجلـدات؛ وذلـك تجاوبـاً مـع عوامـل عديـدة: منهـا شكـل المحتـوى والإخـراج الداخـلي، وظـروف الطباعـة، وحجـم المجلـد..إلـخ.

بوزياني الدراجي

محمد بن يوسف

ابن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن فرج بن يوسف بن نصر الخزرجي[1] أمير المسلمين لهذا العهد بالأندلس ، صدر الصدور، وعلم الأعلام، وخليفة الله، وعماد الإسلام، وقدوة هذا البيت الأصيل، ونير هذا البيت الكريم، ولباب هذا المجد العظيم، ومعنى الكمال، وصورة الفضل، وعنوان السعد، وطاير اليمن، ومحول الصنع، الذي لا تبلغ الأوصاف مداه، ولا توفي العبارة حقه، ولا يجري النظم والنثر[2] في ميدان ثنايه، ولا تنتهي المدائح إلى عليائه.

أوليتـه

أشهر من إمتاع الضحى، مستولية على المدا، بالغلة بالسعة بالانتساب[3] إلى **سعد بن عبادة** عنان السماء، مبتجحة[4] في جهاد العدا؛ بحالة من ملك **جزيرة**

---

[1] ذكر عنان أن نسخة الزيتونة ورد فيها ـ بجانب اسم السلطان المذكور؛ في الهامش الأيسر ـ العبارة التالية" ((ترجمة سلطان المصنف). كما ذكر أن بداية الترجمة هذه وردت في نهاية الجزء الأول من مخطوط الزيتونة؛ لذا فإنه فضل أن يبدأ عمله منها. وبالإضافة إلى هذا؛ توجد ترجمة الغني بالله محمد بن يوسف بن نصر الخزرجي في: اللمحة البدرية، وأزهار الرياض.

[2] كلمة النثر أضافها عنان بعد أن وجدها في نسخة الزيتونة.

[3] هكذا وجدها عنان في نسخة (ج) وفي (الملكية). أما نسخة الزيتونة فكتب فيها: ((على الانتساب)).

[4] هذا ما كتب في نسخة ج، والملكية؛ أما نسخة الزيتونة فكتب فيها: ((من ابتجح): أي افتخر وتباهى.

الأندلس، وحسبك بها، وهي بها في أسنى[1] المزاين والحَلْي، وقدماً فيه بحسب لمن سمع ورأى.

حالـه

هذا السلطان أيمن أهل بيته نقيبة، وأسعدهم ميلاداً وولاية، قد جمع الله له بين حسن الصورة، واستقامة البنية، واعتدال الخلق، وصحة الفكر، وثقوب الذهن، ونفوذ الإدراك. ولطافة المسايل، وحسن التأني؛ وجمع له من الظَّرْف[2] ما لم يجمع لغيره، إلى الحلم، والأناة اللذين يُحِبُّهُما[3] الله، وسلامة الصدر، التي هي من علامة الإيمان، ورقة الحاشية، وسرعة العبرة، والتبريز في ميدان الطهارة والعفة، إلى ضخامة التنجد، واستجادة الآلات، والكلف بالجهاد، وثبات القدم، وقوة الجأش ومشهور البسالة، وإيثار الرفق، وتوخي السداد، ونجح المحاولة. زاده الله من فضله، وأبقى أمره في ولده، وأمتع المسلمين

---

[1] كتب في نسختي: الملكية والزيتونة: ((أبهى)).
[2] كتب في نسخة ج: ((وجمال الظرف)). وقد صوبها عنان من نسختي: الزيتونة، الملكية،
[3] كتب في ج، والزيتونة: ((يحبهم)). وقام عنان بتصويب الكلمة.

بعمره. ساق الله إليه الملك طواعية واختياراً، إثر صلاة عيد الفطر على بَغْتَةٍ[1] وفاة المقدس أبيه، من عام خمسة وخمسين وسبعمائة[2]، لمخايل الخير، ومزية السن، ومظنة البركة[3]، وهو يافع، قريب العهد[4] بالمراهقة، فأنبته الله النبات الحسن، وسَدَلَ[5] به الستر؛ وسوغ العافية، وهنأ العيش؛ فلم تشح في مدته السماء، ولا كَلِبَ[6] الأعداء، ولا تبدلت الألقاب، ولا عونيت الشدائد، ولا عرف الخوف، ولا فورق الخصب، إلى أن كانت عليه الحادثة، ونابه التمحيص، الذي أكسبه الحنكة، وأفاده العبرة، فشهد بعناية الله في كف الأيدي العادية، وأخطأ ألم[7] السهام الراشقة، وتخييب الآمال المكايدة، وانسدال أروقة الستر والعصمة، ثم العودة، الذي عرف الإسلام، بدار

[1] هكذا في النسخ الثلاث: ج، والزيتونة، والملكية
[2] الموافق لـ 1354م.
[3] في اللمحة البدرية: ((ومظنة الحصافة)).
[4] نفسه: ((قريب عهد بحال المراهقة)).
[5] هكذا وردت في نسخة ج. وفي نسختي: الزيتونة والملكية: ((وسبل)).
[6] هكذا وردت في النسخ الثلاث.
[7] كلمة (ألم) موجودة في نسختي: الزيتونة، والملكية.

الإسْلاَم[1] قدرها، وتملأ عزها، ورَجَحَ[2] وزنها، كما اختبر ضدها فرصة الملك، وشاع العدل، وبعد الصيت، وانتشر الذكر، وفاض الخير؛ وغزر القطر، فظهرت البركات، وتوالت الفتوح، وتخلدت الآثار. وسيرد من بيان هذه الجمل، ما يسعه الترتيب بحول الله.

ترتيب دولته الأولى

إذ هو ذو دولتين، ومسوغ ولايتين، عززهما الله، بملك الآخرة، بعد العمر الذي يملأ صحايف البر، ويخلد حسن الذكر، ويعرف إلى الوسيلة، ويرفع في الرفيق الأعلى الدرجة، ﴿عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[3].

---

[1] هكذا كتب في نسخة الزيتونة؛ بينما كتب في نسختي: ج، والملكية: ((بهذه الإسلام)).

[2] هذا ما كتب في: الملكية والزيتونة؛ وهو الأقرب إلى الصواب. أما ج: فجاء فيها: ((استرجح)).

[3] الآية كاملة هكذا: (فَمَا أوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فمَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ). سورة الشورى؛ الآية: 36.

وزراؤه وحجابه

أنتدب إلى النيابة عنه، والتشمير إلى الحجابة ببابه، الشيخ القايد المعتمد بالتجلة، المتحول من الخدام النبهاء، المتسود الأبوة، المخصوص بالقِدْح المعلى من المزية، المسلم له في خصوصية الملك والتربية، ظهير العِلْمِ[1] والأدب، وأمين الجد، ومولى السلف، ومفرغ الرأي إلى هذا العهد، وعقد سُفْرَةٍ[2] السلطان، وبقية رجال الكمال من مشيخة[3] المماليك، وخيار الموالي، **أبا النعيم رضوان** رحمه الله. فحمد الكل، وخلف السلطان، وأبقى الرتب، وحفظ الألقاب، وبذل الإنصاف، وأوسع الكنف، واستدعى النصيحة، ولم يأل جهداً في حسن السيرة، وتظاهر المحض، وأفردني بالَمزِيَّة[4] وعاملني بما يرتد عنه جسر أطرف الموالاة والصحبة، ووفى لي الكيل الذي

---

[1] كتب في نسختي: ج، والملكية: ((العمر)). وتصويب عنان أقرب إلى الصحة.
[2] هكذا كتب في نسختي: الزيتونة والملكية. بينما كتب في ج: ((سفراً)). أما في اللمحة البدرية فكتب: ((وعقدة السلطان...)).
[3] في اللمحة البدرية: ((مشيخة ولاء بيتهم أبو النعيم رضوان)).
[4] كتب في نسختي: الملكية، و ج: ((بالزبدة)). وتصويب عنان أفضل.

لا يقتضيه السن، والقربة من الاشتراك في الرُّتْبَة[1]، والتزحزح عن الهضبة، والاختصاص باسم الوزارة على المشهر والغيبة، والمحافظة على التشيع والقدمة، بلغ في ذلك أقصى الغايات. مدارج التخلق المأثور عن الجلة، والتودد إلى المرة بعد المرة[2]، واختصصت بفوت المدة بالسلطان، فكنت المنفرد بسره دونه، ومفضي همه، وشفاء نفسه، فيما ينكره من فتنة تقع في سيرته، أو تصير توجيه السذاجة في معاملاته، وصلاح ما يتغير عليه من قلبه، إلى أن لحق بربه.

شيخ الغزاة ورئيس الجند الغربي لأول أمره

أقر على الغزاة شيخهم على عهد أبيه، **أبا زكريا يحيى بن عمر بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق**، مطمح الطَّواف[3]، وموفي الاختيار، ولباب القوم، وبقية السلف.

[1] كتب في نسختي: ج، والملكية: ((بالزينة)). وتصويب عنان أفضل.
[2] هكذا كتب في: ج، والملكية؛ أما الزيتونة فجاء فيها: ((المدة بعد المدة)). وقد رجح عنان الأولى.
[3] هكذا كتب في نسختي: الزيتونة، وفي ج. بينما كتب في الملكية: ((الطرف)). وفي اللمحة البدرية: ((الطرف ومرمى الاختيار)).

حزماً ودهاء، وتجربة وحُنْكَة وجدّاً وإدْراكاً ناهيك[1] من رجل فذ المنازع، غريبها، مستحق التقديم، شجاعة وأصالة، ورأياً ومباحثة، نسابة قبيله، وأضحى قسَّهم، وكسرى ساستهم، إلى لطف السجية، وحسن التأني، لغرض السلطان، وطرق التنزل للحاجات، ورقة غزل الشفاعات. وإمتاع المجلس، وثقوب الذهن والفهم، وحسن الهيئة. وزاده خصوصية ملازمته[2] مجلس الرِّقاع[3] المعروضة. والرسل الواردة. وسيأتي ذكره في موضعه بحول الله تعالى.

كاتب سره

قمت لأول الأمر بين يديه بالوظيفة التي أسنَدَها[4] إليّ أبوه المولى المقدس، رحمه الله، من الوقوف على رأسه، والإمساك في التهاني والمبايعة بيده. والكتابة

---

[1] عبارة: ((وحُنْكة وجدّاً وإدْراكاً)) موجودة في نسختي: ج، والملكية؛ بينما كتب في نسخة الزيتونة: ((وحركة وجداً)). أما كلمة ((ناهيك))؛ فهي ساقطة في النسخ الثلاث؛ وأضافها عنان للتوضيح.
[2] في اللمحة البدرية: ((بملازمة)).
[3] نفسه: ((مجلس العرض، وملتقى الرسل الواردة، وإجالة قداح المشورة)).
[4] كتب في نسختي: ج، والملكية: ((أسند)). وصوبها عنان.

والإنشاء والعرض والجواب. والخلعة والمجالسة، جامعاً بين خدمة القلم، ولقب الوزارة، معزز الخطط برسم القيادة، مخصوصاً بالنيابة عنه في الغيبة، على كل ما اشتمل عليه سور القلعة والحضرة، مطلق أمور الإيالة، محكماً في أشتاته تحكم الأمانة، مطلق الجراية، ظاهر الجاه والنعمة. ثم تضاعف العز، وتأكد الرعي، وتمحض القرب، فنقلني من جلسة المواجهة، إلى صف الوزارة؛ وعاملني بما لا مزيد عليه من العناية، وأحلني المحل الذي لا فوقه في الخصوصية، كافأ الله فضله، وشكر رعيه، وأعلى محله عنده. وأصدر لي هذا الظهير لثاني يوم ولايته: هذا ظهير كريم، صفي شربه. وسفرني في الرسالة عنه، إلى السلطان، الخليفة الإمام، **ملك المغرب**، وما إليه من **البلاد الإفريقية**، **أبي عنان**، حسبما يأتي ذكره. ثم أعفاني في هذه المدة الأولى، عن كثير من الخدمة، ونوه بي عن مباشرة العرض بين يديه بالجملة، فاخترت للكل والبدلة، وما صان عنه في سبيل التجلة، وإن كان منتهى أطوار

الرفعة، الفقيه **أبا محمد بن عطية**[1]، مستنزلاً عن قضاه[2] **وادي آش** وخطابتها، فكان يتولى ما يكتب بنظري، وراجعاً لحكمي، ومترددا لبالي، مكفى المؤنة[3] في سَبيلِ الحمل الكلي، إلى وقوع الحادثة، ونفوذ المشيئة بتحويل الدولة.

قضاته

جدد أحكام القضاء والخطابة لقاضي أبيه الشيخ الأستاذ الشريف[4]، نسيج وحده، وفريد دهره، إغْراباً[5] في الوقار، وحُسْن السَّمْت[6] وأصالة البيت[7]، وتبحراً في علوم اللسان، وإجهازاً في فصل القضايا، وانفراداً ببلاغة الخطبة، وسبقاً في ميدان الدهاء والرجاحة، **أبي القاسم**

---

[1] في اللمحة البدرية: ((الفقيه الكاتب أبا محمد عبد الحق بن أبي القاسم بن عطية...)).
[2] هكذا.
[3] كتب في نسخة الزيتونة: ((المؤمنة في))؛ فأغفلها عنان؛ لعدم جدواها.
[4] كلمة ((الشريف)) سقطت في اللمحة البدرية.
[5] هكذا في نسخة ج، بينما كتب في الملكية: ((عصره)). أما كلمة ((إغراباً)) فوردت في نسختي: الزيتونة، والملكية. بينما كتب في نسخة ج: ((إعراباً)). وقد صوب عنان ذلك.
[6] كتب في نسختي: الزيتونة وج: ((السمة)). بينما كتب في الملكية الذي جاء أعلاه؛ وهو أسلم.
[7] عبارة ((وأصالة البيت)) سقطت في اللمحة البدرية.

محمد بن أحمد بن محمد الحسني، الجانح إلى الإيالة **النصرية** من مدينة **سبتة**[1]. وسيأتي التعريف به في مكانه إن شاء الله. وتوفي رحمه الله بين يدي حدوث الحادثة، فأرجئ الأمر بمكانه، إلى قدوم متلقف الكرة، ومتعاور تلك الخطة، الشيخ الفقيه القاضي، **أبي البركات** قاضي أبيه. ووليها الأحق بها بعده، إذ كان غايباً في السفارة عنه، فوقع التمحيص قبل إبرام الأمر على حال الإستنابة.

الملوك على عهده

وأولهم **بالمغرب**: السلطان، الإمام[2]، أمير المسلمين، **أبو عنان[3] ابن أمير المسلمين أبي الحسن[4] ابن أمير المسلمين أبي سعيد ابن أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب ابن عبد الحق**، البعيد الشأو[5] في ميدان السعادة، والمُصْمي أغراض السداد، ومعظم[6] الظفر، ومخول

---

[1] في اللمحة البدرية: سبتة إلى أخريات شعبان من عام ستين وسبعمائة؛ وتوفي رحمه الله)).

[2] هذه الكلمة موجودة في نسخة الزيتونة. وفي اللمحة البدرية: ((الشهير)).

[3] في اللمحة البدرية: ((أمير المسلمين فارس ابن أمير المسلمين....)).

[4] في اللمحة البدرية: ((أبي الحسن علي بن عثمان بن يعقوب...)).

[5] نفسه: ((شأو السعادة، المعمى...)).

[6] نفسه: ((مطعم)).

الموهبة، المستولي على آماد الكمال[1]، عقلاً وفضلاً وأبهةً ورواءاً، وخطاً وبلاغة، وحفظاً وذكاء[2] وفهماً وإقداماً[3]، تغمده الله برحمته. بعثني إلى بابه رسولاً على إثر بيعته، وتمام أمره، وخاطباً إثره ووده، مسترفداً[4] من منحة قبوله، قبوله، فألفيت بشراً مبذولا، ورفداً ممنوحاً، وعزاً باذخاً، يضيق الزمان عن جلالته، وتقصر الألسنة عن كنه وصفه، فكان دخولي عليه في الثامن والعشرين من شهر ذي قعدة؛ عام خمسة وخمسين المذكور[5]، وأنشدته بين يدي المخاطبة، ومضمن الرسالة[6]:

خليفة الله ساعد القدر

علاك ما لاح في الدجا قمر

---

[1] في اللمحة: ((الآماد البعيدة الكمالية أبهة...)).

[2] عبارة ((وحفظاً وذكاءاً)) وردت في نسختي: الزيتونة والملكية. بينما كتب في ج واللمحة البدرية: ((إدراكاً))

[3] في اللمحة البدرية: ((وإقدماً وشجاعة)).

[4] هكذا كتب ف ج؛ بينما كتب في الملكية: ((مستزيداً)).

[5] 755هـ/1354م.

[6] البحر المنسرح.

فأحسب وكفى، واحتفل واحتفى، وأفضت بين يدي كرمته[1]، إلى الحضور معه في بعض المواضع المطلة على مورد رحب. هاج به الخدام أسداً، أرْوَد، شَثْن الكفَّيْن مُشْعر[2] اللَّبدة، حتى مرق عن تابوت خشبي كان مسجونا به، من بعد إقلاعه، من بعض كُواه، وأثارته من خلفه، واستشاط وتوقد بأساً. وجُلِب[3] ثور عَبِلُ الشَّوَى[4]، الشَّوَى[4]، منتصب المروى، يقدمه صُوارٌ[5] من الجواميس، الجواميس، فقربت الخُطا، وحميت الوغى، وبلغ الزئير والجوار ما شاء، في موقف من ميلاد الشيم العلى يخشى[6] يخشى[6] الجبان مقارعة العدا، ويوطن نفسه الشجاع على ملاقاة الردى، وخار الأسد عن المبارزة، لما بلغ منه ثقافاً عن رد المناوشة، ومضطلعاً بأعباء المحاملة، فتخطاه إلى

---

[1] ورد هكذا في النسخ الثلاث.

[2] كتب في نسخة ج: ((مقشعر)). بينما تم التصويب من نسختي: الزيتونة، والملكية.

[3] كتب في النسخ الثلاث: ((وجلبت)). وصوب ذلك عنان.

[4] عَبِلُ الشَّوَى: أي عظيم غليظ القوائم، ضخم وغليظ.

[5] الصُّوَار والصِّوار: قطيع من البقر. وكتب في النسخ الثلاث: ((صواراً)) ((صواراً)) منصوبة؛ فصوب ذلك عنان.

[6] كلمة ((يخشى)) أضافها عنان، واعتبر أنها ضرورية لكي يستقيم سياق المعنى.

طائفة من الرجالة، أولي عدة، وذوي دُرْبَةٍ[1]، حمل نفسه متطارحاً كشهاب الرجم، وسرك الدجا، وأخذته رماحهم بإبادته[2]، بعد أن أردى بعضهم، وجدل بين يدي السلطان، متخبطا في دمه. وعرض بعض الحاضرين، وأغرى بالنظم في ذلك، فأنشدته[3]:

أنعام أرضــك تقهــر الآســادا
طبعــاً كسا الأرواح والأجســادا

وخصايص للــه بث ضروبهــا
في الخلق ساد لأجلها من ســادا

إن الفضايل في حماك بضايــع
لم تخش من بعد النفــاق كســادا

كان الهزبــر محاربــاً فجزيتــه
بجزاء من في الأرض رام فسادا

[1] كتب في النسخ الثلاث: ((ذرية)). وقد صوبها عنان.
[2] هذا في الزيتونة؛ وهو الأصوب. بينما كتب في نسختي: ج، والملكية: ((بابارتــه)).
[3] البحر الكامل.

فابـــغ المزيـــد من آلايـــه بشكـــره
وأرغـــم بمـــا خولتـــه الحســـادا

فستحسن تأتي القريحة، وإمكان البديهة، مع قيد الصفة، وهيبة المجلس. وكان الانصراف بأفضل ما عاد به سفير، من واد[1] أصيل، وإمداد موهوب، ومهاداة أثيرة وقطار مجنوب، وصامت محمول، وطعمة مسوعة. وكان الوصول في وسط محرم من عام ستة وخمسين وسبعماية[2]، وقد نجح السعي، وأثمر الجهد، وصدقت المخيلة، وقد تضمن رحلي الوجهة، والأخرى قبلها جزء. والحمد لله الذي له الحمد في الأولى والآخرة. وتوفي ـ زعموا ـ بحيلة، وقيل حتف أنفه، لما نهكه المرض، وشاع عنه الإرجاف، وتنازع ببابه الوزراء، وتسابق إلى بابه الأبناء. وخاف مدبر أمره، عايدة ملامته، على توقع برئه، وكان سيفُه[3] يسبق على سوطه، والقبر أقرب إلى من

[1] هكذا كتبت في نسختي: الزيتونة والملكية. بينما كتب في ج: ((ود)).
[2] الموافق لـ 1355م.
[3] كتب في نسختي: ج، والملكية: ((سفيه)). والصواب ما ورد أعلاه؛ من نسخة الزيتونة.

تعرض لعتبه من سجنه، فقضى موضع هذا السبيل خاتمة الملوك الجلة، من أهل بيته. جدد الملك، وحفظ الرسوم، وأجرى الألقاب، وأغلظ العقاب، وصير إيالته أضيق من الخَدِّ[1]. وأمد **الأندلس**، وهزم الأضداد، وخلد الآثار، وبنى المدارس والزوايا، واستجلب الأعلام. وتحرك إلى **تلمسان** فاستضافها إلى إيالته، ثم ألحق بها **قسنطينة وبجاية**، وجهز أسطوله إلى **تونس**، فدخلها وتملكها ثقاته في رمضان؛ عام ثمانية وخمسين وسبعمائة[2]، واستمرت بها دعوته إلى ذي قعدة من العام. رحمة الله عليه. وكانت وفاته في الرابع عشر[3] لذي حجة؛ من عام تسع[4] وخمسين وسبعمائة[5]. وصار الأمر إلى ولده المسمى **بالسعيد**، المكنى **بأبي بكر**، مختار وزيره **ابن عمر الفدووي**[6]. ورام ضبط الإيالة[1] المشرقية فأعياه ذلك،

---

[1] **هذا ما كتب في النسخ الثلاث. وقد صوب عنان ذلك.**
[2] **الموافق لـ 1356م.**
[3] **في اللمحة البدرية: ((الرابع والعشرين من ذي حجة عام تسعة وخمسين وسبعمائة)).**
[4] **الأصح هو كما جاء في اللمحة البدرية؛ أي ((تسعة)).**
[5] **الموافق لـ 1357م.**
[6] **كتب في ج: الفدوى؛ والصواب نقل عن نسختي: الملكية والزيتونة.**

وبايع الجيش الموجه إليها **منصور بن سليمان**[2]، ولجأ الوزير وسلطانه إلى **البلد الجديد**، مثوى الخلافة **المرينية**، فكان أملك بها. ونازله **منصور بن سليمان**، ثم استفضى إليه أمر البلد لحزم الوزير وقوة شكيمته. وغادر[3] السلطان **أبو سالم إبراهيم بن السلطان أبي الحسن**[4] أخو الهالك السلطان **أبي عنان الأندلس**[5]، وقد كان استقر بها بإبعاد أخيه إياه عن **المغرب**، كما تقدم في اسمه، فطلع على الوطن **الغربي** بإعانة من **ملك النصارى**، عانى فيها هولاً كثيراً، واستقر بآخرة بعد إخفاق شيعته[6] **المراكشيةِ**، **بساحل طنجة**، مستدعًى ممن **بجبال غمارة**، ودخلت **سبتة وطنجة** في طاعته. وفرّ الناس عن **منصور بن سليمان**، ضربة لازب، وتقبض عليه وعلى ابنه، فقتلا صبراً،

---

[1] كتب في نسختي: الزيتونة وج: ((الأبالى)). بينما الصواب ما جاء في الملكية.
[2] في اللمحة البجرية: ((منصور بن سليمان بن منصور بن عبد الواحد ابن يعقوب بن عبد الحق
[3] أضاف هذه الكلمة عنان. لأنه ورد في ج ((ونعص))، والملكية والزيتونة: ((وبعض)). وهذا لا معنى له.
[4] في اللمحة البدرية: ((أبي الحسن علي بن عثمان بن يعقوب)).
[5] هذه الكلمة سقطت في النسختين؛ بينما يرى عنان أنها لازمة للسياق.
[6] كتب في نسخة ج: ((سعية))؛ ونقل الصواب من نسخة الزيتونة لاستقامة المعنى. لأن المصادر تذكر أن السلطان أبا سالم نزل في البدء بساحل دكالة؛ بالقرب من منطقة مراكش؛ ثم انتقل بعد فشله إلى الشمال.

نفعهما الله. وتملك السلطان **أبو سالم المدينة البيضاء** يوم الخميس عشر لشعبان؛ عام ستين وسبعمائة[1]، بنزول الوزير وسلطانه عنها إليه. ثم دالت الدولة. وكان من لحاق السلطان **برندة**، واستعانته على رد ملكه ما يأتي في محله، والبقاء لله سبحانه.

وبتلمسان؛ السلطان **أبو حمو**[2] **موسى بن يوسف بن عبد الرحمن يحيى بن يغمراس**[3] **بن زيان**؛ قريب العهد باسترجاعها، لأول أيام **السعيد**.

وبتونس[4]؛ الأمير **إبراهيم ابن الأمير أبي بكر ابن الأمير أبي حفص ابن الأمير أبي بكر بن أبي حفص بن إبراهيم بن أبي زكريا يحيى بن عبد الواحد**، لنظر الشيخ رأس الدولة، وبقية الفضلاء، الشهير الذكر، الشائع الفضل، المعروف السياسة، **أبي محمد عبد الله بن أحمد ابن تافراقين**[5]. تحت مضايقة من **عرب** الوطن.

---

[1] الموافق لـ 1358م.
[2] هذا ما كتب في نسخة ج. بينما كتب في الزيتونة والملكية: ((أبو عمران)).
[3] الصحيح هو: ((يغمراسن))..
[4] في اللمحة البدرية: ((وبإفريقية إبراهيم ابن الأمير أبي يحيى أبي بكر بن أبي حفص)).
[5] هكذا كتب في ج؛ بينما تكتب في بعض الأحيان بالكاف: ((تافراكين)).

ومن **ملوك النصارى بقشتالة**[1]؛ **يِطْرُه بن ألهنشة بن هِراندة بن شانجه بن ألفنش**[2] **بن هراندة**، إلى الأربعين[3]، وهو كما اجتمع وجهه، تولى[4] الملك على أخريات أيام أبيه في محرم؛ عام أحد وخمسين وسبعمائة[5]. وعقد معه سلم[6] على بلاد المسلمين. ثم استمر ذلك بعد وفاته في دولة ولده المترجم به، وغمرت **الروم**[7]. وألقت العصا، وأغضت القضاء، وأجالت على الكثير من الكبار[8] الردى، بما كان من إخافته ساير إخوته لأبيه، من خاصته، العجلة الغالبة على هواه، فنبذوه على سوء[9] بعد قتلهم أمهم، وانتزوا عليه بأقطار غرسهم فيها أبوهم قبل موته بمرعية أمهم. وسلك لأول أمره سيرة أبيه في عدوله عن عهوده بمكابيه لمنصبه، إلى اختصاص عجلة،

---

[1] في اللمحة البدرية: ((وبقشتالة)).
[2] نفسه: ((ألهونش)).
[3] نفسه: ((أربعين)).
[4] كتبت في ج: ((وكاولى))، وفي اللمحة البدرية: ((ولي)). وفي الملكية والزيتونة: ((تولى))..
[5] الموافق لـ 1349م.
[6] في اللمحة البدرية: ((السلم)).
[7] نفسه: ((وغمرت الروم فتنة وألقت...)).
[8] كتب في الزيتونة وج: ((كبار)). لذا فما ورد أعلاه صوبه عنان.
[9] كتب في نسخة ج: ((سوا)). وما ورد أعلاه صوب من نسخة الملكية.

أنف بحراه كبار قومه، من أجل ضياع بذره وانقراض عقبه، فمال الخوارج عليه، ودبروا القبض عليه، وتحصل في أنشوطة، يقضي أمره بها إلى مطاولة عقله أو عاجل خلع، لولا أنه أفلت وتخلص من شراراها. فاضطره ذلك إلى صلة السلم، وهو الآن بالحالة الموصوفة.

الأحداث في أيامه

لم يحدث[1] في أيامه حدث إلا العافية المُسِحَّة[2] والهدنة المتصلة، والأفراح المتجددة، والأمنة المستحكمة، والسلم المنعقدة. وفي آخر جمادى؛ عام ست[3] وخمسين وسبعمائة[4] لحق **بجبل الفتح**[5] فشمم شعبته، وأبرَّ مَتْبوته[6]، مَتْبوته[6]، كان على ثغره العزيز على المسلمين، من لدن افتتاحه، الموسوم الخطة، المخصوص بمزية تشييده، **عيسى بن الحسن بن أبي منديل**[7]، بقية الشيوخ أولي الأصالة

---

[1] كتب في النسخ الثلاث: ((تحدت)). فصوب عنان ذلك.
[2] كتب في ج، والملكية: ((المسبحة)). وصوب ذلك من نسخة الزيتونة.
[3] صوبها د. طويل؛ فجعلها ((ستة))؛ وهذا أصح.
[4] الموافق لـ 1355م.
[5] أي جبل طارق.
[6] أي أصلح ما خرب من الأسوار.
[7] في اللمحة البدرية: ((منديل العسكري)).

والدهاء، والتزيي بزي الخير، والمثل الساير في الانسلاخ من آية السعادة، والإغراق في سوء العقبى. والله غالب على أمره، فكان أملك بمصامِّه، وقر عينه بلقاء ولده، والتمتع منه بجواد عتيق. مُلَّي من خلال السياسة، أرداه سوء الحظ، وشؤم النصبة[1]، وأظلم ما بينه وبين سلطانه، مسوغه برداء العافية على تفه صغر، وملبسه رداء العفة على قدح الأمور، أبدى منها الخوف على ولده، وعرض ديسم عزمه، على ذوبان الجبل، فانحطوا في هواه، وغروه بكاذب عصبة[2]، فأظهر الامتناع سادس ذي قعدة؛ من العام المذكور، واتصلت الأخبار، وساءت الظنون، وضاقت الصدور، ونكست الرؤوس لتوقع الفاقرة، بانسداد باب الصريخ، وانبتات سبب[3] النصرة، وانبعاث طمع العدو وانحطت الأطماع[4] في استرجاعه واستقالته، لمكان حصانته، وسمو الذروة، ووفور العدة، ووجود

[1] هكذا كتبت في نسخة الزيتونة. بينما كتب ج: ((النصفة)). والأرجح الأولى.
[2] كتب في ج: ((عصبة)). وصوب ذلك من نسختي: الملكية والزيتونة.
[3] كلمة سبب سقطت في اللمحة البدرية.
[4] كتب في نسختي: ج، والملكية: ((وركعت الأطباع)). وصوب ذلك من النسخة الزيتونة.

الطعمة، وأخذه بتلاشي الفرصة. ثم ردفت الأخبار بخروج جيشه[1] صحبة ولده إلى منازلة **أُشْتبونة**[2]، وإخفاق أمله فيها. وامتساك أهلها بالدعوة، وانتصافهم من الطائفة العادية؛ فبودر إليها من **مالقة** بالعدد. وخوطب السلطان من[3] ملك **المغرب** أيده الله بالجلية، فتحققت المنابذة، واستقرت الظنون. وفي الخامس والعشرين من شهر ذي قعدة[4]، ثار به **أهل الجبل** وتبرأ منه أشياعه، وخذلوه بالفرار، فأخذت شعابه ونقابه، فكر راجعاً أدراجه إلى القاعدة[5] الكبيرة؛ وقد أعجله الأمر، وحملته الطمأنينة على إغفال الاستعداد بها. وكوثر[6]؛ فألقي به وقد لحق به[7]؛ بعض الأساطيل **بسبتة**. لداعي تسور تُوطى[8] على

---

[1] كتب في الزيتونة وج بعدها كلمة ((إلى)). وهذا لا لزوم له.
[2] تسمى بالإسبانية: Estpona؛ وهي بلدة صغيرة تقع في الجنوب من إسبانيا؛ وبالتحديد شمال جبل طارق؛ وتطل على البحر الأبيض المتوسط.
[3] هذه الزيادة من نسختي: الزيتونة والملكية.
[4] في النسخ الثلاث يوجد بياض في مكانها.
[5] كتب في النسخ الثلاث: ((القاهرة)). وصوب عنان ذلك.
[6] يقصد: تكاثر خصومه.
[7] كلمة ((كوثر)) كتبت في النسخ الثلاث. وربما قصد كثرة الخصوم. أما عبارة ((فألقى به))؛ فقد ورد بعد هذه الكلمة في النسخ الثلاث: ((الأسطول)). وهذا يخل بالسياق. ويرجح عنان أن هذا بسبب السهو.
[8] كتبت هكذا في نسختي: ج، والزيتونة. أما في نسخة الملكية فكتب: ((سور تولهى))

إمارته، فقيد هو وأبنه، وخيض بهما البحر للحين: **(ولم ينتطح فيها عنزان)**[1]، رحمه الله، سنام فئة ألقت بَرْكَها[2]، وأناخت بكلكلها، وقد قدر أنها واقعة، ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾[3]، فقد كان من **بالجبل** برموا على إيالة ذينك المرتسمين[4]. وألقوا أجوارها، وأعطوهما الصفقة، بما أطمعهما في الثورة[5]، و﴿اللَّـ

---

[1] زُعِمَ أن هذا المثل حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم. وهو حديث ضعيف؛ نفاه كثير من المحققين. وجاء فيه بالتحديد: ((عَنْ اِبْنِ عَبَّاسٍ قال: هجت امرأة من بني خطمة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهجاء لها. قال: فبلغ ذلك النبيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فاشتد عليه ذلك؛ وقال: « من لي بها »؛ فقال رجل من قومها: أنا يا رسول الله ! وكانت تمَّارة؛ تبيع التَّمر. قال: فأتاها؛ فقال لها: عندك تمر؛ فقالت: نعم. فأرته تمراً؛ فقال أردتُ أجود من هذا. قال: فدخلت لتريه. قال: فدخل خلفها؛ ونظر يميناً وشمالاً؛ فلم ير إلا خِواناً؛ فعلا به رأسها حتى دمغها به. قال: ثم أتى النبيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)؛ فقال: يا رسول الله ! قد كفيتُكَها. قال: فقال النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): «إنه لا ينتطح فيها عنزان »؛ فأرسلها مثلاً . زعموا هذا مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا طفلاً، ولا امرأة)) وهذا الحديث رواه أبو داود في صحيحه (سنن أبي داود). ومن جهة أخرى ثمة من يقول أن هذا القول مثل أطلقه عدي بن حاتم عندما سمع بمقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه. فقال: (لا ينتطح فيها عنزان)).

[2] هكذا كتب في نسخة ج؛ بينما في نسخة الزيتونة كتبت: ((بركابها)).

[3] الآية 58 من سورة النجم.

[4] هذه الكلمة جاءت محرفة في النسخة ج؛ إذ كتبت: ((المرتسين)). وصوب ذلك من الملكية.

[5] كتبت في النسخ الثلاث: ((الثروة)). وهذا تحريف.

أَجَـلٍ كِتَـابٌ﴾[1]. واحتمل إلى الباب السلطاني **بمدينة فاس**، وبرز الناس إلى مباشرة إيصالهما مجلوبين في منصة الشهرة، مرفوعين في هضبة المثلة. ثم أمضى السلطان فيهما حكم الفساد، بعد أيام الحرابة، فقتل الشيخ بخارج **باب السمارين** من **البلد الجديد**. بأيدي قرابته. فكان كما قال الأُوَل[2]:

أضحت[3] رماح بني أبيه تنوشـــه
لله أرحـــام هنـــاك تشقــق

وقطعت رجل الولد ويده. بعد طول عمل وسوء تناول، ولم ينشب أن استنقذه حمامه؛ فأضحى عبرة في سرعة انقلاب حالهما من الأمور الحميدة، حسن طلعة، وذياع حمد، وفضل شهرة. واستفاضة خيرية، ونباهة بيت، وأصالة عز، إلى ضد هذه الخلال. وقانا الله

---

[1] **الآية كاملة هكذا: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ)، سورة الرعد؛ الآية: 38.**

[2] **البحر الكامل.**

[3] **كتبت في ج هكذ؛ بينمتا كتبت في نسخة الزيتونة: ((ظلت)).**

مصارع السوء، ولا سلب عنا جلباب الستر والعافية. وسد السلطان **ثغر الجبل** بآخر[1] من ولده اسمه **السعيد**، وكنيته **أبو بكر**، فلحق به في العشر الأول من المحرم من عام سبعة وخمسين وسبعمائة[2]، ورتب له بطانته، وقدر له أمره، وسوغه رزقاً رغداً، وعيشاً خفضاً. وبادر السلطان المترجم له، إلى توجيه رسوله؛ قاضياً حقه، مقرر السرور بجواره، وأتبع ذلك ما يليق من الحال من برّ ومهاداة ونزل، وتعقبت بعد أيام المكافآت[3]، فاستحكم الود، وتحسنت الألفة إلى هذا العهد. والله ولي توفيقهم ومسني الخير والخيرة[4] على أيديهم.

الحادثة التي جرت عليه

واستمرت أيامه كأحسن أيام الدول، خفض عيش[5]، وتوالي خصب، وشياع أمن، إلا أن شيخ الدولة القايد **أبا**

---

[1] كتب في نسخة ج: ((بأمر)). وصوب هذا من نسخة الملكية.
[2] الموافق لـ 1356م.
[3] كتبت هكذا في نسختي: الملكية والزيتونة. وفي ج: كتبت: ((المكافأة)). والأولى أرجح.
[4] كتبت هكذا في سخة ج؛ بينما كتب في نسختي: الزيتونة والملكية: ((الخيرات)). وقد رجح عنان الأولى.
[5] كتب في نسخة ج: ((عيشة)). وفضل عنان لفظة الزيتونة والملكية.

النعيم رحمه الله، أضاع الحزم. وإذا أراد الله إنفاذ قضائه وقدره[1]، سلب ذوي العقول عقولهم، بما كان من أمنه جانب القصر[2] الملزم دار سكناه، من علية فيها أخو السلطان، بتهاونه يحيل أمه المداخلة في تحويل الأمر إليه، جملة من الأشرار، دار أمرهم على زوج ابنتها الرئيس **محمد بن إسماعيل بن فرج** من القرابة الأخلاف، **وإبراهيم ابن أبي الفتح**. **والدليل المورروري**[3]؛ وأمدته بالمال، فداخل القوم جملة من فرسان القيود، وعمرة السجون، وقلاميد الأسوار. وكانت تتردد إليه في سبيل زيارة بنتها الساكنة في عصمة هذا الخبيث، المنزوع العصمة، خارج **القلعة** حتى تم يوم الأربعاء الثامن والعشرين لرمضان من العام، اجتمعوا وقد خفي أمرهم، وقد تألفوا عددا يناهز المائة بالقوس الداخل من **وادي هَدَارُّه** إلى البلد، لصق الجناح الصاعد منه إلى **الحمراء**، وكان بسورها ثلم، لم يتم ما

---

[1] كتب هذا في نسخة ج؛ أما في نسختي: الزيتونة والملكية: ((أمر من أوامره)).
[2] كتب في النسخ الثلاث: ((الصبر)). وهذا تحريف.
[3] الدليل المورروري: هو أحد المتآمرين على السلطان الغني بالله؛ حيث أطيح به؛ وانتصب عوضاً عنه أخوه إسماعيل ابن يوسف. وقد ولاه هذا السلطان الثائر وزيرا له وجعله حافظا للباب وأمينا لسدة الملك.

شرعوا فيه من إصلاحه؛ فنصبوا سلماً أعد لذلك، وصعدوا منه. ولما استوفوا، قصدوا الباب المضاع المسلحة، للثقة بما قبله؛ فلما تجاوزوه أعلنوا بالصياح، واستغلظوا بالتهويل. وراعوا الناس بالاستكثار من مشاعل الخلفاء، فقصدت طايفة منهم دار الشيخ القايد **أبي النعيم**؛ فاقتحمته غلاباً وكسرت أبوابه؛ وقتلته في مضجعه، وبين أهله وولده، وانتهبت ما وجدت به. وقصدت الأخرى دار الأمير، الذي قامت بدعوته، فاستنجزته واستولت على الأمر. وكان السلطان متحولاً بأهله[1] إلى سكنى **جنة العريف**[2] خارج **القلعة**، فلما طرقه النبأ، وقرعت سمعه الطبول سدده الله؛ وساند[3] أمره في حال الحيرة، إلى امتطاء جواد كان مرتبطاً عنده في ثياب تبذله ومصاحباً لأفراد من ناسه؛ وطار على وجهه، فلحق **بوادي آش** قبل سبوق نكبته، وطرق مكانه بأثر ذلك، فلم يلف فيه،

---

[1] كتبت هكذا في نسختي: ج، والملكية: أما في الزيتونة فكتبت: ((بأمره)).
[2] جنة العريف قصر ومنتهز رائع؛ يسمى الآن **El Generalife**؛ وهو من المعالم السياحية الشهيرة في غرناطة في الوقت الحاضر.
[3] كتبت في نسخة ج هكذا؛ بينما كتبت في نسختي: الملكية والزيتونة: ((وسواس))؛ وهذا تحريف.

واتبع فأعيا المتبع. ومن الغد، استقام الأمر لأولي الثورة، واستكملوا لصاحبهم أمر البيعة، وخاطبوا البلاد فألقت إلى صاحبهم أمر البيعة، وخاطبوا البلاد فألقت إلى صاحبهم بالأزمة، وأرسلوا إلى[1] **ملك النصارى** في عقد الصلح. وشرعوا في منازلة **وادي أش**، بعد أن ثبت أهلها مع المعتصم بها، فلازمته المحلات وولي عليه التضييق. وخيف فوات البدر ونفاد القوة، فشرع السلطان في النظر لنفسه، وخاطب السلطان **أبا سالم ملك المغرب** في شأن القدوم عليه، فتلقاه بالقبول؛ وبعث من يمهد الحديث في شأنه، فتم ذلك ثاني يوم عيد النحر من العام. وكنت عند الحادثة على السلطان، ساكناً بجنتي المنسوبة إليّ من الحضرة، منتقلاً إليها بجملتي، عادة المترفين، إذ ذاك من مثلي، فتخطانى الحتف، ونالتني النكبة، فاستأصلت النعمة العريضة، والجدة الشهيرة، فما ابتقت طارفاً ولا تليداً، ولا ذرت قديماً ولا حديثاً، والحمد لله مخفف الحساب، وموقظ أولي الألباب، ولطف الله بأن[2] تعطف

---

[1] سقطت هذه الكلمة في النسخ الثلاث. وقد وضعها عنان؛ ليستقيم الكلام.
[2] لم ترد كلمة بأن في النسخة؛ بينما كتبت في نسخة ج.

السلطان **بالمغرب** إلى شفاعة بي بخطه، وجعل أمري من فصول قصده. ففكت عني[1] أصابع الأعداء، واستخلصت من أنيابهم، ولحقت بالسلطان **بوادي آش**. فذهب البأس، واجتمع الشمل. وكان رحيل الجميع ثاني عيد النحر المذكور، فكان النزول **بفحص ألفنت**، ثم الانتقال إلى **لوشة**، ثم إلى **أنتقيره**، ثم إلى **ذكوان**، ثم إلى **مربلة**[2]؛ يضم أهل كل[3] محل من هذه مأتماً للحسرة، ومناحة للفرقة[4]. وكان ركوب البحر صحوة الرابع والعشرين من الشهر، والاستقرار **بمدينة سبتة**، وكفى بالسلامة غنماً، و﴿الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[5]. وكان الرحيل إلى باب السلطان،

---

[1] كتب في نسختي: الزيتونة وج: ((ففككت عن)).
[2] مربلة: تقع هذه البلدة ما بين وادي آش ولوشة. ثم إلى الجنوب الغربي إلى اتقتيرة، ثم إلى ذكوان؛ وبعدها إلى مربلة التي تقع على شاطئ البحر البيض المتوسط. وأضحت ـ بعد سقوط الجزيرة الخضراء وجبل طارق ـ من أهم الثغور التي يعبر منها إلى المغرب.
[3] هذه الكلمة سقطت من النسخ الثلاث. وقد وضعها عنان ليسقيم المعنى.
[4] هكذا جاء في نسخة ج؛ بينما كتبت هذه العبارة في الملكية والزيتونة هكذا: ((مأتم الحسرة ومناحة الفرقة)).
[5] الآية كاملة هكذا: (قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إن الأَرْض لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ). سورة الأعراف؛ الآية: 128.

تحت بر لا تسعه العبارة، ولقاؤنا إياه بظاهر **البلد الجديد** لإلمام ألم عاقه عن الإصحار[1] والتغني على البعد، يوم الخميس السادس لمحرم؛ من عام أحد وستين[2] بعده. في مركب هايل، واحتفال رايع رايق، فعورض فيه النزول عن الصهوات، والبر اللايق بمناصب الملوك، والوصول إلى الدار السلطانية[3]، والطعام الجامع للطبقات وشيوخ القبيل. وقمت يومئذ فوق رأس السلطان، وبين يدي مؤمله، فأنشدته مغرياً بنصره، كالوسيلة بقولي[4]:

سلا هل لديها مـــن مخبـــرة ذكـــر

وهل أعشب الوادي ونم به الزهـــر

فهاج الامتعاض[5]، وسالت العبرات، وكان يوماً مشهوداً، وموقفاً مشهوراً، طال به الحديث، وعمرت به النوادي، وتوزعتنا النزايل على الأمل، شكر الله ذلك

---

[1] **هكذا كتبت في ج؛ بينما كتبت في الملكية والزيتونة: ((الإحصار)). وهو تحريف.**
[2] **761هـ/1359م.**
[3] **هكذا كتبت في ج؛ بينما كتبت في الملكية والزيتونة: ((الإمامية)).**
[4] **البحر الطويل.**
[5] **كتبت في النسخ الثلاث: ((الامتعاط)).**

وكتبه لأهله، يوم الافتقار إلى رحمته. واستمرت الأيام، ودالت الدولة للرئيس **بالأندلس**، والسلطان تغلبه المواعيد، وتونسه الآمال، والأسباب تتوفر، والبواعث تتأكد. وإذا أراد الله أمراً هيأ أسبابه، واستقرت بي الدار **بمدينة سلا**، مرابطاً مستمتعاً بالغيبة، تحت نعمة كبيرة، وإعفاء من التكليف. وفي اليوم السابع لشوال؛ من عام التاريخ، قعد السلطان بقبة العرض[1] بظاهر **جنة المصارة** لتشييعه[2]، بعد اتخاذ ما يصلح لذلك؛ من آلة وحلية[3]، وقد برز الخلق، لمشاهدة ذلك الموقف المسيل للدموع، الباعث للرقة؛ المتبع بالدعوات، لما قذف الله في القلوب من الرحمة، وصحبه به في التغرب من العناية، فلم تنب عنه عين، ولا خمل له موكب، ولا تقلصت عنه هيبة، ولا فارقته حشمة، كان الله له في الدنيا الآخرة؛ وأجاز. واضطربت الأحوال؛ بما كان من هلاك معينه السلطان **أبي**

---

[1] هذه العبارة منقولة من اللمحة البدرية، ونفح الطيب.
[2] كتب في ج: ((وتشييعه))؛ بينما كتب في الزيتونة والملكية: ((وتشيعه)). وهو تحريف؛ لأن المقصود هو تشييع السلطان الغني بالله.
[3] كتب في ج: ((وحيلة))؛ وهذا تحريف.

سالم، وغدر الخبيث المؤتمن على قلعته به، **عمر**[1] **بن عبد الله بن علي**، صعر الله حزبه[2]، وخلد خزيه، وسقط في يده. إلا أنه ثبتت في **رُندة** ـ من **إيالة الأندلس**، الراجعة إلى **إيالة المغرب**[3] ـ قدمه، فتعلل بها، وارتاش بسببها، إلى أن فتح الله عليه، وسدد عزمه، وأراه لما ضعفت الحيل صنعه. فتحرك إلى بر **مالقة**؛ وقد فغر عليها العدو فمه؛ ثم أقبل على **مالقة**، مستميتاً دونها؛ فسهل الله الصعب، وأنجح القصد، واستولى عليها. وانثالت عليه ـ لحينها ـ البلاد، وبدا الريس[4] المتوثب على الحضرة، بعد أن استوعب الذخيرة والعدّة، في جملة ضخمة ممن خاف على نفسه؛ لَوْ وَفَّى بذمة الغادر وعهده؛ واستقر بنادي[5] صاحب **قشتالة**؛ فأخذه بجريرته[6]؛ وحكم الحيلة في جنايته

---

[1] حرفت في النسخ الثلاث؛ إذ كتب: ((عامر)).
[2] كتب في ج: ((خزيه)). والصوام ما ورد في الملكية والزيتونة.
[3] وذلك أن بلدة رندة؛ كانت ضمن أملاك المغرب؛ بعد أن تنازل عنها سلاطين غرناطة لملوك بني مرين؛ حتى تكون رأس جسر لجيوشهم المجاهدة في الأندلس.
[4] هكذا. والمقصود: الرئيس.
[5] كتب في النسخ الثلاث: ((بنا)).
[6] حرفت في نسختين؛ إذ كتب في ج: ((بجريرة))؛ وفي الملكية: ((في جزيرة)). ويقصد بكلمة جريرته: جنايته وذنبه.

وغدره، وألحق به من شاركه في التَّسَوّر من شيعته. ووجه إلى السلطان برؤوسهم تبع رأسه. وحث السلطان أسعده الله خطاه إلى الحضرة، يتلقاه الناس، مستبشرين، وتتزاحم عليه أفواجهم مستقبلين مستغفرين. وأحق الله الحق بكلماته، وقطع دابر الكافرين[1]. وكان دخول السلطان دار ملكه، وعوده إلى أريكة سلطانه، وحلوله بمجلس أبيه وجدّه، زوال يوم السبت الموفي عشرين لجمادى الثانية من عام ثلاثة وستين وسبعمائة[2]، جعلنا الله من همّ الدنيا على حذر، وألهمنا لما يخلص عنده من قول وعمل. وتخلف الأمير وولده بكره، أسعده الله، **بمدينة فاس** فيمن معه من جملة، وخلفه من حاشية؛ ولد المستولي[3] على **ملك المغرب** في إمساكه إلى أن يسترجع **رُندة** في معارضة هدفه. ثم إن الله جمع لأبيه بجمع شمله، وتمم المقاصد بما عمه من سعده. وكان وصولي

---

[1] **إشارة إلى قوله تعالى في الآية الكريمة: (وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الكَافِرِينَ). سورة الأنفال؛ الآية: 7.**

[2] **الموافق لـ 1361م.**

[3] **هكذا كتب في ج؛ بينما كتب في الزيتونة: ((المتوثب)).**

إليه معه، في محمل اليمن[1] والعافية، وعلى كسر التيسير من الله والعناية[2] يوم السبت الموفى عشرين شعبان؛ عام ثلاثة وستين وسبعمائة[3].

***

[1] كتبت هكذا في ج؛ بينما كتبت في الزيتونة: ((اليسر)).

[2] لاحظ عنان بعض الإضطراب في سياق الكلام؛ ولكي تتضح فكرته ننقل كلامه كما جاء: ((وردت في الملكية مقابل هذه الفقرة التي بين الحاصرتين فقرة أخرى لا تمت إليها بأية صلة؛ وذلك على النحو الآتي: ((يصل فيها اليتيم والأرملة، فيفرح الضعيف، وينتظر حصول الزمن، يعتمد.... ويعاقب الوزعة في الأغلاط إلى أحسن الملكة.... في الأمر عن سعد. وكان... في ترك الحظ، والتبري من سجية الانتقام، والكلف بما تيسر من الله والعناية، يوم السبت...)).

[3] الموافق لـ **1361**م.

ترتيب الدولة الثانية

السعيدة الدور إلى بيعة الكور

هنأ المسلمين ببركتها الوافرة، ومزاياها المتكاثرة. السلطان أيده الله قد مرّ ذكره، ويسر الله من ذلك ما تيسر.

وزراؤه

اقتضى حزمه إغفال هذا الرسم جملة، مع ضرورته في السياسة، وعظم الدخول، حذراً[1] من انبعاث المكروه له من قبله، وإن كان قدم[2] بهذا اللقب في طريق منصرفه إلى **الأندلس**، وإياماً من مقامه **برندة**، فنحله عن كره، **علي بن يوسف بن كماشة**، من عتاق[3] خدامه وخدام أبيه، مستصحباً إياه، مسدول التجمل على باطن نفرة، مختوم الجرم، على شوكه، في حطبه في حبل المتغلب، وإقراضه السيئة من الحسنة، والمنزل الخشن، إلى الإنفاق

---

[1] كتب في النسخ الثلاث: ((حوزا)).
[2] كتب في ج، والملكية: ((قدموه))؛ بينما كتب في الزيتونة: ((قدمه)).
[3] كتب في النسخ الثلاث: ((عقاق)).

منه على الخلال الذميمة، ترأسها خاصة الشوم، علاوة على حمل الشيخ الغريب الأخبار، والطمع في أرزاق الدور[1]، والاسترابة بمَوَدَّة الأب، وضيق العطن[2]، وقصر الباب، وعي اللسان، ومشهور الجبن. ولما وقع القبض، وساء الظن، بعثه من **رندة** إلى **الباب المريني** ليخلي منه جنده، ويجس مرض الأيام، بعد أن نقل من الخطة كعبه، فتيسر بعد منصرفه الأمر، وتسني الفتح. وحمله الجشع الفاضح، والهوى المتبع، على التشطط لنفسه، والكدح لخُوَيْصَتِه بما أقطعه الجفوة، وعسر عليه العودة على السلطان بولده، إلى أن بلغ الخبر برجوع أمره، ودخول البلاد في طاعته. فألقى ما تعين إليه، وأهوى به الطمع البالغ في عرش الدولة، ويرتاش في ريق انتقامها. وتحرك وراية الإخفاق خافقة على رأسه، قطب مخلصه، وجؤجوة عوده، من شيخ تدور بين فتكه رحى جعجعة، وتثور بين أضلاعه[3] حية مكيدة، وينعق[4] فوق مساعيه غراب شوم

[1] هكذا كتبت في الزيتونة؛ بينما كتبت في الملكية وج: ((الدر)).
[2] حرفت في النسخ الثلاث؛ إذ كتب: ((الطعن)).
[3] كتب في ج: ((أغلاطه)). والصواب ما ورد في الملكية.
[4] كتب في ج: ((ويلحق)). والصواب ما ورد في الملكية.

وطيرة، وحدث حرفاؤه صرفاً من مداخلة **سلطان قشتالة**، أيام هذه المجاورة، فبلغ أمنيته من ضرب وعد، واقتناء عهد، واتخاذ مدد، وترصيد دار قرار، موهماً نفسه البقاء والتعمير والتملي، وانفساح المدة والأمر، وقيادة الدَّجَن[1] عند تحول الموطن لملة[2] الكفر، يسمح[3] لذلك لنقصان عقله، وقلة حيائه وضعف غيرته. وطوى المراحل، وقيض حُمَّى تزلزل[4] لها فكاه، أضلها الحسرة، وانتزاء الخبائث. وتلقاه **بمالقة**، إيعاز السلطان بالإقامة بها، لما يتصل به من سوء تصريفه، ثم اطلع شافع الحياء في استقامة وطنه طوق عتبه، وصرفه إلى منزله، ناظراً في علاج مرضه. ثم لما أفاق وقفه دون حده، ولم يسند إليه شيئاً من أموره، فشرع في ديدنه من الفساد عليه، وتمرس سلطان **قشتالة**، شاكياً إليه بثه، وأضجر لسكنى باديته بالثغر، فراب السلطان أمره، وأهمه شأنه، فتقبض عليه وعلى

---

[1] الدجن هو الاستكانة في بلاد العدو. المدجنون - في اصطلاحهم - هم المسلمون الذين استوطنوا بلاد النصارى وجاوروهم.

[2] كتب في ج: ((الملكة))، بينما كتب في الملكية: ((لملكة)). ويرى عنان أنه تحريف.

[3] هكذا كتبت في ج؛ بينما كتبت في الزيتونة والملكية: ((ينجح))؛ والأولى أرجح.

[4] كتب في ج: ((تولول)). بينما كتب في الملكية: ((تزلزلول)). وهذا تحريف.

ولده، وصرفا في جملة من دائرة السوء ممن ثقلت[1] وطأته، فغربوا إلى **تونس**، أوايل شهر رمضان؛ من عام ثلاثة وستين.[2] ثم لما قفل من الحج، واستقر **ببجاية** يريد **المغرب**، حنَّ إلى جوار **النصرانية**، التي ريمَ سلفه العبودية إليها، فعبر البحر إلى **برجلونه[3]،** ينفض عناء طريق الحج على الصُّلْبان، ويقفو على آثار تقبيل الحجر الأسود، تقبيل أيدي الكفار. ثم قصد **باب المغرب** رسولاً عن **طاغية[4] برجلونه** في سبيل فسادٍ على المسلمين؛ فلم ينجح فيه قصده؛ فتقاعد لما خسر فيه ضمانه، وصرف وكره إلى الاتصال بصاحب **قشتالة**، وعَنَّ على كَتْب إليه بخطه، يَتَنَفَّقُ عنده، ويغريه بالمسلمين؛ فتقبض عليه، وسجن **بفاس** مع أرباب الجرائم. وعلى ذلك استقر حاله إلى اليوم، وأبرأ إلى الله من التجاوز في أمره: ﴿وَمَنْ

---

[1] **كتبت في ج، والزيتو،ـة: ((ثقلـة)).**
[2] **الموافق لـ 1361م.**
[3] **هي مدينـة برشلونـة.**
[4] **كتب في النسخ الثلاث: ((طـا)).**

يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾[1]. ولما وفدت على السلطان بولده، وقرت عيني بلقايه، تحت سداده وعزه، وفوق أريكة ملكه، وأديت ما يجب من حقه؛ عرضت عليه غرضي، ونفضت له خزانة سرّي، وكاشفته ضميري بما عقدت مع الله عهدي، وصرفت إلى التشريق[2] وجهي، فعلقت بي لركومه علوق الكرامة، ولاطفني بما عاملت البر بين الدَّعر والضّنانة، ويضرب الآماد [وخرج لي عن الضرورة، وأراني أن مؤازرته أَبَرَّ القرب، وراكنني إلى عهد بخطه، فسح فيه لعامين أمد الثواء، واقتدى **بشعيب** صلوات الله عليه في طلب الزيادة على تلك النسبة، وأشهد من حضر من العلية. ثم رمى إليّ بعد ذلك بمقاليد رأيه، وحكم عقلي في اختيار عقله، وغطى من جفائي بحلمه، وحثا في وجوه شهواته تراب زجري، ووقف القبول على وعظي، وصرف هواه في التحول ثانياً

---

[1] **الآية كاملة هكذا: (أفمَنْ هُوَ قائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلّهِ شُرَكَاءَ قلْ سَمُّوهُمْ أمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي الأرْضِ أمْ بِظَاهِرٍ مِنَ القوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلّذِينَ كَفرُوا مَكْرُهُمْ وَصَدُّوا عَنِ السّبِيلِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ). سورة الرعد؛ الآية: 33.**

[2] **المقصود بكلمة التشريق هو التوجه إلى المشرق لأداء فريضة الحج.**

وقصدي، واعترف بقبول نصحي، فاستعنت بالله، وعاملت وجهه فيه] [1]. وصادقني مقارضة الحق بالجهاد، ورمى إلي بدنياه، وحكمني فيما ملكته يداه، وغلبني على أمره لهذا العهد: ، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ﴾[2]. فأكمل المقام ببابه إلى هذا التاريخ مدة أجرى الله فيها، من يمن النقيبة، واطراد السداد، وطرد[3] الهوى، ورفض الزور[4]، واستشعار الجد، ونصح الدين، وسد الثغور، وصون الجباية، وإنصاف المرتزقة، ومحاولة العدو، وقرع الأسماع بلسان الصدق، وإيقاظ العيون من نوم الغفلة، وقدح زناد الرجولة، ما هو معلوم، يعضد دعواه، ولله المنة، سجية السذاجة، ورفع التسمت[5]، وتكور المنسأه،

---

[1] جاءت هذه الفقرة التي حصرت بين حاصرتين في نفح الطيب.؛ بينما سقطت في النسخ الثلاث من الإحاطة.

[2] الآية كاملة هكذا: (وَقَالَ الذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لاِمْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أنْ يَنْفَعَنَا أوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَكَذَلِكَ مَكَّنَا لِيُوسُفَ فِي الأرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأوِيلِ الأحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أمْرِهِ ولَكِنَّ أكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ). سورة يوسف؛ الآية: 21.

[3] كتبت في النسخ الثلاث: ((أطراد)).

[4] كتبت هكذا في ج؛ أما الملكية فقد حرفت؛ إذ كتبت: ((الدور)).

[5] كتبت في الزيتونة: ((التسمية)).

وتفويت العقار في سبيل القربة، والزهد في الزَّبْرِج[1]، وبث حبال الآمال، والتعزيز بالله عن الغنيمة، وجعل الثوب غطاء الليل، ومقعد المطالعة فراش النوم، والشغل لمصلحة الإسلام، لرَيم الأنفاس، فأثمر هذا الكرخ[2]، وأثبج هذا المسعى مناقب الدولة، بلغت أعنان[3]، وآثاراً خالدة، ما بقيت الخضراء على الغبراء، وأخباراً تنقل وتروى، إن عاندها الحاسد، فضحه الصباح المنير، وكاثره القطر المنثال، وأعياه السيل المتدافع: فما يختص من ذلك بالسلطان، فخامة الرتبة، ونباهة الألقاب، وتجمل الرياش، وتربع[4] الشريعة، وارتفاع التشاجر ببابه، والمنافسة والاغتباط منه، بمجالس التنبيه والمذاكرة، وبدار الدموع في حال الرقة، والإشادة باحتقار الدنيا بين الخاصة، وتعيين الصدقات في الأوقات العديدة، والقعود لمباشرة المظالم ستة عشر يوماً في كل شهر من شهور الأهلة، يصل إليه فيها اليتيم والأرملة، فيفرح الضعيف،

---

[1] الزبرج هي: وسائل الزينة ومظاهرها؛ من: وشي، وحلي، وجواهر، وذهب، وغيره.
[2] كتب في ج: ((الكرج)).
[3] هكذا. وقدأضاف د. طويل كلمة: ((السماء)).
[4] كتب في ج: ((فسوبع))؛ وفي الملكية: ((فهوبع)). والصواب ما جاء أعلاه.

وينتظر حضور[1] الزمن، ويتغمد هفوة الجاهل، ويتأثر لشكوى المصاب، ويعاقب الوزعة على الأغلاط، إلى إحسان[2] الملكة في الأسري، والإغراب في باب الحلم، والإعياء في ترك الحظ، والتبري من سجية الانتقام، والكلف بإرتباط الخيل، واقتناء أنواع السلاح، ومباشرة الجهاد، والوقار في الهيعات[3]، وإرسال سجية الإيمان، وكساد سوق المكيدة، والتصامم عن السعاية. هذا مع الشباب الغض، والفاحم الجَعْد، وتعدد[4] حبائل الشيطان في مسالك العمر، ومطاردة قانص اللذات في ظل السلم، ومغازلة عيون الشهوات من ثنايا الملوك. وأيْمُ الله الذي به[5] تستخلص الحقوق، وتيسر الستور، وتستوثق العهود ولا[6] تطمئن القلوب إلا به ؛ ما كاذبته، ولا راضيت راضيت في الهوادة طوله، ولا سامحته في نقيض هذه

---

[1] كتب في ج: ((حصوا))؛ بينما كتب في الزيتونة والملكية: ((حصو)). وهذا تحريف.
[2] هكذا كتبت في ج؛ بينما كتبت في الملكية: ((أحسن)).
[3] الهيعات؛ مفردها هيعة: وهي كل ما يروع ويفزع؛ من: إشاعة فظيعة، وأصوات مريع..إلأخ.
[4] كتب في ج: ((التعدد)). والصواب ما جاء في الملكية والزيتونة.
[5] هذه الكلمة سقطت في النسخ؛ ولكنها ضرورية.
[6] سقطت فيها؛ وهي ضرورية كذلك.

الخلال. ولقد كنت أعجب من نفاق أسواق الذِّكرى لديه، وانتظام أقسية النصح عنده، وإيقاع نبات الرشد فيه نصيحة، وأقول بارك الله فيها من سجية، وهنأ المسلمين بها من نفس زكية. وسيأتي بيان هذه النتائج، وتفسير مجمل هذه الفضايل بحول من لا حول إلا به سبحانه. والحال متصلة على عهده الوثير من إعانته بالوسوع[1]، والخروج له عن هذه العهدة، والتسليم له في البقية، إرهافاً لسيف جهاده، وجلاء لمرآة نصحه وتسوية لميزان عدله، وإهابة [لمحمد رشده، شد العقدة، عقدة وغيرة على حرمة ماله وعرضه][2]، ورعاية للسان العلم المنبئ عن شأنه، ونيابة عنه في معقل ملكه، ومستودع ماله وذخيرته، ومحافظة على سره وعلانيته[3] لحرمه وولده، وعمراناً للجوانح بتفضيله وحبه، معاملة أخلص الله قصدها لوجهه، وأمحضها من أجله، ترفعه عن جراية [رحل هلالها، وإقطاع تنجع قدرته، أو فصلة

---

[1] هكذا كتبت في الزيتزنة والملكية؛ بينما كتبت في ج: ((بالوسع)).
[2] وردت هذه الفقرة في ج، والملكية؛ بينما سقطت في الزيتونة.
[3] كتب في ج: ((وعناية)). والصواب ما ورد في الزيتونة والملكية.

تعبث البنان بنشيرها، وخطة تشد إليه على منشورها][1].
والله يرجح ميزاني عنده، ويحظى وسيلتي لديه، ويحرك مكافأة سعيي في خواطر حجه، وينبه لتبليغ أملي من حج بيت الله، وزيارة رسول الله، بمنه وكرمه، فما على استحثاث الأجل من قرار، ولا بعد الشيب من إعذار: و﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[2].

أولاده[3]

كمل له في هذا الوقت من الولد أربعة، ثلاثتهم ذكور: **يوسف** بكره، وأراه يتلوه **سعد**، ثم **نصر** غلمة روقة، قد أفرغهم الله في قالب الكمال: ﴿ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَنْثُوراً ﴾.[4] فَسَحَ الله لهم أمد السعادة،

---

[1] سقطت هذه العبارة المحصورة بين الحاصرتين في الزيتونة.
[2] الآية كاملة هكذا: (الذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إنّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لكُمْ فاخْشَوْهُمْ فزَادَهُمْ إيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ). سور آل عمران؛ الآية: 173.
[3] في اللمحة البدرية: ((ولده: ولد له إلى هذا العهد ولد ذكر اسمه يوسف على اسم أبيه)).
[4] الآية كاملة هكذا: (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلّدُونَ إذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَنْثُوراً). سورة الإنسان؛ الآية: 19.

وجعل مساعيهم جانحة إلى حسنى العقبى، سالكاً بهم[1] سبيل الاهتداء بفضل الله ورحمته.

قضاته[2]

قدم لأول قدومه. الفقيه القاضي، الحسيب الخير، **أبا جعفر بن أحمد بن جزى**، شاكراً بلاءه **بمالقة**؛ إذ كان قد ألقاه قاضياً بها للمتغلب، فلم يأل جهداً في الإجلاب على من اعتصم بقصبتها، والتحريض على استنزالهم، فاتخذ زلفة لديه، فأجرى الأحكام، وتوخى السداد. ثم قدم إليها[3] الفقيه القاضي الحسيب **أبا الحسن علي بن عبد الله بن الحسن**، عين الأعيان ببلده **مالقة**، والمخصوص برسم التجلة، والقيام بوظيفة[4] العقد والحل بها[5] [في الدولة الأولى، وأصالة البيت، والانقطاع[6] إليه،

[1] سقطت في ج؛ بينما كتب في الملكية والزيتونة: ((على)).
[2] أوردت ابن الخطيب تحت عنوان قضاته؛ في اللمحة البدرية؛ اسم واحد فقط. هو القاضي أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد الحسني؛ وذكر أن السلطان الغني بالله جدّد له ولاية القضاء والخطابة في أواخر شعبان من عام **770هـ**.
[3] سقطت في ج؛ بينما وردت في الزيتونة والملكية. وهذا النص موجود في نفح الطيب.
[4] في نفح الطيب: ((والقيام بالعقد والحل)).
[5] بدءاً بهذا الحاصرة؛ وحتى تقفل الحاصرة الآتية؛ فكل ما بينهما غير وراد في نفح الطيب.
[6] كتب في ج، والزيتونة: ((الإقطاع)).

ومصاحبة ركابه في طلب الملك، ومتسور المشاق من أجله، وأولى الناس باستدرار خلف دولته]، فسدد وقارب، وحمل الكَّل[1]، وأحسن فصاحة[2] الخطبة[3] والخطة، وأكرم المشيخة وأرضى، واستشعر النزاهة، ولم يقف في حسن التأني عند[4] غاية، واشتمل معها لفق الخطابة، فأبرز وأعلم، تسمياً وحفظاً وجهورية، فاتفق في ذلك على رجاحته[5]، واستصحب نظره على الأحباس. الأحباس. فلم يقف في النصح عند غاية، أعانه الله.

---

[1] الكَلَّ هنا: الضعيف.
[2] في النفح: ((مصاحبة)).
[3] كلمة الخطبة كتبت في الزيتونة.
[4] في النفح: ((على)).
[5] هذا ما جاء في الملكية والزيتونة؛ بينما كتب في ج: ((رجحانه)). والأولى أرجح.

كتابه[1]

أسند الكتابة إلى الفقيه المدرك، المبرز في كثير من الخلال[2]، ملازمه أيضاً في طلب الملك. ومطاردة قنص الحظ[3] **أبي عبد الله بن زمرك**، ويأتي التعريف بجميعهم.

شيخ غزاته

متولي ذلك في الدولة الأولى، الشيخ **أبو زكريا يحيى بن عمر بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق**[4]، قدمه إليها معتباً إياه، طاوياً بساط العدو بالجملة، قدموها بابنه **عثمان** على[5] الخاصة يومئذ، لمظاهرته في الوجهة، وسعيه وسعيه في عودة الدولة. واستمرت الحال إلى اليوم الثالث عشر لشهر رمضان؛ من عام أربعة وستين وسبعمائة[6]،

---

[1] ذكر ابن الخطيب؛ في اللمحة البدرية؛ وتحت عنوان ((كتابه)): أنه هو من تولى هذه الخطة للسلطان الغني بالله. كما ذكر أنه هو من استعان - في أواخر عهد هذا السلطان بكاتب الدولة الحفصية بتونس؛ الفقيه الكاتب أبا محمد عبد الحق بن أبي القاسم بن عطية.

[2] كتب في ج: ((الخلل))؛ والصواب ما جاء في الزيتونة والملكية.

[3] هكذا كتبت في ج؛ بينما كتب في الملكية: ((ومطارحة الحظ))، والزيتونة كتب: ((ومطاردة الحظ)).

[4] هكذا في اللمحة البدرية؛ حيث ورد أن الغني بالله أقره على الغزاة.

[5] كلمة ((على)) ساقطة في النسخ الثلاث؛ وأضافها عنان.

[6] الموافق لـ 1362م.

وكان القبض على جملتهم، وأجلى[1] هذا البيت من سُفرة السياسة مدة، مجتزياً فيه بنظره على رسمه في الوزاة[2] من قبيله. ثم قدم إليها موعده بها القديم الخدمة، وسالف الأدمة، لما لجأ إلى **وادي آش** مفلتاً من وبقة[3] الحادثة، الشيخ **أبا الحسن علي بن بدر الدين بن موسى بن رحو ابن عبد الله بن عبد الحق**. حلف السداد أيامه، والمقاربة والفضل والدماثة، المخصوص على اختصار بيمن النقيبة، واستمرت أيامه إلى نقبة القفول عن غزوة **جيان** أخريات محرم؛ من عام تسعة وستين[4]، وتوفي رحمه الله حتف أنفه، فاحتفل لمواراته، وإقرابه من تأبِّيه، واستغفاره، والاعتراف بصدق موالاته، وتفجيعه لفقده، وما أعرب به من وفاء نجده، وقدم لها عهداً طرف اختياره، الأمين[5]، الشهم، والبهمة، خدن الشهرة، والمشار إليه بالبسالة، وفرع الملك والأصالة، **عبد الرحمن ابن الأمير أبي الحسن**

---

[1] **هذا ما كتب في ج؛ بينما كتب في الملكية والزيتونة: ((وأحلى)). والأولى أرجح.**
[2] **هكذا: ولعلها الوزارة.**
[3] **هكذا في الزيتونة؛ بينما كتب في الملكية وج: ((وثبة)). والأولى أرجح.**
[4] **769هـ/1367م.**
[5] **هكذا كتب في الملكية والزيتونة؛ بينما كتب في ج: ((الأمير)).**

علي ابن السلطان أبي علي عمر ابن أمير المسلمين أبي سعيد عثمان ابن أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق، إذ كان قد لحق به، بعد ظهور أتيح[1] له بوطنه من **المغرب**، استقر مبايعاً بعمالة **سجلماسة** وما إليها، وطن جده، وميراث سلفه، ففسح له جانب قبوله، وأحله من قربه محل[2] مثله، وأنزله بين ثغر الإغتباط ونحره، ثم استظهر به على هذا الأمر، فأحسن الاختيار. وأعز الخطة، وهو القايم عليها لهذا العهد، وإلى الله أسباب توفيقه.

ظرف السلطان وحسن توقيعه

بذَّ في هذا الباب من تقدمه، وكثرة وقوعه، بحيث لا يعد نادرُه[3]، وقليل الشيء يدل على كثيره. مر بي يوماً ومعي ولده، يروم اتخاذ حذق القرآن، فقلت له: أيدك الله، الأمير يريد كذا، ولا بد له من ذلك، وأنا وكيله

[1] كتبت في النسخ الثلاث: ((أبيح)). وصوب عنان ذلك.
[2] كتبت في النسخ الثلاث: ((على)). وصوب هذا عنان.
[3] كتب في ج، والملكية: ((بعد نادك))؛ أما الزيتونة فكتب فيها: ((يعددك))؛ فصوب.

عليك في هذا، فقال: ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾[1].
ولا خفاء ببراعة هذا التوقيع. وغرابة مقاصده. ومجالسه على الأيام معمورة بهذا ومثله[2].

الملوك على عهده

بالمغرب[3]: السلطان الجليل **إبراهيم ابن السلطان أبي الحسن، ابن السلطان أبي سعيد ابن السلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق**. تولى ملك **المغرب** حسبما تقدم في اسمه[4]، وألقى إليه بالمقاليد، واستوسقت له الطاعة، وبحسب ما بث الله من إشرباب الخلق إليه[5]، وتعطشهم إلى لقائة، ورغبتهم في إنهاضه إلى ملك أبيه، كان

---

[1] الآية كاملة هكذا: (الذِينَ قَالَ لَهُمُ النّاسُ إنّ النّاسَ قدْ جَمَعُوا لَكُمْ فاخْشَوْهُمْ فزَادَهُمْ إيمَاناً وَقالُوا حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ). سورة آل عمران؛ الآية: 173.

[2] في ج: ((ولمثله)). والصواب ما جاء في الملكية والزيتونة.

[3] ورد في اللمحة البدرية؛ ضمن هذه الفقرة؛ أن سلطان المغرب في عهد الغني بالله هو أبو عنان فارس بن أبي الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق؛ ثم ولي بعده ولده السعيد أبو بكر.

[4] ورد في النسخ الثلاث اسم أبيه؛ وهذا خطأ؛ والصواب ما أثبته عنان؛ لأن المقصود هو اسم السلطان إبراهيم أبي أبي الحسن بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق أبو سالم. وقد وردت ترجمته في الإحاطة.

[5] إشرباب وردت في الزيتونة والملكية؛ وفي ج كتب: ((أشر))؛ وهو تحريف؛ لأن المقصود بالإشرباب هنا هو محبة الناس فيه.

انقلابهم إلى ضد هذه الخلال، شرقاً بأيامه وإحصاء لسقطاته، وولعاً باغتيابه وتربصاً لمكروه به، إذ أخفقت فيه الأمال، واستولت الأيدي من خدامه على ملكه. وقيض الله لإبادة أمره، وتغير حالة وهد ركنه، الخائن الغادر نسمة السوء وقذار ناقة الملك، وصاعقة الوطن وحرد السيد[1] **عمر بن عبد الله بن علي**[2] مؤتمنة[3] على **البلد الجديد**، دار ملكه ومستودع ماله وذخيرته، فسدّ الباب دونه، وجهر بخلعانه، وفض في اتباع الناعق المشئوم سور ماله، وأقام الدعوة باسم أخيه **أبي عمر**، ذي اللوثة، الميئوس من إفاقته، وذلك ضحوة اليوم الثامن عشر لشوال؛ من عام اثنين وستين وسبعمائة[4]. وبادر السلطان **أبو سالم** البيعة من متحول سكناه بقصر البلد القديم[5]، وصابر الأمر عامة اليوم. ولما جن الليل، فرّ لوجهة، وأسلم وزراءه، وخاصته، وقيدت خطاه الخيرية، فأوى

---

[1] **هكذا كتب في الزيتونة والملكية؛ بينما كتب ج: ((جرد السيد)).**
[2] **في اللمحة البدرية: ((عمر ابن الوزير عبد الله بن علي البيَّاني)).**
[3] **كتب في ج: ((ويتمنه))؛ وهو أسلوب قديم.**
[4] **الموافق لـ 1360م.**
[5] **يقصد بها مدينة القديمة (فاس البالي). وهي تقابل فاس الجديد المدينة الملكية.**

إلى بعض البيوت، وبه تلاحق متبوعه، فقيد إلى مصرعه السوء بظاهر بلده، وحز رأسه، وأوتي به إلى الغادر. وكان ما بين انفصال السلطان عنه مودعاً إلى **الأندلس** بإعانته، ومطوق فضل تلقيه وقفوله وحسن كفالته، ثمانية أشهر ويوم واحد. واستمرت دعوة أخيه المموه به إلى الرابع والعشرين من صفر؛ من عام ثلاثة وستين وسبعمائة[1]، واستدعي من **باب قشتالة** الأمير **محمد أبو زيان ابن الأمير أبي زيد بن عبد الرحمن ابن السلطان المعظم أبي الحسن**. وقد استقر نازعاً إليه أيام عمه السلطان **أبي سالم**، وقع عليه اختيار هذا الوزير الغادر، إذ وافق شن تغلبه طبق ضعفه[2]، وأعمل الحيلة في استجلابه، فوصل حسب غرضه، وأجريت الأمور باسمه، وأعيد أخوه المعتوه إلى مكانه، واستمرت أيام هذا الأمير مغلوباً عليه، مغرى بالشراب على فيه وبين الصحب[3] إلى أن ساءت حاله، وامتلأت بالموجدة على الوزير نفسه،

---

[1] الموافق لـ 1361م.

[2] تلميح إلى المثل القائل: ((وافق شن طبقه)). وقدسبق شرح هذا المثل في بداية هذا المجلد.

[3] سقطت في الزيتونة ووردت في النسختين الأخريين.

فعاجله بحتفه، وباشر اغتياله، وأوعز إلى خدامه بخنقه، وطرحه بحاله في بعض سواقي قصره، متبعاً ببعض أواني خمره يوهم بذلك قاتله، ترديه سكراً، وهَوْيه طفوحاً. ووقف عليه بالعدول عند استخراجه، وندب الناس إلى مواراته، وبايع يومه ذلك **أبا فارس عبد العزيز** وارث ملك أبيه السلطان **أبي الحسن**، المنفرد به، وخاطب الجهات بدعوته، وهو صبي ظاهر النبل والإدراك، مشهور الصون، وأعمل الحيلة لأول أمره، على هذا الوزير مخيف أريكة ملكه، ومظنة البدا في أمره، فطوقه الحمام واستأصل ما زَرَاه[1] من مال وذخيرة، شكر الله على الدولة صنيعه؛ وفي ذلك يقول[2]:

لقد كان كالحجاج في فتكاته

تحاذره البرآء دوماً وتخشاه

---

[1] كتب في ج: ((واستأصل ما رماه))؛ أما في الملكية والزيتونة فكتب: ((واستأزر ما زراه)). فتم اخيار الصحيح.
[2] البحر الطويل.

تغـــدَّا بـــه عبـــد العزيـــز مبـــادراً
وعاجلـــه مـــن قبـــل أن يتعشـــاه

وكان بعده وليه الحق ونصيره لا إله إلا هو. وهو اليوم **ملك المغرب**، مزاحماً بابن أخيه، السلطان **أبي سالم**، المعقود البيعة **بمراكش** وما إليها، جمع الله شتات الإسلام، ورفع عن البلاد والعباد مضرة الفتنة.

وبتلمسان السلطان **أبو حمو موسى ابن الأمير أبي يعقوب يوسف**[1] **بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان**. حسبما كان في الدولة الأولى، متفققها منه على خلال الكرم والحزم[2] مضطلعاً بأمره[3] والقيام على ما بيده.

وبتونس[4]: الأمير **أبو سالم إبراهيم ابن الأمير أبي يحيى بن أبي حفص**، حسبما تقدم ذكره.

---

[1] في اللمحة البدرية: ((يوسف بن يحيى بن عبد الرحمن بن يغمراسن)). وهذا خطأ؛ وما جاء في إحاطة هو الصحيح.
[2] هذه زائدة في الزيتونة.
[3] كتب في ج: ((بدجا أمره))؛ والصواب ما جاء في الزيتونة والملكية.
[4] في اللمحة البدرية: ((وبإفريقية؛ إبراهيم ابن الأمير أبي يحيى أبي بكر ابن أبي حفص بن إسحاق ابن الأمير أبي زكرياء)).

ومن ملوك النصارى

فبقشتالة سلطانها المتقدم الذكر في الدولة الأولى، **بِطْرُه بن السلطان ألهنشة**[1] **بن هراندة بن شانجه بن ألهنشة ابن هراندة**، متأكدة بينهما السلم الجمة، والهدنة المبرمة، بما سلف من مظاهرته إياه، والحرص على ما استحانه[2] من **المغرب** في أسطوله، وبعثه إليه برأس عدوّه المتوثب على ملكه، ورؤوس أشياعه، الظالمين الغدرة، وأتباعه[3] الفجرة، مستمرة أيامه إلى وسط شعبان؛ عام سبعة وستين[4]، صارفاً وجهه إلى محاربة صاحب **برجلونة**[5]، مستولياً على كثير من قواعده الشهيرة، وقلاعه المنيعة، لما أسلفه به من إجازته[6] أخيه **أندريق** المدعو **بالقُنْد**[7]، ومظاهرته حتى ساءت أحواله وأحوال عدوه، وأوهنت

---

[1] في اللمحة البدرية: ((الهونش)).

[2] هكذا كتبت في الزيتونة والملكية؛ بينما كتبت محرفة في ج: ((على أسخاته)). والمقصود هنا هو تحقيق ما وعده من إجازته في أسطوله.

[3] هكذا كتب في الملكية والزيتونة؛ بينما كتب في ج: ((أشياعه)).

[4] 767هـ/1365م.

[5] أي برشلونة.

[6] هذا ما كتب في ج، بينما كتب في الملكية والزيتونة: ((الإجازة)).

[7] هو الكونت هنري دي تراستمارا أخو بيدرو غير الشرعي.

الحركات قوى جيشه، وأضعف الاحتشاد عمرة أرضه، واشرأبت القلوب إلى الانحراف عن دعوته، ومالت النفوس إلى أخيه، وقامت البلاد بدعوته، وتلاحقت الوجوه بجهته، ورام التمسك **بإشبيلية** دار ملكه، فثار أهلها به في عام سبعة وستين[1]. فخرج فاراً عنها.............[2] به والسلاح يهش إليه، وبعد أن استظهر بخويصته، وأحمل ما قدر عليه من ذخيرة، ورفع من له من ولد وحرمة، رأى سخنة العين من انتهاب قصوره، وتشعيث منازله، وعياث الأيدي في خزائنه، وأسمعه الناس من محض التأنيب[3] وأعراض الشمات، ما لا مزيد عليه، ولاذ **بصاحب برتغال**، فنأى عنه جانبه لما يجتنيه أبواه من مخالفة رأي الأمة فيه، فقصد **بلاد غَلِيسْية**[4]، وتلاحق أخوه **أندريق** بحضرة **إشبيلية**، فاستوى على الملك وطاعت لأمره البلاد، وعاجله المسلمون لأول أمره، فاستولوا على كثير

---

[1] **767هـ/1365م.**

[2] **يوجد هنا حيز فارغ.**

[3] **كتب في النسخ الثلاث: ((التأنيث)). وقد صوب ذلك عنان.**

[4] **أي بلد في جنوب فرنسا وفي أقصى الشمال الغربي من إسبانيا. وهي المعروفة بـ La Gaule.**

من الثغور والحمد لله. ولما توسد له الأمر تحول لاستئصال شأفة المخلوع، فأجلى عن **غليسية** في البحر، واستقر **ببلد بيونة**[1]، مما وراء دروب **قشتالة**، وانتبذ عن الخطة **القشتالية** وأمر نفسه، ولجأ إلى ابن صاحب **الأنتكيرة**[2]، وهو المعروف **ببرقسين** أبي الأمير[3]، وبين أول أرضه وبين **قشتالة** ؛ ثمانية أيام، فقبله ولد السلطان المذكور، الساكن بأول ما تلقاه من تلك الأرض، وسفر بينه وبين أبيه. فأنكر الأب استئذانه إياه، والمراجعة في نصره، حمية له ؛ وامتعاضاً للواقع. وحال هذه الأمة غريبة في الحماية الممزوجة بالوفاء والرقة، والاستهانة بالنفوس في سبيل الحمد، وبين يدي العَشَايق، عادة **العرب** الأول. وأخبارهم في القتال غريبة، من الاسترجال والزحف على الأقدام، أميرهم ومأمورهم، والجُثُوِّ[4] في الأرض، أو دفنٍ ببعض الأرض في التراب، والاستظهار في حال المحاربة ببعض

---

[1] تسمى **Bayonne**؛ وتقع على الحدود الفرنسية الإسبانية؛ وتعتبر كثغر لولاية غسكونية الفرنسية.

[2] يقصد به صاحب أنقلترا المدعو إدوارد الثالث. إذ كان - آنذاك - يحتل ولايتي: أكوتين وجوين الفرنسيتين.

[3] يقصد إدوارد الأمير الأسود.

[4] هكذا.

الألحان المُهَيِّجَة، ورماتهم؛ قِسِيُّهُم غريبة جافية، وكلهم في[1] دروع، والإحجام عندهم، والتقهقر مقدار الشبر ذنب عظيم. وعار شنيع، ورماتهم يثبتون للخيل في الطراد، وحالهم في باب التحلي بالجواهر، وكثرة آلات الفضة، غريب. وبعد انقضاء سبعة عشر يوماً كان رجوعه ورجوع **البَرَنْس**[2] المذكور معه مصاحباً بأمراء كثيرين من خترانه[3] وقرابته، وبعد أن أسلفوه مالاً كثيراً، واختص منه صاحب **الأنتكيرة**، بمائتي ألف دينار من الذهب إلى ما اختص به غيره، وارتهنوا فيه ولده وذخيرته. وكان ينفق على نفسه وجيشه بحسب دينار واحد من الذهب للفارس في ثلاثة أيام، وكان تأليف الجيوش في **بَنْبلُونَة** في أزيد من ثلاثين ألفاً، وعسر عليهم المجاز على فحص **أحدونيه**، لبلاد تمسك لطاعة **القند** أخيه[4]**؛** فصالح القوم **صاحب نباره**[5] على الإفراج لهم، ونزلت المحلات في

[1] **(في) سقطت في ج؛ بينما وجدت في الملكية والزيتونة.**
[2] **أي الأمير. وقد استنتج عنان أنه الأمير إدوارد ولي العهد. (الأمير الأسود).**
[3] **أي من المخادعين له.**
[4] **أي تحت طاعة أخي بيدرو؛ الكونت هنري دي تراستمارا.**
[5] **هي نباره؛ أو مملكة Navarra؛ بلاد البشكنس المتواجدة غرب جبال البيرينيه.**

فحص نبارة، ما بين حدود أرض **نبارة وقشتالة**. ونزل المتصير إليه أمر **قشتالة**، **القند** بإزايها في جموع لم تنظم لمثله، إلا أنه لشهامته واغتراره، أجاز خندقاً كان بين يديه، وعبر جسراً نشب فيه عند الجولة. وكان اللقاء بين الفريقين يوم السبت سادس إبريل العجمي، وبموافقة شعبان؛ من عام ثمانية وستين[1]. وكان هذا الجموع **الإفرنجي** الآتي من **الأرض الكبيرة**[2] في صفوف ثلاثة، مرتبة بعضها خلف بعض، ليس فيهم فارس واحد، وإنما هم رجالة، سواء أميرهم ومأمورهم، في أيديهم عصي جافية في غلظ المعاصم؛ يشرعونها أمامهم، بعد إثبات زجاجها[3] فيما خلفهم من الأرض، يستقبلون منها وجوه عدوهم، ونحور خيله، ويجعلونها دعايم وتكآت لبناء مصافهم، فلم تقلقهم[4] المحلات، وبين أيديهم من الرماة الناشبة الدارعة، ما لا يحصيهم إلا الله عز وجل. وسايرهم السلطان، مستدعي نصرهم راجلاً أميالاً

---

[1] **الموافق لـ 1366م.**

[2] **يقصد بها فرنسا.**

[3] **هي الحدائد التي تثبت في أسفل الرمح.**

[4] **هكذا في الملكية والزيتونة؛ أما ج فكتب فيها: ((تقلقلهم)).**

برأيهم؛ إلى أن أعيا بعد ميلين منها فأركبوه بغلة حملوه بينهم عليها، إلى موقف اللقاء **والقند**[1]. وكان على مقدمة القوم **الدك أخو البرنس**[2]، **والبرنس** مع السلطان مستجيره في القلب، **والقند** المعروف **بقندار مانيان**، وكثير من الأمراء؛ ردا وسيفه دونهم، ومن خلف الجميع الخيل بجنبها ساستهم وغلمانهم وخدامهم، ووراءها دواب الظهر وأبغالهم، وفي أثنا هذه العَبِيَّة من البنود وآلات الحرب والطرب والأبواق ما يطول ذكره. وكان في مقدمة **القند** المستأثر بملك **قشتالة**؛ أخوه **شانجه** في رجل **قشتالة**، قد ملأ السهل والجبل، ومن خلفهم أولو الخيل الجافية القبيلية، المسبغة الدروع، من رأس إلى حافر، في نحو ألف وخمسماية، وفي القلب أخوه الآخر **دنطية**[3] في جمهور الزعماء والفرسان والدرق، وهو الأكثر من رجال الجيش اليوم، ومن رائهم السلطان **أندريق**[4] في لفيف من الناس. ولما حمل بعضهم على بعض أقدم رماة **الفرنج**، ثقة

---

[1] الكونت هنري دي تراستمارا.
[2] أي الدوق لانكستر.
[3] هكذا في الملكية وج؛ بينما كتب في الزيتونة: ((أخوه نطية)).
[4] الكونت هنري دي تراستمارا.

بدروعهم، فعظم أثرهم فيمن بإزايهم من رماة عدوهم ورجالهم، لكونهم كشفاء، فكشفوا إياهم[1]. وحملت خيل **قشتالة** الدارعة، فزحزحت كَرَّ المصاف **الإفرانجي**، واتصل الحرب **بالبرنس**، وهو مطل عليهم في ربوة، فصاح بهم بحيث أسمع، وتناول شيئاً من التراب فاستفه، وكسر ثلاث عصيّ، وفعل من معه مثل[2] فعله، وهي عادتهم عند الغضب، وعلامة الإقدام الذي لا نكوص بعده. ووجه إلى أخيه في المقدمة، يقول له، إن وجدت في نفسك ضعفاً، فاذكر أنك ولد صاحب **الأنتكيرة**. وحمل الكل حملة رجل واحد، فلم تجد الخيل الدارعة سبيلاً، وقامت في نحورها تلك الأسنة، فولوا منهزمين. ولما رأى **القند** هزيمة أخيه، تقدم بنفسه[3] بمن معه من مدد الأمة **الرغونية**[4]، وهو ينادي، يا أهل **قشتالة**، يا موالي، إياكم والعار؛ هأنذا، فلم يثبت أمره، وتراجع فله. فعند ذلك

---

[1] هكذا في الملكية؛ أما ج: (لكونهم كشفاء فكشفوهم)). وفي الزيتونة: ((لكونهم كتفاً فكشفوا إياهم)).
[2] كلمة (مثل) زائدة في الملكية والزيتونة.
[3] كتبت في النسخ كلها: ((في نفسه)). وقد صوبها عنان.
[4] أي الأراغونية.

فر في أربعة من أولي ثقته، واستولى القتل والأسر على خاصته، وتردى المنهزمون في الوادي خلفهم. فكان ذلك[1] أعون الأسباب على هلكهم، فأناف عدد من هلك في هذه الوقيعة، حسبما اشتهر، خمسين ألفاً. وامتلأت أيدي هذه الأمة من الأسلحة والأموال والأمتعة والأسرى الذين يفادونهم بمال عظيم[2]. واتصل **القند** المنهزم بأرض **رغون[3]**، ثم نجم من **البلاد الفرنسية**. ودخل أخوه بهذه الأمة أوايل البلاد معترفاً بحميد[4] سعيهم، وعزيز نصرهم، وقد رابه استيلاؤهم، وأوجسه تغلبهم، [وساءه في الأرض الرعادة عياثهم][5] فاستأذنهم في اللحوق بقواعد أرضه، وقبض الأموال التي تجبى[6] منها نفقاتهم، وقبض منها ديونهم قبله، وحث السير، فوصل **طليطلة**، لا يصدق بالنجاة، وخاطب السلطان المترجم به، وقدر وده[7]،

---

[1] **هذه الكلمة وضعها عنان ليستقيم المعنى.**
[2] **حرفت في ج؛ فكتتب ((العظيمة))؛ والصحيح ما جاء الملكية.**
[3] **أرض أراغون.**
[4] **كتبت في ج، والزيتونة: ((بحمد))؛ فصوبت.**
[5] **سقط ما كتب بين الحاصرتين في الملكية والزيتونة.**
[6] **هكذا كتب في ج؛ أما في الملكية فكتب: ((يجرى))؛ والأولى أنسب.**

وده[1]، وحذره سورة هذه الأمة التي فاض بحرها وأعيا أمرها، وأنهى إليه شرها، وشره إلى استيصال المسلمين. وحد له مواعدها التي جعلت لذلك. ووصل **إشبيلية**، وانثالت البلاد عليه، وعادت الإيالة إلى حكمه، ثم شرع في جعل الضرايب، وفرض الأموال، وأخاف الناس بالطلب والتبعات[2] فعاد نفورهم عنه جزعاً. وامتنعوا من الغرم، وطردوا[3] العمال، وأحس بالشر، فتحصن **بإشبيلية**، وجهاتها على نفسه، وطال على الأمة الواصلة في سبيل[4] نصره الأمر. فرجعت إلى بلادها، ووقيت نفرة نفرة الفرسان، وأولي الأتباع، وأظهروا الخلاف، وكشفت جيان وجهها في خلعانه، والرجوع إلى دعوة أخيه المتصرف، فتحرك إليها السلطان المترجم به، بعد أن احتشد المسلمين[5]، فكان من دخولها عنوة، واستباحة المسلمين إياها وتخريبها، ما هو مذكور في موضعه. ثم

[1] هكذا كتب في الزيتونة؛ أما الملكية فكتب: ((وقرر رده))، وفي ج: ((وقر رده)). والأولى أنسب.
[2] كتب في الزيتونة وج: ((والطلب بالتبعات)).
[3] هكذا كتب في ج، والزيتونة؛ بينما كتب في الملكية: ((وطرحوا)).
[4] الزيادة هذه موجودة في الملكية والزيتونة.
[5] هكذا. ولعلها: حشد المسلمين.

ألحقت بها **مدينة أُبَّدَة**، الذاهبة في مخالفة مذاهبها والحمد لله. وخالفت عليه **قرطبة**، واستقر بها من الكبار جملة، كاتبوا أخاه، واستعجلوا، فتعرف في هذه الأيام، أنه قد بلغ **أرض برغش**، ونار الفتنة بينهم، ويد الإسلام لهذا العهد، والمنية[1] لله، وحده غالبة[2]. وإنما مددنا القول في ذكر هذه الأحوال **الرومية**، لغرابة تاريخها، ولِيُستشعر الحذر، ويؤخذ من الأمة المذكورة وغيرها، والله ولي نصر المؤمنين بفضله[3]. **وبأرض رغون** سلطانها الكاين على الدولة الأولى.

بعض مناقب الدولة لهذا العهد

وأولاً: ما يرجع إلى مناقب الحلم والكظم من مآزق[4] الجهاد الأكبر، وهو جهاد النفس. فمن ذلك أن السلطان لما جرت الحادثة، وعظه[5] التمحيص، وألجأ إلى

[1] هكذا في ج، والملكية، أما في الزيتونة: ((والهيبة)).
[2] هكذا في الملكية وفي ج: ((عالية)).
[3] أبدى ابن الخطيب ـ من الفقرات السابقة ـ دقة وبراعة في وصف الفن الحربي المتبع آنذاك؛ لدى ملوك النصارى. كما أظهر تمكناً واضحاً ومعرفة بالأوضاع الجغرافية لفرنسا وإسبانية في ذلك العصرز
[4] هكذا كتب في النسختين؛ أما الزيتونة فكتب فيها: ((مداق)).
[5] هكذا كتب في ج، والزيتونة؛ أما الملكية فكتب: ((وعظمه)).

وادي آش لا يملك إلا نفسه في خبر طويل، بادر إلى مخاطبة ثقته **بقصبة ألمرية**، قلعة الملك، ومظنة الامتناع، ومهاد السلامة، ومخزن الجباية والعدة، وقد أصبح محل استقراره، بينها، وبين المنتزى سداً، وبيعة أهلها لم ينسخ الشرع منها حكماً يناشده الله في رمقه، ويتملقه في رعي ذمته، والوفاء له، وإبراء غربته، وتمسكه من أمانته، فرد عليه أسوأ الرد. وسجن رسوله في المطبق، وخرج منها لعدوه[1]، وناصح بعد في البغي عليه. فلما رد الله الأمر، وجبر الحق، أعتب وأجرى عليه الرزق. ولما ثار في الدولة الثانية **الدليل البركي**[2]، هاتفاً بالدعوة لبعض القرابة، وأكذبه الله، وعقه الشيطان بعد نشر راية الخلاف، وجعل للدولة، علو اليد، وحسن العاقبة، وتمكن من المذكور، أبقى عليه، وغلب حكم المصلحة العامة في استحيائه، وهو من مغربات الحلم المبني على أساس الدين، وابتغاء وجه الله. ولما أجلى عن الترشيح من القرابة، بعد تقرب[3]

[1] هكذا كتب في الملكية والزيتونة؛ أما في ج؛ فكتب: ((لدرئ لعدوه)).
[2] ذكر من قبل؛ وهو أحد وزراء الغني بالله؛ كان هو سبب الثورة التي قامت ضده سنة 767هـ/1366م.
[3] هكذا كتب في الملكية والزيتونة؛ أما ج؛ فكتب فيها: ((قربة)).

التهمة، وغمس الأيدي في المعصية، صرفوا إلى **المغرب** صرف العافية، وأجرى على من تخلفوه عوايد الأرزاق، ومرافق المواسم، وعد[1] ضعفاءهم بالإرفاد، وتجوفي عما يرجع للجميع من عقار ورباع، وأسعفت[2] آمالهم في لحاق ذويهم[3] من أهل وولد. ومما يرجع إلى عوايد الرفق، ومرافق العدل من مأزق في جهاد النفس، وقوف وكيل الدولة، مع من يجاور مستخلص[4] السلطان من العامرين[5] ومما ولي الفلاحة، وقد ادعوا أضراراً، يجره الحوار بين يدي القاضي بالحضرة، حتى بعد منقطع الحق، على ما يخص السلطان من الأصول التي جرها الميراث عن كريم السلف؛ ولا كقضية التاجر المعروف بالحاج اللباس، من أهل مدينة **وادي آش**، وقد [تحصلت في][6] داره، من قبل التاجر المذكور جارية من بنات **الروم**، في

---

[1] كتب في النسخ والثلاث: ((توعد))؛ فصوب ذلك عنان.
[2] حرفت فكتبت في النسخ الثلاث: ((واستعفت))؛ فصوب عنان ذلك.
[3] كلمة ذويهم أضافها عنان؛ من استقامة المعنى.
[4] أي الأملاك السلطانية.
[5] العامريون: هم المعمرون وعمال الأرض؛ الذين يفلحونها ويزرعونها.
[6] حرفت هذه العبارة فكتبت في النسخ الثلاث: ((تخلصت من))؛ فصوبها عنان.

سبيل تفوت الذمم، ومستهلك المتولات[1]، وترقت إلى تربية ولده، وأصبحت بعض الآظآر[2] لأمرايه واتصل بها كلفه، وزاد هيمانه، وغشي مدافن[3] الصالحين من أجلها، وأنهيت إليه خبره وبثه. وقررت عنده شجوه، وألمعت بما ينقل في هذا الباب عن الملوك قبله، فبادر إلى إخراجها من القصر بنفسه، وانتزاعها من أيدي الغِبْطَة، انتزاع القهر، بحاله في جميل الزي، فمكنت منها يد عاشقها الذاهل، وقد خفت[4] نفسه، وسكن حسه، وكاد لقاؤه إياها أن يقضي عليه. ونظاير هذا الباب متعددة. ومن مواقف الصدق والإحسان من خارق جهاد النفس. بناء المارستان الأعظم حسنة هذه التخوم القصوى. ومزية المدينة الفضلى. لم يهتد إليه غيره من[5] الفتح الأول، مع توفر الضرورة، وظهور الحاجة، فأغرى به همة الدين،

---

[1] كتبت هكذا في النسخ الثلاث.
[2] الأظآر؛ مفردها ظئر؛ وهي المرضعة لغير ابنها. أما ظئر الرجل: فهو: ابنه من الرضاع.
[3] في ج: ((مدفن))؛ لذا صوبت.
[4] حرفت في الزيتونة، وج؛ فكتب: ((خافت)).
[5] ((في)) من الملكية والزيتونة.

ونفس التقوى، فأبرزه موقف الأخدان[1]، ورحلة **الأندلس**، وفذلكة الحسنات، فخامة بيت، وتعدد مساكن، ورحب ساحة، ودرور مياه، وصحة هواء، وتعدد خزاين ومتوضآت، وانطلاق جراية وحسن ترتيب، أبر على مارستان مصر[2]، بالساحة العريضة، والأهوية الطيبة، وتدفق المياه من فورات المرمل، وأسود الصخر، وتموج البحر، وانسدال الأشجار إلى موافقته إياي، وتسويغه ما اخترعته[3] بإذنه، وأجريته[4] بطيب نفسه، من اتخاذ المدرسة والزاوية، وتعيين التربة، مغيراً [في ذلك كله][5] على مقاصد الملوك، نقشاً عليه، بطيب اسمه في المزيد، وتخليد في الجُدُرات للذكر[6]، وصوناً للمدافن غير المعتادة، في قلب بلده بالمقاصر والأصونة، وترتيل

---

[1] هكذا في النسخ الثلاث. والأخدان؛ مفردها خدن؛ أي الصاحب والرفيق.
[2] يعتقد عنان أنه يقصد المارستان المنصوري الكبير؛ الذي شيده السلطان المنصور بن قلاوون سنة 683هـ/1284م؛ في الموضع المسمى ميدان بين القصرين بالقاهرة؛ وذلك لأن هذا المارستان قريب العهد بعصر ابن الخطيب.
[3] كتب في النسخ الثلاث: ((اخترعه))؛ بينما يرى عنان أن الماضي أنسب لسياق الكلام.
[4] كتب في النسخ الثلاث: ((وأجرات))؛ فلزم التصويب.
[5] العبارة ما بين الحاصرتين أضيفت من الملكية والزيتونة.
[6] كتب في ج: ((الذكر))؛ وما جاء أعلاه أصوب.

التلاوة، آناء الليل، وأطراف[1] النهار[2]. وكل ذلك إنما ينسب إلى صدقاته، وعلو همته، ويشهد بما ينبه الحس إلى المنقبة العظمى، في هذا الباب، من إمداد **جبل الفتح**، مع كونه في إيالة غيره، وخارج عن ملكة حكمه، وما كان من إعانته، وسد ثغره، فانهار إليه على خطر السُّرَى، والظهر البعيد المسعى، ما ملأ الأهواء، وقطع طمع العداة، أنفقت عليه الأموال: ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾[3]، بودر بذلك، بين يدي التفاؤل، بنزول العدو إياه، فكان الكِرَى[4] على إيصال الطعام إليه، بحساب درهم واحد وربع درهم للرطل من الطعام، منفعة فذة، وحسنة كبرى، وبدعاً من بدع

---

[1] ((وأطراف))؛ ساقطة في ج؛ بينما ذكرت في الملكية والزيتونة.
[2] اقتباس من قوله تعالى في الآية الكريمة: (فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى). سورة طه؛ الآية: **130.**
[3] الآية كاملة هكذا: (إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَ فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لاَ تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْفَرِحِينَ). سورة القصص؛ الآيـ'ك **76.**
[4] يقصد هنا بكلمة الكرى: الكراء أو الأجر.

الفتوى. وفي موقف الاستعداد لعدو الإسلام، من خارق جهاد النفس، إطلاق البُنَى[1]، للمدة القريبة، والزمان الضيق، باثنين وعشرين ثغراً من البلاد المجاورة للعدو، والمشتركة الحدود، مع أراضيه، المترامية النيران لقرب جوابه، منها **ثغر أرجدونة**[2]، المستولي عليه الخراب؛ أنفق في تجديد قبضته، واتخاذ جبه؛ ما يناهز عشرين ألفاً من الذهب، فهو اليوم شَجَى العدو، ومعتصم المسلمين؛ **وحصن أشر**، وما كان من تحصين جبله بالأسوار والأبراج، على بعد أقطاره؛ واتخاذ جباب الماء به، واحتفار السانية[3] الهايلة بربضه، ترك بها من الآثار ما يشهد بالقوة لله، والعناية بالإسلام. ثم ختم ذلك بنديد **حصن الحمراء**، رأس الحضرة، ومعقل الإسلام، ومفزع الملك، ومَعْقِد[4] الأيدي. وصوان المال والذخيرة، بعد أن صار قاعاً صفصفاً. وخراباً بلقعاً، فهو اليوم عروس يجلي

---

[1] **البنى؛ مفرده: البناء.**
[2] **تسمى أيضاً أرشدونة؛ وبالأسبانية Archlidona؛ وتقع جنوب قرطبة وشمال مالقة؛ وهي تتبعها؛ كما أنها قريبة من قشتالة.**
[3] **بئر بألة لاستخراج مياه السقي.**
[4] **حرفت فكتبت في النسخ الثلاث: ((معقل)).**

المهضب، ويغازل الشهب، سكن لمكانه الإرجاف، وذوت نجوم الأطماع، ونقل إليه مال الجباية، المتفضل لهذا العهد، بحسب التدبير، ونفَّد الخراج، وصوّن الألقاب، وقمع الخزانة بما لم يتقدم به عهد، من ثمانين سنة، والحمد لله. وتجديد أساطيل الإسلام، وإزاحة علل جيوش المرج، وعساكر البحر، فهي لهذا العهد، ملس الأديم، شارعة الشبا، منقضة جفاتها إلى مساواة الأعداء، راكبة ظهور المحاسن، قلقة المواقف، قدماً إلى الجهاد، قد تعدد إغزاؤها، وجاست البحر سوابحها، وتعرفت بركتها والحمد لله، وأنصاب جيش الجهاد، استغرق الشهور المستقبلة، لرود[1] الصفراء والبيضاء الأهلة إلى أكف أهلها، على الدوام، بعد أن كانت يتحيفها المطل، وينقصها المطال، والحمد لله. وفي[2] * مواقف الجهاد الحسي، وبيع النفوس من الله، وهو ثمرة الجهاد

[1] هكذا كتبت في ج؛ أما الزيتونة والملكية؛ فكتبت فيهما: ((لدور)).
[2] * هذه هي بداية الجزء الثاني من نسخة الزيتونة لمخطوط الإحاطة.

الأول، ما لا يحتاج عليه إلى دليل، من الجوف[1] إلى **حصن أشر**، قبل الثغر، والجارح المطل على الإسلام، والعزم على افتتاحه. وقد غاب الناس من مساورته، وأعيى عليهم فتحه، فلزمه السلطان بنفسه، بياض يوم القيظ، محرضاً[2]، للمقاتلة، مواسياً لهم[3]، خالطاً نفسه بالمستنفرة، يصابر لهيب النار، ووقع السلاح، وتعميم الدخان، مفدياً للكلمات، محرضاً لذوي الجراح، [مباشراً الصلاة على الشهداء][4] إلى أن فتحه الله [على يده][5]، بعزمه وصبره، فباشر رم سوره بيده، وتحصين عورته بنفسه، ينقل إليه الصخر، وينال الطين، ويخالط الفعلة، لقرب محل الطاغية، وتوقع المفاجأة. ثم كان هذا العمل قانوناً مطرداً في غيره، وديدناً في سواه، حسبما نذكر في باب الجهاد. وفي باب النصيحة للمسلمين من مآزق[6]

---

[1] حرفت إلى ((الخوف))؛ فصوبها عنان. وكلمة الجوف يقصد بها الشمال. ومقابلها كلمة القبلة؛ وتعني الجنوب.
[2] هكذا في ج؛ أما في الملكية فكتب: ((متحرضاً)).
[3] كتب في ج، والزيتونة: ((الأول))؛ فلزم التصويب.
[4] هذه العبارة موجودة في ج.
[5] هذه العبارة موجودة في الزيتونة؛ بينما سقطت في الملكية، وج.
[6] هكذا وردت في النسخ الثلاث.

الجهاد الأكبر، ما صدر في هذه الدولة، من مخاطبة الكافة، بلسان الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، صدعت بذلك الخطباء [من فوق أعواد المنابر، وأسمعت آذان المحافل، ما لم يتقدم به عهد في الزمان الغابر][1].

نص الكتاب

ولما صحت الأخبار بخروج الأمة **الإفرنسية** إلى استئصال هذه البَقِيعة[2]: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[3]. صدر من مخاطبة الجمهور في باب التحريض بما نصه: ((من أمير المسلمين **عبد الله محمد ابن مولانا أمير المسلمين أبي الحجاج ابن مولانا أمير المسلمين أبي الوليد نصر**، أيده الله ونصره، وأوى[4] أمره، وخلد مآثره. مآثره. إلى أوليائنا الذين نوقظ من الغفلة أحلامهم، وندعوهم لما يطهّر من الارتياب إيمانهم، ويخلص لله أسرارهم وإعلانهم، يرثى لعدم إحسانهم، وخيبة

---

[1] ما ورد بين الحاصرتين موجود في ج، والملكية؛ بينما سقط في الزيتونة.
[2] هكذا كتب في الزيتونة والملكية؛ بينما كتب في ج: ((البقعة)).
[3] الآية كاملة هكذا: (يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمّ نُورِهِ، وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ). سورة الصف؛ الآية: 8.
[4] هكذا كتب في ج، والملكية؛ أما الزيتونة فكتب: ((ولوى)).

قياسهم، ويغار من استيلاء الغفلات على أنواعهم وأجناسهم، ونسأل الله لهم ولنا إقالة العثرات، وتخفيض الشدائد المعتورات، وكف أكف العوادي المبتدرات. إلى أهل فلانة، دافع الله عن فئتهم الغريبة[1]، وعرفهم في الذراري، والحرم، عوارف اللطائف القريبة وتداركهم بالصنايع العجيبة، سلام عليكم أجمعين، ورحمة الله وبركاته.

أما بعد؛ حمد الله الذي لا نشرك به أحداً، ولا نجد من دونه ملتحداً، مبتلى قلوب المؤمنين أيها أقوى جلداً، وأبعد في الصبر مداً، ليزيد الذين اهتدوا هدًى. والصلاة والسلام على سيدنا **محمد**، الذي أنقذ من الردى، وتكفل بالشفاعة لمن[2] غداً ضارباً هام العدا، ومجاهداً من اتخذ مع الله ولدا، والرضى عن آله الذين كانوا لسماء ملته عمداً، فلم ترعهم الكتايب الوافرة، وكانوا لهم أقل عدداً، ولا هالتهم أمم الكفر، وإن كانت [أظهر جمعاً،

---

[1] كتب في ج: ((الغرى))، أما الملكية فكتب: ((الغربي)). فلزم التصويب.
[2] كلمة ((لمن)) ذكرت في الزيتونة؛ وسقطت في النسختين الأخريين.

وأكثر عدداً][1] صلاة لا تنقطع أبداً، ورضى، لا يبلغ مداً. فإنا كتبنا إليكم، كتبكم؛ الله فيمن امتلأ قلبه غضباً لأعدايه[2] وحمية، ورمى بفكره غرض السداد، فلم يخط منه هدفاً ولا رمية. وقد اتصل بنا الخبر، الذي يوجب نصح الإسلام، ورعي الجوار والذمام[3]، وما جعل الله[4] للمأموم على الإمام، فوجب علينا إيقاظكم من مراقدكم المستغرقة، وجمع أهوايكم المفترقة[5]، وتهيئكم إلى مصادمة الشدايد المرعدة المبرقة، وهو أن كبير[6] **النصرانية**، الذي إليه ينقادون، وفي مرضاته يصادقون[7] ويعدون، وعند رؤية صليبه يبكون[8] ويسجدون، لما رأى الفتن قد أكلتهم خضماً وقضماً. وأوسعتهم هضماً فلم تبق لهم[9] عصباً ولا ولا عظماً، ونثرت ما كان نظماً، أعمل نظره فيما يجمع

---

[1] هذه العبارة جاءت في الزيتونة؛ والملكية؛ بينما وردت في ج هكذا: ((أكثر جمعاً وأظهر عدداً)).
[2] هكذا كتبت في الزيتونة والملكية؛ أم ج؛ فكتب فيها: ((لله)). وهذا محرف.
[3] كتبت هكذا في الزيتونة والملكية؛ بينما كتب في ج: ((الذمار)).
[4] في نفح الطيب: ((الله تعالى)).
[5] نفسه: ((المتفرقة)).
[6] في نفح الطيب: ((كبير دين النصرانية)).
[7] في ج: ((يصادفون)).
[8] في نفح الطيب: ((يكبرون)).
[9] كلمة لهم ساقطة في ج، وفي نفح الطيب.:

منهم ما افترق، ويرفع ما طرق، ويرفى[1] ما مزق الشتات الشتات وخرق. فرمى الإسلام بأمة عددها كالقَطْر[2] المُنْثال، والجراد الذي تضرب به الأمثال، وعاهدهم وقد حضر التمثال، وأمرهم وشأنهم الامتثال، أن يدمنوا[3] لمن ارتضاه[4] الطاعة، ويجمعوا من[5] ملته الجماعة، ويطلع الكل على هذه الفئة القليلة الغريبة، بغتة[6] كقيام الساعة؛ وأقطعهم، قطع الله بهم، العباد والبلاد[7]، والطارف والتلاد[8]، وسوغهم الحريم المستضعف[9] والأولاد، وبالله نستدفع مالا نطيقه. ومنه نسأل عادة الفرج، فما سدت لديه طريقه، إلاّ أنا رأينا غفلة الناس مع تصميمهم مؤذنة بالبوار[10]. وأشفقنا للذين[11] من وراء

---

[1] رفى ورافى وترفى القوم: توافقوا. وقد حرفت في الزيتونة فكتبت: ((ويرمى)). وكتبت في نفح الطيب: ((ويرفو))؛ ومعناها: يرقع.
[2] في النفح: ((القطر)).
[3] نفسه: ((يدمثوا)).
[4] نفسه: ((ارتضاه من أمته الطاعة)).
[5] نفسه: ((في)).
[6] كتبت في ج، والملكية: ((سقية)).
[7] كتبت في الزيتوزنة: ((البلاد والعباد)).
[8] الطارف: هو المال الحديث المستجد. أما التلاد والتالد؛ فهو المال القديم الموروث.
[9] سقطت كلمة: ((المستضعف)) في نفح الطيب.
[10] في النفح: ((البوار)). ومعناها: الهلاك.
[11] نفسه: ((للدين المنقطع من وراء البحار)).

البحـــار، وقـــد أصبـــح معظمهـــم[1] في لهـــوات الكفـــار، وأردنـــا أن نَهُزَّهُـــم[2] بالموعظة التي[3] تكحل تكحل البصاير بميل الاستبصار. وتلهمكم الاستنصار بالله، عند عدم الانتصار، فإن جبر الله الخواطر بالضراعة إليه، والانكسار ونسخ الإعسار بالإيسار، وأنجد اليمين بانتهاء اليسار، وإلاّ فقد تعين في الدنيا والآخرة حظ الخسار[4] فإن من ظهر عليه عدو دينه[5]، وهو عن[6] الله مصروف، وبالباطل مشغوف، وبغير[7] العرف معروف؛ وعلى الحطام المسلوب ملهوف[8]، فقد تَلَّه الشيطـــان للجبيـــن[9]، و﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ[10] هُوَ

[1] نفسه: ((مُضْغة)).
[2] في النفح: ((نهزكم)).
[3] حرفت في ج؛ فكتبت: ((الذي)).
[4] كتبت في الملكية: ((الخسران))؛ فصوبت.
[5] في نفح الطيب: ((عدو دين الله تعالى)).
[6] نفسه: ((من)).
[7] في ج: ((ويصير))؛ وهو تحريف.
[8] في نفح الطيب: ((عنه ملهوف)).
[9] إحالة إلى قوله تعالى في الآية الكريمة: (فلمّا أسْلَمَا وتَلّهُ لِلْجَبِينِ). سورة الصافات؛ الآية: 103.
[10] كتبت ((وذلك))؛ وصوبت.

﴿الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾[1]. ومن نفذ فيه قدر الله عن أداء الواجب وبذل المجهود، وآجر بالعبودية وجه الواحد الأحد المعبود، ووطن النفس عن[2] الشهوات الموبقة في[3] دار الخلود، العايدة بالحياة الدايمة والوجود، أو الظهور على عدوه المحشود[4] إليه صبرا[5] على المقام المحمود وبيعاً[6] تكون تكون الملائكة فيه من[7] الشهود، حتى تعيث[8] يد الله في في ذلك البناء المهدوم، بقوة الله المحمود، والسواد الأعظم الممدود، كان على أمر ربه[9] بالحياء المردود: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾[10]. فالله الله في الهمم، فقد خبت[1]

---

[1] الآية كاملة هكذا: (وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ). سورة الحج؛ الآية: 11.

[2] في نفح الطيب: ((على الشهادة المبوئة دار الخلود)).

[3] ((في)) سقطت في الملكية.

[4] نفسه: ((على عدوه المحشور إليه المحشود)).

[5] ((صبرا)) ساقطة في المكية.

[6] في نفح الطيب: ((وبيعاً من الله تكون)).

[7] سقطت كلمة: ((من)) في نفح الطيب.

[8] في نفح الطيب: ((تعين)).

[9] نفسه: ((أمريه)).

[10] سورة التوبة؛ الآية 52.

ريحها. والله الله في العقايد. فقد خفتت[2] مصابيحها. والله الله في الرجولة[3] فقد فل حدها. والله الله في الغيرة؛ فقد نعس[4] حدها. والله الله في الدِّين، فقد طمع العدوُّ في تحويله. والله الله في الحريم؛ فقد مدَّ إلى استرقاقه يد تأميله. والله الله في المساكن التي زحف لسكناها. والله الله في الملة التي يريد إطفاء نورها وسناها[5] [وقد كمل فضلها وتناهى][6]. والله الله في القرآن العظيم. والله الله في الجيران. والله الله في الطارف والتالد، والله الله في الوطن الذي توارثه الولد عن والوالد. اليوم تستأسد النفوس المهينة. اليوم يستنزل الصبر والسكينة. اليوم[7] تحتاج الهمم أن ترعى هذه النفوس الكريمة الذمم، [اليوم يسلك سبيل العزم والحزم والشدة والشمم][8] اليوم يرجع إلى الله

---

[1] في نفح الطيب: ((خمدت)).
[2] نفسه: ((خبت)).
[3] نفسه: ((الرجولية)).
[4] في نفح الطيب: ((تعسر)).
[5] نفسه: ((إطفاء سناها)).
[6] أضيفت هذه العبارة من نفح الطيب.
[7] في نفح الطيب: ((اليوم ترعى لهذه المساجد الكرام الذّمم)).
[8] أضيفت هذه العبارة من نفح الطيب.

تعالى المصرون اليوم يفيق من نومه الغافلون[1] والمغترون ؛ قبل أن يتفاقم الهول، ويحق القول، ويسد الباب، ويحيق[2] ويحيق[2] العذاب، ويسترق بالكفر[3] والرقاب. [فالنساء تقي تقي بأنفسهن أولادهن الصغار][4]. والطيور ترفرف لتحمي الأوكار[5]، إذا أحست العياث[6] بأفراخها والأضرار. [تمر الأيام عليكم مر السحاب وذهاب الليالي لكم ذهاب][7]. فلا خبر يفضي إلى العين، ولا حديث في الله[8] تعالى يسمع بين اثنين، ولا كد[9] إلا لزينة يحلى بها نحر وجيد، ولا سعى إلا في[10] متاع لا يغني في الشدائد ولا يفيد. وبالأمس ندبتم إلى التماس رحمى [أو رضى][11] مسخر السحاب، واستقالة كاشف العذاب، وسؤال مرسل

[1] في نفح الطيب: ((الغفلة المغترون)).
[2] في الزيتونة: ((ويحق)).
[3] في نفح الطيب: ((الكفر الرقاب)).
[4] هذه العبارة من نفح الطيب.
[5] الأوكار؛ مفردها وكر: وهو العش.
[6] في نفح الطيب: ((العيث)).
[7] هذه العبارة من نفح الطيب.
[8] في الملكية: ((بالله)).
[9] كتب في النسخ الثلاث: ((تقد، تعد،))؛ وصوبت من نفح الطيب.
[10] سقطت في الملكية وج، وفي نفح الطيب.
[11] هذه العبارة سقطت في نفح الطيب.

الديمة، ومحيي البشر والبهيمة، وقد أمسكت عنكم رحمة السماء؛ واغبرت جوانبكم المخضرة احتياجاً إلى بلالة الماء: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾[1]؛ وإليها الأكف الأكف تمدون، وأبوابها بالدعاء تقصدون، فلم يُصْحِر[2] منكم عدد معتبر، ولا ظهر للإنابة [ولا للصدقة][3] خبر، وتتوقُّوون[4] عن[5] إعادة الرغبة إلى الغني[6] الحميد، والولي والولي الذي إن شاء: ﴿يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[7]. وأيم الله لو كان لهوا لارتقبت الساعات وضاقت المتسعات[8]. وتزاحمت على جماله وغصت الجماعات[9].

---

[1] سورة الذاريات؛ الآية: 22.
[2] كتبت في الزيتونة والملكية: ((يحضجر))، وفي ج: ((يضجر)). وصححت وصححت من نفح الطيب. وكلمة يُصْحِر معناها: يذهب إلى الصحراء ويسير فيها.
[3] الإضافة من نفح الطيب؛ حيث كتب: ((ولا الصداقة)).
[4] صوبت من نفح الطيب.
[5] في النفح: ((من)).
[6] نفسه: ((الوليّ الحميد والغنيّ الدني...))
[7] الآية هكذا: (إنْ يَشَأ يُذْهِبْكُمْ وَيَأتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ). سورة فاطر؛ الآية: 16. وفي سورة إبراهيم جاءت هكذا ـ أيضاً ـ حيث يقول سبحانه وتعالى: (ألَمْ تَرَ أنّ اللهَ خَلَقَ السّمَاوَاتِ وَالأرْضَ بِالْحَقّ إنْ يَشَأ يُذْهِبْكُمْ وَيَأتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ). سورة إبراهيم؛ الآية: 19.
[8] كتبت في ج، والملكية: ((المساعات)). وصوبت من نفح الطيب.
[9] كتبت نفح الطيب: ((وتزاحمت على أنديته الجماعات)).

أَتَعَزُّزاً على الله وهو القوي العزيز، وتلبيساً على الله، وهو الذي يميز الخبيث من الطيب، والشبه من الإبريز، أمنابذة والنواصي بيده[1]، أغروراً في الشدايد[2] بالأمل [والرجوع بعد إليه][3]. من: ﴿يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾[4]، ثم[5] ثم[5] ينزل الرزق[6] ويقيده، من يرجع إليه في الملمات، من من يرجى في الشدايد والأزمات، من يوجد في المحيا والممات، أفي الله شك يختلج القلوب، أم[7] غير الله يدفع يدفع المكروه، وييسر المطلوب[8]. تفضلون على اللجأ إليه في الشدايد، [بواسم الجهل[9]، وثرة الأهل][1] وطايفة منكم

---

[1] في نفح الطيب: ((في يديه)).
[2] عبارة: ((في الشدايد)) سقطت في نفح الطيب.
[3] نقلت هذه العبارة من نفح الطيب.
[4] اقتباس من آيات عديدة في هذا المعنى؛ أقربها: (أَمَّنْ يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ). سورة النمل؛ الآية: 64. ثم يؤكد هذا بقوله سبحانه وتعالى: (إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً وَعْدَ اللَّهِ حَقاً إِنَّهُ يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ). سورة يونس؛ الآية: 4.
[5] في نفح الطيب: ((مَنْ)).
[6] إحالة إلى قوله تعالى: (هُوَ الذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقاً وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَنْ يُنِيبُ). سورة غافر؛ الآية: 13.
[7] في نفح الطيب: ((أثَمَّ)).
[8] سقطت في الزيتونة.
[9] في نفح الطيب: ((إليه موائد الفضل، ونزه الجهل)).

منكم قد برزت إلى استسقاء رحمته، تمد إليه الأيدي والرقاب. وتستكشف بالخضوع لعزته[2] العقاب، وتستعجل إلى مواعد[3] إجابته الارتقاب، وكأنكم أنتم[4]، عن كرمه قد استغنيتم، أو على الامتناع من الرجوع إليه بنيتم. أما تعلمون كيف كان **نبيكم** صلوات الله وسلامه عليه من التبلغ باليسير، والاستعداد إلى دار الرحيل[5] الحق والمسير، ومداومة الجوع، وهجر الهجوع، والعمل على الإياب إلى الله والرجوع. دخلت عليه **فاطمة** رضي الله عنها، وبيدها كسرة شعير، فقال: ((ما هذه يا **فاطمة**. فقالت: يا رسول الله، خَبَزْت[6] قرصة؛ وأحببت أن تأكل منها. فقال يا **فاطمة**؛ أما أنّه أول طعام دخل جوف أبيك منذ ثلاث)). وكان صلى الله عليه وسلم، يستغفر في اليوم سبعين مرة؛ يلتمس رحماه، ويقوم وهو المغفور له؛ ما تقدم من

---

[1] ما بين الحاصرتين سقط في الزيتونة. أما في النفح؛ فقد وردت العبارة هكذا: ((موائد الفضل وثرة الجهل)).
[2] في نفح الطيب: ((لعظمته)).
[3] نفسه: ((مواعيد)).
[4] كلمة: ((أنتم)) سقطت في نفح الطيب.
[5] في ج: ((للرحيل)). وفي نفح الطيب: ((والاستعداد للرحيل إلى دار الحق...)).
[6] في الزيتونة: ((أخبزته)).

ذنبه وما تأخر[1]، حتى تورمت[2] قدماه، وكان شأنه الجهاد، ودأبه الجد والاجتهاد ومواقف صبره تعرفها الربى والوهاد. فإذا لم تقتدوا به فبمن تقتدون؟ وإذا لم تهتدوا بهديه[3] فبمن تهتدون؟ وإذا لم ترضوه باتباعكم، فكيف تعتزون[4] إليه وتنتسبون؟ وإذا لم ترغبوا في الاتصاف بصفاته؛ غضباً لله تعالى وجهاداً، وتقللاً من العرض[5] الأدنى وسهاداً ففيم ترغبون؟ فابتروا حبال الآمال، فكل آت قريب، واعتبروا بِمَثُلات ما دهم[6] من تقدم من أهل البلاد والقواعد، فذهولكم عنها غريب، وتفكروا في منابرها التي كان[7] يعلوها واعظ أو خطيب، ومطيل ومطيب، ومساجدها المتعددة الصفوف، والجماعات المعمورة بأنواع الطاعات[8]، وكيف أخذ الله فيها بذنب

---

[1] إحالة إلى قوله تعالى: (لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً). سورة الفتح؛ الآية: 2.

[2] في نفح الطيب: ((ورمت)).

[3] في نفح الطيب: ((به)).

[4] المقصود بكلمة ((تعتزون)): تنتسبون إليه.

[5] في النفح والملكية: ((الغرض)).

[6] ((ما دهم)) سقطت في نفح الطيب.

[7] في نفح الطيب: ((التي يعلو عليها واعظ وخطيب)).

[8] نفسه: ((الطاعة)).

المترفين من دونهم، وعاقب الجمهور بما أغمضوا[1] عيونهم، وساءت بالغفلة عن الله عقبى جميعهم، وذهبت النقمات[2] بعاصيهم، ومن داهن في أمره من مطيعهم، وأصبحت مساجدهم مناصب للصلبان، واستبدلت مآذنهم بالنواقيس من الأذان. هذا والناس ناس، والزمان زمان. فما هذه الغفلة عن من إليه الرجعى وإليه المصير؟ وإلى متى التساهل في حقوقه، وهو السميع البصير؟ وحتى متى مد الأمل في الزمن القصير؟ وإلى متى نسيان اللجأ إلى الولي النصير؟ قد تداعت الصلبان مجلبة[3] عليكم، وتحركت الطواغيت من كل جهة إليكم. أفيخذلكم الشيطان وكتاب الله قائم فيكم؟ وألسنة الآيات تناديكم؟ لم تمح سطورها، ولا احتجب نورها، وأنتم بقايا من افتتحها[4] من عدد قليل، وصابر فيها كل خطب جليل. فو الله لو تمحض الإيمان ورضي الرحمن، ما ظهر التثليث في هذه **الجزيرة** على **التوحيد**، ولا عدم الإسلام

[1] **في نفح الطيب: ((أغْضَوْا عنه عيونهم)).**
[2] **في النسخ الثلاث: ((المنقمان)). وصوبت من نفح الطيب.**
[3] **في نفح الطيب: ((متراكمة)).**
[4] **نفسه: ((فتحها)).**

فيها عزم[1] التأييد. ولكن شمل الداء، وصم النداء، وعميت الأبصار، فكيف الاهتداء، والباب مفتوح، والفضل ممنوح؟ فتعالوا نستغفر الله جميعاً، فهو الغفور الرحيم، ونستقبل مقيل العثرات[2]، فهو الرؤوف الحليم، ونصرف الوجوه إلى الاعتراف بما قدمت أيدينا، فقبول المعاذير من شأن الكريم. سدت الأبواب، وضعفت الأسباب، وانقطعت الآمال إلا منك يا كريم[3] [يا فتاح][4]، يا وهاب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[5]، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[6]. ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[7]. ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا

---

[1] نفسه: ((عادة)).
[2] في نفح الطيب: ((العثار)).
[3] عبارة: ((يا كريم)) سقطت في نفح الطيب.
[4] هذه الإضافة من الزيتونة، ونفح الطيب.
[5] سورة محمد؛ الآية: 7.
[6] سورة التوبة؛ الآية: 123.
[7] سورة آل عمران؛ الآية: 139.

وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1]. أعدوا الخيل[2] وارتبطوها وروضوا النفوس على الشهادة واغبطوها[3]، فمن خاف الموت رضي بالدنية، ولا بد على كل حال من المنية، والحياة مع الذل ليست من شيم[4] أهل العقول والنفوس السنية، واقتنوا السلاح والعدة، وتعرفوا إلى الله في الرخاء يعرفكم في الشدة، واستشعروا القوة بالله [تعالى][5] على أعدايكم، واستميتوا من دون أبنايكم. وكونوا كالبنيان[6] المرصوص[7] لحملات العدو[8]

---

[1] سورة آل عمران؛ الآية: 200.
[2] إحالة إلى قوله تعالى: (وَأَعِدّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ). سورة الأنفال؛ الآية: 60.
[3] في نفح الطيب: ((وغبطوها)).
[4] نفسه: ((شيم النفوس السنية)).
[5] ((تعالى)) أضيفت من نفح الطيب.
[6] كتبت في ج، ونفح الطيب: ((كالبناء)). وقد استمد هذا القول من حديث حديث شريف جاء فيه: عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يَشُدُّ بعضُه بعضاً))؛ وشبك بين أصابعه. (متفق عليه، ورواه البخاري ومسلم).
[7] حرفت في الملكية فكتبت: ((المرسوس)).
[8] في نفح الطيب: ((هذا العدو)).

النـازل بفنايكـم، وحطـوا[1] بالتعويـل علـى اللـه وحـدة بلادكـم. واشـتروا مـن اللـه جـل جلالـه أبناءكـم[2].

ذكـروا أن امـرأة احتمـل السـبع ولدهـا؛ وشـكت إلـى بعـض الصالحيـن؛ فأشـار عليهـا بالصدقـة فتصدقـت برغيـف؛ فأطلـق السـبع ولدهـا؛ وسـمعت النـداء: يـا هـذه؛ لقمـة بلقمـة. وإنـا لمـا اسـتودعنـاه لحافظـون. أهجـروا[3] الشهـوات، واسـتدركـوا الباقيـات[4] مـن قبـل الفـوات، وأفضلـوا[5] لمساكينكـم مـن الأقـوات، واخشـعوا لمـا أنـزل اللـه تعـالى مـن الآيـات، وخـذوا نفوسـكم[6] بالصبـر علـى الأزمـات، والمواسـاة فـي المهمـات، وأيقظـوا جفونكـم مـن السنـات، واعلمـوا أنكـم رُضّـع[7] ثـدي كلمـة التوحيـد، وجيـران البلـد الغريـب، والديـن الوحيـد، وحـزب التمحيـص، ونفـر المـرام العويـص[8]. فتفقـدوا معاملتكـم[1] مـع اللـه تعـالى؛ فمهمـا

---

[1] نفسـه: ((وحوطـوا)).
[2] نفسـه: ((أولادكـم)).
[3] في نفـح الطيـب: ((واهجـروا)).
[4] في ج، ونفـح الطيـب: ((البقيـة)).
[5] أي اتركـوا بقيـة وفضلـة)).
[6] في ج، والملكيـة: ((مـن لكـم)) وصححـت مـن نفـح الطيـب.
[7] في النفـح، وج: ((رضعـاء)).
[8] أي الصعـب.

رأيتم[2] الصدق غالباً؛ والقلب للمولى الكريم مراقباً، وشهاب اليقين[3] ثاقباً، فثقوا بعناية الله التي لا يغلبكم معها غالب؛ ولا ينالكم [من أجلها][4] عدو مطالب، وأنكم[5] في الستر الكثيف، وعصمة[6] الخبير اللطيف. ومهما رأيتم الخواطر متبددة، والظنون بالله مترددة، والجهات التي تخاف، وترجى متعددة، والغفلة عن الله ملابسها[7] متجددة. وعادة دواعي الخذلان دايمة، وأسواق الشهوات قايمة. واعلموا[8] أن الله منفذ فيكم وعده ووعيده في الأمم الغافلين، وأنكم قد ظلمتم أنفسكم. ولا: ﴿عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[9]. والتوبة ترد الشارد، والله يحب التوابين، ويحب المتطهرين. وهو القائل: ﴿إِنَّ

---

[1] في نفح الطيب: ((معاملاتكم)).
[2] نفسه: ((ومهما لقيتم)).
[3] في نفح الطيب: ((البنين)).
[4] في ج، ونفح الطيب: ((لأجلها)).
[5] في نفح الطيب: ((فإنكم)).
[6] نفسه: ((وكنف)).
[7] نفسه: ((ملامسها)).
[8] نفسه: ((فاعلموا)).
[9] الآية كاملة هكذا: (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ). سورة البقرة؛ الآية: 193.

﴿الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾[1]. وما أقرب صلاح الأحوال، إذا صلحت العزايم، وتوالت على حزب الشيطان الهزايم، وخُملت الدنيا الدنية في العيون، وصدقت فيها عند الله الظنون: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ، فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا، وَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾[2]. وثوبوا[3] سراعاً إلى طهارة القلوب، وإزالة الشَّوْب[4]، واقصدوا أبواب غافر الذنوب[5] وقابل التوب. واعلموا أن سوء الأدب مع الله يفتح أبواب الشدايد، ويسد طريق[6] العوايد، فلا تمطلوا بالتوبة أزمانكم، ولا تأمنوا مكر الله، فتغشوا إيمانكم، ولا تعلقوا متابكم بالصرائر[7]. فهو علام السراير، وإنما علينا [معاشر الأولياء][8] أن ننصحكم، وإن كنا أولى بالنصيحة. ونعتمدكم

---

[1] الآية كاملة هكذا: (وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ). سورة هود؛ الآية: 114.
[2] سورة فاطر؛ الآية: 5.
[3] أي ارجعوا سراعاً.
[4] أي خليط من العيوب والأدناس.
[5] في نفح الطيب: ((الذنب)).
[6] نفسه: ((طرق)).
[7] في ج: ((الغرايز الفراير)). وفي نفح الطيب: ((بالضرائر)).
[8] هذه العبارة سقطت في نفح الطيب.

ونعتمدكم بالموعظة الصريحة، الصادرة علم الله عن صدق القريحة. وإن شاركناكم في الغفلة، فقد ناديناكم[1] إلى الاسترجاع والاستغفار، وإنما لكم الدنيا[2] نفس مبذولة في في جهاد الكفار. وتقدم[3] إلى ربكم العزيز الغفار، وتقدم لديكم إلى مواقف الصبر. التي لا ترتضي[4]، بتوفيق الله الفرار، واجتهاد فيما يعود بالحسنى وعقبى الدار، والاختيار لله ولي الاختيار. ومصرف الأقدار. وها نحن نسرع في الخروج إلى مدافعه هذا العدو؛ ونفدي بنفوسنا البلاد والعباد، والحريم المستضعف والأولاد؛ ونُصْلَى[5] من من دونهم نار الجلاد، ونستوهب منكم الدُّعاء إلى[6] من وعد بإجابته. وتقبل[7] من صرف إليه وجه إنابته. اللهم كن كن لنا في هذا الانقطاع[8] نصيراً، وعلى أعدائك ظهيراً،

---

[1] في نفح الطيب: ((سبقناكم)).
[2] نفسه: ((لدينا))؛ وهو أصوب.
[3] نفسه: ((وتقدم قبلكم إلى مواقف الصبر)).
[4] في نفح الطيب: ((لا ترضى بالفرار)).
[5] أي نحترق بنار شديدة. وفي ذلك قال سبحانه وتعالى: (لاَ يَصْلاَهَا إلاَّ الأَشْقَى) سورة الليل؛ الآية: 15.
[6] في نفح الطيب: ((لمن)).
[7] نفسه: ((فإنه يقبل)).
[8] نفسه: ((الاهتمام)).

ومن انتقام عبدة الأصنام مجيراً[1]، اللهم قَوِّ من ضعفت حيلته، فأنت القوي المعين، وانصر من لا نصير له إلا أنت: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[2]. اللهم ثبت أقدامنا وانصرنا عند تزلزل الأقدام، ولا تسلمنا عند لقاء عدو الإسلام، فقد ألقينا إليك يد الاستسلام، اللهم دافع بملايكتك المسومين، عمن ضُيِّقت أرجاؤه، وانقطع إلا منك رجاؤه[3]. اللهم هيئ لضعفائنا، وكلنا ضعيف فقير إليك. ذليل بين يديك حقير، [رحمة تُروَى بالأزمة وتشبع، وقوة تطَّرِد وتُسْتتنبع، يا غَلاَّب الغُلاَّب، يا هازم الأحزاب. يا كريم العوايد، يا مفرج الشدايد: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً، وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا، وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾][4]. اللهم اجعلنا ممن تيقظ فتيقظ، وذكر فتذكر، فتذكر، ومن: ﴿ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ

---

[1] نفسه: ((كفيلا)).
[2] سورة الفاتحة؛ الآية: 5.
[3] في النسخ الثلاث: ((رجاؤنا))؛ وصوبت من النفح.
[4] الآية كاملة هكذا: (وَلَمّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قالُوا رَبّنَا أفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً، وَثَبّتْ أقْدَامَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ). سورة البقرة؛ الآية: 250.

فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ، لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ، وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ، وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾[1]. وقد وردت علينا المخاطبات من قِبَل[2] إخواننا المسلمين، الذين عرفنا في القديم والحديث اجتهادهم، وشكرنا في ذات الله تعالى جهادهم، **بني مرين**؛ أولي الامتعاض الله والحمية، والمخصوصين بين القبائل الكريمة بهذه المزية؛ بعزمهم على الامتعاض لحق الجوار، والمصارخة التي تليق بالأحرار، والنفرة لانتهاك ذمار بيتهم[3] المختار، وحركة سلطانهم[4] محل أخينا بمن له من الأولياء والأنصار، إلى الإعانة على هؤلاء الكفار، ومدافعة أحزاب الشيطان وأهل النار، [فاسألوا الله تعالى][5] إعانتهم على هذا المقصد الكريم الآثار، والسعي الضمين للعز والأجر

---

[1] الآيتان هكذا: (الذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إنّ النّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إيمَاناً وقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ، لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ، وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ، وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ). سورة آل عمران؛ الآيتان: 173 - 174.

[2] في نفح الطيب: ((من إخواننا)).

[3] نفسه: ((نبيهم)).

[4] نفسه: ((سلطانهم بتلك الأقطار والأمصار، ومدافعة...)).

[5] هكذا في النفح؛ أما الملكية وج: ((فاسل. فارسل)).

والفخار، والسلام الكريم يخصكم أيها الأولياء ورحمة الله وبركاته[1]. في الثاني عشر من شهر رمضان المعظم؛ من عام سبع وستين وسبعمائة[2]. عَرَّفنا الله خيره. صح هذا. فكان دفاع الله أقوى، وعصمته أكفى. والحمد لله على عوايده الحسنى)). ومن الغيرة على الدين، وتغير أحوال الملحدين، من مآزق جهاد النفس، ما وقع به العمل من إخماد البدع. وإذهاب الآراء المضلة، والاشتداد على أهل الزيغ والزندقة. وقد أضاقت[3] أرباب هذه الأضاليل الشريعة، وسدت مضرهم في الكافة، فيسلط عليهم الحكام. واستدعيت الشهادات. وأخذهم التشريد، فهل تحس منهم أحداً، أو تسمع لهم ركزاً.

وقيد في ذلك عني مقالات أخرى[4]. منها رسالة ((**الغيرة على أهل الحيرة**))، ورسالة ((**حمل الجمهور**

---

[1] هنا ينتهي النص كما ورد في نفح الطيب. وذكر المقري في كتابه أن هذه الموعظة كتبها علي بن الخطيب؛ وليس والده لسان الدين؛ وذلك على لسان السلطان. وهي عبارة عن نداء إلى الرعية من أجل استنهاضها للجهاد في سبيل الله.

[2] الموافق لـ 1365م.

[3] في الملكية: ((أضيق)).

[4] يفهم من هذا القول؛ أن كاتب الخطاب السابق هو لسان الدين؛ وليس ابنه كما ورد في نفح الطيب.

على السنن المشهور)). ورسالة ((**أنشدت على أهل الرد**)). فارتفع الخوض، وكسدت تلك الأسواق الخبيثة. وصمّ[1] منها الصدا، ووضح نار الهدى، والحمد لله، ولو تتبعت مناقب الهدا، لأخرج ذلك عن الغرض.

الأحداث

وفي غرة ذي الحجة كانت الثورة الشنعاء، المجحفة بالدولة، وقد كان السلطان أنذر بطائفة، تُداخِل بعض القرابة، فعاجله بالقبض عليه، وهو في محل ولايته، فَصُفِّدَ وأحْمِل إلى **قصبة ألمرية**. وخاف أرباب المكيدة افتضاح الأمر؛ فتعجلوا إبراز الكامن، وإظهار الخَبَث، وتولى ذلك جملة من **بني غرون؛** ذُنابى بيت الإدبار، وقد عابهم من **بني مطرون**؛ يدور أمرهم على **الدَّليل البَرْكي**[2]، فأكذب الله دعوتهم، بعد أن أركبوا الشيخ **علياً ابن نصر**، ونصبوه تلقاء **القلعة بباب البنود**[3]، ودعوا

---

[1] **في الملكية: ((وضم)).**

[2] **سبقت الإشارة إليه. وكان وزيراً للغني بالله.**

[3] **باب البنود: أحد أبواب حي القصبة الجديدة في غرناطة. وموقعه في مقبل قصر الحمراء القديم. ويفصله نهر حَدَرُّه عن قصر الحمراء. وما يزال باب البنود قاماً إلى الآن.**

الناس إلى بيعته؛ وأخذ السلطان حِذْره، وناصبهم القتال، وأشاع العطا، واستركب الجيش، وعمر الأسوار، فأخفق القصد، وفرّ **الدليل البركي**، وتُقُبِّضَ على الرئيس المذكور، وجعل الله العاقبة الحسنة للسلطان.

وكان مما أمليته يومئذ بين يدي السلطان من الكلام المرسل ما هو نصه بعد الصدر: ((وإلى هذا؛ فمما أفادته الفِطَر السليمة، والحِلْم والقَضَاء بالشريعة، والنقل الشرعي، والسنن المَرْعي، أنَّ مُغالب الحق مغلوب، ومُزاحم الله مهزوم، ومكابر البرهان بالجهل موسوم، ومرتع الغي مهجور، وسيف العدوان مفلول، وحظ الشيطان موكوس، وحزب السلطان منصور. ولا خفاء بنعمة الله علينا، التي اطَّردها في المواطن العديدة؛ والهضبات البعيدة. والشبهات غير المبينة، والظلمات الكثيفة، معلن بوفور الحظ من رحمته، وإبراز[1] القداح في مجال كرامته، والاختصاص بسيما اختياره. فجعل العصمة ليلة الحادث علينا من دون مضجع أماناً، ونهج

[1] كتبت في الملكية: ((وبواز))، وفي ج: ((وبراز)). وصب هذا من الزيتونة.

لنا سبيل النجاة بين يدي كسبه علينا، وسخر لنا ظهري الطريف والطريق، بعد أن فرق لنا بحر الليل، وأوضح لنا خفي المسلك، وعبد لنا عاصي الحزم، ودمَّثَ غَمْر الشَّعْراء[1]، وأوطأنا صهوة المنعة، وضرب وجوه الشرذمة المتبعة، بعد أن ركضوا قنيب البَراذِن البادنة[2]، من خزاين إهدائنا، المتجملة بحلي ركبنا؛ وتحملوا السلاح والرياش المختار من أثير صِلاتنا، وأبهروا الأنفاس التي طال ما رفعها إيناسنا وأبلغها الريق تأميننا، وصببوا العرق الذي أفضله طعامنا، شرهين إلى دمنا، المحظور بالكتاب والسنة، المحوط بسياج البيعة، المحصن عنهم بتقديم النعمة، وحرمة الأب ومتعدد الأذمة. فجعل الله بيننا وبينهم حاجزاً[3]، وسَدَّ ليأجوجهم[4] من المردة[5] مانعاً،

---

[1] **الشعراء: كل أرض بها أشجار كثيرة.**
[2] **أي الجمع المتكاثف من الأحصنة والدواب البدينة المخصصة للحمل.**
[3] **إحالة إلى قوله تعالى: (أمَّنْ جَعَلَ الأرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلاَلَهَا أنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ البَحْرَيْنِ حَاجِزاً أإلهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ). سورة النمل؛ الآية: 61.**
[4] **إحالة إلى قوله تعالى: (قَالُوا يَا ذَا القَرْنَيْنِ إنّ يَأجُوجَ وَمَأجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَداً). سورة الكهف؛ الآية: 94.**
[5] **كتبت في ج: ((المودة))؛ وصوبت من الملكية.**

وانقلبوا يعضّون الأنامل الغضّة من سُرَيْط جفاننا، ويقلبون الأكف التي أجدبها الدهر، ترفيعاً من المهن المترتبة[1] في خدمتنا، قد حالهم صغار القدر، وذل الخيبة، وكبح الله جماعتهم عن التنفق بتلك الوسيلة. واحتللنا **قصبة وادي آش**؛ لا نملك إلا أنفساً، لم يشبها غش الملة، ولا كياد الأمة، ولا دنسها ـ والحمد لله ـ عار الفاحشة، ولا وسمها الشوم في الولاية، ولا أحبط عمل نجابتها[2] دخل العقيدة، ولا مرض السريرة، مذ سلمنا المقادة لمن عطف علينا القلوب، وصير إلينا ملك أبينا من غير حول ولا حيلة، نرى أنها أملك لحرمتنا، وأعلم بما كنا[3]، وأرحم بنا. فتشبثت بها القدم، وحميت لنا من أهلها، رعاهم الله الهمم، وصدقت في الذّبّ عنا العزايم، وحاصرنا جيش العدو، وأولياء الشياطين، وظهر[4] الباطل، فبان الظفر والاستقبال، وظهرت الفئة القليلة، والله مع الصابرين، فغلبوا هناك وانقلبوا صاغرين. ومع ما لنا من الضيق،

[1] في ج: ((المتربة)).
[2] في ج: ((نجاتها)).
[3] نفسه: ((بمالنا)).
[4] في الملكية: ((وطهر)).

وأهمنا من الأمر، فلم نطلق[1] به غارة، ولا شرهنا إلى تغيير نعمة، ولا سرحنا عنا اكتساح على[2] هجمة، ولا شعنا لبساً في بيت ولا حلة، وأمسكنا الأرماق بيسير الحلال[3] الذي اشتملته خزايننا من أعشار وزكوات، وحظوظ من زراعات، وارتقبنا الفرج ممن محّص بالشدة، والإقالة ممن نبه من الغفلة، وألهم الإقلاع والتوبة. ثم وفقنا[4] سبحانه، وألهمنا من أمرنا رَشَداً[5]، وسلك بنا طريقاً في بحر الفتنة يبساً، فدناه بحقن الدماء، وتأمين الأرجاء، وشكرنا على البلاء، كشكرنا إياه على الآلاء. وخرجنا عن **الأندلس**، ولقد كاد، لولا عصمته، بأن نذهب مذاهب الزوراء، ونستأصل الشأفة[6]، ونستأصل

---

[1] **في ج: ((نطق))؛ فصوبت من الزيتونة.**
[2] **في ج: ((إلى)).**
[3] **نفسه: ((الحال)).**
[4] **حرفت في الزيتونة والملكية؛ فكتبت: (أوقفنا، وقفنا)).**
[5] **إحالة إلى قوله تعالى: (إِذْ أَوَى الفِتْيَةُ إِلَى الكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّءْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً). سورة الكهف؛ الآية: 10.**
[6] **الشأفة هي: قرحة خبيثة تتعاظم أسفل القدم. تكمن خطورتها في استئصالها؛ فإذا تم ذلك مات صاحبها. وعلى هذا شاع قولهم: ((استأصل شأفته))؛ أي هلك، وأزيل من أصله. ويقال أيضاً: ((بينهم شأفة))؛ أي عداوة بغيضة. ثم يقولون: ((استأصل الله شأفتهم))؛ أي أزال عداوتهم وأذاهم.**

العرصة[1]، سبحانه ما أكمل صنعه، وأجمل علينا ستره، إلى أن جزنا البحر، ولحقنا بجوار **سلطان المغرب**، لم تَنْبُ عنا عين، ولا شمخ علينا أنف، ولا حمل علينا بركب[2]، ولا هتفت[3] حولنا غاشية[4]، ولا نُزِعَ عَنَّا للتقوى والعفاف[5] والعفاف[5] سِر، بل كان الناس يوجبون لنا الحق الذي أغفله الأوغاد من أبناء دولتنا، والضفادع ببركة نعمتنا. حتى إذا الناس عافوا الصيحة، وتملوا[6] الحسرة، وسيموا الخسار والخيبة، وسامهم الطغام[7] الذين لا يرجون لله وقاراً، ولا يألون لشعايره المعظمة احتقاراً، كلاب الأطماع، وعبدة الطاغوت[8]، ومدبرو حجُون الجهل، ومياسيس أسواق البعد عن الرّب، وعرايس محرم الزينة،

---

[1] العرصة؛ جمعها عرصات: وهي ساحة الدار، أو كل بقعة ليس فيها بناء. وسميت عرصة؛ بحكم أنها موضع لاعتراص الصبيان؛ أي يلعبون ويمرحون فيها.

[2] الجماعة فوق العشرة تسمى الرّكب.

[3] كتب في ج: ((خفت))، وفي الملكية: ((حفت))، وفي الزيتونة: ((هتف)).

[4] الغاشية هنا: الداهية.

[5] في الملكية: ((العفاف والتقوى)).

[6] في ج: ((وملوا)).

[7] الطَّغام: هم الأوغاد من الناس؛ هكذا للمفرد وللجمع.

[8] أي الشيطان.

ودود القز، وثغار النهم؛ الأعزة[1] على المؤمنين بالباطل؛ الأذلة في أنفسهم بالحق، ممن لا يحسن المحاولة، ولا يلازم الصهوة، ولا يحمل السلاح، ولا ينزه مجتمع الحشمة عن الفحشاء، ولا يطعم المسكين، ولا يشعر بوجود الله؛ جاروا[2] من شقيهم المحروم، على مضعوف ملتف في الحرم المحصور، محتف بلطف المهد، معلل بالخداع، مسلوب الجرأة بأيدي انتهازهم، شؤم على الإسلام، ومعرة في وجه الدين، أخذ الله منهم حق الشريعة، وأنصف أيمة الملة. فلم ينشبوا أن تهارشوا، فَعُضَّ بعضهم، واستأصلهم البغي، وأُلْحِم للسيف، وتفنن القتل؛ فمن بين مجدل، يوارى بأحلاس الدواب الوبِرة[3]، وغريق يزف[4] به إلى سوء الميتة، واستهينت حرمة الله، واستضيم الدين، واستبيحت المحرمات، واستبضعت الفروج في غير الرشدة، وساءت في عدو الدين الحيلة؛ فتحركنا عن اتفاق من أرباب الفتيا، وعزم من أولي

[1] في الزيتونة: ((العزة))، وفي الملكية: ((الغرة)).
[2] في ج: ((داروا)).
[3] في ج: ((الدبرة)).
[4] في الملكية والزيتونة: ((يروف)).

الحرية، وتحريض من أولي الحفيظة والهمة، وتداحر[1] من الشوكة، وتحريك من وراء البحر من الأمة. فكان ما قد علمتم من تسكين الثايرة، وإشكا العديم، وإصمات الصارخ، وشعب الثأي[2]، ومعالجة البلوى، وتدارك القطر، وقد أشفى، وكشف الضر والبأسا [أما الحبوة فالتمسها، وجل الرب، واستشاط عليها جو السماء][3]. وأما مرافق البحر ومرافده؛ فسدت طرقها أساطيل الأعداء. وأما الحميّة فبددها[4] فساد السيرة، وغمط الحق، وتفضيل الأذى. وأما المال فاصطلم السفه بيضاءه وصفراءه، وكبس خزاينه حتى وقع الإدقاع والإعدام، وأقوى العامر، وأفتقرت المجابي والمغابن، واغتربت جفون السيوف من حلاها. وجردتموه الآلة إلى أعلاها، والدغل المستبطن [الفاضح][5]، ويمحض الحين، وأسلمت للدواء العرصة، وتخربت الثغور من غير مدافعة، واكتسحت

---

[1] المقصود بالتداحر: التدافع.

[2] الثأي: الضعف والركاكة.

[3] ما بين الحاصرتين ساقط في الزيتونة؛ بينما ذكر في ج، والملكية.

[4] في ج، والملكية: ((فشدها)).

[5] أضيفت الزيادة من الزيتونة؛ بينما كتبت في ج؛ كلمة الفاضح بعد كلمة الحين الآتية.

الجهات فلم يترك بها نافخ. ووقع القول[1]، وحق البهت[2]، وخذل الناصر، وتبرأت الأواصر، فحاكمنا العدو إلى النصفة. ولم نقره على الدنية، وبايناه أحوج ما كنا إلى كدحه، وأطمع ما أصبحنا في مظاهرته على الكفار مثله، اعتزازاً بالله، وثقة به، ولجأ إليه وتوكلاً عليه، سبحانه ما أبهر قدرته، وأسرع نصرته، وأوجى أمره، وأشد قهره. وركبنا بحر الخطر، بجيش من التجربة[3] ونهدنا قدماً، لا نهاب الهول ولا نراقبه، وأطللنا على **أحواز ريَّه**[4] في الجمع القليل، إلا من مدد الصَّبر المفرد، إلا من مظاهرة الله الغُفل، إلا من زينة الحق المظلل جناح عقابه يجتاح الروح، تسد جياده بصهيل العز، المطالعة غرره بطليعة النصر. فلما أحس بنا المؤمنون المطهرون بساحتهم انتزوا من عقال الإيالة الظالمة، والدعوة الفاجرة، وتبرأوا من الشرذمة الغاوية. والطايفة المناصبة لله المحارية، وأقبلوا

---

[1] إحالة إلى قوله تعالى: (وَوَقَعَ القَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لاَ يَنْطِقُونَ). سورة النمل؛ الآية: 85.

[2] البهت هنا: الحيرة والدهشة.

[3] في ج: ((من تجاريه)).

[4] حرفت في ج، والملكية؛ فكتبت: ((أحواز أريه)). لأن رية ولاية أندلسية تضم مدينة مالقة وأحوازها الممتدة إلى الشمال الغرب.

ثنيات وأفراداً، وزرافات ووحداناً. ينظرون بعيون لم ترو من غيبتنا، من محيا رحمة، ولا اكتحلت بمنظر رأفة، ووجوه عليها قسوة الخسف، وإبشار عليها بوس الجهد، يتعلقون بأذيالنا تعلق الغريق، يئنون من الجوع والخوف أنين المرضى، ويجهشون بالبكاء، ويعلنون لله ولنا بالشكوى. فعرفناهم الأمان من الأعداء، وأول عارفة جعلونا عليهم، وصرفنا وجه التأمين والتأنيس، وجميل الود إليهم، وخارطناهم[1] الإجهاش والرقعة، ووثّبنا لهم من الذلة[2]، واستولينا على دار الملك ببلدهم، فأنزلنا منها أخابيث كان الأشقياء مخلفوهم بها، من أخلاف لا يزال تطأ إبشارهم الحدود، وتأنف من استكفايهم **اليهود**، وانثالت علينا البلاد، وشمّر **الطاغية** ذيله عن الجهات، وراجع الإسلام رمق الحياة، وحثثنا السير إلى دار الملك، وقد فرّ عنها الشقي الغاصب، بشوكة بغيه، التي أمدته في الغي، وأجرته على حرمة الله. وقصد دار **قشتالة**، بكل ما صانت الحقاق من ذخيرة،] وحجبت الأمهاء من

[1] أي بكينا بكاء شديداً.
[2] أي أكرمناهم وأقلناهم من الذلة.

خرزة ثمينة][1] يتوعدون المسلمين بإدالة الكفر من الإيمان، واقياد جيوش الصلبان، وشد الحيازم إلى تبديل الأرض غير الأرض، وسوم الدين، وطمس معالم الحق، كياداً لرسول الله في أمته، ومناصبة له[2] في حنيفيته، وتبديلاً لنعمة الله كفراً، ولمعروف الحق نكراً، أصبح له الناس على مثل الرَّضْف، يرتقبون إطلال الكريهة، وسقوط الظلة، وعودة الكرة، وعقبى المعرة: ﴿ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ﴾[3]: و﴿بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾[4]، ولدعاء المستضعفين من المؤمنين مجيب، ومنهم ـ وإن قعدوا في أقصى الأرض ـ قريب. ولم نقدم مذ حللنا بدار الملك شيئاً على مراسلة صاحب **قشتالة** في أمره، نناشده العهد، ونطري له الوفاء، ونناجزه إلى الحق، ونقوده إلى حسن التلطف،

---

[1] ما بين الحاصرتين ساقط في الزيتونة.
[2] كتب في ج: ((لله))، وفي الملكية: ((لرسول الله)) مكررة.
[3] سورة البروج؛ الآية: 20.
[4] الآية كاملة هكذا: (إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ). سورة آل عمران؛ الآية: 120. وقال سبحانه وتعالى أيضاً: (وَلاَ تَكُونُوا كَالذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَراً وَرِيَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ). سورة الأنفال؛ الآية: 47.

إلى الذي نشاء من الأمن، فحسم الداء، واجتث الأعداء، وناصح الإسلام وهو أعدا عدوه، وحزم الدين، وهو المعطل[1] من أدوايه، وصارت صغرى عناية الله بنا، التي كانت العظمى، واندرجت أولاها في الأخرى، وأتت ركايب اليمن واليمين، تترى، ورأى المؤمنون أن الله لم يخلق هذا الصقع سدى ولا هباء عبثاً، وأن له فينا خبيئة غيب، وسر عناية، ويبلغنا إياها، ويطوقنا طوقها، لا مانع لعطايه، ولا معدد لآلايه، له الحمد ملء أرضه وسمايه. فمن اضطردت له هذه العجايب، فحملته عوايق الاستقامة مزية جيوب التقوى، كيف لا يتمنى، ويدين لله بمناصحته، ويحذر عناد الله بمخالفته، ويخشى عاقبة أمره، إنها: ﴿ لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾[2]. فَقَلَّمْنا أظفار

---

[1] حرفت في ج؛ فكتبت: ((المعظل)).

[2] الآية كاملة هكذا: (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فإنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ، وَلَكِنْ تَعْمَى القُلُوبُ التِي فِي الصّدُور). سورة الحج؛ الآية: 46.

المطالبة [وأغضينا عن البقية][1] وسوغنا من كشف وجهه في حربنا نعمة الإبقاء وأقطعنا رحم من قطع طاعتنا جانب الصفح، وأدررنا لكثير ممن شح عنا ولو بالكلمة الطيبة جورية الرزق[2]، ووهنا ما وجب لنا من الحق، ودنا له بكظم الغيظ ؛ وعمرنا الرتب بأربابها، وجردنا الألقاب بعد خرابها، وقبضنا الجباية محملة كتد العادة، مقودة بزمام الرفق ؛ ممسوحاً عطفها بكف الطواعية. فبللنا صدأ الجيش الممطول بالأماني، المعلل بالكذب، المستخدم في الذب عن مجاثم الفحشاء، ومراقد العهر، ودارينا الأعداء، وحسمنا الداء، وظهر أمر الله وهم كارهون. إلا أن تلك الشرذمة الخبيثة، أبقت جراثيم نفاق، ركبها انحجار الغدر، وبذر بها حصيد الشر، وأخلطوا الحقايب اللعنة ممن ساء ظنه، وخبث فكره، وظن أن العقاب لا يفلته، والحق لا يذره، والسياسة لا تحفزه، فدبت عقاربهم، وتدارت طوافاتهم، وتأبت[3] فسادهم، فدبروا

[1] **في الزيتونة، والملكية: ((وأغضينا على البقية)). أما في ج: ((وأغضينا طرف التبعية)).**
[2] **أي جراية الرزق.**
[3] **كتبت في ج، والملكية: ((وتبات)).**

أمراً تبره الله تتبيراً، وأوسعه خزياً وبيلا، وجفلوا يرتادون من أذيال القرابة، من استخلصه الشيطان وأصحبه الخذلان، من لا يصلح لشيء من الوظائف، ولا يستقل ببعض الكلف، فحركوا منهم زاهق زمانه، من شر الدواب الذين لا يسمعون، فأجرهم رسنه، وتوقف وقفة العين بين الورد والصدر؛ بخلال ما أطلعنا الله طلع نيته. فعاجلناه بالقبض، واستودعناه مصفداً ببعض الأطباق البعيدة، والأجباب[1] العميقة، فخرج أمرهم، وخافوا أن نخترش السعايات، صباب مكرهم، وتتبع نفاقهم، فأقدموا إقدام العير على الأسد، استعجالاً للحين، ورجعاً لحكم الخيار، وإقداماً على التي هي أشد، تولى كبرها، وكشف وجهه في معصيتها الخبيث **البركي**[2]؛ حِلْف التهور والخرق، المموه بالبسالة وهو الكذوب النكوث الفلول، تحملنا هفوته، وتغمدنا بالعفو ـ قديماً وحديثاً ـ زلته، وأعرضنا فيه عن النصيحة، وأبقينا له حكم الولاية، وأنسنا من نفرته، وتعافقنا عن غرته، وسوغنا الجرايم

---

[1] **في ج: ((والأجبال)).**
[2] **سبقت الإشارة إليه.**

التي سبقت، والجراير التي سلفت، من إفساد العهد، وأسر المسلمين، والافتيات على الشرع، والصدوع بدعوى الجاهلية، فلم يفده، إلا بطراً، ولم يزده إلا مكراً، والخير في غير أهله يستحيل شراً، والنفع ينقلب ضراً. والتَفَّتْ عليه طايفة من الخلايق[1]؛ **بنو غرون**؛ قرعاء الجبل والمشأمة. وأذناب بيت الإدبار، ونفاية الشُّرَّار، عَرَكَ جرأتهم مكان صهرهم البائس، **ابن بطرون**[2]، الضعيف المنَّة السقيط الهمَّة، الخامل التفصيل والجملة، وغيرهم ممن يأذن الله بضلال كيدهم وتخييب سعيهم. فاقتحموا البلد صبيحة يهتفون بالناس؛ أن قد طرق حمامهم، وأن العدو قد دهمهم، ملتفتين يرون أنهم في أذيالهم، وأن رماحهم تنهشهم وتنوشهم، وسرعانهم ترهقهم، كأنهم سقطوا من السماء، أو ثاروا من بين الحصباء. ثم جالوا في أزقة البلد يقذفون في الصفاح نار الحُباحب[3] ركضاً فوق الصخر

---

[1] كتبت في النسخ الثلاث: ((الخلاف))؛ فوجب التصويب.

[2] في الزيتونة: ((ابن بطون)).

[3] نار الحباحب: يقصد بها أحياناً ما يتطاير من شرر النار في الهواء؛ بعد اصطدام الحجارة الصماء بحديد وغيره. كما أن نار الحباحب أيضاً حشرة تطير في الليل؛ ويصدر من ذيلها شعاع في الظلام. غير أن المثل يقصد به أن البخيل؛ يسارع إلى إطفاء سراجه عندما يشعر أن شخصاً يريده.

المرصوف، وخوضاً في الماء غير المرهوف، ثم قصدوا دار الشيخ البايس **علي بن أحمد بن نصر**، نفاية البيت، ودردى القوم، ممسوخ الشكل، قبيح اللثغ ظاهر الكدر، لإدمان المعاقرة، مزنون[1] بالمعاقرة والربت على الكبرة ساقط الهمة؛ عديم الدين والحشمة، منتمت في البخل والهلع، إلى أقصى درجات الخسة، مثل في الكذب والنميمة، مُعَيَّب المثانة؛ لا يرِقُ بوله، ولا يجف سلسه. فاستخرجوه مبايعاً في الخلافة، منصوباً بأعلى كرسي الإمامة، مدعوماً بالأيدي لكونه قلقاً لا يثبت على الصهوة مختاراً لحماية البيضة؛ والعدل في الأمة، مغتماً للذب عن الحنيفية السمحة، وصعدوا به إلى ربوة بإزاء قلعتنا، منتتراً **باب البنود**[2]، مستنداً إلى الربض. مطلاً على دار الملك، قد أقام له رسم الوزارة **ابن مطرون**[3] **الكاري**، الكسح الدروب برسم المسومة، الحرد، المهين الحجة، فحل طاحونة الغدر، وقدر السوق والخيانة، **واليهودي** الشكل

---

[1] في ج: ((موكون)). ومعنى المكنون أو المزنون هو المحقون البول.
[2] سبق التعريف به.
[3] في ج: ابن بكرون.

والنحل، وقرعت حوله طبول الأعراس، إشادة بخمول أمره، واستهجان آلته، ونشرت عليه راية فال رأيها، وخلب سعيها ودارت به زعنفة من طغام من لا يملي ولا يزيد المكا والصغير من حيله، وأنبث في سكك البلد مناديه، وهتف أولياء باطله باسمه وكنيته؛ وانتجزوا مواعيد الشيطان فأخلفت، ودعوا سماسير الغرور فصمت، وقدحوا زناد الفتنة فصلدت وما أوارت. ولحين شعرنا بالحادثة، ونظرنا إلى مرج الناس، واتصل بنا ريح الخلاف، وجهير الخلعان، استعنا بالله وتوكلنا عليه، وفوضنا أمرنا إلى خير الناصرين، وقلنا: ﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾[1]، واستركبنا الجند وأذعنا خبر العطاء، وأطلقنا بريح الجهاد، ونفير الجلاد، وملأنا الأكف بالسلاح، وعمرنا الأبراج بالرجال، وقرعنا طبول الملك، ونشرنا ألوية الحق؛ واستظهرنا

[1] الآية كاملة هكذا: (قدِ أفتَرَيْنَا عَلَى اللّهِ كَذِباً إنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إذْ نَجَانَا اللّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أنْ نَعُودَ فِيهَا إلاّ أنْ يَشَاءَ اللّهُ رَبّنَا وَسِعَ رَبّنَا كُلّ شَيْءٍ عِلْماً عَلَى اللّهِ توَكّلْنَا رَبّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقّ وَأنْتَ خَيْرُ الفَاتِحِينَ). سورة الأعراف؛ الآية:89.

بخالصة الأمراء[1] أولياء الدعوة، وخاطبنا فقيه الربض، نخبر مخبره؛ ونسبر غوره، فالفيناه متوارياً في وكره، مرعيا على دينه، مشفقاً من الإخطار برمه، مشيراً بكمه. وتفقدنا البلد، فلم نرتب بأحد من أهله. فلما كملت البيعة، وفخمت الجملة، أنهدنا الجيش، ولي أمرنا، الذي اتخذناه ظهيراً؛ واستنبطناه مشيراً، والتزمناه جليساً وصهيراً[2]. ولم ندخر عنه محلا أثيراً، الشيخ الأجل، **أبا سعيد عثمان ابن الشيخ أبي زكريا يحيى بن عمر بن رحو**، ممهد الرعب بقدومه، والسعد في خدمتنا بخدمه، في جيش كثيف الجملة، سابغ العدة، مزاح العلة، وافر الناشية، أخذ **بباب الربض** وشعابه، ولف عليه أطنابه، وشرع إليه أمله. ولم يكن إلا كلاً ولا حتى داسه بالسنابك، وتخلفه مجر العوالي، ومجرى السوابق، وهو الحمى الذي لا يتوعد، والمجد الذي لا يغرب، فلولا تظاهر مشيخته بشعار السلم؛ واستظلاله بظلال العافية،

---

[1] **في الملكية: ((بخلاصة الأمر)).**
[2] **حرفت في ج؛ فكتبت: ((وسهيراً)).**

لحث الفاقرة، ووقعت به الرزية[1]. وفر الأعداء لأول وهلة، وأسلموا شقيهم أذل من وتد في قاع، وسلحفة في أعلى يفاع، فتقبض عليه، وأخذت الخيل أعقاب الغدرة أشياعه، وقيد إلينا يرسف في قيد المهزم، ثعلبان مكيدة، وشَكيَّة ضلال ومظنة فضيحة، وأضحوكة سمر. فتضرع بين أيدينا، وأخذته الملامة، وعلاه[2] الخزي، وثل إلى المطبق، حتى نستدعي حكم الله في جرمه، ونقتضي الفتيا في جريرته، ونختار في أقسام ما عرضه الوحي من قتلته. وهدأت الثايرة ـ والحمد لله ـ من يومها، واجتثت شجرة الخلاف من أصلها، فالحمد لله الذي أتم نوره ولو كره الكافرون[3]: ﴿ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[4]. وماذا رأيهم منا، أصغر الله منقلبهم، وأخزى مردهم، وأستأصل فلكهم؟ أولا يتبنى أمر وارثه ؛

---

[1] في الزيتونة: ((المرتبة))، وفي الملكية: ((المرينة)).
[2] في الزيتونة والملكية: ((وجلاه)).
[3] إحالة إلى قوله تعالى: (يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاّ أَنْ يُتِمّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرَونَ). سورة التوبة؛ الآية: 32. وقوله أيضاً: (يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللّهُ مُتِمّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ). سورة الصف؛ الآية: 8.
[4] سورة الأعراف: الآية: 139.

ثم عوده إلينا طواعية، ثم رفعنا وطأة العدو وحربه، ومددنا ظلال الأمن دفعة، وأنفأنا رمق الثغور، حين لم يجدوا حيلة إلا ما عرفوا من أمنه، وبلوا من حيطته[1] وتسوغاً من هدنة، وانسحبت فوق آمالهم وحريمهم من عفة. وأظهر الله علينا من نعمة: ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾[2]. اللهم ألبسنا سريرتنا، وعاملنا بدخلتنا فيهم، وإن كنا أردنا لجماعتهم شراً، وفي دينهم إغماضاً، وعن العدل فيهم عدولاً، فعاملنا بحسب ما تبلوه من عقيدنا، وتستكشفه من خبيئتنا، وإن كنت تعلم صحة مناصحتنا لسوادهم؛ واستنفادنا الجهد في إتاحة عافيتهم، ورعي صلاحهم، وتكيف[3] آمالهم، فصل لنا عادة صنعك فيهم، ومسلنا طاعتهم، واهد بنا جماعتهم، وارفع بنظرنا إطاعتهم، يا أرحم الراحمين.

---

[1] في الملكية: ((حيطة)).
[2] سورة إبراهيم؛ الآية: 38.
[3] في ج، والزيتونة: ((تكلف)).

ولما أسفر صبح هذا الصنع عن حسن العفو، وأستقر على التي هي أزكى، وظهر لنا (لا تخاف بالله دركاً ولا تخشى)[1]، وأن سبيل الحق أنجى، ومحجته أحجى، خاطبناكم نجلو[2] نعم الله قبلنا[3] عليكم، ونشيد بتقوى الله بناديكم، وعنايته لدينا ولديكم، ونهدي طرف صنعه الجميل قبلنا إليكم ليكسبكم اعتباراً، فزجوا الله وقارا، وتزيدوا يقيناً واستبصاراً، وتصفوا العين من اختار لكم اختيارا. وهو حسبنا ونعم الوكيل، والله يصل سعدكم، ويحرس مجدكم. كتب في كذا. والسلام عليكم ورحمت الله وبركاته. صحَّ هذا.

الجهاد في شعبان من عام سبعة وستين وسبعمائة

اقتضى نظر الحزم، ورأى الاجتهاد للإسلام، إطلاق الغارات على بلد الكفرة من جميع جهات المسلمين،

---

[1] الآية هكذا: (وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لاَ تَخَافُ دَرَكاً وَلاَ تَخْشَى). سورة طه؛ الآية: 77.
[2] حرفت في الزيتونة والملكية؛ فكتب: ((بحلو)).
[3] في الملكية قبلكم.

فعظم الأثر، وشهر الذكر، واكتسحت الماشية، وألحم السيف. وكان **ثغر برغة**[1]**،** الفايزة به يد الكفرة، لهذا السنين القريبة، قد أهم القلوب، وشغل النفوس، وأضاق الصدور، لانبتات[2] **مدينة رندة،** بحيث لا يخلص الطيف، ولا تبلغ الرسالة من الطير وغيرها إلى ناحية العدو[3]**.** فوقع العمل على قصده، واستعانة الله عليه، واستنفر لمنازلته أهل الجهات الغربية من **مالقة ورندة،** وما بينهما، ويسر الله في فتحه، بعد قتال شديد، وحرب عظيمة، وجهاد شهير، واستولى المسلمون عليه، فامتلأت أيديهم أثاثاً وسلاحاً ورياشاً وآلة، وطهرت للحين مساجده، وزينت بكلمة الله مشاهده، [وأنست بالمؤمنين معاهده][4] ورتبت فيه الحماة والرماة، والفرسان الكماة، واتصلت بفتحة الأيدي، وارتفعت العوايق، وأوضحت بين المسلمين وأخوانهم السبل، والحمد لله. وتوجهت بفتحه الرسايل،

---

[1] **تسمى بالإسبانية Burgo. وتقع إلى الشرق من رندة.**
[2] **في ج، والملكية: ((لانتباب)). أما معنى الابتات فهو: الانقطاع.**
[3] **وردت عبارة مضطربة بعد كلمة العدو؛ هي: ((وابه من الاعانة مسلما بها لاستباحة))؛ وعليه فقد أغفل أمرها..**
[4] **ما بين الحاصرتين كتبت في الزيتونة.**

وعظمت المنن الجلايل، وفر العدو لهذا العهد عن **حصن السهلة**، من **حصون الحفرة اللويشية**، وسد الطريق الماثلة، وذلك كله في العشر الأوسط لشعبان من هذا العام. ثم أجلب[1] المسلمون في **رُندة** في أخرياته وقصدوا[2] **باغة وجيرة**[3] فاستنزلوا أهلها، وافتتحوها، فعظمت النعمة، واطرد الفتح، واتسعت الجهة.

وكانت مما خوطبت به الجهة **المرينية**[4] من إملائي: المقام الذي نبشره بالفتح ونحييه، ونعيد له خبر المسرة بعد أن نبديه؛ ونسأل الله أن يضع لنا البركة فيه. ونشرك مساهمته فيما نهصره من أغصان الزهور ونجنيه[5] ونعلم أن عزة الإسلام وأهله أسنى أمانيه، وإعانتهم أهم ما يعنيه. مقام محل أخينا الذي نعظم قدره، ونلتزم بره،

---

[1] **أي احتشدوا. وقد وردت في الزيتونة وج.**
[2] **أضاف عنان هذه الكلمة لاستقامة المعنى.**
[3] **في ج: ((باع وعارجير)). وفي الملكية: ((باع وعار واجره))، وفي الزيتونة: ((باعث وعار وجيره)). وهو تحريف؛ والصحيح هو ما ورد أعلاه. إذ أن باغة وجيرة حصنان يتواجدان بين رندة ومالقة. وقد استولى عليهما السلطان الغني بالله في شعبان سنة 767هـ/ 1366م.**
[4] **كان آنئذ يحكم الدولة المرينية السلطان أبو زيان محمد المريني الذي حكم من سنة 662هـ/1263م إلى سنة 668هـ/1269م.**
[5] **في ج: ((الظهور ونجنيه)).**

ونعلم سره في مساهمة المسلمين وجهره؛ السلطان الكذا، الذي أبقاه الله في عمل الجهاد ونيته؛ متكفلة بنشر كلمة الله طويته، متممة من ظهور الدين الحنيف أمنيته، معظم جلاله، ومجزل ثنايه، ومؤمل عادة احتفاله بهذا الوطن الجهادي واعتنايه، أيد الله أمره، وأعز نصره. سلام كريم عليكم، ورحمة الله وبركاته. أما بعد حمد الله، واصل سبب الفتوح، ومجزل مواهب النصر الممنوح. ومؤيد الفئة القليلة بالملايكة والروح، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد نبيه، الآتي بنور الهدى بين الوضوح، الداعي من قبوله ورضوانه إلى المنهل المورود والباب المفتوح، الرضا عن آله وأصحابه، أسود السروج، وحماة[1] السروح، والمقتفين نهجه في جهاد عدو الله بالعين القارة والصدر المشروح، والدعاء لمقامكم العلي بالعز الرفيع الصروح. فإنا كتبناه إليكم، كتب الله لكم سبوغ المواهب، ووضوح المذاهب وعزة الجانب، وظفرة الكتايب، من **حمراء غرناطة** حرسها الله، ونعم الله

---

[1] في الزيتونة: ((حملة)).

واكفة السحايب، كفيلة بنيل الرغايب، والله يصل لنا ولكم عوارف اللطايف، ويجعل الشهيد دليلاً على الغايب. وإلى هذا وصل الله إعزازكم، وحرس أحوازكم وعمر بالحقيقة من أمراد مجازنا ومجازكم. فإنا بادرنا تعريفكم بما فتح الله علينا من الثغر العزيز على الإسلام، العايد رزؤه الفادح على عبادة الأصنام، ركاب الغارات، وممكن حياة المضرات، ومخيف الطريق السابلة؛ والمسارح الآهلة، **حصن بُرْغة**[1] ويسر الله في استرجاعه مع شهرة امتناعه، وتطهر من دنس الكفار وأنيرت مئذنته[2] بكلمة الشهادة الساطعة الأنوار، وعجلنا ذلك على حين وضعت الحرب فيه أوزارها، ووفت الأوتار أوبارها، فسار الكتاب إليكم، وأجير الأجر لم يجف عرقه، وعذر الاستعجال لأحبة طرقه. ولما عدنا إلى حضرتنا، بعد ما حصناه وعمرناه، وأجزلنا نظر[3] الحزم له وفرقناه. لم تكد البنود

---

[1] **في النسخ الثلاث: ((حصن أشر))؛ غير أنه يقصد ـ كما هو واضح ـ حصن برغة؛ الذي تم فتحه في هذه الغزوة. بينما تم فتح حصن أشر في الغزوة التي تلت؛ وذلك حسبما يأتي فيما بعد.**

[2] **في النسخ الثلاث: ((وإنارة مئذنته)).**

[3] **في ج: ((نصر)).**

لمسرة فتحه أن تعاد إلى أماكن صونها، مرتقبة عادة الله في عونها، حتى طرقت الأنباء السارة بتوالي الصنع وانفراده بتشفيع أفراده. وذلك أن **أهل رندة** حرسها الله، نافسوا جيرانهم من **أهل مالقة**، كان الله لجميعهم، وتولى شكر صنيعهم، فيما كان من امتيازهم **بحصن بُرغة**، الجار المصاقب لها، فحميت هممهم السنية، وهانت في الله موارد المنية، وتضافر العمل والنية، وظهر نجح المقاصد الدينية في إتاحة الفتح الهنية، فوجهوا نحو **حصن وحبر**[1]، وهو الداين صحر المدينة ونحرها. والعدو الذي لا يفتر عن ضرها، والحية الذكر التي هي مروان أمرها[2]؛ ففتحوه بعون الله وقوته، وتهنوا بعده سلوك الطريق، وإشاعة الريق، ومراصد الحرس، ومجلوا الجرس، وأنصفوا، وانصرفوا إلى **حصن باغة**، من مشاهد تلك الحفرة[3]، فناشبوه القتال، وأذاقوه الوبال، وفوقوا إليه النبال، ففتحة[4] الله فتحاً هيناً. لم تفت فيه للمسلمين نفس ولا

---

[1] **هكذا في ج. أما الزيتونة فكتب: ((وصبر)).**
[2] **في ج: ((مراوات)).**
[3] **في الملكية: ((الخضرة)).**
[4] **هكذا.**

تطرق لنصر التيسير لبس، فقابلنا بها لشكر هذه النعم المتوالية، والمنن المتقدمة والتالية. وأعدنا الأعلام إلى مراكزها المشرفة[1] المراقب، والطبول إلى قرعها عملاً من الإشارة بالواجب، وشكرنا الله على اتصال المواهب، ووضوح المذاهب، وخاطبنا مقامكم الذي نرى الصنايع متواترة بنيته الصالحة وقصده، ويعتد في الحرب والسلم بمجده، علماً بأن هذه المسرات، نصيبكم منها النصيب الأوفى؛ وارتياحكم أي لمثلها لا يخفى، ونحن نرقب ما تنجلي عنه هذه النكايات، التي تفتت كبد العدو تاليها، وتروع أحوازه وما يليها، ولا بد له من امتعاض يروم به صرع المعرة، ويأبى الله أن ذلك يأتي بالكرة، والله يجعلها محركات لحتفه المرقوب، وحينه المجلوب، ويحقق حق القلوب، في نصرة المطلوب، عرفناكم بما تريدون عملاً[2] بواجب بركم، ومعرفة بقدركم، وما يتزايد نعرفكم به، ويتصل سبب التأكيد والتعجيل بسببه. والسلام.

---

[1] في الملكية: ((المشرقة)).
[2] في الزيتونة والملكية: ((علماً)). وحصن أشر هذا يتواجد على ضفة نهر شنيل؛ ويسمى بالإسبانية Iznajor.

الغزاة إلى حصن أشر[1]

وفي أوائل شهر رمضان بعده. أعمل السلطان الحركة السعيدة إلى **حصن أشر**، وهو قفل الثغر الذي فضه **الطاغية**، وسورها الذي فرغه الكفر. وجارحه المحلق على البلاد. والمتحكم - لولا فضل الله - في الأموال والأولاد، فتأذن الله برد مغتصبه، والشفا من وَصَبِه، وأحاط به وناصبه الحرب، ففتحه الله على يده عنوة. على سمو ذروته، وبعد صيته وشهرته؛ واختيار[2] **الطاغية** في حاميته بعد حرب لم يسمع بمثله، فاز بمزية الحمد فيها السلطان، لمباشرته إياها بنفسه، وحمل كلها فوق كاهله، واتقاد ما خَمَدَ من الحَمِيَّة بتحريضه. ثم لما كان بعد الفتح من استخلاص **القصبة**[3] وسد ثلمها بيده، ومصابرة جو القيظ عامة يومه، فحاز ذكراً جميلاً وحل من القلوب محلا أثيراً، ورحل منها، بعد أن أسكن بها من الفرسان رابطة

---

[1] يتواجد هذا الحصن شرق إشبيلية وبالقرب من أطريرة.
[2] في الملكية وفي ج: ((اختبار)).
[3] في ج: ((مواساة الفعلة)). وأما في الزيتونة الملكية فكتب: ((مواسات الفتح)).

متخيرة، ومن الرماة جملة، وتخلف سلاحاً وعدة، فكان الفتح على المسلمين. في هذا المعقل العزيز عليهم جليلاً، والمن من الله جزيلاً، والصنع كثيراً. وصدرت المخاطبة **للمغرب** بذلك، على الأسلوب المرسل الخلي من السجع الغني.

الغزاة المُعْملة إلى أطريرة[1]

في شهر شعبان؛ من عام ثمانية وستين وسبعمائة[2]، كانت الحركة إلى **مدينة أطريرة** بنت **إشبيلية**. وبلدة تلك الناحية الآمنة. مهاد الهدنة البعيدة عن الصِّرْمة. حرك إليها بعدُ المدى، وآثرها بمحض الردى، من بين بلاد العدا، ما أسلف به أهلها المسلمين، من قتل أسراهم في العام قبله. فنازلها السلطان أول رمضان، وناشبها الحرب واستباح المدينة وربضها عنوة. ولجأ أهلها إلى قصبتها المنيعة، ذات الأبراج المشيدة، وأخذ القتال بمخنقهم، وأعان الزحام على استنزالهم، فاستُنْزِلوا على حكم المسلمين، فيما

---

[1] **تسمى بالإسبانية Utrera؛ وتتواجد إلى الجنوب الشرقي من إشبيلية؛ وبالتحديد شرقس الوادي الكبير.**

[2] **الموافق لـ 1366م.**

يناهز خمسة، بما لم يتقدمه عهد؛ ولا اكتحلت به في هذه المدة عين، ولا تلقته عنها أذن، وامتلأت أيدي المسلمين، بما لم يعلمه إلا الله، من شتى الغنايم، وأنواع الفوايد، واقتسم الناس السبي ربعاً على الأكفال والظهور، وتقديرا بقدر الرجال، وحملا فوق الظهور للفرسان، وعمرانا للسروج والأعضاد بالصبية، وبرز الناس إلى ملاقاة[1] السلطان. في هول من العز شهير من الفخر، وبعيد من الصيت، قرت له أعينهم، وقعد لبيعتهم أياماً تباعاً، وملأ بهم البلاد هدايا وتحفاً والحمد لله. [وصدرت المخاطبة بذلك إلى السلطان بالمغرب بما نصه من الكلام المرسل من إنشائي][2].

الغزاة إلى فتح جيّان

وفي آخر محرم من عام تسعة[3] وستين وسبعمائة[4]، كانت الحركة الكبرى إلى **مدينة جيّان**، إحدى دور الملك،

---

[1] في ج: ((قفول)).
[2] سقطت هذه الجملة في ج.
[3] حرفت في الزيتونة؛ فكتب: ((سبعة)).
[4] الموافق لـ 1367م.

ومدن المعمود، وكرسية[1] الإمارة، ولو أن المدن الشهيرة، افتتحها الله عنوة، ونقل المسلمون ما اشتملت عليه من النعم والأقوات والأموال والأنعام والأثواب والدواب والسلاح، ومكنهم من قتل المقاتلة، وسبي الذرية، وتخريب الديار، ومحو الآثار، واستنساف النعم، وقطع الأشجار. وهذا الفتح خارق؛ تعالى أن يحيط به النظم والنثر، فذكرُه أطير، وفخره أشهر، وصدرت في ذلك المخاطبة من إملائي إلى **ملك المغرب**. وأصاب الخلق عقب القفول في هذه الغزاة مرض وافد؛ فشا في الناس كافة، وكانت عاقبته السلامة، وتدارك الله بلطفه، فلم يتسع المجال لإنشاد الشعراء، ومواقف الإطراء، إلى شغل عن ذلك[2].

الغزاة إلى مدينة أُبَّدَة

وفي أول ربيع الأول من هذا العام، كان الغزو إلى **مدينة أُبَّدَة**، واحتل بظاهرها جيش المسلمين، وأبلى

---

[1] هكذا.

[2] كتب ـ بعدها ـ في ج العبارة التالية: ((العدو إلى مدينة أبدة)).

السلطان في قتالها، وقد أخذت بعد جارتها **جيان** أقصى أهبة. واستعدت بما في الوسع والقوة، وكانت الحرب بها مشهورة. وافتتحها المسلمون فانتهبوها، وأعفوا مساكنها العظيمة البناء، وكنايسها العجيبة المرأى، وألصقوا أسوارها بالثرى، ورأوا من سعة ساحتها، وبعد أقطارها، وضخامة بناها، ما يكذب الخبر فيه المرأى، ويبلد الأفكار، ويحير النهى. ولله الحمد على آلايه التي لا تحصى. وقفل المسلمون عنها، وقد أخربوها، بحيث لا تعمر رباعها، ولا تأتلف حجورها وجموعها. وصدرت المخاطبة بذلك إلى **صاحب المغرب** من إنشائي بما نصه: "وإلى هذا العهد جرت الحادثة على **ملك قشتالة**، **بطره بن أدفونش ابن هراندة بن شانجه**، وهو الذي تهيأ به الكثير من الصنع للمسلمين، بمزاحمة أخيه **أندريق**[1] في الملك وتضييقه عليه، وحياز سبعة[2] من كبار أصحابه، وأهل ملته إليه، وافتقار **بطره** المذكور إلى إعانة المسلمين، وإجلابهم على

---

[1] **سبق التعريف به وبملك قشتالة.**
[2] **في الزيتونة: ((وحياز من السبعة))، وفي الملكية: ((وحياز من أسفه))، وفي ج: ((أسطة)).**

من آثر طاعته ضده، فانهزم بظاهر **حصن منتيل**، ومعه عدد من فرسان المسلمين، ولجأ إلى الحصن على غير أهبة ولا استعداد، فأخذ أخوه الذي هزمه بمخنقه، وأدار على الحصن البنا، وفر جيش المحصور، فاجتمع فله **بأحواز أبدة**، وراسلوا المسلمين في مظاهرتهم على استنقاذهم، فتوجهت الفتيا بوجوب ذلك. ووقع الاستنفار والاحتشاد حرصاً على تخليصه، ليسبب بقاؤه بقاء الفتنة تستأصل الكفر، وتشغل[1] بعض العدو ببعضه. وفي أثناء هذه المحاولة تباطن الحاين[2] المحصور بمن معه، وبعد عليه الخلاص من ورطته، ومساهمة المسلمين إياه في محنته؛ وانقطعت عنه الأنباء بفرج من كربته، فداخل بعض أمراء أخيه وظُهَرايه، ممن يباشر حصاره، وكان قومساً شهيراً من المدد الذي ظاهره، من أهل **إفرنسية**، ووعده بكل ما يطمع من مال ومهد، وتوفية عهد. فأظهر له القبول وأضمر الخديعة. ولما نزل إليه سجنه ومن لحق به من الأدلاء] وأولى الحرة

---

[1] **حرفت في النسخ الثلاث؛ فكتب: ((واستغل، واشتغل)).**
[2] **هكذا.**

بالأرض][1] وأمسكه، وقد طير الخبر إلى أخيه، فأقبل في شرذمة من خواصه وخدامه، فهجم عليه وقتله، وأوسع العفو من كان محصوراً معه، وطير إلى البلاد برأسه، وأوغر التبن[2] في جثته، ولبس ثياب الحزن من أجله، وإن كان معترفاً بالصواب في قتله، وخاطب البلاد التي كانت على مثل الجمر من طاعة، الجاهر[3] بمظاهرة المسلمين، وما جر ذلك من افتتاح بلادهم، وتخريب كنايسهم، والإتيان على نعمهم، فأجابته ضربة، واتفقت على طاعته، فلم يختلف عليه منها اثنان، إلا ما كان من **مدينة قرمونة**. واجتمعت كلمة **النصارى**، ووقع ارتفاع شتاتهم، وصرفوا وجوههم إلى المسلمين، وشاع استدعاؤهم جميع من بأرض الشرق من العدو الثقيل **ببرجلونة**[4]، وعدو **الأشبونة**، والعدو الثقيل الوطأة **بإفرانسية**. وقد كان الله جل جلاله، ألهم أهل البصاير النظر في العواقب، والفكر

---

[1] سقطت هذه الجملة من الزيتونة.
[2] كتب في ج: ((وأوغر تبر))، وفي الزيتونة: ((وأدعز تبن))، وفي الملكية: ((وأوغر تبن)).
[3] كتب في النسخ الثلاث: ((الجاير)).
[4] سبقت الإشارة إليها. وهي برشلونة الحالية. كانت سابقاً عاصمة لمملكة أرغون.

فيما بعد اليوم أعمل. ووقع لي إذن السلطان، المخلي بيني وبين النصائح، في مخاطبة **سلطان النصارى** المنكوب لهذا العهد، فأشرت عليه بالاحتراز من قومه، والتفطن لمكايد من يحطب في حبل أخيه، وأريته اتخاذ معقل يحرز ولده وذخيرته، ويكون له به الخيار على دهره. واستظهرت[1] له على ذلك بالحكايات المتداولة، والتواريخ المعروفة، لتتصل الفتنة بأرضهم، فقبل الإشارة وشكر النصيحة، واختار لذلك **مدينة قرمونة**، المختصة بالجوار المكتب، من دار ملكهم **إشبيلية**، فشيد هضابها، وحصن أسوارها، وملأها بالمخازن طعاماً وعدة، واستكثر من الآلات، واستظهر عليها بالثقات، ونقل إليها المال والذخيرة، وسجن بها رهان أكابر **إشبيلية**، وأسرى المسلمين، وبالغ في ذلك، فيما لا غاية وراءه ولا مطمع، ولا ينصرف إلى مصرعه الذي دعاه القدر إليه، حتى تركها عدة خلفه، وأودع بها ولده وأهله، ولجأ إليها بعض من خدامه ممن لا يقبل مهدنة[2] ضده، ولا يقر أمان عدوه، والتفوا على صغير من

[1] في النسخ الثلاث: ((استطرت)).
[2] في ج، والملكية: ((مصدنة)).

ولـده كالنحـل عـلى شهـده، ولجـأوا إلى المسلميـن، فبغـض عليهـم الكرة والفتح بقاء هـذا الشَّجَى، المعترض في حلقـه، وأهمه تغير أمـره، وجعجـع بـه المسلمـون لأجلـه. وأظهـروا لمـن انحاز **بقرمونة** الامتساك بعهـده، فعظـم الخـرق، وأظهـر الله نُجْـح الحيلـة؛ وصـدق بهـا المخيلـة، وتفتـر الأمـر؛ وخمدت[1] نـار ذلك الإرجـاف. واشتغـل **الطاغيـة بقرمونـة**، بخلال ما خوطب بـه صاحـب **الأرض الكبيـرة**، فطمعـه في المظاهـرة؛ وتحطـب لـه ملـك **قشتالـة**، وعقـد السلـم مـع صاحـب **بُرْطُغـال**[2] **والأشبونـة**. ونشـأت الفتـن بأرضهـم؛ وخرجـت عليهـم الخـوارج، فأوجـب إزعاجـه إلى تلـك الجهة، وإقـرار مـا بالبـلاد المجـاورة للمسلميـن مـن الفرسـان والحمـاة تقاتـل وتدافـع عـن أحوازهـا وجعـل الخصـص موجهة **قرمونة** وانصرف إلى سد الفتـوق الـتي عليـه بلطـف الحيلـة؛ ببواطـن أرضـه وأحشـاء عمالتـه، وصـار في ملكـه أشغـل مـن ذات النِّحيين؛ فسـاغ الريـق؛ وأمكـن العـذر،

---

[1] **في النسخ الثلاث: ((وخمد)).**

[2] **هي البرتغال؛ في الملكية والزيتونة كتب: ((برتقال)).**

وانتهز الغرة، واستؤنفت الحركة[1]، فكانت إلى **حصن منتيل والحويز**، ففتحهما الله في رمضان؛ من عام سبعين وسبعمائة[2]، ثم إلى **ثغر روطة**؛ ففتحه الله عن جهد كبير، واتصل به **حصن زمرة**[3]. فأمن الإسلام عادية العدو بتلك الناحية، وكبس **أهل رندة**. بإيعاز من السلطان إليها، وإلى من بالجبل **جبل الفتح**، **حصن برج الحكيم والقشتور**، فيسر الله فتحهما في رمضان أيضاً."

ثم كانت الحركة إلى **الجزيرة الخضراء**، باب **الأندلس**، وبكر الفتح الأول، فكانت الحركة إليها شهر ذي الحجة من العام المذكور. ووقع تحريض الناس بين يدي قصدها في المساجد بما نصه: "معاشر المسلمين المجاهدين. وأولي الكفاية عن ذوي الأعذار من القاعدين. أعلى الله بعلو أيديكم كلمة الدين. وجعلكم في سوى الأجر والفخر من الزاهدين، إعلموا رحمكم الله أن الإسلام **بالأندلس** ساكن دار، **والجزيرة الخضراء** بابه، ومبعد مغار، **والجزيرة**

---

[1] في ج، والملكية: ((الحركات)).
[2] الموافق لـ 1368م.
[3] في الزيتونة والملكية: ((حصن مرة)).

الخضراء ركابه، فمن جهتها اتصلت في القديم والحديث أسبابه، ونصرته على أعدايه وأعداء الله أحبابه، ولم يشك العدو الكافر الذي استباحها، وطمس بظلمة الكفر صباحها [1]، على أثر اغتصابها، واسوداد الوجوه المؤمنة لمصابها، وتبديل محاربها، وعلوق أصله الخبيث في طيب تراثها، أن صريع الدين الحنيف بهذا الوطن الشريف؛ لا ينتعش ولا يقوم، بعد أن فُري الحلقوم[2]؛ وأن الباقي رمق يذهب وقد سد إلى التدارك المذهب؛ لو لا أن الله دفع الفاقرة[3] ووقاها، وحفظ المسكنة واستبقاها، وإن كان الجبل [4] عصمه الله نعم البقية. وبمكانه حفت التقية، فحسبك من مصراع باب فجع بثانيه، ومضايق جوار حيل بينه وبين أمانيه. والآن؛ يا عباد الله؛ قد أمكنكم الانتهاز، فلا تضيعوا الفرصة، وفتر المنخنق فلا تسوغه[5] غصة،

---

[1] في النسخ الثلاث: ((صاحبها)).
[2] فرَّى الشيء، وأفراه: قطعه وشقه. وفرى الحلقوم: ذبحه.
[3] الفاقرة؛ جمعها فواقر؛ وهي الداهية الشديدة. وقد ذكرت في القرآن الكريم: (وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ * تَظُنّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ). سور القيامة؛ الآيتان: 24 - 25.
[4] المقصود هو جبل طارق؛ الذي يسمى أيضاً جبل الفتح.
[5] في ج، والملكية: ((تسوها)).

واعمروا البواطن بحمية الأحرار، وتعاهدوا مع الله معاهد الأولياء الأبرار؛ وانظروا للعون من الذراري والأبكار، والنشأة الصغار، زغب الحواصل في الأكوار، والدين المنتشر بهذه الأقطار، واعملوا للعواقب، تحمدوا عملكم، واخلصوا لله الضماير، يبلغكم من فضله أملكم، فما عذر من سلم في باب وكره. وماذا ينتظر من أذعن لكيد عدوه ومكروه. من هذه الفُرْضة، دخل الإسلام تروع أسوده. ومن هذه الجهة طلع الفتح الأول[1] تخفق بنوده، ومنها تقتحم الطير الغريب، إذا رامت الجواز وفوده، فيبصر بها صافات والدليل يقوده؛ الباب المسدود يا عباد الله فافتحوه، وجه النصر تجلَّى يا عباد الله فالمحوه، الداء العضال يا عباد الله فاستأصلوه، حبل الله يا رجال الله قد انقطع فصلوه. في مثلها ترخص النفوس الغالية، في مثلها تختبر الهمم العالية، في مثلها تشهر[2] العقايد الوثيقة، وتدس الأحباس العريقة، فنضر الله وجه من نظر إلى قلبه، وقد امتلأته حمية الدين، وأصبح لأن تكون كلمة الله هي

[1] في الملكية: ((الفتوح الأولى)).
[2] في ج، والملكية: ((تشحر)).

العليا متهلل الجبين. اللهم إنا نتوسل إليك بأسرار الكتاب الذي أنزلته، وعناية النبي العربي الذي أوفدت[1] من خصوص الرحمات وأجزلت، وبكل نبي ركع لوجهك الكريم وسجد، وبكل ولي [سده من إمدادك كما وجد][2]. ألا ما رددت علينا ضالتنا الشاردة، وهنأتنا بفتحها من نعمك الواردة، يا مسهل المآرب العسرة، يا جابر القلوب المنكسرة، يا ولي الأمة الغريبة، يا منزل اللطايف القريبة، اجعل لنا ملايكة نصرك مدداً، وانجز لنا من تمام نورك الحق موعداً. ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً﴾[3].

فوقع الانفعال، وانتشرت الحمية، وجهزت الأساطيل. وكانت منازلتها يوم السبت الثالث والعشرين من الشهر المذكور، وعاطاها المسلمون الحرب، فدخلت

---

[1] في ج، والزيتونة: ((وفدت)).
[2] هذه العبارة سقطت في الملكية والزيتونة.
[3] الآية كاملة هكذا: (إِذْ أَوَى الفِتْيَةُ إِلَى الكَهْفِ فقالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، وَهَيّئْ لنَا مِنْ أمْرِنَا رَشَداً). سورة الكهف؛ الآية: 10.

البِنْيَــة[1] وهــي المدينــة الملاصقــة لهــا عنــوة، قتــل بهــا مــن الفرسـان الدارعـة عدة، وصرفت الغنايـم إلى المدينة الكبـرى. فـرأوا مـن أمـر الله مـا لا طاقـة لهـم بـه، وخذلهـم الله جـل جلالــه، عــلى منعــة الأســوار، [وبعــد مهــاوي الأغــوار، وكثــرة العــدّ والعــدد][2]. وطلبــوا الأمــان لأنفسهــم. وكــان خروجهـم عنهـا يـوم الاثنيـن الخامـس والعشريـن مـن الشهـر المذكـور، السعيـد عـلى المسلميـن، في العيـد والسـرور، بـرد الديــن[3]. ولله الحمــد عــلى آلايــه، وتــوالي نعمــه وإرغــام أعدايـه.

وفي وســـط ربيـــع الأول مـــن عـــام أحـــد وسبعيـــن وسبعمائـة[4]، أعمـل الحركـة إلى أحـواز **إشبيليــة** دار الملــك، ومحـل الشوكـة الحـادة، وبهـا نايـب سلطـان **النصــارى**، في الجمع الخشن من أنجاد فرسانهم، وقد عظم التضييق ببلدة **قرمونـة**، المنفـردة بالانتـزاء عـلى ملـك **النصــارى**، والانحيـاز

[1] البنيـة بلـدة تتواجد غربي الجزيـرة الخضـراء وإلى الشمـال مـن مدينـة طريـف؛ وتطل على المحيط الأطلسي؛ وتسمى بالإسبانيـة: La Pena.

[2] مـا بيـن الحاصرتيـن ساقـط في الزيتونـة والملكيـة.

[3] ((بـرد الديـن))؛ وردت في ج فقـط.

[4] الموافـق لـ 1369م.

إلى خدمة المسلمين، فنازل المسلمون **مدينة أشونة**[1]، ودخلوا جفنها عنوة، واعتصم أهلها بالقصبة، فتعاصت، واستعجل الإقلاع منها لعدم الماء المروي والمحلات، فكان الانتقال قدماً إلى **مدينة مُرشانة**[2] [وقد أحدقوا بها][3]. وبها العدة والعديد من الفرسان الصناديد ففتحها الله سبحانه، إلا القصبة، واستولى المسلمون فيها، وفي جارتها. من الدواب والآلات على ما لا يأخذه الحصر. وقتل الكثير من مقاتلتها. وعم جميعها العدم والإحراق، ورفعت ظهور دواب المسلمين من طعامها؛ ما تقله أظهر[4] مركب البحار؛ ما أوجب في بلاد المسلمين التوسعة، انحطاط الأسعار، وأوجب الغلاء في أرض الكفار، وقفل - والحمد لله - في عز وظهور. وفرح وسرور.

---

[1] تسمى بالإسبانية Osona؛ وتتواجد في الجنوب الشرقي من إشبيلية؛ وعلى مقربة من مدينة مورور.
[2] تسمى بالإسبانية Marchena؛ وتتواجد في الجنوب الشرقي من إشبيلية وقرمونة؛ وشمال مورور.
[3] هذه العبارة كتبت في ج، والزيتونة فقط.
[4] في الزيتونة: ((ظهور)).

مولـده السعيـد

النَّشِيئَة الميمـون الطلـوع والجيـئة[1]

المقترن بالعافية، منقولاً من تهليل نشأته المباركة. وحرز طفولته السعيدة، في نحو ثلث ليلة الاثنين والعشرين من جمادى الآخرة؛ عام تسعة وثلاثين وسبعمائة[2]. قلت، ووافقه من التاريخ الأعجمي رابع ينير من عام ألف وثلاثمائة وسبعة وسبعين[3] لتاريخ الصُّفر. واقتضت صناعة التعديل بحسب **قيمودا وبطليموس**، أن يكون الطالع ببرج[4] القمر، لاستيلائه على مواضع الاستقبال المتقدم للولادة، ويكون التخمين على ربع ساعة وعشر ساعة، وثلث عشر الساعة السادسة من ليلة الاثنين

---

[1] **ألسلوب المغاربة في رسم الكلمات ـ كما تبين في أسلوب ابن الخطيب ـ يجعل الهمزة ياء؛ وعليه فهذا العنوان ـ في الحالة المشرقية ـ يكون هكذا: ((مولده السعيد النشيئة الميمون الطلوع الجيئة)). ويقصد بالنشيئة: النشأة. والجيئة: المجيء.**

[2] **الموافق لـ 1338م.**

[3] **أخطأ ابن الخطيب في هذا؛ والصحيح ما ذكر سابقاً. على أن اليوم والشهر هما 21 يناير. بدلاً من 4 يناير 1338هـ.**

[4] **حرفت في ج؛ فكتبت: ((بدرج)).**

المذكورة. والطالع من برج السنبلة، خمس عشرة درجة وثمان وأربعون دقيقة من درجة. كان الله له في الدنيا والآخرة: و﴿ حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾[1].

***

[1] **سبق ذكر هذه الآية كاملة. وهي الآية: 173؛ من سورة آل عمران.**

محمد بن يوسف

ابن محمد بن أحمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجي الأنصاري[1]؛
من ولد سعد بن عبادة، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم،
ابن ليمان بن حارثة [بن خليفة][2] بن ثعلبة[3] بن طريف بن
الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمر بن يعرب بن يشجب
ابن قحطان بن هُمَيْسع ابن يُمن بن نَبْت بن إسماعيل
ابن إبراهيم، صلى الله عليه وعلى محمد الكريم.
أمير المسلمين بالأندلس وواليها وخدمة [4]
النصريين بها؛ يكنى أبا عبد الله؛
ويلقب بالغالب بالله.

أوليته

وقد اشتهر عند كثير ممن عني بالأخبار أن هذا البيت **النصري** من ذرية **سعد بن عبادة** سيد **الخزرج**. وصاحب **رسول** الله صلى الله عليه وسلم. وصنف الناس في اتصال نسبهم [**بقيس بن سعد بن عبادة**][5] غير ما تصنيف وأقوى

---

[1] توجد ترجمة محمد بن يوسف بن محمد بن نصر الخزرجي أيضاً في: المغرب، والبيان المغرب (قسم الموحدين)، واللمحة البدرية.
[2] ما بين الحاصرتين؛ من ج.
[3] في ج فقط.
[4] نفسه: ((وخدم)).
[5] في الزيتونة والملكية: ((بسعد بن عبادة)).

ما ذكر، قول **الرازي**: دخل **الأندلس** من [ذرية][1] **سعد ابن عبادة** رجلان، نزل أحدهما أرض **تاكرونا**[2]، ونزل[3] الآخر قرية من قرى[4] **سقرسطونة**[5] تعرف **بقرية الخزرج**، ونشأ بأحواز **أرجونة**[6] من كنبانية **قرطبة**[7]، أطيب البلاد مدرة، وأوفرها غلة، وهو بلدُه، وبلد جده، في ظل نعمة، وعلاج فلاحة، وبين يدي نجدة وشهرة، بحيث اقتضى ذلك، أن يفيض شِرْيان الرياسة، وانطوت أفكاره على نيل الإمارة [ورآه مرتادو أكفاء الدول أهلاً، فقدحوا رغبته، وأثاروا طمعه][8].

حدث شيخنا الكاتب الشاعر **محمد بن محمد بن عبد الله اللوشي اليحصبي**، وقد أخبرني أنه كان يوجد **بمدينة**

---

[1] ما بين الحاصرتين؛ من الزيتونة.
[2] تسمى منطقة رندة أيضاً: تاكرونا. ويبدو أن هذه التسمية؛ تنسب لإحدى القبائل الأمازيغية التي سكنت تلك المنطقة.
[3] كلمة ((نزل)) وردت في الزيتونة فقط.
[4] في ج: ((نظر)).
[5] تكون هذه البلدة قد اندثرت. ويعتقد عنان أنها كانت في جهات جيان.
[6] هي بلدة تابعة لولاية جيان؛ وتقع إلى الجنوب الغربي من أندوجر؛ وتسمى بالإسبانية **Arjona**.
[7] أي من سهل أو حقل قرطبة.
[8] ما بين الحاصرتين جاء في ج فقط.

جيان رجل من أهل المالية[1]، وكان له فرس أنثى من عتاق الخيل. على عادة أولي المالية. وكان له من أهل الثغور، من ارتباط الخيل، والتنافس في إعداد القوة. وشهرت هذه الفرس، في تلك الناحية، وبعث **الطاغية** ملك **الروم** في ابتياعها، فعلقت بها كف هذا الرجل، وآثر بها نفسه، وازداد غبطة بها لديه؛ ورأى في النوم قايلاً يقول له: سر إلى **أرجونة**، بفرسك وابحث عن رجل اسمه كذا، وصفته[2] كذا، فاعطه إياها[3]؛ فإنه سيملك **جياناً** وسواها؛ وسواها؛ ينتفع بها عقبك. وأُرْجِي الأمر؛ فعرض عليه ثانية؛ وحث في ذلك في الثالثة. فسأل ثقة له خبيراً بتلك الناحية وأهلها. فقال له المخبر؛ وكان يعرف **بابن يعيش**؛ فوصفه له. فتوجه الفقيه إلى **أرجونة**، ونزل بها، وتسومع به، وأقبل السلطان وأظهاره؛ وتكلموا في شأنه؛ فذكر غرضه فيه، وأظهر العجز عن الثمن، وسأل منه تأخير بعضه، فأسعفه. واشترى منه الفرس بمال له خطر. فلما

---

[1] في الزيتونة والملكية: ((المانية)). والظاهر أن ما ورد أعلاه هو الصحيح؛ ويظر ذلك من خلال ما سيأتي.
[2] في الملكية: ((ونعته)).
[3] في ج، والملكية: ((إياه)).

كمل له القصد؛ طلب منه الخلوة به في المسجد من الحصن؛ وخرج له عن الأمر، وأعطاه بيعته، وصرف عليه الثمن؛ واستكتمه السلطان خيفة على نفسه، وانصرف إلى بلده.

قال: وفي العام بعده، دعا إلى نفسه **بأرجونة**، وتملك **مدينة جيان**. واختلف في السبب الذي دعاه إلى ذلك. فقيل إن بعض العمال، أساء معاملته في حق مخزني، وقيل غير ذلك.

حالـه

هذا الرجل كان آية من آيات الله في السذاجة والسلامة والجمهورية، جندياً، ثغرياً شهماً، أيداً، عظيم التجلد، رافضاً للدعة والراحة، مؤثراً للتقشف، والاجتراء باليسير، متبلغاً بالقليل، بعيداً عن التصنع، جافي السلاح، شديد العزم، مرهوب الإقدام، عظيم التشمير، [مقرياً لضيفه][1]، مصطنعاً لأهل بيته، فظاً في طلب حظّه، محمياً لقرابته وأقرانه وجيرانه. مباشراً للحروب بنفسه،

[1] ما بين الخاصرتين من ج.

تتغالى الحكاة في سلاحه، وزينة دبوره[1]. يخصف النعل، ويلبس الخشن، ويؤثر البداوة، ويستشعر الجد في أموره. سعد بيوم الجمعة، وكان فيه تملكه **جيان** ثم حضرة الملك **غرناطة**؛ وقيل يوم قيامه؛ شرع فيه الصدقة الجارية على ضعفاء الحضرة، ومنايهم إلى اليوم. وتملك **مدينة إشبيلية**[2] في أخريات ربيع الأول من عام ظهوره، وهو عام تسعة وعشرين وستماية[3] نحواً من ثلاثين يوماً. وملك **قرطبة** في العشر الأول لرجب من العام المذكور، وكلاهما عاد إلى ملك **ابن هود**. ولما تم له القصد من تملك البيضة، والحصول على العمال، مباشراً للحسابات بنفسه، فتوفر ماله، وغصت بالصامت خزاينه، وعقد السلم الكبير، وتهنأ أمره، وأمكنه الاستعداد، فأنعم الأهواء؛ وملأ بطن الجبل المتصل بالقلعة حبوباً مختلفة، وخزاين درة ومالاً وسلاحاً وارية[4] ظهراً، وكراعاً؛ فوجد فايدة استعداده، ولجأ إلى ما ادخره من عتاده.

---

[1] **هكذا في النسخ الثلاث.**
[2] **في المغرب: ((وقد ملك إشبيلية، وقتل ملكها المعتضد الباجي)).**
[3] **الموافق لـ 1231م.**
[4] **في ج، والزيتونة: ((وراية))؛ فصوبت.**

سيرتـه

تظاهر لأول أمره بطاعة الملوك **بالعدوة وإفريقية**، يخطب لهم زماناً يسيراً. وتوصل بسبب ذلك إلى إمداد منهم وإعانة. ولقبل ما[1] افتتح أمره بالدعاء **للمستنصر العباسي ببغداد**، حاذياً حذو سميه **ابن هود**، للهج العامة في وقته. بتقلد تلك الدعوة، إلى أن نزع عن ذلك كله.

وكان يعقد للناس مجلساً عاماً، يومين في كل أسبوع، فترفع إليه الظلامات، ويشافه طالب الحاجات، وتنشده الشعراء. وتدخل إليه الوفود، ويشافه أرباب النصايح في مجلس اختص به أهل الحضرة، وقضاة الجماعة، وأولي الرتب النبيهة في الخدمة، بقراءة أحاديث من الصحيحين، ويختم بأعشار من القرآن، ثم ينتقل إلى مجلس خاص، ينظر فيه في أموره[2] فيصرف كل قصد إلى من يليق به ذلك، ويؤاكل بالعشيات خاصته من القرابة؛ ومن[3] يليهم من نبهاء القواد.

---

[1] أي قبل ذلك.
[2] في ج، والزيتونة: ((أمره)).
[3] نفسهما: ((وما)).

أولاده

أعقب ثلاثة من الذكور: **محمداً** ولي عهده، وأمير المسلمين على أُثره؛ والأميرين: **أبا سعيد فرج، وأبا الحجاج يوسف**، توفيا على حياته؛ حسبما يتقرر بعد إن شاء الله.

وزراء دولته

وزر له جماعة: الوزير **أبو مروان عبد الملك بن يوسف بن صناديد**[1] زعيم **قاعدة جبان**؛ وهو الذي مكنه من ناصية **جيان** المذكورة. واستوزر **علي بن إبراهيم الشيباني** من وجوه حضرته، وذوي النسب من الفضلاء أولي الدماثة والوقار. واستوزر الرييس **أبا عبد الله ابن** الرييس **أبي عبد الله الرميمي**. واستوز الوزير **أبا يحيى بن الكاتب** من أهل حضرته. وغيرهم ممن تبلغ به الشهرة مبلغاً فيهم.

[1] حرف في الزيتونة؛ فكتب: ((ابن صنادين)).

كتابه

كتب له من الجلة جماعة: كالكاتب المحدث الشهير **أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن سعيد اليحصبي اللوشي**، ولما توفي كتب عنه ولده **أبو بكر بن محمد**. هؤلاء مشاهير كتابه، ومن المرءوسين[1] أعلام **كأبي بكر بن خطاب**، وغيره.

قضاته

ولي له قضاء الجماعة، القاضي العالم الشهير، **أبو عامر يحيى بن عبد الرحمن بن ربيع الأشعري**، من جلة أهل **الأندلس** في كبر البيت، وجلالة المنصب، وغزارة العلم. ثم ولي بعده الفقيه **أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبد الجليل بن غالب الأنصاري الخزرجي**، ثم ولي بعده الفقيه **أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبد السلام التميمي**. وهذا الرجل من أهل الدين والأصالة، وآخر قضاة العدل. ثم ولي بعده الفقيه القاضي **أبو عبد الله محمد ابن عياض بن موسى اليحصبي**، ثم ولي بعده الفقيه

---

[1] **حرف في الزيتونة وج؛ فكتب: ((المدرسين)).**

القاضي الحسيب **أبو عبد الله بن أضحى**، وبيته شهير، [ولم تطل مدته] [1]. وولي بعده آخر قضاته **أبو بكر محمد ابن فتح بن علي الإشبيلي الملقب بالأشْبِرون.**

الملوك على عهده

بمراكش: المأمون إدريس، مأمون الموحدين، مزاحماً **بأبي زكريا يحيى بن الناصر بن المنصور بن عبد المؤمن بالجبل**. ولما توفي **المأمون** ولي **الرشيد**، **أبو محمد عبد الواحد** في سنة ثلاثين وستماية[2]، وولي بعده **أبو حفص عمر بن إسحاق المرتضى**، إلى أن قتله **إدريس الواثق أبو دبوس** في عام خمسة وستين[3]. وولي بعده يسيراً **بنو عامر ابن علي بمراكش**[4]، وتعاقب منهم على عهده جلة: كالأمير **عثمان** وابنه **حمو**، وأخيه **أبي يحيى بن عبد الحق**. واستمر الملك في أسن أملاكهم، **أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق بن محيو** إلى آخر أيامه.

---

[1] ما بين الحاصرتين سقط في الزيتونة.

[2] الموافق لـ 1232م.

[3] 665هـ/1266م.

[4] هكذا.

وبتلمسان، شبيهه **يغمراسن بن زيان** أول ملوكهم، وتقدمه أخوه أكبر منه برهة. **ويغمراسن** أول من أثّل الملك، وحاز الذكر، واستحق الشهرة.

وبتونس، الأمير **أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص**. وخاطبه السلطان المترجم به، والتمس رفده، وقد حصل على إعانته، وولي بعد موته ولده **المستنصر أبو عبد الله**، ودامت أيامه إلى أول أيام ولد السلطان المترجم له عام أربعة وسبعين[1].

وبقشتالة هراندة[2] بن ألهنشة بن شانجه الإنبرطور. وهراندة هذا هو الذي ملك **قرطبة وإشبيلة**، ولما هلك ولي بعده **ألفنش[3]** ولده ثلاثاً وثلاثين سنة، واستمر ملكه مدة ولايته. وصدرا من دولة ولده بعده.

---

[1] 674هـ/1275م.

[2] هو الملك القديس فرنادو الثالث صاحب قشتالة وليون (614هـ/1217 - 650هـ/1252). تمكن من الاستيلاء على قرطبة سنة 633هـ/1236م؛ ثم اضاف إشبيلية سنة 646هـ/1248م؛ وبعدهما جيان وغيرها.

[3] هو ألفونسو العاشر المعروف بلقب الحكيم؛ تولى الحكم بعد أبيه سنة 650هـ/1252م وبقي إلى سنة 681هـ/1282م؛ أين انقلب عليه ولده سانشو واستولى على مقاليد الأمورز

وبرغون جايمش[1] **بن بطره بن ألفونش قمط برجلونه.** **وجايمش** هذا هو الذي ملك **بلنسية**[2]، وصيرها دار ملكه من يد **أبي جميل زيان بن مردنيش.**

لمع من أخباره

قام **ابن أبي خالد** بدعوته **بغرناطة**، كما ذكر في اسمه، ودعاه وهو **بجيان**. فبادر إليها في أخريات رمضان؛ من عام خمس[3] وثلاثين وستمائة[4]، بعد أن بعث إليه الملأ من أهلها ببيعتهم مع رجلين من مشيختهم، **أبي بكر**[5] **الكاتب، وأبي جعفر التيزولي**.

قال **ابن عذارى في تاريخه**[6]: أقبل وما زيُّه بفاخر، ونزل[7] عشي اليوم الذي وصل بخارج **غرناطة**، على أن

---

[1] هو خايمي الأول المعروف بخايمي الفاتح؛ وهو ابن بيدرو الثاني صاحب أراغون. استولى على بلنسية، ومارسية، والجزائر الشرقية.

[2] سنة 636هـ/1238م.

[3] في البيان المغرب: ((خمسة)).

[4] الموافق لـ 1237م.

[5] في البيان المغرب: ((أبي بكر ابن الكاتب، وأبي جعفر النمزولي)).

[6] في البيان المغرب قسم الموحدين.

[7] ((ونزل بخارج غرناطة؛ على أن يدخلها من الغد غدواً؛ ثم بدا له غير غير ذلك؛ فدخلها مع غروب الشمس؛ يوم نزوله)).

يدخلها من الغد، ثم بدا له فدخلها عند غروب الشمس، نظراً للحزم.

وحدث **أبو محمد البسطي** قال[1]: عاينته[2] يوم دخوله وعليه شاشية[3] ملف مضلعة أكتافها مخرقة[4]، وعندما نزل بباب **جامع القصبة**، كان مؤذن المغرب في الحيعلة[5]، وإمامه ـ يومئذ ـ **أبو المجد المرادي** قد غاب، فدفع الشيخ السلطان إلى المحراب، وصلى[6] بهم، على هيئته تلك؛ **بفاتحة الكتاب: و﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾**[7]. والثانية بـ بـ **﴿قل هو الله أحد﴾**[8]، ثم وصل **قصر باديس**، والشمع بين يديه[9].

---

[1] هذا النص موجود أيضاً في البيان المغرب (قسم الموحدين).
[2] في البيان المغرب: ((فعاينته)).
[3] الشاشية: غطاء للرأس من الجوخ الأحمر في الغالب.
[4] في البيان المغرب: ((مقطعة)).
[5] الحيعلة: هي قول المؤذن: حي على الصلاة... حي على الفلاح.
[6] في البيان المغرب: ((فصلى بهم ـ على هيئة سفره ـ بفاتحة الكتاب...)). الكتاب...)).
[7] سورة الفتح؛ الآية: 1.
[8] سورة الإخلاص: الآية: 1.
[9] نفسه: ((ثم خرج إلى قصر باديس بن حبوس والشمع بين الأبواب يتقد...)).

وفي سنة ثلاث وأربعين وستماية[1]، صالح **طاغية الروم**، وعقد معه السلم، الذي طاحت في شروطه **جيان**. وكان[2] واقع بالعدو الراتب تجاه حضرته، المختص **بحصن بليلش**[3] على بريد من الحضرة. وكان الفتح عظيماً. ثم حالفه الصنع بما يضيق المجال عن استيعابه. وفي حدود اثنين وستين وستمائة[4] [صالح **طاغية الروم**، وعقد معه السلم][5]، وعقد البيعة لولي عهده، واستدعى القبائل للجهاد.

مولده

في عام خمسة وتسعين وخمسمائة[6] **بأرجونة**، عام **الأرك**[7].

---

[1] الموافق لـ 1245م.
[2] ((كان)) أضافها عنان.
[3] في الزيتونة: ((بليش)).
[4] الموافق لـ 1263م.
[5] مابين الحاصرتين موجودة في الملكية.
[6] الموافق لـ 1198م. تاريخ الميلاد هذا ليس دقيقاً؛ وسيأتي التاريخ الصحيح في الفقرات التالية.
[7] نسبة إلى مكان يسمى الأرك؛ وبالإسبانية Alarcos؛ وهذه الموقعة حدثت في عام 591هـ/1195م؛ وليس كما قال المؤلف. وهي شهيرة في التاريخ الإسلامي؛ ووقعت بين جيش الموحدين بقيادة الخليفة الموحدي

وفاتــه

في منتصف جمادى الثانية؛ من عام واحد وسبعين وستمائة[1]، وَرَدَ عليه وقد أسنّ جملة من كتاب الزعايم، يقودون جيشاً من أتباعهم، فبرز إلى لقايهم بظاهر حضرته، ولما كرّ آيباً إلى قصره، سقط ببعض طريقه، وخامره خصر، وهو[2] راكب، وأردفه بعض مماليكه، واسمه **صابر الكبير**. وكانت وفاته ليلة الجمعة التاسع والعشرين لجمادى الثانية المذكورة، ودفن بالمقبرة الجامعة العتيقة **بسنام السبيكة**[3]، وعلى قبره اليوم منقوش: ((هذا قبر السلطان الأعلى، عزُّ الإسلام، جمال الأنام، فخر الليالي والأيام، غياث الأمة، غيث الرحمة، قطب الملة، نور الشريعة، حامي السنة، سيف الحق، كافل الخلق، أسد الهيجاء، حمام الأعداء، قوام الأمور، ضابط الثغور، كاسر الجيوش، قامع الطغاة، قاهر الكفرة

يعقوب المنصور والجيش القشتالي بقيادة ألفونسو الثامن؛ وكان الانتصار حليف المسلمين.

[1] **الموافق لـ 1272م.**

[2] **((هو)) أضافها عنان.**

[3] **سهل يمتد في الناحية الشرقية من الحمراء.**

والبغاة، أمير المؤمنين[1]، علم المهتدين، قدوة المتقين، عصمة الدين، شرف الملوك والسلاطين، **الغالب بالله،** المجاهد في سبيل الله، أمير المسلمين، **أبو عبد الله محمد بن يوسف بن نصر الأنصاري**، رفعه الله إلى أعلى عليين، وألحقه بالذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين، والشهداء والصالحين، ولد رضي الله عنه، وأتاه رحمة من لدنه عام أحد وتسعين وخمسمائة[2]، وبويع له يوم الجمعة السادس والعشرين [من رمضان؛ عام خمسة وثلاثين][3] وستماية[4]، وكانت وفاته يوم الجمعة بعد صلاة العصر التاسع والعشرين لجمادى الآخرة؛ عام أحد وسبعين وستماية[5]، فسبحان من لا يفنى سلطانه، ولا يبيد ملكه، ولا ينقضي زمانه، لا إله إلا هو الرحمن الرحيم)). ومن جهة أخرى[6]:

---

[1] **في الزيتونة: أمير المسلمين.**
[2] **الموافق لـ 1194م. وهذا يخالف ما ذكره من قبل ابن الخطيب؛ والتاريخ الأخير هذا هو الصحيح حسب المحققين.**
[3] **ما بين الحاصرتين أضافه عنان؛ لكي يستقيم المعنى.**
[4] **الموافق لـ 1137م.**
[5] **الموافق لـ 1272م.**
[6] **البحر البسيط.**

هذا محل العُــلى والمجد والكـــرم

قبـــر الإمام الهمام الطاهـــر العلم

لله ما ضم هذا اللحد من شـــرف

ومـــن شيـــم علويـــة الشيـــم

بالجود والباس ما تحوي صفايحه

لا بأس عنتـــرة ولا نـــدى هِـــرم

مُغني الكرامة والرضوان يعهـــده

فخر الملوك الكريم الذات والشيـــم

مقامه في كلا يومي نـــدًى ووغى

كالغيث في مجد وكالليث في أجم

مآثـــر تليـــت آثارهـــا ســـوراً

تقر بالحـــق فيهـــا جملـــة الأمـــم

كأنه لم يســـر في محفـــل لَجِـــبٍ

تضيـــق عنه بلاد العرب والعجم

ولم يبـــاد[1] العـــدا منـــه ببـــادرة

يفتر منها الهدى عن ثغر مبتســـم

---

[1] في ج، والزيتونـة: ((يقـاد)).

ولم يجهز لهم خيــلاً[1] مضمــرة

لا تشرب الماء إلا من قُلَيْــب دم

ولم يقم حكم عــدل في سياستــه

تــأوي رعيتــه منــه إلى حــرم

من كان يجهل ما أولاه[2] من نعــم

وما حواه لديــن الله مــن حــرم

فتلــك آثــره في كــل مكرمــة

أبدى وأوضح من نار على علــم

لا زال تَهمِي على قبــر تضمنــه

سحايب الرحمة الوكافــة[3] الديــم

***

[1] في ج، والزيتونـة: ((جيشـاً)).
[2] حرفت في ج؛ فكتـب: ((لـولاه)).
[3] حرفت في ج؛ فكتـب: ((الواكفـة)).

محمد بن عبد الله

ابن محمد بن عبد الله بن أبي عامر بن محمد بن أبي الوليد بن يزيد بن
عبد الملك المعافري؛ المنصور بن أبي عامر؛[1] معظم الظفر، وخدن
السعد، وملقى عصي الجد، وجوّ رياح الشهرة، وديوان فنون
السياسة، وحجاج الدولة العبشمية[2]، في التخوم المغربية،
المزيّ[3] بالظرف وكمال السجية، والجهاد العظيم،
العريق[4] في بحبوحة بلاد الكفار؛
رحمه الله تعالى.

أوليته

دخل جده **عبد الملك الأندلس** مع **طارق** مولى **موسى بن نصير** في أول الداخلين من **المغرب**، وكان له في فتحها أثراً جميلاً. وإلى ذلك أشار مادحه **محمد بن حسان**[5]:

---

[1] ترجمة المنصور بن أبي عامر موجودة أيضاً في: البيان المغرب، والذخير، وإعمال الأعلام (قسم الأندلس)، والحلةالسيراء ومطمح الأنفس، وجذوة المقتبس، وبغية الملتمس، والمغرب، والمعجب، وكتاب العبر، والمختصر في أخبار البشر، ثم تتمته، ونفح الطيب.

[2] العبشمية: وصف للدولة الأموية أي لجدهم عبد شمس. وفي الزيتونة كتب: ((الأموية)).

[3] أي الظريف.

[4] حرفت في الزيتونة فكتب: ((العريقة)).

[5] هذان البيتان يوجدان في البيان المغرب وهما من البحر الطويل. وقد ذكر فيه أنهما لمحمد بن حسين الشاعر العالم بأخبار الأندلس.

وكل عـــدو أنت تهزم[1] عرشـــه
وكل فتــوح عنك يفتــح بابهـــا
برأيــك عبد المليــك الذي لـــه[2]
حـــلا فتـــح قرطبـــة وانتهابهـــا

ونزل **عبد الملك الجزيرة الخضراء** لأول الفتح، فساد أهلها، وكثر عقبه بها، وتكررت فيهم النباهة، وجاوروا الخلفاء **بقرطبة**. وكان والد **محمد** هذا، من أهل الدين والعفاف والزهد في الدنيا والقعود عن السلطان؛ سمع الحديث، وأدى الفريضة، ومات منصرفاً عن الحج **بإطرابلس**.

حالـه

كان هذا الرجل بكر الدهر، وفايدة الأيام، وبيضة العمر، وفرد الخلق في اضطراد السعد، وتملد العاجل من

---

[1] **في ج والبيان المغرب: ((تَهْدِمُ)).**
[2] **ورد هذا البيت في البيان المغرب هكذا:**
((وإنَّك من عبد المليك الذي له * حُلى فتح قرطاجَنَّة وانتهابها))؛ وهذا أسلم.

الحظ، حازماً، داهية، مشتملاً على أقطار السؤدد، هوياً[1] إلى الأقاصي، وطموحاً، سوساً حمياً، مصطنعاً للرجال، جالباً للأشراف، مستميلاً[2] للقلوب، مطبقاً المفاصل، مُزيحاً للعلل، مستبصراً في الاستبداد، خاطباً جميل الذكر، عظيم الصبر، رحيب الذرع، طموح الطرف، جشع السيف، مهادي جياد العقاب والمثوبة، مهيباً، جزلاً، منكسف اللون، مصفر الكف، آية الله جل جلاله في النصر على الأعداء ومصاحبة الظفر[3]، وتوالي الصنع.

نباهته

قال المؤرخ: سلك سبيل القضاء[4] في أوليته، مقتفياً آثار عمومته وخؤولته، يطلب[5] الحديث في حداثته، وكتب منه كثيراً ولقي الجلة من رجاله، ثم صحب **الخليفة**

[1] في الملكية: ((هديا)).
[2] حرفت في ج؛ فكتبت: ((مستليماً)).
[3] في ج: ((الصفر))، وفي الزيتونة: ((السفر)).
[4] في البيان المغرب: ((القضاة)).
[5] نفسه: ((فطلب)).

الحكم[1] متحزباً[2] في زمرته، وولي له الأعمال من القضاء والإمامة، ثم استكفاه، فعدل عن سبيله، وصار في أهل الخدمة. ثم اختصه بخدمة **أم ولده هشام**، فزاد بخاصته لولي العهد، عزاً ومكانة من الدولة فاحتاج الناس إليه. وغشوا بابه، وبلغ الغاية من أصحاب السلطان معه، إسعاف، وكرم لقاء، وسهولة حجاب، وحسن أخلاق. فاستطار ذكره، وعمر بابه، وساعده الجد. ولما صار أمر المسلمين إليه، فبلغ التي لا فوقعها عزاً وشهرة.

الثناء عليه

قال: وفي **الدولة العامرية**، وأعين **محمد** على أمره، مع قوة سعده، بخصال مؤلفة لم تجتمع لمن قبله، منها الجود، والوقار، والجد والهيبة، والعدل والأمن، وحب العمارة، وتثمير المال، والضبط للرعية، وأخذهم بترك الجدل والخلاف والتشغب، من غير[3] وهن في دينه،

---

[1] **الحكم بن عبد الرحمن الناصر؛ المعروف بلقب المستنصر. حكم الأندلس من سنة 350هـ/961م. إلى سنة 366هـ/976م.**
[2] **حرفت في ج، والملكية؛ فكتبت: ((متخرجاً)).**
[3] **كلمة ((غير)) أضافها عنان.**

وصحة الباطن، وشرح كل فضل، وجلب كل ما يوجب عن المنصور فيه.

غزواته وظهوره على أعدايه

واصل رحمه الله الغزو بنفسه، فيما يناهز خمسين غزوة، وفتح فيها البلاد، وخضد شوكة الكفر، وأذل الطواغيت [وفض مصاف الكفار][1]، وبلغ الأعماق، وضرب على العدو الضرايب، إلى أن تلقاه عظيم **الروم** بنفسه وأتحفه بابنته[2] في سبيل الرغبة في صهره، فكانت أحظى عقايله، وأبرت في الدين والفضل على ساير أزواجه؛ وعقد اثني[3] عشر بروزاً إلى تلقي ملوك **الروم** القادمين عليه [مصطهرين بإلحاح سيفه][4] منكبين على لثم سريره.

---

[1] **ما بين الحاصرتين موجودة في ج فقط.**

[2] **كتب في النسخ الثلاث: ((وأتحفه بها)). وقد صوب عنان المعنى. والواضح أن المقصود بهذا القول هي: ابنة ملك نافارا سانشو غرسية الذي أصهر بابنته إلى المنصور؛ وهي (عبدة النفارية)؛ أم ولده عبد الرحمن؛ أحظى نسائه إليه، والأحب إلى قلبه. سميت بعبدة بعد أن أسلمت.**

[3] **هكذا.**

[4] **ما بين الحاصرتين موجود في ج فقط.**

شعـره

ومما يؤثر من شعره [1]:

رميت بنفسي هول كل عظيمـــة[2]
وخاطرت والحر الكريم يخاطــر[3]

وما صاحـــبي إلا جنان مشيـــع
وأسمر خـــطي وأبيـــض باتـــر

ومن شيمـــتي[4] أني عـــلى[5] طالب
أجـــود بمال لا تقيــه المعـــاذر

وإني لزجاء الجيوش إلى الوغى
أسود تلاقيهـــا أســـود خـــوادر

[1] هذه الأبيات موجودة في: البيان المغرب، والحلة السيراء، ونفح الطيب؛ بينما ورد منها في المغرب ثلاثة أبيات فقط. وهي من البحر الطويل.
[2] في البيان المغرب: ((كريهة)).
[3] في البيان المغرب، والحلة السيراء: ((مخاطر)).
[4] في الحلة السيراء: ((شيمي)).
[5] نفسه: ((على كل طالب)).

فَسُدْتُ[1] بنفــسي أهل كل سيـــادة

وكاثرت[2] حتى لم أجد من أكاثــر[3]

وما شدت بنيانـــاً[4] ولكن زيـــادة

على ما بنى عبد المليك وعامــر

رفعنا العلى بالعــوالي سياســة[5]

وأورثناهـــا في القديــم معافــر

وبلغ في ملكه **أقطار المغرب**، إلى حدود القبلة[6]، **وبمدينة فاس**، إثر ولده **المقلد** فتح تلك الأقطار، ونهد أوليك الملوك الكبار.

---

[1] في البيان المغرب، والحلة السيراء: ((لَسَدْتُ)).
[2] في نفح الطيب: ((وفاخرت...)).
[3] في نص آخر لم يحدده عنان في تعليقه: ((وفاخرت حتى لم أجد من أفاخر)).
[4] في المغرب: ((بيتاً لي)).
[5] في نص آخر لم يحدده عنان في تعليقه: ((رفعنا العوالي بالعوالي مثلها)). بينما كتب مكان ((سياسة)) في: المغرب: ((بسالة))، وفي الحلة والبيان والنفح: ((حديثة)).
[6] القبلة هي الجنوب. ويقصد بها أقصى جنوب المغرب.

دخوله غرناطة

قال صاحب الديوان في الدولة العامرية، وقد مر ذكر المنصور، قومس الفرنجة بمدينة **برشلونة**: وهذه الأمة أكثر **النصرانية** جمعاً، وأوسعها، وأوفرها من الاستعداد، وما أوطئ من الممالك والبلاد، وفتح من القواعد، وهزم من الجيوش. وقفل **المنصور** عنها، وهو أطمع الناس في استيصالها؛ ثم خصهم بصايفة سنة خمس وسبعين[1]، وهي الثالثة عشر[2] لغزواته؛ وقد احتفل لذلك، واستبلغ في النفير. واستوفى أتم الأبهة، وأكمل العدة، فجعل طريقه على **شرقي الأندلس**، لاستكمال ما هنالك من الأطعمة، فسلك طريق **إلبيرة**، إلى **بسطة**، إلى **تدمير**؛ وهزم في هذه الغزوات **بُريل ملك فرنجة**[3] ونازل **مدينة برجلونة**؛ فدخلها عنوة يوم الاثنين النصف من صفر؛ سنة أربع وسبعين أو خمس[4] بعدها.

---

[1] **375هـ/985م.**

[2] **صوبها د. طويل؛ فكتبها: ((عشرة))؛ وهذا أصح.**

[3] **هو الكونت بوريل؛ صاحب قطلونية. ولم تكن قطلونة ـ في تلك الأثناء ـ قد تحولت إلى مملكة أرغون.**

[4] **374هـ/984م أو 375هـ/985م.**

قلت: وفي دخول **المنصور** بجيشه **بلد إلبيرة**: ما يحقق دعوى من ادعى دخول المعتمدين من أهل **الأندلس** لذلك العهد، إذ كان يصحب **المنصور** في هذه الغزوة، من الشعراء المرتزقين بديوانه من يذكر؛ فضلاً عن ساير الأصناف على ندارة هذا الصنف من الخدام، بالنسبة للبحر الزاخر من غيرهم. والذي صح أنه حضر ذلك: **أبو عبد الله محمد بن حسين الطبني[1]. أبو القاسم حسين بن الوليد، المعروف بابن العريف. أبو الوضَّاح بن شُهَيْد. عبد الرحمن بن أحمد. أبو العلا صاعد بن الحسن اللغوي. أبو بكر زيادة الله بن علي بن حسن اليمني. عمر بن المنجم البغدادي. أبو الحسن علي بن محمد القرشي العباسي. عبد العزيز بن الخطيب المحرود. أبو عمر يوسف بن هارون الزيادي. موسى بن أبي طالب. مروان [بن عبد الحكم][2] ابن عبد الرحمن. يحيى بن هذيل بن عبد الملك بن هذيل المكفوف. سعد بن محمد القاضي. ابن عمرون القرشي**

[1] نسبة إلى طبنة عاصمة الزاب آنئذ؛ تلك المدينة المندثرة حالياً؛ والقريبة من بريكة؛ في ولاية باتنة الجزائرية. والطبني هذا؛ يعد من بين أبجل الشعراء لدى المنصور.

[2] ما بين حاصرتين من الزيتونة.

المرواني. علي النقاش البغدادي. أبو بكر يحيى بن أمية بن وهب. محمد بن إسماعيل الزبيدي صاحب المختصر في اللغة. أحمد بن درّاج القَسْطَلِيٍّ؛ متنبي الأندلس. أبو الفرج منيل بن منيل الأشجعي. محمد بن عبد البصير. الوزير أحمد بن عبد الملك بن شهيد. محمد بن عبد الملك ابن جَهْوَر. محمد بن الحسن القرشي؛ من أهل المشرق. أبو عبيدة حسان بن مالك بن هاني. طاهر بن محمد؛ المعروف بالمهند. محمد بن مَطَرِّف بن شُخَيص. سعيد بن عبد الله الشنتريني، وليد بن مسلمة المرادي، أغلب بن سعيد. أبو الفضل أحمد بن عبد الوهاب. أحمد بن أبي غالب الرصافي. محمد بن مسعود البلخي، عبادة بن محمد بن ماء السماء. عبد الرحمن بن أبي الفهد الإلبيري. أبو الحسن ابن المضيء البجلي الكاتب. عبد الملك بن سهل. الوزير عبد الملك بن إدريس الجزيري. قاسم بن محمد الجياني.

قال المؤرخ: هؤلاء من[1] حفظته منهم. وهم أكثر من أن يحصوا، فعلى هذا يتبنى القياس في ضخامة هذا الملك، وانفساح هذا العز.

وفاته

توفي رحمه الله منصرفاً من غزاته المسماة **بقنالش والريد**، وقد دوخ أقطار **قشتالة**، ليلة الاثنين سبع وعشرين لرمضان؛ عام اثنين وتسعين وثلاثمائة[2]، وقد عهد أن يدفن ببلد وفاته، بعد وصية شهيرة صدرت عنه، إلى **المظفر** ولده، فدفن **بمدينة سالم**، التي بناها في نحر العدو من **وادي الحجارة**، وبقصرها. وقبره معروف إلى اليوم. وكان قد اتخذ له من غبار ثيابه الذي علاها في الجهاد. وعاء كبير بحديه رحمه الله. وكتب على قبره هذا الشعر[3]:

---

[1] ((من)) أضافها عنان.

[2] الموافق لـ 1001م. غير أن ابن خلدون يرى في كتاب العبر أن المنصور توفي سنة 374هـ؛ بعد أن ملك 27 سنة. وجاء في: جذوة المقتبس، والمعجب، والمختصر في أخبار البشر وتتمته أنه توفي سنة 393هـ.

[3] هذان البيتان يوجدان في: البيان المغرب، البحر الكامل.

آثـــاره تنبيــك عــن أخبـــاره

حـــتى كأنـــك بالعيـــان تـــراه

تاالله لا يـــأتي الزمـــان بمثلـــه

أبداً ولا يحمي الثغـــور ســـواه

***

محمد بن عباد[1]

ابن [محمد بن][2] إسماعيل [بن محمد بن إسماعيل][3] بن قريش بن عباد بن عمرو بن أسلم بن عمرو بن عطاف بن نعيم؛ لخمي النسب.

أوليته

دخل **الأندلس** جدّه **عطاف** مع **بَلْج بن بشر القشيري**؛ من أشراف الطالعة **البلجية**، وهم من **عرب حمص** من **أرض الشام**، وموضعه بها يعرف **بالعريش** في آخر **الجفار** بين **مصر والشام**. ونزل **عطاف** بقرية تعرف **بيومين** من **إقليم طشانة**[4] على ضفة النهر الأعظم[5] من أرض **إشبيلية**. ولما هلك **قريش**، ورث[6] السيادة **إسماعيل ابن قريش**، وهو القاضي المشهور بالفضل والدهاء[7]، يكنى

---

[1] توجد ترجمة محمد بن عباد أيضاً في: قلائد العقيان، والذخيرة، والصلة؛ ؛ ضمن ترجمة القاضي عبد الرحمن بن سوار، والمعجب، والحلة السيراء، وإعمال الأعلام (قسم الأندلس)، والبيان المغرب، والوافي بالوفيات، ووفيات الأعيان.

[2] ما بين الحاصرتين نقلا من الحلة السيراء؛ لابن الأبار.

[3] عن الحلة السيراء أيضاً.

[4] تسمى بالإسبانية: Tucina؛ وتتواجد شمال شرقي إشبيلية؛ وبالقرب من نهر الوادي الكبير؛ إلى الجنوب منه.

[5] أي نهر الوادي الكبير.

[6] في الزيتونة: ((ملك)).

[7] حرفت في ج، والزيتونة؛ فكتبت: ((والده)).

يكنى **أبا الوليد**. ولي الشرطة الوسطى **لهشام بن الحكم**، وخطة الإمامة إلى صلاة الجمعة. ثم خلفه **أبو القاسم** المنفرد برياسة **إشبيلية**، المتحف فيها بخطط **الوزارتين** والقضاء والمظالم. وعز جاهه، وكثرت حاشيته، وتعددت[1] غلمانه، وأذعنت له عداته. ثم خلفه الأمير **المعتضد** ولده؛ وكان خيراً حازماً، سديد الرأي، مصنوعاً له في الأعداء، فلما توفي، تصير الأمر إلى ولده المترجم به؛ المكنى **أبا القاسم**؛ إلى حين خلعه.

حاله

قالوا كلهم: كان **المعتمد**، رحمه الله، فارساً شجاعاً. بطلاً مقداماً، شاعراً ماضياً، مشكور السيرة في رعيته. وقال **أبو نصر في قلائده:**[2] ((وكان **المعتمد على الله** ملكاً قمع العدا، وجمع بين[3] البأس والندا. وطلع على الدنيا بدر هدى. لم يتعطل يوماً كفّه، ولا بنانه، آونة يراعه.

[1] **في الزيتونة، وج: ((وتقدمت)).**
[2] **المقصود هو كتاب قلائد العقيان؛ للفتح بن خاقان.**
[3] **كلمة: ((بين)) لم ترد في قلائد العقيان.**

وآونة سنانه. وكانت أيامه مواسم، وثغوره برّه[1] بواسم)).
لقبه أولاً **الظافر**. ثم تلقب[2] **بالمعتمد**. كلفاً بجاريته **اعتماد**، لما ملكها؛ لتتفق حروف لقبه بحروف اسمها. لشدة ولوعه بها.

وزراؤه

ابن زيدون، وابن عمار، وغيرهم.

أولاده المملكون

عبيد الله، يكنى أبا الحسن، وهو الرشيد، وهو الذي لم يوافق أباه على استصراخ **المرابطين**، وعرض بزوال الملك عنهم، فقال: أحب إليّ أن [أكون راعي][3] إبل **بالعدوة**؛ من أن ألقى الله، وقد حولت **الأندلس** دار كفر. وكان قد ولاه عهده، وبويع له **بإشبيلية**، وهو المحمول معه إلى **العدوة**. ثم **الفتح**، وهو الملقب **بالمأمون**، كان قد

[1] في القلائد: ((وثغور برّه بواسم)).
[2] اختار لقب المعتمد؛ لكي تتفق حروف لقبه وتنسجم مع اسم زوجته (اعتماد)؛ التي يحبها حباً عظيماً.
[3] حرفت في ج، والزيتونة فكتب: ((يكون لراعي)).

بويع له **بقرطبة**، وهو المقتول بها، المُحْمَل رأسه إلى محلة العدو **المرابطين**. المحاصرة لأبيه **بإشبيلية**. ثم **يزيد الراضي**، وكان قد ولاه **رندة**، فقتل لما ملكها **اللمتونيون**. ثم **عبد الله**. ويكنى **أبا بكر**. هؤلاء الأربعة من جاريته **اعتماد** السيدة الكبرى. والمدعوة **بالرُّميكية**؛ منسوبة إلى مولاها **رُمَيْك بن حجاج** الذي ابتاعها منه **المعتمد**.

مُلمَّتـه

لما تكالب **أدفونش**[1] **بن فردلاند** على **الأندلس** بعد أخذه **مدينة طليطلة**[2] ضيق **بالمعتمد**، وأجحف في الجزية، التي كان يُتقى بها على المسلمين عاديته، وعلى ذلك أقسم أخذها وتجنى عليه، وطمع في البلاد، فحكى بعض الإخباريين أنه وجه إليه رسله في آخر أمره لقبض تلك الضريبة، مع قوم من رؤساء **النصارى**، ونزلوا خارج **باب إشبيلية**، فوجه إليهم المال، [مع بعض الوزراء، فدخلوا

[1] هو ملك قشتالة ألفونسو السادس.

[2] انتزعها من يد القادر بن ذي النون سنة 487هـ/1085م. وتعتبر أول مدينة هامة يستولي عليها النصارى آنئذ.

على **اليهودي** المذكور في خبايه، وأخرجوا المال][1]، فقال لهم، لا أخذت منه هذا العيار، ولا أخذت منه إلا ذهباً مشجراً، ولا يؤخذ منه في هذا العام إلى أجفان البلاد. ونقل كلامه إلى **المعتمد**، فبادر بالقبض عليه وعلى **النصارى**، ونكل بهم، وقتل **اليهودي** بعد أن بذل في نفسه زِنَة جسمه ذهباً، فلم يقبل منه، واحتبس **النصارى**، وراسله **الطاغية** في إطلاقهم، فأبى إلاّ أن يُخلي منه **حصن الحدود**، فكان ذلك. واستصرخ **اللمتونيين**، وأجاز البحر بنفسه، وأقسم **الطاغية** بإيمانه المغلظة ألا يرفع عنه يده. وهاجت حفيظة **المعتمد**، واجتهد في جواز **المرابطين**، وكان مما هو معلوم من الإيقاع **بالطاغية** في **وقعة الزلاقة**[2] فإنه الذي أصلى نارها بنفسه، فعظم بلاؤه، وشهر صبره، وأصابته الجراح في وجهه ويده. رحمه الله.

---

[1] **مابين الحاصرتين سقط في الملكية.**

[2] **تعتبر معركة الزلاقة في التاريخ الإسلامي الأندلسي علامة فارقة؛ كبحت بعدها التحرشات النصرانية زمناً طويلا. وحدثت هذه المعركة في سهل الزلاقة المتواجد على مقربة من مدينة بطليوس. وكان يقود المسلمين السلطان اللمتوني يوسف بن تاشفين بمشاركة جيش الأندلس وعلى رأسه المعتمد بن عباد. وانتهت المعركة بهزيمة منكرة للنصارى مع ملكهم ألفونسو السادس. وذلك سنة 479هـ/1086م.**

وفي ذلك يقول **أبو بكر بن عبادة المري**[1]:

وقالـــوا كفـــه جرحـــت فقلنـــا
أعاديـــه تواقعهـــا[2] الجـــراح

وما لمرتد[3] الجراحة ما رأيتـــم
فتوهنها المناصـــل والرمـــاح

ولكن فاض سيل البأس[4] منهـــا
ففيهـــا من مجاريـــه انسيـــاح[5]

وقد صحت وسحـــت بالأمـــاني
وفاض الجود منهـــا والسمـــاح

رأى منه أبـــو يعقـــوب فيهـــا
عقابـــاً لا يُهـــاض له جنـــاح

---

[1] هو أبو بكر ابن عبادة؛ المعروف بالقزاز. وهذه الأبيات من البحر الوافر؛ وهي موجودة في: قلائد العقيان، والمغرب، وإعمال الأعلام (القسم الثالث الخاص ببلاد المغرب).

[2] في المغرب: ((توافقها)).

[3] في القلائد، والمغرب: ((وما أثرُ)).

[4] في المغرب: ((الجود)).

[5] ورد هذا الشطر في المغرب هكذا: ((فأمسى في جوانبها انسياح)).

فقال له لـــك القـــدح المعـــلى

إذا ضُربت بمشهـــدك القِـــداح[1]

ولما اتصلت به الصيحة؛ بين يدي دخول المدينة، ركب في أفراد من عبيده؛ وعليه قميص يشف عن بدنه، والسيف منتضًى بيده، ويمم **باب الفرج**[2]، فقدم الداخلين فردهم على أعقابهم؛ وقتل فارساً منهم؛ فانزعجوا أمامه؛ وخلفوا الباب؛ فأمر بإغلاقه؛ وسكنت الحال؛ وعاد إلى قصره. وفي ذلك يقول[3]:

إن يسلـــب القـــوم العـــدا[4]

ملـــكي وتسلمـــني الجمـــوع

فالقلـــب بيـــن ضلوعـــه

لـــم تسلم القلـــب الضلـــوع

[1] نقلت هذه الأبيات الثلاث من قلائد العقيان.

[2] باب الفرج هو أحد أبواب إشبيلية في العهد الإسلامي؛ ويقع في الجهة الجنوبية من المدينة؛ وبالقرب من القصر.

[3] توجد هذه الأبيات في: ديوان المعتمد، وقلائد العقيان، والحلة السيراء؛ وهي من مجزوء الكامل.

[4] ورد هذا الشطر في الحلة السيراء هكذا: ((إن تسلب عني الدُّنا)).

قـــد رمـــت يـــوم نزالهـــم
ألا تُحَصِّنُــني الــدروع

وبرزت ليـــس سوى القميـــ
ـــص عن الحشا شيء دفوع

أجـــلي تأخـــر لـــم يكـــن
بهـــواي ذلِّي والخضـــوع

ما ســـرت قـــط إلى القتـــا
ل[1] وكان من أملي الرجـــوع

شيـــم الأولى[2] أنـــا منهـــم
والأصـــل تتبعـــه الفـــروع[3]

جوده

وأخبار جوده شهير، ومما يؤثر من ذلك، على استصحاب حال العز، ووفور ذات اليد، وأدوات الملك[4] غريب، والشاهد المقبول بقاء السجية ومصاحبة الخلق

---

[1] في الحلـة السيـراء: ((إلى الكمـاة)).
[2] في الديـوان: ((الألى)).
[3] هذا الشعر محرف في النسخ الثلاث. وقد صحح من كتاب الحلة السيراء.
[4] في الزيتونـة: ((وأداة))- والملكيـة: ((وأداوة)).

الملكية؛ مع الإقتار والإيسار؛ وتقلب الأطوار، وتعرض له **الحصري القرموني**[1] **الضرير** بخارج **طنجة**؛ وهو يجتاز عليها في السواحل من قهر واعتقال؛ بأشعار ظاهرة المقت، غير لايقة بالوقت؛ ولم يكن بيده ـ زعموا ـ غير ثلاثين ديناراً[2] كانت بخفّه، معدة لضرورة ضرر وأزمة، وأطبع عليها دمه، وأدرج قطعة شعر طيها اعتذار عن نزرها، راغباً في قبول أمرها؛ فلم يراجعه **الحصري** بشيء عن ذلك، فكتب إليه[3]:

قـــل لمن جمــــع العلـــ ـــم وما[4] أحصى صوابه
كان في الصــــرة شعـــر فانتظرنـــا[5] جوابـــــه
قـــد أتينـــاك[6] فهـــــلاّ جلـــب الشعـــر جوابـــه[7]

[1] نسبة إلى مدينة قرمونة بالأندلس؛ المتواجدة في الشمال الشرقي من إشبيلية.
[2] في الذخيرة: ((مثقالاً)).
[3] هذه الأبيات من مجزوء الرمل؛ وهي موجودة في ديوان المعتمد بن عباد، والذخيرة، والمعجب.
[4] في الذخيرة: ((ومن)).
[5] في الديوان، والذخيرة، والمعجب: ((فتَنَظَّرنا)).
[6] في المصادر نفسها: ((قد أثبناك)).
[7] في المصادر نفسها: ((ثوابه)).

حلمه

رفع إليه صدر دولته شعر، أغري فيه، **بأبي الوليد ابن زيدون**، وهو شهير، وتُخُيِّر له موقع وترصد حين، وانتظر به مؤجره، وهو[1]:

يا أيها الملك الأعـــز[2] الأعظـــم

أقطع وريدي كل بـــاغ يسلـــم[3]

واحســـم بسيفـــك كـــل منافـــق[4]

يبدي الجميل وضد ذلك يكتـــم

لا تتركن للناس موضع شبهـــة[5]

وأحزم فمثلك في العظائم يحزم[6]

قد قال شاعـــر كندة فيما مضى

قولاً[7] على مـــر الليـــالي يعلـــم

---

[1] **هذه الأبيات من البحر الكامل. وهي موجودة في: الذخيرة، وقلائد العقيان.**
[2] **ا((لأعز)) سقطت في ج. وفي الذخير، والقلائـد: ((العليُّ)).**
[3] **في الذخيـرة: ((ينئـم))، وفي القلائـد: ((ييتـم)).**
[4] **ورد هذا الشطر في الخيـرة والقلائـد هكـذا:**
((واحسـم بسيفـك داءَ كـلِّ منـافـق)). وهـذا أسلـم.
[5] **في القلائـد: ((تهمـة)).**
[6] **كلمـة ((العظائـم)) سقطت في ج.**
[7] **في القلائـد، والذخيـرة: ((بيتـاً)).**

((لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى

حتى يراق على جوانبه الدم))[1]

فوقع على الرقعة[2]:

كذبت مناكم صرحوا أو جمجموا

الدين أمتن والسجية[3] أكرم

خنتم ورمتم أن أخون وإنما

حاولتم أن يستخف يلملم[4]

وأردتم تضييق صدر لم يضق

والسمر في صدر[5] النحور تحطم

وزحفتم بمحالكم لمجرب

ما زال يثبت للمحال[6] فيهزم

---

[1] هذا البيت للمتنبي. وتقع هذه القصيدة في سبعة وعشرين بيتاً. وقد اكتفى ابن الخطيب بهذه الأبيات الخمسة.

[2] هذه الأبيات من البحر الكامل. وهي موجودة في ديوان المعتمد، والذخيرة، وقلائد العقيان.

[3] في الديوان، والذخيرة: ((والمروءة)).

[4] ((يَلَمْلَمُ)) مكان في الحجاز؛ يبعد عن مكة بليلتين تقريباً. وهو ميقات أهل اليمن. اليمن.

[5] حلت محل ((صدر)) في القلائد: ((ثغر)). وفي الذخيرة: ((ما في ثُغَر الصدور)).

[6] في الديوان: ((في المجال))، وفي الذخيرة: ((في المحال)).

أنَّى رجوتــم غــدر مــن جربتــم
منــه الوفــاء وظلــم[1] من لا يظلــم
أنا ذا[2] كــم لا السعي[3] يثمــر غرســه
عنــدي ولا مبــنى الصنيعــة يهــدم[4]
كفــوا وإلاّ فارقبــوا لي بطشــــة
يبــقى[5] السفيــه بمثلهــــا يتحلـــــم[6]

توقيعه ونثره في البديهة

كتب مع الحمايم إلى ولده **الرشيد** عقب الفراغ من **وقعة الزلاقة**: ((يا بني، ومن أبقاه الله وسلمه، ووقاه الأسواء وعصمه. وأسبغ عليه آلاءه وأنعمه كتبته، وقد أعز الله الدين، وأظهر المسلمين، وفتح لهم على يدي مستدعيات الفتح المبين، بما يسره الله في أمسه وسناه، وقدره سبحانه وقضاه، من هزيمة **أدفونش بن فردلند** لعنه

[1] في الديوان، والذخيرة: ((وجور)).
[2] في القلائد: ((أنا ذلكم))
[3] في الديوان، والذخيرة، والقلائد: ((لا البغي)).
[4] في الذخيرة: ((يثلم)).
[5] في ج، والزيتونة، والقلائد، والذخيرة والديوان: ((يُلْقى)).
[6] في الديوان، والدخيرة، والقلائد: ((فيُحَلَّمُ)).

الله وأصلاه، وإن كان طاح للجحيم، ولا أعدمه وإن كان أهل العيش الذميم، كما قنعه الخزي العظيم؛ وأتى القتل على أكثر رجاله وحماته، واتصل النهب ساير اليوم، والليلة المتصلة به، جميع محلاته، وجمع من رؤوسهم بين يدي، من مشهوري رجالهم، ومذكوري أبطالهم، ولم يختر منهم إلا من شهر وقرب، وامتلأت الأيدي مما سلب ونهب. والذي لا مرية فيه، أن الناجي منهم قليل، والمفلت من سيوف الجزع والبعد قتيل، ولم يصبني بفضل الله إلا جرح أشوى وحسن الحال عندنا والله وزكّى، ولا يشغل بذلك بال، ولا يتوهم غير الحال التي أشرت إليها حال، **والأدفونش بن فردلاند**، إن لم يصبح تحت السيوف فسيموت لا محالة كمداً، وإن كان لم تعلقه أسراد الحمام [فغداً، فإن برأسه طمرة ولحام][1]. فإذا ورد كتابي هذا، فمر بجمع الخاص والعام، من **أهل إشبيلية**، وجيرانها الأقربين، وأصفيائنا المحبين، في المسجد الجامع، أعزهم الله. وليقرأ عليهم فيه، ليأخذوا من المسرة بأنصبايهم،

---

[1] **في الزيتونة: ((فغد برأس طرة ولجام)).**

ويضيفوا شكراً لله إلى صالح دعايهم والحمد لله على ما صنع حق حمده جلّ المزيد لأمر حين، إلا من عنده. والسلام.

تلطفه وظرفه

قال **أبو بكر الداني**[1]: سألني في بعض الأيام عند قدومي عليه **بأغمات**، قاضياً حق نعمته، مستكثراً من زيارته، مستمتعاً برايق أدبه، على حال محنته، عن كتبي، فأعلمته بذهابها في نهب حضرته. وكنت قد جلبت في سفرتي تلك، الأشعار الستة، بشرح الأستاذ **أبي الحجاج الشنتمري** الأعلم، وكانت مستعارة، فكتمتها عنه. ووشى إليه أحد الأصحاب. فخجل بكرمه وحسن شيمته، من الأخذ معي في ذكر ما كتمته، فاستطرد إلى ذلك بغرض

---

[1] **هو أبو بكر محمد بن عيسى بن محمد اللخمي الداني الأندلسي؛ المعروف بابن اللبانة؛ توفي بميورقة سنة 555هـ/1160م. أديب وشاعر من أهل مدينة دانية؛ كان من أعيان دولة محمد بن معن بن صمادح؛ اتصل أيضاً ببلاط ابن عباد في إشبيلية. له مؤلفات عديدة؛ منها: مناقل الفتنة، ونظم السلوك في وعظ الملوك، وسقيط الدرر ولقيط الزهر؛ في شعر ابن عباد، وديوان شعر.**

نبيل، ونحا فيه نحواً، يعرب عن الشرف الأصيل، وأملى علي في جملة ما كان يمليه[1]:

وكواكب لم أدر قبل وجوهها
أن البدور تدور في الأزرار
نادمتها في جنـــح ليل دامس
فأعرنـــه مثلاً من الأنـــوار
في وسط روضة نرجس كعيونها
ما أشبـــه النـــوار بالنـــوار
فإذا تواصفنا الحديث حسبتني
ألهـــو بملتقـــط لـــدر نثـــار
فإذا اكتحلت برقٍّ[2] ثغر باسم
سكبت جفوني أغزر الأمطار
حذر الملام وخيفة من جفـــوة
تذر الصدور على شفير هار

[1] البحـر الكامـل.
[2] في ج: ((ببـرق)).

ترك الجواري الآنسات مذاهبي
وسولها ظفر بريشة الأشعار

فلم أتمالك عند ذلك ضحكاً، وعلمت أن الأمر قد سُرِّي إليه، فأعلمته قصتها، فبسط العذر بفضله. وتأول الأمر وقسم الأشعار على ثلاثة من بنيه. ذوي خط رائع، ونقل حسن. وأدب بارع. أخذوا في نسخها. وصرفوا الأصل لأجل قريب.

محنتـه

ولم يلبث أمير **اللمتونيين** بعد جوازه إلى **الأندلس**، وظهوره على طايفة **الروم**، أن فسد ما بينه وبين رؤساء **الطوائف بالأندلس**، وعزم على خلعهم. فأجاز من **سبتة** العساكر، وسرب الأمداد. وأخذ **المعتمد** بالعزم يحصن حصونه، وأودع المعاقل عدته، وقسم على مظان الامتناع ولده، وصمدت الجموع صمدة بنيه، ونازل **الأمير سير إشبيلية**، دار **المعتمد**، وحضرة ملكه، ونازل **الأمير محمد ابن الحاج قرطبة**، وبها **المأمون**، ونزل **جرور** من قواده

رندة، وبها **الراضي ابن المعتمد**. واستمر الأمر، واتصلت المحاصرة، ووقعت أمور يضيق الكتاب عن استقصايها. فدخلت **قرطبة** في جمادى الآخرة؛ عام أربعة وثمانين وأربعمائة[1]، وقتل **الراضي**، وجلب رأسه؛ فطيف به بمرأى من أبيه. وكان دخول **إشبيلية** على **المعتمد**، دخول القهر والغلبة، يوم الأحد لعشر بقين من رجب. وشملت الغارة. واقتحمت الدور، وخرج **ابن عباد** في شِكَّته[2]. وابنه **مالك** في أمَّته معهما؛ فقتل **مالك** الملقب **بفخر الدولة**، ورهقت الخيل، وكثر، فدخل القصر ملقياً بيده. ولما جنّ الليل، وجه ابنه الأكبر **الرشيد** إلى الأمير، فحجب عنه، ووكل بعض خدمه به، وعاد إلى **المعتمد** فأخبره بالإعراض عنه، فأيقن بالهلكة، وودع أهله وعلا البكاء، وكثر الصراخ، وخرج هو وابنه، فأنزلا في خباء حصين، ورقبا بالحرس، وأخرج الحرم من قصره، وضم ما اشتمل عليه، وأمر بالكتب إلى ولده **برندة**؛ ففعل. ولما نزل،

[1] الموافق لـ 1091م.

[2] أي سلاحه وعدة حربه.

واستوصلت ذخيرته، سلا[1]، وأجيز **المعتمد** البحر. ومن معه إلى **طنجة**. فاستقر بها في شعبان من العام. وفي هول البحر عليه في هذا الحال، يقول رحمه الله[2]:

لم أنس والموت يدنيني ويقصيني
والموت كـأن المـنى يأتيـني
أبصرت هولاً لو أن الدهر أبصـره
لما خوفـا لأمـر ليس بالـدون
قد كنت ضاناً بنفس لا أجود بها
فبعتهـا باضطـرار بيع مغبون
كم ليلة بت مطوياً على حـرق
في عسر من عيون الدبر في العيـن
فتلـك أحسـن أم ظللـت بـه
في ظل عزة سلطـان وتمكيـن
ولـم يكن والذي تعنو الوجوه له
عرضي مهاناً ولا مالي بمخزون

---

[1] في ج: ((سل)).
[2] البحر البسيط.

وكم خلوت من الهيجا بمعتــرك

والحرب ترفل في أثوابها الجون

يا رب إن لــم تدع حالاً أسر به

فهب لعبدك أجراً غيــر ممنون

وجرى على بناته شيء يوم خروجهن، وأضطرتهن الضيعة إلى معيشتهن من غزل أيديهن، وجرت عليه محن طال لها شجنه وأقعده قيده. إلى أن[1] نقل إلى **أغمات وريكة**[2]، وحلّ عنه الاعتقال، وأجري عليه رزقه، تبلغ به لمدة من أعوام أربعة، واستنقذه حمامه، رحمة الله عليه.

وصوله إلى غرناطة

قال **ابن الصيرفي**: وقد أجرى ذكر تملك **يوسف بن تاشفين غرناطة**، وخلع أميرها **عبد الله بن بلقين حفيد باديس**، يوم الأحد لثلاث عشرة خلت من رجب؛ عام

[1] ((أن)) أضافها عنان.

[2] أغمات وريكة: تقع إلى الجنوب الشرقي من مراكش؛ وكانت هي حاضرة الدولة المرابطية قبل بناء مراكش.

ثلاثة وثمانين[1]: ولحق **ابن عباد** وحليفه **ابن مسلمة**[2] بخيل ورجل ورماة وعدد، وحل ذلك من **ابن عباد** تضمناً لمسرة أمير المسلمين، وتحققاً[3] بموالاته، فدخلا عليه، وهنياه، وقد تحكمت في نفس **ابن عباد** الطماعية في إسلام **غرناطة** إلى ابنه[4]، بعد استصفاء نعمة صاحبها، عوضاً عن **الجزيرة الخضراء**، وكان قد أشخصه معه، [فعرض بغرضه][5]، فأعرض أمير المسلمين عن الجميع إعراضاً، كانت منية كل منهما[6] التخلص من يده، والرجوع إلى بلده. فأعمل **ابن عباد** الحيلة؛ فكتب، يزعم أنه وردت عليه تحثه من **إشبيلية** في اللحاق، أنباء مهمة طرقت بتحرك العدو، واستأذن بها في الصدور، فأخذ له ولحليفه **ابن مسلمة**، فانتهزا الفرصة، وابتدرا الرجعة. ولحق كل بموضعه؛ يظن أنه ملك رياسة أمره.

---

[1] **483هـ/1090م.**

[2] **هو المتوكل ابن الأفطس بن عبد الله بن محمد مسلمة صاحب بطليوس.**

[3] **في ج، والزيتونة: ((وتحققوا)).**

[4] **هو الراضي يزيد بن المعتمد بن عباد.**

[5] **وردت في النسخ الثلاث عبارة مضطربة هي: ((فعرض به؛ فأعرض عنه بغرضه: فأعرض به، ما عرض عنه غرضه...)).**

[6] **في الزيتونة: ((كل واحد منهما)).**

مولـده

ولـد **المعتمـد علـى الله بمدينـة باجـة** سنـة إحـدى وثلاثيـن وأربعمائة[1]. وولي سنة إحـدى وستيـن[2]. وخلـع سنـة أربـع وثمانيـن[3].

وفاتـه

كانـت وفـاة **المعتمـد [علـى الله]**[4] **بأغمـات** في ربيـع الأول ؛ سنـة ثمـان وثمانيـن وأربعمائـة[5]، بعـد أن تقدمـت وفاتـه وفاتـه وفـاة الحـرة **اعتمـاد**. وجـزع عليهـا جزعـاً، أقـرب[6] سرعـة لحاقـه بهـا. ولمـا أحـس بالمنيـة رثـى نفسـه بهـذه الأبيـات وأمـر أن تكتـب علـى قبـره[7]:

---

[1] الموافـق لـ 1039م.
[2] الموافـق لـ 1068م.
[3] الموافـق لـ 1091م.
[4] كتـب في ج؛ عوضـاً عمـا جـاء بيـن حاصرتيـن: ((رحمـه اللـه)).
[5] 1095م.
[6] في ج، والزيتونـة: ((أقـر)).
[7] وردت هـذه القصيـدة في النسـخ الثـلاث غيـر كاملـة؛ وقـد أضـاف عنـان الأبيـات الناقصـة مـن كتـاب المعجـب للمراكـشي؛ إذ عينهـا بحاصـرات. والقصيـدة مـن البحـر البسيـط. وهي موجـودة كاملـة في المعجـب؛ ولكنـهـا غيـر موجـودة في ديوانـه.

قبر الغريب سقاك الرائح الغادي

حقاً ظفرت بأشـــلاء ابن عبـــاد

[بالحلم بالعلم بالنعمى إذا اتصلت

بالخصب إن أجدبوا بالري للصادي]

بالطاعن الضارب الرامي إذا اقتتلوا

بالموت أحمر بالضرغامة العادي

[بالدهـــر في نقم بالبحر في نعم

بالبدر في ظلم بالصدر في النـــادي]

نعم هو الحق [فاجأني على] قدر[1]

من السمـــاء ووافـــاني[2] لميعـــاد

ولم أكن قبل ذاك النعـــش أعلمه

أن الجبال تهادى فـــوق أعـــواد

[كفاك فارفق بما استودعت من كرم

روّاك كل قطوب البـــرق رعاد]

---

[1] جاء هذا الشطر في المعجب هكذا:
((نَعَمْ هو الحَقُّ حاباني به قَدَرٌ)).

[2] في المعجب: ((فوافاني)).

[يبكي أخاه الذي غيبــت وابلـــه
تحت الصفيح بدمع رائح غادي]
[حتى يجودك دمع الطل منهمراً
من أعين الزهر لم تبخل بإسعاد]
فلا[1] تــزل صلــوات الله نازلـــة[2]
على دفينـــك لا تحصى بتعــداد

بعض ما رثي به

قال **ابن الصيرفي**: ـ وخالف في وفاة **المعتمد** ـ فقال: كانت في ذي حجة. فلما انفصل الناس من صلاة العيد. حف بقبره ملأ، يتوجعون ويترحمون عليه، وأقبل **ابن عبد الصمد**، فوقف على قبره وأنشد[3]:

ملك الملــوك أسامــع فأنادي
أم قد عدتك عن السماع عوادي

---

[1] **في المعجب: ((ولا)).**
[2] **نفسه: ((دائمة)).**
[3] **هذه الأبيات من البحر الكامل؛ وهي موجودة في قلائد العقيان، ووفيات الأعيان؛ حيث جاء أنها لأبي بحر عبد الصمد.**

لما خلت منك القصور فلم تكـــن[1]

فيها كما قد كنـــت في الأعيـــاد

أقبلت[2] في هذا الثرى لك خاضعاً

وتخذت[3] قبرك موضع الإنشـــاد[4]

ثـم خرّ يبكي، ويقبل القبر، ويعفر وجهه في التراب؛ فبكى ذلك الملأ حتى أخضلوا ملابسهم، وارتفع نشيجهم. فلله درّ **ابن عبد الصمد**، وملاذ ذلك البلد.

***

[1] جاء هذا الشطر في وفيات الأعيان هكذا: ((لما نقلت عن القصور فلم تكن)).

[2] في ج، والزيتونـة: ((قبلـت)). وفي الملكيـة: ((مثلـت)).

[3] في وفيـان الأعيـان: ((وجعلـت)).

[4] وردت هذه القصيدة في قلائد العقيـان كاملـة؛ بينما اكتفى ابن الخطيب بهذه الأبيـات الثـلاث.

محمد بن سعد

ابن محمد بن أحمد بن مردنيش الجزامي[1]؛ قال بعضهم ينتمي في تجيب؛ الأمير أبو عبد الله.

أوليتـه

معروفة، وعلى يد أبيه جرت الوقيعة الكبرى بظاهر **إفراغة[2].** على **ابن رذمير الطاغية[3]**، فجلت الشهرة، وعظمت الأثرة، قال بعضهم: تولى أبوه **سعد** قيادة **إفراغة** وما إليها، وضبطها، ونازلها[4] **ابن رذمير**؛ فشهر غناؤه بها في دفاعه، وصبره على حصاره، إلى أن هزمه الله [عز وجل][5]، على يدي **ابن غانية[6]**. وظهر بعد ذلك

---

[1] توجد ترجمة محمد بن سعد بن مردنيش أيضاً في: المغرب، والمعجب، وإعمال الأعلام (قسم الأندلس)، ونفح الطيب، وكتاب العبر؛ حيث سمي محمد بن أحمد بن سعيد بن مردنيش.

[2] وتسمى بالإسبانية Fraga. وتتواجد في الجهة الغربية من مدينة لاردة. وبها عدد كبير من البساتين والمزارع؛ ولها حصن منيع. سبق لابن رذمير أن حاصرها سنة 528هـ؛ فواجهه الأمير يحيى بن علي بن غانية، وهزمه هزيمة شنعاء؛ بعد أن أفنى جلَّ رجاله. فما كان منه سوى الفرار.

[3] هو ألفونسو المحارب ملك أراغون.

[4] في الملكية: ((ونارله)).

[5] ما بين الحاصرتين؛ من الزيتونة.

[6] وذلك في الموقعة التي حدثت بين ألفونسو المذكور وبين جيش المرابطين بقيادة يحيى بن غانية اللمتوني خارج أسوار إفراغة؛ حيث هزم جيش النصارى وقتل ملكهم ألفونسو. وقع ذلك سنة 528هـ/1134م.

فحسن بلاؤه. وبعد صيته. ورأس ابنه **محمد**، ونفق في أُلفَته. وكان بينه وبين **ابن عياض** المتأمر **بمرسية** صِهر، ولاه لأجله **بلنيسة**. فلما توفي **ابن عياض**، بادرها **ابن سعد**، وبلغه أثناء طريقه، غدر العدو **بحصن جلال**؛ فكر وقاد له وفتحه. وعاد فملك **بلنسية**، وقد ارتفع له صيت شهير، ثم دخلت **مرسية** في أمره، واستقام له الشرق. وعظمت حاله.

حالـه

قال **ابن حمامة**: ساد من صغره بشجاعته ونجابته[1]، وصيت أبيه، فمال بذلك إلى القيادة. وسنه أحدى وعشرون سنة، ثم ارتقى[2] إلى الملك الراسخ، والسلطان الشامخ، بباهر شجاعته وشهامته. فسما قدره. وعظم أمره. وفشى في كل أمة ذكره.

---

[1] في ج: ((ونجدته)).
[2] في الزيتونة: ((ارتفع)).

قال غيره: كان بعيد الغور، قوي الساعد أصيل الرأي. شديد العزم، بعيد العفو، مؤثرا للانتقام، مرهوب العقوبة.

وقال في **مختصر ثورة المريدين**[1]: كان عظيم القوة في جسمه، ذا أيد في عظمته. جزارة في لحمه، وكان له فروسية، وشجاعة، وشهامة، ورياسة.

بطالته وجوده

قال: وكان له يومان في كل جمعة: الاثنين، والخميس، يشرب مع ندمايه فيهما، ويجود على قواده، وخاصته وأجناده، ويذبح البقر فيهما[2]، ويفرق لحومها على الأجناد، [ويحضر القيان بمزاميرهن وأعوادهن][3]، ويتخلل ذلك لهو كثير، حتى ملك القلوب من الجند،

[1] مؤلف كتاب ثورة المريدين هو أبو مروان عبد الملك بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الباجي المعروف بابن صاحب الصلاة. ومن بين أعماله أيضاً كتاب المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين. أما مختصر ثورة المريدين فمجهول. والمقصود بالمريدين: فئة من الزهاد المتمذهبن بمفهيم تقشفية؛ يتزعمهم أبو العباس أحمد بن قسي.

[2] في الزيتونة: ((في المواسم)).

[3] ما بين حاصرتين ساقط في الزيتونة.

وعاملوه بغاية النصح، وربما وهب المال في مجالس أنسه. ذكر أنه استدعى يوماً **ابن الأزرق** أحد قواده، فشرب معه ومع القرابة، في مجلس قد كساه بأحمر الوشي والوطئ[1] والآنية من الفضة وغيرها، وتمادى في لهو وشراب عامة اليوم. فلما كمل نهاره معهم، وهبهم الآنية. وكل ما كان في المجلس من الوشي أو غير ذلك.

ما نقم عليه ووصم به

قالوا: كان عظيم الانهماك في ميدان البطالة، واتخذ جملة من الجواري. فصار يراقد منهن جملة تحت لحاف واحد[2]. وانهمك في حب القيان، والزمر والرقص. قالوا: وكان له فتًى اسمه **حسن**، ذو رقبة سمينة، وقفاً عريض؛ فإذا شرب، كان يرزُّه، ويعطيه بعد ذلك عطاء جزيلاً. وفي

---

[1] سقطت هذه الكلمة في الزيتونة والملكية.

[2] في إعمال الأعلام (قسم الأندلس): ((فكان يراقد أزيد من مائتي جارية تحت لحاف واحد)).

ذلك يقول كاتبه المعروف **بالسالمي**؛ وكان يحضر شرابه. ويخمر[1]:

أدر كــؤوس المدام والـــرَّز

فقــد ظفرنــا بدولـــة العـــزِّ

ونعم الكفُّ من قفــا حســن

فإنهــا في ليانـــة الخـــز

وصاحـــب إن طلبت أخدعه

فلم يكـــن[2] في بذلـــه بمعتـــز

انحنى على أخداعي فأطربني

وهـــزِّ عطـــفيّ أيمـــا هـــزّ

وأجزل صلة **السَّالمي**؛ حين أنشدها إياه، واشتهرت هذه الأبيات **بالشرق**، واستظرفها الناس. فرد **مرسية** دار مجونه، وبلغ في زمانه ألفاً وأربعين. وآثر زيّ **النصارى** من الملابس، والسلاح، واللجم، والسروج. وكلف بلسانهم يتكلم مباهتة، وألجأه الخروج عن الجماعة. والانفراد بنفسه

[1] في ج، والملكية: ((ويخف ـ يخفه)). والأبيات من البحر المنسرح.
[2] جعلها د. طويل: ((يك))؛ وهذا أسلم.

إلى الاحتماء **بالنصارى**، ومصانعتهم، والاستعانة بطواغيتهم. فصالح صاحب **برشلونة** لأول أمره على ضريبة. وصالح ملك **قشتالة** على أخرى. فكان يبذل لهم في السنة خمسين ألف مثقال. وابتنى لجيشه من **النصارى** منازل معلومات وحانات للخمور، وأجحف برعيته، لأرزاق من استعان به منهم، فعظمت في بلاده المغارم وثقلت، واتخذ حوانيت بيع الأدم والمرافق، تختنق بجانبه، وجعل على الأغنام وعروض البقر، مؤناً غريبة. وأما رسوم الأعراس والملاهي فكانت قبالاتها غريبة. حدث بعض المؤرخين عن الثقة، قال: كنت **بجيان** مع الوزير **أبي جعفر الوقشي**، فوصل إليه رجل من **أهل مرسية**، كان يعرفه، فسأله الوزير عن أحوال **ابن مردنيش** وعن سيره؛ فقال الرجل، أخبرك بما رأيته من جور عماله وظلمهم. وذلك أن أحد الرعية **بشاطبة**؛ واسمه **محمد ابن عبد الرحمن**، كان له بنظر **شاطبة**، ضويعة يعيش بها، وكان لازمها أكثر من فايدها، فأعطى لازمها حتى افتقر، وفرّ إلى **مرسية**. وكان أمر **ابن مردنيش**، أنه من فرّ من الرعية

أمام الغزو، أخذ ماله للمخزن. قال الرجل **الشاطبي**، فلما وصلت إلى **مرسية** فاراً عن وطني، وخدمت الناس في البنيان، فاجتمع لي مثقالان سعديان، فبينما أنا أمشي في السوق. وإذا بقوم من أهل بلدي **شاطبة**، ومن قرابتي، فسألتهم عن أولادي وزوجتي، فقالوا إنهم في عافية؛ ففرحت فرحاً عظيماً، وسألتهم عن الضويعة؛ فقالوا إنها باقية بيد[1] أولادك، فقلت لهم عسى تبيتوا عندي الليلة، فاشتريت لحماً وشراباً، وضربنا دفاً. فلما كان عند الصباح، وإذا بنقر عنيف بالباب. فقلت من أنت؟ فقال أنا الطرقون؛ الذي بيده قبالة اللهو، وهي متفقة بيدي، وأنتم ضربتم البارحة الدّف فأعطنا حق العرس الذي عملت. فقلت له والله ما كانت لي عرس. فأخذت وسجنت؛ حتى افتديت بمثقال واحد من الذي خدمت به؛ وجئت إلى الدار. فقيل لي أن فلاناً وصل من **شاطبة** الساعة. فمشيت لأسأله [عن أولادي. فقال تركتهم في السجن. وأخذت الضويعة من أيديهم في رسم الجبالي،

[1] **في الزيتونة: ((عند)).**

فرجعت][1] إلى الدار. إلى قرابتي. وعرفتهم بالذي طرأ علي. وبكيت طول ليلتي، وبكوا معي. فلما كان من الغد. وإذا بناقر بالباب. فخرجت فقال أنا رجل صاحب المواريث. أعلمنا أنكم بكيتم البارحة. وأنه قد مات لكم ميت من قرابتكم غني. وأخذتم كل ما ترك. فقلت والله ما بكيت إلا نفسي، فكذبني وحملني إلى السجن، فدفعت المثقال الثاني، ورجعت إلى الدار [وقلت أخرج إلى الوادي، إلى باب القنطرة، أغسل ثيابي من درن السجن، وأفر إلى **العدوة**][2]؛ فقلت لإمرأة تغسل الثياب، إغسلي مما علي. وجردتها. ودفعت لي زناراً ألبسه. فبينا أنا كذلك. وإذا بالخصي قائد **ابن مردنيش** يسوق ستين رجلاً من أهل الجبل، لابسي الزنانير. فرآني على شكلهم، فأمر بحملي إلى السخرة والخدمة **بحصن مسقوط** عشرة أيام. فلبثت أخدم، وأحضر مدة عشرة أيام، وأنا أبكي واشتكي للقايد المذكور، حتى أشفق علي وسرحني. فرجعت أريد **مرسية**، فقيل لي عند باب البلد، كيف أسمك؛ فقلت

[1] ما بين الحاصرتين ساقط في الزيتونة.
[2] ما بين الحاصرتين ساقط في الزيتونة.

محمد بن عبد الرحمن، فأخذني الشرطي، وحملت إلى القابض **بباب القنطرة**. فقالوا هذا من كتبته من أرباب الحالي بكذا وكذا دينار. فقلت والله ما أنا إلا من **شاطبة**. وإنما اسمي وافق ذلك الاسم، ووصفت له ما جرى علي، فأشفق وضحك مني؛ وأمر بتسريحي فسرت على وجهي إلى هنا.

بعض الأحداث في أيامه ونبذ من أخباره

استولى على **بلاد الشرق**، **مرسية وبلنسية وشاطبة ودانية**، ثم اتسع نطاق ملكه، فولي **جيان وأبدة وبياسة**، **وبسطة ووادي آش**، **وملك قرمونة**، ونازل **قرطبة وإشبيلية**، وكاد يستولي على جميع **بلاد الأندلس**. فولى صهره **ابن همشك**، وقد مر[1] في باب **إبراهيم**، **مدينة جيان وأبدة وبياسة**، وضيق منها على **قرطبة**، واستولى على **إستجة**، ودخل **غرناطة** سنة سبع وخمسين وخمسماية[2] وثار عليه **يوسف بن هلال** من أصهاره **بحصن مطرنيش**[3]

[1] كلمة ((مر)) أضافها عنان.
[2] الموافق لـ 1356م.
[3] يتواجد بالقرب من بلنسية.

وما إليه. ثم تفاسد ما بينه وبين صهره الآخر **ابن هَمُشْك**. فكان سبب إدبار أمره، واستولى العدو في مدة **ابن سعد** على **مدينة طرطوشة** عام ثلاثة وأربعين وخمسماية[1]، وعلى **حصن إقليج. وحصن شرانية.**

دخوله غرناطة

ولما دخل **ابن هَمُشْك**[2] **مدينة غرناطة**، وامتنعت عليه قصبتها، وهزم الجيش المصرخ لمن حصر بها من **الموحدين بمرج الرقاد**[3]؛ وثاب أثناء ذلك أمر **الموحدين**. فتجهز لنصرهم **السيد أبو يعقوب**. وأجاز البحر. واجتمعوا **بالسيد أبي سعيد بمالقة**. استمد **ابن هَمُشْك** صهره **الأسعد أبا عبد الله محمد بن سعد**، فخرج بنفسه في العسكر الكبير من أهل الشرق **والنصارى**. فوصل إلى **غرناطة**، واضطربت محلته بالربوة السامية المتصلة **بربض البيازين**. وتعرف إلى

---

[1] الموافق لـ 1148م.

[2] ذكر في إعمال الأعلام (قسم الأندلس) أنه أبو الحسن بن هَمُشْك؛ صهر محمد بن مردنيش.

[3] مرج الرقاد يسمى الآن Majorracal؛ يقع بمحاذاة سفح جبل إلبيرة. حدثت فيه معركة سنة 556هـ/1160م؛ بين ابن همشك صهر ابن مردنيش وجيش الموحدين؛ انهزم فيها الموحدون هزيمة منكرة.

اليوم **بكدية مردنيش**؛ [وتلاحق جيش **الموحدين** بأحواز **غرناطة**. فأبينوا جيش عدوهم، فكانت عليه الدبرة، وفرّ **ابن مردنيش**][1]؛ فلحق **بجيان**، واتصلت عليه الغلبة من لدن منتصف عام ستين[2]؛ فلم يكن له بعده ظهور.

وفاته

وظهر عليه أمر **الموحدين**، فاستخلصوا معظم ما بيده، وأوقعوا بجنده الوقايع العظيمة. وحصر **بمدينة مرسية**، واتصل حصاره، فمات أثناء الحصار في عاشر رجب؛ من عام سبعة وستين وخمسماية[3] وله ثمانية وأربعون عاماً، ووصل أمره **أبو القمر هلال**[4]، وألقى باليدين إلى **الموحدين**، فنزل على عهد ورسوم؛ حسبما يأتي في موضعه.

***

---

[1] سقط ما بين الحاصرتين في الملكية والزيتونة.
[2] 560هـ/1164م.
[3] الموافق لـ 1363م.
[4] هو ابن محمد بن سعد بن مردنيش.

محمد بن يوسف

ابن هود[1] الجزامي؛ أمير المسلمين بالأندلس؛ يكنى أبا عبد الله، ويلقب من الألقاب السلطانية بالمتوكل على الله.

أوليته

من ولد **المستعين بن هود**. وأوليتهم معروفة، ودولتهم مشهورة، وأمراؤهم مذكورون. خرج من **مرسية** تاسع رجب؛ عام خمسة وعشرين وستماية[2] إلى **الصُّخور**[3] ـ من جهاتها ـ في نفر يسير من الجنود [معه][4] وكان الناس يستشعرون ذلك. ويرتقبون ظهور مسمى باسمه واسم أبيه، **ويénددون**[5]. بإمرته وسلطانه. وجرى عليه ـ بسبب ذلك ـ امتحان في زمن **الموحدين** مرات، إذ كان بعض الهاتفين بالأمور الكاينة، والقضايا المستقبلة، يقول لهم، يقوم عليكم قايم من صنف الجند، اسمه

---

[1] **توجد ترجمة محمد بن يوسف بن هود؛ المتوكل في: البيان المغرب (قسم الموحدين) والمعجب في تلخيص أخبار المغرب، والمغرب في حلى المغرب، والعبر، والحلة السيراء، وإعمال الأعلام (القسم الثاني)، والأعلام للزركلي.**

[2] **الموافق لـ 1227م.**

[3] **الصخور أو الصخيرات كما في البيان المغرب؛ وسيأتي ما يؤكد هذا لاحقاً. وقد وردت محرفة في النسخ الثلاث؛ فكتبت: ((الحضور).**

[4] **أضيفت هذه الكلمة من الزيتونة والملكية.**

[5] **في الملكية والزيتونة: ((يندرونة)).**

محمد بن يوسف. فقتلوا بسبب ذلك شخصاً من أهل **جيان**. ويقال [إن][1] شخصاً ممن ينتحل ذلك، لقي **ابن هود**، فأمعن النظر إليه، ثم قال له أنت سلطان **الأندلس**[2]، فانظر لنفسك، وأنا أدلك على من يقيم ملكك، فاذهب إلى **المقدم الغَشْتي** فهو القايم بأمرك. وكان **الغشتي**[3] رجلاً صعلوكاً[4] يقطع الطريق، وتحت يده جماعة من أنجاد الرجال[5]، وسباع الشرار، قد اشتهر أمرهم، فنهض إلى المقدم، وعرض عليه الأمر، وقال نسستفتح بمغاورة إلى أرض العدو، على اسمك وعلى سعدك، ففعلوا، فجلبوا كثيراً من الغنايم[6] والأسرى، وانضاف إلى **ابن هود** طوايف مثل هؤلاء، وبايعوه **بالصخيرات**[7] كما ذكر، من ظاهر **مرسية**[8]، وتحرك إليه **السيد أبو العباس** بعسكر **مرسية**؛ فأوقع به وشرده، ثم

---

[1] هذه الكلمة أضافها عنان.
[2] في الزيتونة والملكية: ((أنت السلطان بالأندلس)).
[3] في المخطوطين: ((الغشي)).
[4] في البيان: ((حواساً)).
[5] نفسه: ((من أراذل الناس)).
[6] في النسخ الثلاث: ((الغنم))؛ وتصرف فيها عنان.
[7] هي الصخور أو الصخيرات بالتصغير.
[8] وجاء هذا أيضا في البيان. في الزيتونة ((غرناطة))؛ وهو خطأ.

ثاب إليه ناسه، وعدل إلى الدعاء **للعباسيين**، فتبعه اللفيف، ووصل تقليد الخليفة **المستنصر بالله ببغداد**، فاستنصر[1] الناس في دعوته، وشاع ذكره، وملك القواعد، وجيش الجيوش، وقهر الأعداء، ووفى **للغشتي** بوعده، فولاه **أسطول إشبيلية**، ثم **أسطول سبتة**، مضافاً إلى أمرها، وما يرجع إليه، فثار به أهلها بعد؛ وخلعوه، وفر أمامهم في البحر، وخفي أثره إلى أن تحقق استقراره أسيراً في البحر **بغرب الأندلس**، ودام زماناً، ثم تخلص في سن الشيخوخة، ومات **برباط آسفي**.

حاله

كان شجاعاً، ثبتاً، كريماً حيياً، فاضلاً، وفياً، متوكلاً عليه[2]، سليم الصدر، قليل المبالاة، فاستعلى لذلك عليه ولاته بالقواعد، **كأبي عبد الله بن الرميمي بألمرية، وأبي عبد الله بن زنون بمالقة، وأبي يحيى عتبة بن يحيى الجزولي بغرناطة**. وكان مَجْدوداً، لم ينهض له

[1] في الزيتونة: ((فانتصر)).
[2] ((عليه)) سقطت في الملكية والزيتونة؛ بينما حرفت في ج؛ فكتبت: ((كقلبه)).

جيش. ولا وفق لرأي، لغلبة الخفة عليه، واستعجاله الحركات، ونشاطه إلى اللقاء، من غير كمال استعداد.

بعض الأحداث في أيامه

جرت عليه هزائم منها هزيمة السلطان **الغالب بالله** إياه مرتين، إحداهما بظاهر **إشبيلية**، وركب البحر فنجا[1] بنفسه. ثم هزمه **بإلبيرة** من أحواز **غرناطة**، زعموا كل ذلك في سنة أربع وثلاثين وستماية[2]، أو نحوها. وفي سنة خمس وثلاثين[3] كان اللقاء بينه وبين **المأمون إدريس أمير الموحدين بإشبيلية**، فهزمه **المأمون** أقبح هزيمة، واستولى على محلته، ولاذ منه **بمدينة مرسية**. ثم شغل **المأمون** الأمر، وأهمته الفتنة الواقعة **بمراكش**، فصرف وجهه إليها وثاب الأمر **للمتوكل**، فدخلت في طاعته **ألمرية**، ثم **غرناطة**، ثم **مالقة**. وفي سبع وعشرين وستماية[4]، تحرك بفضل شهامته بجيوش عظيمة، لإصراخ[5] **مدينة ماردة**،

---

[1] **في الزيتونة والملكية: ((ثم نجا)).**
[2] **الموافق لـ 1236م.**
[3] **635هـ/1237م.**
[4] **الموافق لـ1229م.**
[5] **هكذا في النسخ الثلاث.**

وقد نازلها العدو وحاصر، ولقي **الطاغية** بظاهرها، فلم يتأن زعموا، حتى دفع بنفسه العدو، ودخل في مصافه[1]. ثم لما كرّ إلى ساقته، وجد الناس منهزمين لما غاب عنهم، فاستولت عليه هزيمة شنيعة. واستولى العدو على **ماردة** بعد ذلك. وفتح عليه في أمور منها: تملكه **إشبيلية** سنة تسع وعشرين وستماية[2]، وولى عليها أخاه الأمير **أبا النجاة سالماً** الملقب **بعماد الدولة**؛ في سنة إحدى وثلاثين[3]. رجعت **قرطبة** إلى طاعته، واستوسق أمره. وتملك **غرناطة ومالقة** عام خمسة وعشرين وستمائة[4]، ودانت له البلاد. وفي العشر الأول من شوال؛ دخل في طاعته الريسان: **أبو زكريا، وأبو عبد الله**، إبنا الرئيس **أبي سلطان [عزيز]**[5] **بن أبي الحجاج بن سعد**؛ وخرجا عن طاعة الأمير **أبي جميل**، وأخذا البيعة **لابن هود** على ما في أيديهما. وفي سنة ست وعشرين وستمائة[6]، تملك **الجزيرة الخضراء**

---

[1] في النسخ الثلاث: ((مصابه ـ مصارفه ـ مصامه))؛ فصوبها عنان.
[2] الموافق لـ 1231م.
[3] 631هـ/1233م.
[4] الموافق لـ 1227م.
[5] أضيفت هذه الكلمة من إعمال الأعلام.
[6] الموافق لـ 1228م

عنوة، يوم الجمعة التاسع لشعبان من العام. وفي العشر الوسط من شوال ورد عليه الخبر ليلاً بقصد العدو وجهة **مدينة وادي آش**. فأسرى ليله مسرجاً[1] بقية[2] يومه، ولحق بالعدو على ثمانين ميلاً، فأتى على آخرهم ولم ينج منه أحد.

إخوته

الرئيس **أبو النجاة سالم**، [وعلامته وثقت بالله][3]، ولقبه **عماد الدولة**، والأمير **أبو الحسن عضد الدولة**، وأسره العدو في غارة [4]، وافتكه بمال كثير، والأمير **أبو إسحاق شرف الدولة**. وكلهم يكتب عنه، من الأمير فلان.

---

[1] في ج: ((مضرجاً))؛ وصوبت من الزيتونة.
[2] حرفت في النسخ الثلاث؛ فكتبت: ((بجاية)).
[3] ما بين حاصرتين ساقط في الزيتونة.
[4] في الزيتونة والملكية: ((غزوة)).

ولـده

أبو بكر الملقب بالواثق بالله، أخذ له البيعة على **أهل الأندلس**. في كذا، وولي بعده ولي عهده، واستقل بملك **مرسية**. ثم لم ينشب أن هلك.

دخوله غرناطة

[دخل **غرناطة**][1] مرات عديدة، إحداها في سنة إحدى وثلاثين وستمائة[2]، وقد وردت عليه الراية والتقليد من **الخليفة العباسي ببغداد**. وبمصلى **غرناطة**، قرئ على الناس كتابه، وهو قايم، وزيه السواد، ورايته السوداء بين يديه، وكان يوم استسقاء، فلم يستتم على الناس قراءة الكتاب يومئذ، إلا وقد جادت السماء بالمطر، وكان يوماً مشهوداً، وصنعاً غريباً، وأمر [بعد انصرافه][3]، أن يكتب عنه بتلك الألقاب التي تضمنها الكتاب المذكور إلى البلاد.

---

[1] ما بين الحاصرتين سقط في ج.
[2] الموافق لـ 1233م.
[3] في الزيتونـة: ((بعد أن انصرف)).

وفاتـه

اختلف الناس في سبب وفاته، فذكر أنه قد عاهد زوجه ألا يتخذ عليها امرأة طول عمره، فلما تصير إليه الأمر، أعجبته **رومية** [حصلت له بسبب السبي][1] من أبناء زعمائهم، من أجمل الناس، فسترها عند **ابن الرميمي** خليفته، فزعموا أن **ابن الرميمي** علق بها. ولما ظهر حملها خاف افتضاح القصة، فدبر عليه الحيلة، فلما حل بظاهر **ألمرية**، عرض عليه الدخول إليها، فاغتاله ليلاً، بأن أقعد له أربعة رجال، قضوا عليه خنقاً بالوسايد. ومن الغد ادَّعى أنه مات فجأة، ووقف عليه العدول، والله أعلم بحقيقة الأمر[2]. سبحانه. وكانت وفاته ليلة الرابع والعشرين من جمادى الآخرة؛ عام خمسة وثلاثين وستماية[3]. وفي إرجاف الناس بولاية **ابن هود**، والأمر قبل وقوعه، يقول الشاعر[4]:

---

[1] **ما بين الحاصرتين كتب في ج: ((في سبي الروم)).**
[2] **في الزيتونة والملكية: ((ذلك)).**
[3] **الموافق لـ 1237م.**
[4] **هذه القصيدة من البحر الطويل.**

هُمامٌ به زاد الزمـــان طلاقـــة

ولذت لنا فيه الأمـــاني مـــوردا

فقل لبني العباس ها هي دولـــة

أغار بها الحق المبيـــن وأنجدا

فإن الذي قد جاء في الكتب وصفه

بتمهيد هذي الأرض قد جاء فاهتدا[1]

فإن بشرتنـــا بابـــن هود محمد

فقد أظهر الله ابن هود محمـــدا

***

[1] في الملكيـة: ((فابتـدا)).

محمد بن أحمد

ابن زيد بن أحمد بن زيد بن الحسن بن أيوب بن حامد بن زيد
ابن منخل الغافقي؛ يكنى أبا بكر؛ من أهل غرناطة.
وسكن وادي آش.

أوليته

أصل هذا البيت من **إشبيلية**، وذكره **الرازي في الاستيعاب**، فقال: **وبإشبيلية** بيت **زيد الغافقي**، وهم هناك جماعة كبيرة، فرسان ولهم شرف قديم، وقد تصرفوا في الخدمة **بلديون**[1]، ثم انتقلوا إلى **طليطلة**، ثم **قرطبة**، ثم **غرناطة**. وذكر **الملاّحي** في كتابه[2]: **الحسن بن أيوب بن حامد بن أيوب [بن زيد]**[3] وعدَّه من أهل الشورى، وقضاة الجماعة **بغرناطة؛ وأحمد بن زيد بن الحسن**؛ هو المقتول يوم قيام **بني خالد**، بدعوة السلطان

---

[1] سبق التعريف بهم: إذ ((البلديون)): هم العرب الذين دخلوا أيام الفتح.
[2] سبق ذكر هذا الكتاب المسمى: تاريخ علماء إلبيرة وأنسابهم وأبنائهم. والمؤلف هو محمد بن عبد الواحد الغافقي؛ من بلدة تسمى الملاحة تابعة لإلبيرة. وتوجد في الإحاطة ترجمة لهذا العالم الأديب.
[3] هذه العبارة أضيفت من الزيتونة.

أبي عبد الله الغالب بالله بن نصر[1]، وكان عامل **المتوكل على الله ابن هود** بها، وعمن جُمِع له بين الدين والفضل والمالية.

حاله ونباهته ومحنته ووفاته

كان هذا الرجل عيناً من أعيان **الأندلس**، وصدراً من صدورها. نشأ عفاً متصاوناً عزوفاً، وطلاوة؛ نزيهاً [أبياً كريم الخؤولة][2]، طيب الطعمة، حر الأصالة، نبيه الصِّهْر[3]. ثم استعمل في الوزارة ببلده، ثم قدم على من به من الفرسان، فأوردهم الموارد الصفيّة بإقدامه، واستباح من العدو الفرصة، وأكسبهم الذكر والشهرة، وأنفق في سبيل الله، إلى غضاضة الإيمان، وصحة العقد، وحسن الشيمة، والاسترسال في ذكر التواريخ، والأشعار الجاهلية، والأمثال، والتمسك بأسباب الدين، وسحب

---

[1] سبقت الإشارة إليه. وقد حكم من سنة 635هـ/1237م. إلى سنة 671هـ/1272م.

[2] ما بين الحاصرتين سقط في الزيتونة والملكية؛ بينما كتب في ج: ((أبياً كريم الحولة))؛ فصوبها عنان.

[3] في الزيتونة: ((الظهر)).

أذيال الطهارة، وهجر الخبايث، وإيثار الجد، والانحطاط في هوى الجماعة.

مشيخته[1]

قرأ **بغرناطة** على شيخ الجماعة **أبي عبد الله بن الفخار،** وببلده على الأستاذ **أبي عبد الله الطرسوني**، وبه انتفاعه، وكان جهوريّ الصّوت، متفاضلاً، قليل التهيّب في الحفل. ولما حدث بالسلطان **أبي عبد الله** من كياد دولته، وتلاحق ب**وادي آش** مفلتاً، قام بأمره، وضبط البلد على دعوته، ولمَّ المداهنة[2] في أمره، وجعل حيل عدوه دبر أذنه، إلى أن خرج عنها إلى **العدوة**، فكان زمان طريقه مفدياً له بنفسه، حتى لحق بمأمنه، فتركها مغربة.

---

[1] هذه الكلمة سقطت في ج.
[2] في الزيتونة: ((المراهنة)).

خبر في وفاته ومعرجه

وكانت الحمد لله على محمده، واستأثر به الداخل[1]، فشد عليه يد اغتباطه، وأغرى به عقد ضنانته، وخلطه بنفسه، ثم أغرى به لمكانته من الشهامة والرياسة، فتقبض عليه، وعلى ولده، لباب بني وقته، وغرة أبناء جنسه، فأودعهما مطبق أرباب الجرايم، وهم باغتيالهما[2]، ثم نقلهما إلى **مدينة المنكب** ليلة المنتصف لمحرم؛ من عام اثنين وستين وسبعمائة[3] في جملة من النبهاء، مأخوذين بمثل تلك الجريرة ثم صرف الجميع في البحر إلى **بجاية**، في العشر الأول لربيع الأول مصفدين. ولما حلوا بها، أقاموا تحت برّ وتجلة؛ ثم ركبوا البحر إلى **تونس**، فقطع بهم أسطول العدو بأحواز **تكرنت**، ووقعت [بينه و][4] بين المسلمين حرب، فكرم مقام المترجم يومئذ، وحسن بلاؤه. قال المخبر، عهدي به، وقد سل سيفاً، وهو يضرب العدو

---

[1] في ج: ((بالداخل)).
[2] في النسخ الثلاث: ((باغتياله))؛ وصوبها عنان.
[3] الموافق لـ 1360م.
[4] ما بين الحاصرتين أضافه عنان.

ويقول، اللهم اكتبها لي شهادة. واستولى العدو على من كان معه من المسلمين، ومنهم ولده؛ وكتب افتك الجميع **ببلد العناب**[1]، وانصرف ابنه إلى الحج، وآب لهذا العهد بخلال حميدة كريمة. من سكون وفضل ودين وحياء، وتلاوة، إلى ما كان يجده من الركض، ويعانية من فروسية، فمضى على هذا السبيل من الشهادة، نفعه الله، في ليلة الجمعة الثامن لرجب؛ من عام اثنين وستين وسبعمائة.[2]

شعره

أنشدني قاضي الجماعة **أبو الحسن بن الحسن** له[3]:

يا أيها المرتجي لطـف[4] خالقـه

وفضله في صلاح الحال والمال

---

[1] هي مدينة عنابة الجزائرية. وما ذكر في ج: هو ((القبلة)).

[2] الموافق لـ 1360م.

[3] هذه الأبيات من البحر البسيط. وكلمة ((له)) أضافها عنان.

[4] صوبها د. طويل؛ فكتبها: ((للطف))؛ وهو أسلم.

لو كنت توقــن حقاً لطف قدرته

فاشمــخ بأنفــك عن قيل وقـــال[1]

فـــإن للـــه لطفـــاً عـــز خالقنـــا

عن أن يقاس بتشبيـــه وتمثـــال

وكل أمر وإن أعيـــاك ظاهــره

فالصنع في ذاك لا يجري على بال

***

[1] **صوبها د. طويل؛ فكتبها: ((عن قيل وعن قال))؛ وهو أسلم.**

محمد بن أحمد

ابن محمد[1] الأشعري؛ من أهل غرناطة،
يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن المجروق؛ الوكيل بالدار السلطانية،
القُهْرُمان بها، المستوزر آخر عمره، سداد من عوْن.

حاله وأوليته وظهوره

كان رحمه الله من أهل العفاف والتصاون، جانحاً إلى الخير، محباً في أهل الإصلاح، مغضوض الطرف عن الحُرم[2]، عفيفاً عن الدماء، متسمسكاً[3] بالعدالة، من أهل الخصوصية، كتب الشروط، وبرز في عدول الحضرة، وكان له خط حسن، ومشاركة في الطلب، وخصوصاً في الفرايض، وحظه تافه من الأدب، امتدح الأمراء، فترقى إلى الكتابة مرؤوساً[4] مع الجملة. وعند الإيقاع بالوزير **ابن الحكيم**، تعين لحصر ما استرفع من منتهب ماله، وتحصل بالدار السلطانية من آثاثه وخُرْثِيِّه[5]، فحزم واضطلع بما كان

[1] في الزيتونة: ((أحمد)).
[2] نفسه: ((الحرام)).
[3] في ج: ((متمسكاً)).
[4] في النسخ الثلاث: ((مرورسا))؛ وصوبها عنان.
[5] الخرثي: هو متاع البيت الرديء؛ والأثاث عكسه؛ إذ هو الجديد من المتاع.

داعية ترقيه إلى الوكالة، فساعده الوقت، وطلع له جاه كبير، وتملك أموالاً عريضة، وأرضاً واسعة[1]، فجمع الدنيا بجزمه ومثابرته على تنمية داخله [وترقى][2] إلى سماء الوزارة في الدولة السادسة من الدول **النصرية**[3]، بتدبير شيخ الغزاة، وزعيم الطايفة **عثمان بن أبي العلاء**[4]، فوصله إلى إدوار دنياه، والله قد خبأ له المكروه في المحبوب، وتأذن الله سبحانه بنفاد أجله على يده، فاستولى وحجب السلطان. ثم وقعت بينه وبين مرشحه، الوحشة الشهيرة، عام سبع[5] وعشرين وسبعمائة[6]، مارساً[7] لمكان الفتنة، صلة؛ فارط في حجب السلطان، وأجلى جمهور ما كان ببابه، ومنع من الدخول إليه، فاضطربت حاله، وأعمل التدبير عليه، فهجم عليه بدار الحرة الكبيرة جدة السلطان، وكان يعارضها في الأمور، ويجعلها [تكأة

---

[1] وردت عبارة مضطربة بعد هذه الكلمة؛ وهي: ((إلى ضاف طريقتها التي لو كان له)). فآثر عنان إغفالها.
[2] كلمة ((وترقى)) أضافها عنان.
[3] التي تربع على عرشها محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن نصر.
[4] في اللمحة البدرية: ((العلي)).
[5] صوبها د. طويل؛ فكتبها ((سبعة))، وهو أصوب.
[6] الموافق لـ 1326م.
[7] في الملكية: ((ماوساً)).

لغرضه][1]، فتيان من أحداث المماليك، المستبقين مع محجوبه، تناولاه سطاً بالخناجر، ورمى نفسه في صهريج الدار، وما زالا يتعاورانه من كل جانب [حتى فارق الحياة][2] رحمه الله تعالى.

مشيختـه

قرأ على الأستاذ **أبي جعفر بن الزبير**، وكانت له فيه فراسة صادقة.

***

[1] هذه العبارة ساقطة في الزيتونة والملكية.
[2] ما بين الحاصرتين أضافه عنان.

محمد بن فتح

ابن علي الأنصاري؛ يكنى أبا بكر؛ [ويُشْهر بالأشْبِرون][1]؛ قاضي الجماعة.

حاله

كان طِرْفاً في الدهاء والتخلق والمعرفة بمقاطع الحقوق، ومغامِز الرّيب، وعلل الشهادات، فذاً في الجزالة، والصرامة، مقداماً[2]، بصيراً بالأمور، حسن السيرة، عذب الفكاهة، ظاهر الحظوة، علي الرتبة، خرج من **إشبيلية** عند تغلب العدو عليها، وولي القضاء **بمالقة وبسطة**. ثم ولي الحسبة[3] **بغرناطة**، ثم جمعت له إليها الشرطة، ثم قدم قاضياً، واستمرت ولايته نحواً من ثلاثين سنة.

---

[1] هذه العبارة ساقطة في الزيتونة والملكية.
[2] بعد هذه الكلمة؛ ورد في ج: ((صارماً)).
[3] في الزيتونة: ((الخدمة)). وفي ج، والملكية: ((الجذعة والخدعة))؛ وصوبها عنان.

وفاتــه

تـوفي ليلـة الحـادي عشـر مـن شهـر ربيـع الأول؛ عـام ثمانيـة وتسعيـن وستمائـة[1].

***

[1] الموافق لـ 1298م.

محمد بن أحمد

ابن علي بن حسن بن علي بن الزيات الكلاعي[1]؛ ولد الشيخ الخطيب أبي جعفر بن الزيات؛ من أهل بَلّش؛ يكنى أبا بكر.

حالـه

من **عائد الصلة**[2] من تأليفنا: كان رحمه الله شبيهاً بأبيه، في هديه، وحسن سمته ووقاره، إلا أنه كان حافظاً للرتبة. مقيماً للأبهة، مستدعياً بأبيه ونفسه للتجلة، بقية من أبناء المشايخ، ظرفاً وأدباً ومروءة وحشمة، إلى خط بديع قيد البصر، ورواية عالية، ومشاركة في فنون، وقراءة، وفقه، وعربية، وأدب وفريضة، ومعرفة بالوثاق والأحكام. تولى القضاء ببلده، وخلف أباه على الخطابة والإمامة، فأقام الرسم، واستعمل في السفارة، فسد مسد مثله، وأقرأ ببلده، فانتفع به.

---

[1] توجد ترجمة محمد بن أحمد بن الزيات الكلاعي في الكتيبة الكامنة، ونيل الابتهاج.

[2] هو كتاب صغير في التراجم؛ كتبه ابن الخطيب قبل الإحاطة؛ وقد استعان به كمرجع في تأليف الإحاطة.

مشيختـه

قرأ على الأستاذ الخطيب **أبي محمد بن أبي السداد الباهلي**. **وبغرناطة**، على شيخ الجماعة الأستاذ [**أبي جعفر**][1] **بن الزبير**. ومن أعلام مشيخته، جده للأم خال أبيه، الحكيم العارف **أبو جعفر** بن الخطيب [**أبي الحسن ابن الحسن المذحجي الحمي**][2]، والخطيب الرباني **أبو الحسن فضل بن فضيلة**، والوزير **أبو عبد الله بن رشيد**.

***

[1] سقط هذه العبارة في: ج؛ بينما وردت في الزيتونة.
[2] ما بين حاصرتين ساقط في الزيتونة والملكية؛ بينما ورد في: ج.

محمد بن علي

ابن عبد الله بن محمد بن الحاج [1]؛ يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن الحاج.

أوليته وحاله

[كان أبوه نجاراً من مُدَجَّني][2] **مدينة إشبيلية** من العارفين بالحيل الهندسية، بصيراً باتخاذ الآلات الحربية الجافية، والعمل بها، وانتقل إلى **مدينة فاس** على عهد **أبي يوسف المنصور بن عبد الحق**، واتخذ له الدولاب، المنفسح القطر البعيد المدى[3]، مُليّن المركز والمحيط، المتعدد الأكواب، الخفي الحركة؛ حسبما هو اليوم ماثل[4] **بالبلد الجديد**، دار الملك **بمدينة فاس**، أحد الآثار التي تحدو إلى مشاهدتها الرِّكاب، وبناء دار الصنعة **بسلا**. وانتقل بعد

---

[1] ورد ذكره أيضاً في اللمحة البدرية.

[2] العبارة المحصورة بين، الحاصرتين سقطت في الملكية؛ بينما وردت في ج. وورد بدلها في الزيتونة عبارة ((كان جده من مدينة إشبيلية)). أما المدجنون ـ فكما سبق ذكره ـ هم المسلمون الذين بقوا في البلاد التي استولى عليها النصارى؛ وولدوا بها، ورضوا بالبقاء ـ لفترة معينة ـ تحت حكمهم.

[3] في الملكية: ((البعيد المدار المحيط)).

[4] في الزيتونة: ((مؤثل)).

مهلك أبيه إلى باب السلطان ثاني الملوك من **بني نصر**[1]، ومتّ إليه بوسيلة، أدنت محله، وأسنت جراياته، إلى أن تولى وزارة ولده أمير المسلمين، **أبي الجيوش نصر**[2]، واضطلع بتدبيره. ونقم الناس عليه إيثاره لمقالات **الروم**، وانحطاطه في مهوى[3] لهم، والتشبه بهم في الأكل والحديث، وكثير من الأحوال والهيئات والاستحسان؛ وتطريز المجالس بأمثالهم وحكمهم، سمة وسمت منه عقلاً، لنشأته بين ظهرانيهم، وسبقت إلى قوى عقله المكتسب في بيوتهم، فلم تفارقه بحال، وإن كان آية في الدهاء، والنظر في رجل بعيد الغور، عميق الفكر، قايم على الدمنة، منطوٍ على الرضف، لين الجانب، مبذول البشر[4]، وحيد زمانه في المعرفة بلسان **الروم** وسيرهم،

---

[1] صحح د. طويل الخطأ؛ إذ أنه ثالث ملوك بني نصر (الملقب بالمخلوع)؛ وهو محمد بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر؛ الذي حكم من سنة 701هـ/1301م إلى سنة 708هـ/1308م. ووردت سيرته في اللمحة البدرية. وله ترجمة في الإحاطة.

[2] رابع سلاطين بني نصر؛ حكم من سنة 708هـ/1308م إلى سنة 722هـ/1322م.

[3] في الملكية: ((قهري))، وفي الزيتونة: ((مهم)).

[4] في الملكية والزيتونة: ((البشرة)).

محكم الأوضاع في أدب الخدمة، دَرِبٌ[1] بالتصرف في أبواب الملوك. وكان من ثورة العامة بسلطانه ما تقدم، وجهروا بإسلامه إليهم، وقد ولوه بسبب الثورة، وطوقوه كياد الأزمة. فضن به السلطان ضنانة، أعربت عن وفايه، وصان مهجته، واستمر الأمر إلى أن خلع الملك عن الملك. وكان نزول [الوزير[2] المذكور تحت خفارة شيخ الغزاة، وكبير الطايفة، **عثمان بن أبي العلى[3]،** فانتقل محفوظ الجملة، محوط الوفر، ولم ينشب إلى أن لجأ إلى **العدوة**، واتصل بالأمير **أبي علي عمر ابن السلطان الكبير أبي سعيد،** فحركه. زعموا، على محادّة أبيه، وحمله على الانتزاء، فكان ما هو معلوم من دُعايه إلى نفسه، ومنازعة أبيه][4]، ولقايه إياه **بالمقرمدة**[5] وفُلِّ جيشه، وفي أثنايه هلك المترجم به.

---

[1] **في ج: ((دربـاً))؛ وصوبـت مـن الملكيـة.**
[2] **سقطت هذه الكلمـة في الزيتونـة؛ بينمـا وردت في: ج، والملكيـة.**
[3] **سمـاه مـن قبـل عثمـان ابـن أبي العلاء:**
[4] **مـا بيـن الحاصرتيـن كلـه سقط في الزيتونـة.**
[5] **والمُقرْمـدة: بلـدة في المغرب الأقصى؛ تقـع في الجنـوب الشرق مـن مدينـة فـاس؛ وقريبـة منهـا.**

وفاتـه

تـوفي **بفـاس الجديـد** في العشـر الأول مـن شعبـان ؛ عـام أربـع عشـرة[1] وسبعمايـة[2].

***

[1] صوبهـا د. طويـل؛ فكتبهـا: أربعـة عشـر)) وهـو أصـح.
[2] 1314 م.

محمد بن رضوان

ابن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أرقم [النّميري][1]؛ من أهل وادي آش؛ يكنى أبا يحيى

حالـه

كان صدراً شهيراً، عالماً عَلَماً، حسيباً، أصيلاً، جم التحصيل، قوي الإدراك، مضطلعاً بالعربية واللغة، إماماً في ذلك، مشاركاً في علوم من حساب وهيئة وهندسة. قال الشيخ: كان في هذا كله أبرع من لقيته، إلى سراوة وفضل وتواضع ودين، جارياً في ذلك على سنن سلفه. وعلو محتده. جالسته رحمه الله، كثيراً عند علية[2] من أدركته **بغرناطة**، لإقامته بها [وتكرر لقائي إياه بها][3] وبغيرها، فرأيت أصيلاً جليلاً، قد جمع علماً وفضلاً، وحسن خلق، وكان حسن التقييد، لخطه رونق يمتاز به، ويبعد

---

[1] هذه الكلمة أضيفت من الملكية.
[2] سقطت في الزيتونة والملكية.
[3] ما بين الحاصرتين ورد في الملكية هكذا: ((وتقرر لقائي وإياه بها)).

عن غيره، ولي القضاء ببلده، ثم ولي بعد مدة **ببرشانة**[1] فحمدت سيرته.

مشيخته

أخذ القراءات السبع عن **أبي كرم جودى بن عبد الرحمن**، وقرأ عليه الغريب واللغة، ولازمه في ذلك، وأجاز له إجازة[2] عامة. وأخذ من غيره ببلده، وصحب **بغرناطة** جملة من العلماء بها، أيام اختلافه إليها، وإقامته بها.

تواليفه

ألف كتاباً سماه **الاحتفال في استيفاء ما للخيل من الأحوال**، وهو كتاب ضخم وقفت عليه من قبله وأفدته. **واختصر الغريب المصنف**، وله **تقاييد منثور ومنظوم في**

---

[1] تسمى بالإسبانية: **Purchena**؛ وهي مدينة تتواجد على ضفاف نهر المنصورة؛ وشمال ثغر المرية.

[2] أضاف هذه الكلمة عنان.

علـم النجـوم، ورسالـة في الإسطرلاب الخطى والعمـل بـه. وشجـرة في أنسـاب العـرب.

وفاتـه

توفي ليلـة السبـت السابـع عشـر لشهـر ربيـع الآخـر؛ عـام سبـع وخمسيـن وسبعمايـة[1].

***

[1] **الموافـق لـ 1356م.**

محمد بن محمد

ابن إبراهيم بن محمد [بن إبراهيم بن محمد][1] بن خلف بن محمد بن سليمان بن سوار بن أحمد بن حزب الله بن عامر بن سعد الخير[2] بن عياش[3]؛ المكنى بأبي عيشون بن محمود؛ الداخل إلى الأندلس صحبة موسى ابن نصير؛ بن عنبسة بن حارثة بن العباس بن المرداس، يكنى أبا البركات؛ بلفيقي[4] الأصل؛ مروي[5] النشأة والولادة والسلف، يعرف بابن الحاج، وشهر الآن في غير بلده بالبلفيقي، وفي بلده بالمعرفة القديمة.

أوليته

قد تقدم اتصال نسبه **بحارثة بن العباس بن مرادس**، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحد خطبايه وشعرايه، رييس في الإسلام، ورييس في الجاهلية. وكان لسلفه ـ وخصوصاً **لإبراهيم** ـ من الشهرة بولاية الله؛ وإيجاب الحق من خلقه ما هو مشهور، حسبما تنطق به

---

[1] ما بين الحاصرتين من الزيتونة.

[2] كتب في الزيتونة سعد فقط.

[3] توجد ترجمة أبي البركات محمد بن محمد بن الحاج البلفيقي في الكتيبة الكامنة، وتاريخ قضاة الأندلس، ونفح الطيب، وأزهار الرياض، والديباج المذهب، والتعريف بابن خلدون، وجذوة الإقتباس، والدرر الكامنة، وغاية النهاية.

[4] نسبة إلى بلدة بلفيق Belfiq؛ وهي تابعة للمرية؛ وتتواجد جنوب بلدة برشانة؛ وقريبة من نهر المنصورة؛ وشمالي ثغر المرية.

[5] نسبة إلى مدينة ألمرية.

الفهارس، يعضد هذا المجد من جهة الأمومة، **كأبي بكر ابن صهيب**، وابن عمه **أبي إسحاق**، وغيرهم، الكثير ممن صنف في رجال **الأندلس**، **كأبي عبد المجيد المالقي**، **وابن الأبار**، **وابن طلحة**، **وابن فرتون**، **وابن صاحب الصلاة**، **وابن الزبير**، **وابن عبد الملك**. فلينظر هناك.

حاله

نشأ ببلده **ألمرية** عمود العفة، فضفاض جلباب الصيانة، غضيض طرف الحياء، نائي جنب السلام، حليف الانقباض والازورار، آوياً إلى خالص النشب وبحت[1] الطعمة، لا يرى إلا في منزل من سأله، وفي حلق الأسانيد، أو في مسجد من المساجد خارج المدينة المعدة للتعبد، لا يجيء سوقاً، ولا مجمعاً، ولا وليمة، ولا مجلس حاكم [أو وال][2]؛ ولا يلابس أمراً من الأمور التي جرت عادته أن يلابسها بوجه من الوجوه. ثم ترامى إلى رحلة[3]، فجاس خلال القطر الغربي إلى **بجاية**، نافضاً إياه من

[1] حرفت في الزيتونة والملكية فكتبت: ((وتحت)).
[2] هذه الإضافة من الملكية.
[3] حرفت في ج؛ فكتبت: ((حلة))؛ وصوبت من الزيتونة والملكية.

العلماء والصلحاء والأدباء والآثار بتقييده، وأخذه قيام ذكر، وإغفال شهرة. ثم صرف عنانه إلى **الأندلس**، فتصرف في الإقراء، والقضاء، والخطابة. وهو الآن نسيج وحده في أصالة عريقة، وسجية على السلامة مفطورة [فما شيت من صدر سليم، وعقد وثيق، وغور قريب، ونصح مبذول، وتصنع مرفوض][1] ونفس ساذجة، وباطن مساو للظاهر، ودمعة سريعة، وهزل يثمر تجلة. وانبساط يفيد حسن نية، إلى حسن العهد، وفضل المشاركة، ورقة الحاشية، وصلابة العود، وصدق العزيمة، وقوة الحامية، وبلاغة الموعظة، وجلة الوقت. وفايدة العصر، تفنناً وإمتاعاً، فارس المنابر غير الهيابة، ولا الجزوع، طيب النغمة بالقرآن، مجهشاً في مجال الرقة، كثير الشفقة لصالح العامة، متأسفاً لضياع الأوقات، [مدمعاً على الفيئة][2]، مجماً، محولاً في رياسة الدين والدنيا. هذا ما يسامح فيه الإيجاز، ويتجافى عنه الاختصار، ويكفى فيه الإلماع والإشارة، أبقى الله شيخنا **أبا البركات**.

---

[1] **ما بين الحاصرتين ساقط في الزيتونة؛ بينما ورد في: ج، والملكية.**
[2] **ما بين الحاصرتين ساقط في الزيتونة والملكية؛ بينما ورد في ج.**

مشيختـه . ولايتـه

تقـدم قاضيـاً **بقنالـش**[1]، في جمـادى الثانيـة ؛ عـام خمسـة عشر وسبعمائة[2] ثم ولي **مربلة**، **وإستبونة**[3] ثم كانت رحلتـه[4] إلـى **بجاية**. ثـم عـاد فقعـد بمجلس الإقـراء مـن **مالقـة** للكـلام عـلى صحيـح مسلـم، متفقـاً عـلى اضطلاعـه بذلـك. ثـم رحـل إلى **فـاس**. ثـم آب إلى **الأندلـس**، واستقـر ببلـده **ألمرية**، فقعـد بمسجدهـا الجامـع للإقـراء [ثـم قـدم قاضيـاً **ببرجة ودلاية**، **والبينـول وفنيانـة**[5] ثـم نقـل عنهـا إلى **بيرة** [6]،

---

[1] وهي قريبـة مـن بلـده بلفيـق؛ شمـال ولايـة ألمريـة.

[2] الموافـق لـ 1315م.

[3] مربلـة كمـا سبقت الإشـارة إليهـا؛ هي بالإسبانيـة Marbella؛ وتطل علـى البحـر الأبيـض المتوسـط؛ جنـوب غـرب مالقـة. وأمـا استبونـة أو اشتبونـة؛ فتتواجـد بعـد مربلـة علـى الشـاطئ.

[4] في الزيتونـة: ((ولايتـه ورحلتـه)).

[5] برجـة بالإسبانيـة Berja؛ هي بلـدة تابعـة للمريـة. أمـا دلايـة فتسمـى بالإسبانيـة Dalias؛ وتقـع إلى الجنـوب الشـرقي مـن برجـة. أمـا البينـول Albinol؛ فـهي تابعـة لولايـة مالقـة؛ وتتواجـد غـربي النهـر الأحمـر؛ وشمـال شـرقي متريـل. أمـا فنيانـة فـهي بلـدة صغيـرة تابعـة لولايـة المريـة، وتتواجـد جنـوب شـرقي وادي آش.

[6] تقـع برجـة Berja إلى الغـرب مـن ألمريـة، وتابعـة لولايتـهـا؛ سبقت الإشـارة إليهـا. أمـا دلايـة فتسمـى بالإسبانيـة Dalias؛ وتتواجـد في الجنـوب الشـرقي مـن برجـة. أمـا البينـول Albinol فـهي تابعـة لولايـة مالقـة؛ وتتواجـد في الجهـة الغربيـة مـن النهـر الأحمـر. أمـا فنيانـة فـهي بلـدة تابعـة لولايـة ألمريـة؛ وتتواجـد في الجنـوب الشـرقي مـن وادي آش. أمـا بلـدة بيـرة فتقـع إلى الشـرق مـن ألمريـة تحـاذي مصـب نـهـر المنصـورة.

ثم غربي **ألمرية]**[1]. ثم قدم قاضياً **بمالقة**، ثم قدم بغربها مضافاً إلى الخطابة، ثم أعيد إلى قضاء **ألمرية**، بعد وفاة القاضي **أبي محمد بن الصايغ**. ومن **كتاب طرفة العصر**[2] من تأليفنا في خبر ولايته ما نصه: فتقلد الحكم في الثالث والعشرين لشعبان؛ من عام سبع[3] وأربعين وسبعمائة[4]، ثالث يوم وصوله مستدعًى، وانتابه[5] الطلبة، ووجوه الحضرة والدولة، مهنئين بمثواه من دار الصيانة، ومحل التجلة، إحدى دور الملوك **بالحمراء**، فطفقوا يغشونه [بها][6] زرافات ووحداناً في إتاحة الخير، وإلهام وإلهام السداد، وتسويغ الموهبة. وكان وصوله، والأفق قد أغبر، والأرض قد اقشعرت لانصرام حظ من أيام الشتاء الموافق لشهر ولايته، لم يسح فيه الغمام بقطرة، ولا لمعت السماء بنزعة، حتى أضرت الأنفس الشح، وحسر العسر

---

[1] ما بين الحاصرتين ساقط في الزيتونة؛ وورد في ج.
[2] هذا الكتاب من مؤلفات ابن الخطيب وعنوانه بالكامل: طرفة العصر في تاريخ بني نصر. وهو مفقود.
[3] صوبها د. طويل؛ فجعلها: ((سبعة))؛ وهو أصوب.
[4] الموافق لـ 1346م.
[5] في الزيتونة: ((وانتبه))، وفي الملكية: ((وانتباه))؛ وهو تحريف.
[6] أضيفت هذه الكلمة من الملكية.

عـن ساقـه، وتـوقفـت البـذور، فساعـده الجـد بنـزول الرحمـة عنـد نزولـه مـن مرقـاة المنبر، مجابـة دعـوة استسقايـه، ظاهـرة بركـة خشوعـه، ولذلـك مـا أنشدتـه في تلـك الحـال[1]:

ظمئت إلى السقيا الأباطح والربا
حتى دعونا العام عامـــا مجدبـــاً
والغيث مسدول الحجاب وإنمـــا
علـــم الغمـــام قدومكـــم فتأدبـــا

وتـولى النظـر في الأحكـام فأجـال قداحهـا، مضطلعـاً بأصالـة النظـر، وإرجـاء المشبهـات، وسلـك في الخطابـة طريقـة مثلى، يفـرغ في قوالـب البيـان أغراضهـا، ويصـرف عـلى الأحكـام الكوايـن والبساطـات أساليبهـا. مـن المحاكـاة[2]، باختـلاف القبـض والبسـط، والوعـد والوعيـد، حظوظهـا عـلى مقبـض العـدل. وسبـب الصـواب يقـوم عـلى كثيـر[3] ممـا يصـدع بـه، مـن ذلـك شاهـد البديهـة. ودليـل الاستيعـاب. قـال

---

[1] هذان البيتـان مـن البحـر الكامـل؛ ووردتـا في نفـح الطيـب.
[2] في الزيتونـة: ((المحاكـات)).
[3] في ج: ((الكثيـر)).

شيخنا **أبو البركات**: ثم صرفت عنها للسبب المتقدم. وبقيت مقيماً بها، لما اشتهر من وقوع الوباء **بألمرية**، ثم أعدت إلى القضاء والخطابة **بألمرية**، وكتب بذلك في أوايل رجب؛ عام تسعة[1] وأربعين[2]. وبقيت على ذلك إلى أن صرفت بسبب ما ذكر. ثم أعدت إليها في أواخر رجب سنة ست وخمسين[3]، عسى أن يكون الانقطاع لله سبحانه. فأنا الآن أتمثل بما قاله **أبو مطرف**[4] **بن عميرة**[5] رحمه الله[6]:

قد نسبنا إلى الكتابة يوماً[7]

[ثم جاءت] خطة القضاء تليها[8]

---

[1] **في الزيتونة والملكية: ((سبعة)).**

[2] **749هـ/1348م.**

[3] **756هـ/1355م.**

[4] **هكذا رسمت في النسخ الثلاث؛ بينما الشائع في رسمها: ((أبو المطرف)).**

[5] **هو أحمد بن عبد الله بن عميرة البلنسي؛ له ترجمة في الإحاطة.**

[6] **هذه الأبيات من البحر الخفيف.**

[7] **ورد هذا الشطر من البيت في ترجمة ابن عميرة بالإحاطة كما يلي: ((قد عكفنا على الكتابة حيناً)).**

[8] **ما بين حاصرتين كتب في ج: ((واتصلت)). وصوب د. طويل؛ الشطر فجعله: ((وأتت خطة القضاء تليها))؛ وهو أسلم.**

وبكـــل لـــم نطـــق للمجـــد إلا[1]
منـــزلاً نابيـــاً وعيشـــاً كريهـــا
نسبـــة بدلـــت فلـــم تتغيـــر
مثل ما يزعـــم المهنـــدس فيهـــا

بَدَّل من لفظ الكتابة إلى الخَطَابة. وأغرب ما رأيت ما أحكي لك، وأنت أعلم ببعض ذلك، أن أفضل ما صدر عني في ذلك، الخطة من العمل الذي أخلصت لله فيه، ورجوت منه المثوبة عليه، وفيه مع ذلك مفتخر لمن أراد أن يفتخر [غير][2] ملتفت للدنيا، فعليه عولت سبحانه. سبحانه. انتهى كلامه.

تصانيفه

كتب إليّ بخطه [ما نصه][3]، وهو فصل من فصول: وأما تواليفي فأكثرها، أو كلها غير متممة في مبيضات. منها: كتاب قد يكبو الجواد في أربعين غلطة [عن أربعين

[1] ورد هذا الشطر في ترجمة ابن عميرة هكذا: ((وبكل لم يبق للجهد إلاّ)).
[2] أضيفت هذه الكلمة من الملكية.
[3] ما بين الختصرتين ساقط في ج.

من النقاد، وهو نوع من تصحيف الحفاظ **للدّارقُطْني**، منها: ((**سلوة الخاطر[**[1] **فيما أشكل من نسبة النسب الرتب إلى الذاكر**)). ومنها ((**كتاب قدر جم في نظم الجمل**)). ومنها ((**كتاب خطر فبطر، ونظر فحظر، على تنبيهات على وثائق بن فتوح**))، ومنها ((**كتاب الإفصاح فيمن عرف بالأندلس بالصلاح**)). ومنها ((**حركة الدخولية في المسألة المالقية**)). ومنها ((**خطرة المجلس في كلمة وقعت في شعر استنصر به أهل الأندلس**))؛ جزء صغير. ومنها ((**تاريخ ألمرية**)) غير تام. ومنها ديوان شعره المسمى ((**بالعذب والأجاج في شعر أبي البركات ابن الحاج**))[2]. ومختصره سماه **القاضي الشريف** ((**اللؤلؤ والمرجان اللذان من العذب والأجاج يستخرجان**))[3]. ومنها ((**عرايس بنات الخواطر المجلوة على منصات المنابر**)) يحتوي على فصول الخطب التي أنشئت بطول بنى والخطابة. ومنها ((**المؤتمن**

---

[1] ما بين الحاصرتين ساقط في الزيتونة.
[2] في نفح الطيب: ((العذب والأجاج من كلام أبي البركات ابن الحاج)).
[3] سماه المقري في نفح الطيب: ((اللؤلؤ والمرجان من بحر أبي البركات الحاج يستخرجان)).

على أنباء أبناء الزمن))[1]. ومنها **تأليف (([في][2] أسماء الكتب، والتعريف بمؤلفيها))**، على حروف المعجم. ومنها ((**ما اتفق لأبي البركات فيما يشبه الكرامات**)). ومنها ((**كتاب ما رأيت وما رُئي لي من المقامات**)). ومنها ((**كتاب المرجع بالدرك على من أنكر وقوع المشترك**)) ومنها ((**مشبهات اصطلاح العلوم**)). ومنها ((**ما كثر وروده في مجلس القضاء**))[3]. ومنها ((**الغَلَسيَّات**))، وهو ما صدر عني من الكلام على **صحيح مسلم** أيام التكلم عليه في التغليس. ومنها ((**الفصول والأبواب، في ذكر من أخذ عني من الشيوخ والأتباع والأصحاب**)).

ثم قال: وقد ذهب شرخ الشباب ونشاطه، وتقطعت أوصاله، ورحل رباطه، وأصبحت النفس تنظر لهذا كله بعين الإمهال والإغفال، وقلة المبالاة التي لا يصل أحد بها إلى منال. وهذه الأعمال لا ينشط [إليها إلاّ][4] المحركات التي هي مفقودة عندي: أحدها طلبة مجتمعون

[1] كتب في الملكية هكذا: ((المستومان على أبناء الزمان)).
[2] أضيفت هذه الكلمة من الزيتونة.
[3] سقط هذا العنوان في الزيتونة والملكية.
[4] ما بين الحاصرتين أضافه عنان.

متعطشون إلى ما عندي متشوفون غاية التشوف، وأين هذه **بألمرية**. الثاني، طلب رياسة على هذا، ومتى يرأس أحد بهذا اليوم، وعلى تقدير أن يرأس به وهو محال في عادة هذا الوقت، فالتشوف لهذه الرياسة مفقود عندي. الثالث، سلطان يملأ يد من يظهر مثل هذا، على يده غبطة، وما تم هذا. الرابع، نية خالصة لوجه الله تعالى في الإفادة، وهذا أيضاً مفقود عندي، ولا بد من الإنصاف. الخامس، قصد بقاء الذكر، وهذا خيال ضعيف بعيد[1] عني. السادس، الشفقة على شيء ابتدى، [وسعي في][2] تحصيل مباديه، أن يضيع على قطع ما سوى هذا الإشفاق؛ وهذا السادس، هو الذي في نفسي منه شيء، وبه أنا أقيد أسماء من لقيت، وما أخذت، ويكون إن شاء الله إبراز إذا[3] الصحف نشرت. وأكثر زماني يذهب في كيفية الخروج عما أنا فيه، فإذا ينظر إليّ العاقل في هذا الوقت بعين البصيرة، لا يسعه إلا الشفقة عليّ، والرحمة لي. فإنه يرى

---

[1] كتب في النسخ الثلاث: ((بعد))؛ فصوبها عنان.
[2] كتبت في ج: ((ونغوبي))، وفي الزيتونة: ((ونعى في))؛ فصوب التحريف.
[3] كلمة ((إذا)) أضافها عنان.

رجلاً مطرقاً أكثر نهاره، ينظر إلى مآله، فلا ينشط إلى إصلاحه، وهو سابع[1] ولا يلبس بالعبادة وهو في زمانها المقارب للفوت، ولا ينهض إلى إقامة حق كما ينبغي لعدم المعين، ولا يجنح إلى شيء من راحات الدنيا، ويشاهد من علوم الباطل الذي لا طاقة له على رفعه ما يضيق صدر الحر يقضى[2] نصف النهار، محتلاً[3] في مكان غير حسن، تارة يفكر، وتارة يكتب ما هو على يقين منه أنه كذا لا ينتفع به، ونصف النهار يقعد للناس، تارة يرى ما يكره، وتارة يسمع ما يكره، لا صديق يذكره بأمر الآخرة، ولا صديق يسليه بأمر الدنيا، يكفيني من هذه الغزارة[4]. اللهم إليك المشتكى يا من بيده الخلق، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

---

[1] هكذا في النسخ كلها. وقد يكون المقصود: ترقيم يأتي بعد السادس المذكور.
[2] كلمة ((يقضى)) أضافها عنان.
[3] في النسخ الثلاث: ((محتل))؛ وصوبها عنان.
[4] هكذا.

شعـره

من مطولاته في النزعة الغربية التي[1] انفرد بها، منقولاً من ديوانه. قال: ومما نظمته **بسبتة** في ذي الحجة؛ من عام خمسة وعشرين وسبعمائة[2]، في وصف حالي، وأخذها عني الأستاذ **بسبتة**، **أبو عبد الله بن هانئ**، والأديب البارع **أبو القاسم الحسيني**، **وأبو القاسم بن حزب الله**، وسواهم. ولما انفصلت من **سبتة** إلى **بلاد الريف**[3] زدت عليها إبياتاً في أولها وكثر ذلك **بوادي لو**[4]؛ من **بلاد الريف** وهي[5]:

تأسفـــت لكن حيـــن عز التأسف

وكفكفت دمعاً حين لا عين تذرف

---

[1] كلمة ((التي)) أضافها عنان.

[2] الموافق لـ 1324م.

[3] يقصد ببلاد الريف المنطقة الواقعة أقصى شمال المغرب الأقصى؛ والمطلة على البحر الأبيض المتوسط؛ مقابل بلاد الأندلس؛ وفيها سبتة. وسكانها من قبلة غمارة.

[4] حرفت في الزيتونة والملكية؛ فكتب: ((وادي آش)). وهذا لا يصح لأن وادي آش في الأندلس، وليس في الريف بالمغرب الأقصى.

[5] هذه القصيدة من البحر الطويل.

ورام سكوناً وهو في رجل طاير

ونادى بأنـــس والمنازل تعنـــف

أراقـــب قلبي مـــرة بعد مـــرة

فألفيه ذيـــاك الذي أنـــا أعـــرف

سقيـــم ولكـــن لا يحـــس بدايـــه

سوى من له في مأزق الموت موقف

وجاذب[1] قلباً ليس يأوي لمألـــف

وعالـــج نفساً داؤها يتضاعـــف

وأعجب ما فيه استواء صفاتـــه

إذ الهم يشقيـــه أو السر ينـــزف[2]

إذا حلت الضراء لم ينفعل لهـــا

وإن حلت الســـراء لم يتكيـــف

مذاهبه لـــم تبـــد غايـــة أمـــره

فؤاد لعمري لا يرى منه أطرف

---

[1] في الزيتونـة: ((وجـاوب)).

[2] في ج: ((يتـرف))؛ وصوبـت مـن الملكيـة.

فما أنا من قوم قصارى همومهم

بنوهــم وأهلهــم وثوب وأرغف

ولا لي بالإسراف فكر محــدث

سيغدو حبيبي أو سيشعر مطرف

ولا أنا ممن لهــوه جــل شأنـــه

بروض أنيق أو غزال مهفهــف

ولا أنا ممن أنسه غايــة المــنى

بصوت رخيــم أو نديم وقرقف

ولا أنا ممن تزدهيــه مصانــع

ويسبيــه بستــان ويلهيه مخرف

ولا أنا ممن همه جمعهــا فــإن

تراءت يَثِب[1] بسَعْيٍ لها وهو مرجف

على أن دهري لم تدع لي صروفــه

من المال إلا مسحــة أو مجلف

---

[1] في ج: ((ثبت))؛ وصوبت من الملكية.

ولا أنا ممـــن هذه الـــدار همـــه
وقد غره منهـــا جمال وزخرف
ولا أنا ممن للسؤال قد انبـــرى
ولا أنا ممن صان عنه التعطف
ولا أنا ممن نجَّـــح الله سعيهـــم
فهمتهم فيها مصلى ومصحـــف
فلا في هوًى أضحى إلى اللهو قايداً
ولا في تقًى أمسى إلى الله يزلف
أحارب دهري في نقيض طباعه
وحربك من يقضي عليك تعجـــرف
وأنظره شزراً بأصلـــف ناظـــر
فيعرض عني وهو أزهى وأصلـــف
وأضبطه ضبط المحدث صحفه
فيخرج في التوقيع أنت المصحف
ويأخذ مني كـــل ما عـــز نيلـــه
ويبدو بجهلي منه في الأخذ محتـــف[1]

[1] في ج: ((بحتف)). وفي الزيتونـة: ((مختف)).

أدور له في كــل وجــه لعلــني

سأثبتــه وهو الذي ظل يحــذف

ولما يئسنا منه تهنّــا ضـــرورة

فلم تبق لي فيها عليــه تشــوف[1]

تكلفت قطع الأرض أطلب سلوة

لنفسي فما أجدى بتلك التكلــف

وخاطرت بالنفس العزيزة مقدماً

إذا ما تخطى النصل قصد مرهــف

وصرفت نفسي في شئون كثيرة

لحظِّي فلم يظفر بذاك التصـــرف

وخضت لأنواع المعارف أبحراً

ففي الحين ما استجرتها وهي تترف[2]

ولم أحُلْ من تلك المعاني بطايل

وإن كان أهلوها أطالوا وأسرفوا

---

[1] **في ج، والملكيـة: ((عليهـا تشـوف)).**
[2] **في الملكيـة: ((تنـزف)).**

وقد مر من عمري الألذ وها أنا

على ما مضى من عهده أتلهــف

وإني على ما قد بقي منه إن بقي

لحرمة ما قد ضاع لي أتخــوف

أعد ليالي العمر والفرض صومهــا[1]

وحسبك من فرض المحال تعسف

عــلى أنها إن سلمــت جدليــة[2]

تعارض آمــالاً عليهــا يُنيِّــف[3]

تحدثــني الآمــال وهي كدينهــا[4]

تبــدل في تحديثهــا وتحــرف

بأنيَ في الدنيــا سأقضي مآربي

وبعد يحق الزهد لي والتقشــف

وتلك أمــانٍ لا حقيقــة عندهــا[5]

أفي قَرْني الضديــن يبقى التكلف

---

[1] في الملكيـة، وج: ((طولهـا)).

[2] في ج، والملكيـة: ((جـد ليلـة)).

[3] في ج: ((تنيـف)).

[4] في ج، والملكيـة: ((كرينهـا)).

[5] في ج: سقطـت ((لا)) وكتبـت ((حقيقـة)) بدونهـا.

وربّ أخِـــلاَّءٍ[1] شكـــوت إليهـــم

ولكن لفهم الحال إذ ذاك لم يـــفُ[2]

فبعضهم يزري علي وبعضهـــم

يغض وبعض يرثي ثـــم يصدف

وبعضهـــم يـــومي إلي تعجبـــاً

وبعـــض بما قد رأيته يتوقـــف

وبعضهـــم يلقي جوابـــه عـــلى

مقتضى العقل الذي عنه يتوقف[3]

يسيء استماعـــاً ثـــم يُعدُّ إجابة

على غير ما تحذوه يحذو ويخصف

ولا هو يبدي لي عـــليّ تعقـــلا[4]

ولا هو يرثي لي ولا هو يعنـــف

ومـــا أمرنـــا إلا ســـواء إنمـــا

عرفنا وكل منهـــم ليـــس يعرف

---

[1] في ج، والزيتونـة: ((الخـلا)).
[2] صوبهـا د. طويـل؛ فجعلهـا: ((يفـوا))؛ وهـو أصـوب
[3] هذا البيـت سقـط مـن الملكيـة.
[4] ورد هـذا الشطـر مـن البيـت في ج، والزيتونـة هكـذا: ((فـلا هـو يبـدي عـن تعقـل علـى)).

فلو قد فرغنا من علاج نفوسنـــا

وحطوا الدنية من عليل وأنصف[1]

أما لهم من علـــة أرمـــت بهـــم

ولم يعرفوا أغوارها وهي تتلف

وخضنا لهم في الكتب[2] عن كنه أمرهم

ومثلي عن تلك الحقائـــق يكشف

وصنفـــت في الآفات كل غريبة

فجاء كما يهوى الغريب المصنــف

وليس عجيباً من تركب جهلهـــم

فإن يحجبوا عن مثل ذاك وصـــرف[3]

إذا جاءنا بالسخف من نزو عقله

إذا ما مثلنـــاه أزهى وأسخــف

فما جاءنـــا إلا بأمـــر مناســـب

أينهض عن كف الجبـــان المثقف

---

[1] صوبها د. طويل؛ فجعلها: ((أنصفوا))؛ وهو أصح.
[2] في الزيتونة: ((الكتاب)).
[3] صوبها د. طويل؛ فجعلها: ((وصرفوا))؛ وهو اصح.

ولكن عجيب الأمر علمي وغفلــتي

فديتكــم أي المحاســن[1] أكشــف

إلا إنها الأقدار يظهــر سرهــا

إذا ما وفى المقدور فالرأي يخلف

أيا رب إن اللب طاش بما جرى

به قلم الأقدار والقلــب يرجــف

وإنا لندعوهــم ونخــشى وإنمــا

على رسمك الشرعي من لك يعكف

أقول وفي أثنــاء ما أنــا قايــل

رأيت المنايا وهي لي تتخطــف

وإني مع الساعات كيف تقلبــت

لأسهمهــا إن فوقــت متهــدف

وما جر ذا التسويف إلا شيبــتي

تُخَيِّل لي طول المدى فأســوف

إذا جاء يوم قلت هو الذي يــلي

ووقتك في الدنيا جليــس مخفف

---

[1] **في الملكيـة: ((الحجابيـن)).**

أقدم رجلاً عند تأخيـــر أختهـــا

إذا لاح شمس فالنفـــس تكســـف

[كـــأني لـــداني المراقـــد منهـــم][1]

ولم أودعهم والخض ريّان ينسف

وهبني أعيش هل إذا شاب مفـــرقي

وولى شبـــابي هل يباح التشوف

وكيف ويستدعي الطريق رياضة

وتلك على عصر الشباب توظف

متى يقبل التقويـــم غير عطوفة

وبي بعد حســـاً فالنـــار تنســـف[2]

ولو لـــم يكن إلا ظهورة[3] ســـره

إذا ما دنا التدليس هان التنطـــف

أمولى الأسارى أنت أولى بعذرهـــم

وأنت على المملوك أحق وأعطـــف

---

[1] مـا بيـن الحاصرتيـن جـاء في الملكيـة هكـذا:

((كـان لـذاتي لمراقـد منهـم)). وهـذا غيـر سليـم مـن حيـث الـوزن.

[2] صـوب د. طويـل الشطـر؛ فجعلـه هكـذا: ((وبي بعـده حسـان فالنـار تنسـف))؛ وهـو أسلـم.

[3] في ج: ((ظهـوره)).

قذفنـــا بلجّ البحر والقيــد آخــذ

بأرجلنا والريح بالمــوج تعصف

وفي الكون من سرّ الوجود عجايب

أطل عليها العارفــون وأشرف[1]

وكعت عليهــم نكثـــة فتأخـــروا[2]

وددت بأن القــوم بالكل أسعــف

فليـــس لنا إلا أن نحـــط رقابنـــا

بأبـــواب الاستسلام والله يلطف

فهذا سبيـــل ليـــس للعبد غرهـــا

وإلا فمـــاذا يستطيـــع المكلــف

---

[1] صوبها د. طويل؛ فجعلها: ((وأشرفوا))؛ وهو أصح.

[2] كتب هذا الشطر في الملكية هكذا: ((ركعت عليهم نكتة فتأخروا)).

وقال: وضمنها محاورة بينه وبين نفسه، وقيدتها عنه زوال يوم الثلاثاء التاسع والعشرين لمحرم؛ خمس وخمسين[1] وسبعمائة[2]، **برابطة العقاب**[3]، متعبد الشيخ ولي الله **أبي إسحاق الإلبيري**[4]، رحمه الله، فمنها[5]:

يأبى شجـــون حديـــثي الإفصاح
إذ لا تقـــوم بشرحـــه الألـــواح
قالت صفيـــة إذ مـــررت بهـــا[6]
أفـــلا تنـــزل ساعـــة ترتـــاح

---

[1] حرف التاريخ في الزيتونة فكتب: ((خمس وسبعين)). وفي هذا التاريخ كان ابن الخطيب في المغرب ينتظر أيامه الأخيرة.
[2] الموافق لـ 1354م.
[3] رابطة العقاب: موضع مخصص للعبادة (رباط أو زاوية كما تسمى الآن)؛ تتواجد هذه الرابطة بالقرب من غرناطة.
[4] هو أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد التجيبي الإلبيري؛ توفي سنة 459هـ/1066م. وهو الذي حرض المسلمين وصنهاجة على الوزير اليهودي ابن نغرالة؛ في عهد باديس بن حبوس الصنهاجي بقصيدته التي مطلعها:
ألا قل لصنهاجةٍ أجمعين * بُدورِ الزمان وأسْد العَرين
مقالة ذي مقة مشفقٍ * يعدُّ النصيحة زُلْفى ودين
لقد زلَّ سيدكم زلَّة * تقر بها أعين الشامِتين
[5] هذه القصيدة من البحر الكامل؛ وهي موجودة أيضاً في الكتيبة الكامنة.
[6] كتب في الزيتونة وج: ((عندما مررت بها)). وهذا مخل بالوزن. في الكتيبة: ((قالت صفية عندما مرت بها * إبلي أتنزل ساعة ترتاح)).

فأجبتهـــا لولا الرقيب لكـــان لي[1]

ما تبتـــغي بعـــد الغـــدو رواح[2]

قالت وهل في الحي حي غيرنـــا

فاسمـــح فديتـــك فالسماح رياح

فأجبتهـــا إن الرقيب هو الـــذي[3]

بيديـــــه منـــا هـــذه الأرواح

وهو الشهيـــد على موارد عبده

سيـــان ما الإخفـــاء والإفصـــاح[4]

قالت وأين يكـــون وجـــود[5] الله إذ

تخـــشى[6] ومنـــه هـــذه الأفـــراح

فافـــرح بإذن الله[7] جـــل جلالـــه

واشطح فنشوان الهوى شطـــاح

---

[1] في الكتيبة: ((في)). وحرف هذا الشطر في: ج؛ فكتب هكذا: ((فأجبت لـولا الرقيـب لكـان لي)).

[2] في الزيتونـة: ((ربـاح)).

[3] في الكتيبـة الكامنـة: ((الرقيـب هوالـك)).

[4] نفسـه: ((والإيضـاح)).

[5] صوبهـا د. طويـل عن الكتيبـة الكامنـة؛ حيث كتـب فيهـا: ((جـود الله)).

[6] في الكتيبـة الكامنـة: ((يخشى)).

[7] نفسـه: ((فافرح على إسم الله)).

وانهج[1] على ذمم الرجال ولا تخــف
فالحكــم[2] رحب والنــوال مبـــاح
وانزل على حكم السرور ولا تبل
فالوقت صاف ما عليك جنـــاح
واخلع عذارك في الخلاعة يـــا أخي
باسم الذي دارت بـــه الأقــداح
وانظر إلى هذا النهـــار فسنـــه
ضحكـــت ونور جبينه وضـــاح
أنواره ضحكـــت[3] وأترع كأســـه
فقد استـــوى ريحانـــه والـــراح
وانظر إلى الدنيا بنظرة رحمـــة
فجفاؤهـــا بوفائهـــا ينـــزاح
فأجبتهـــا لو كنت تعلم ما الـــذي[4]
يبـــدو لتاركهـــا ومـــا يلتـــاح

---

[1] **في الكتيبـة الكامنـة: ((وارهـج)).**
[2] **نفسـه: ((فالحلـم)).**
[3] **نفسـه: ((نفحـت)).**
[4] **نفسـه: ((كنـت عالمـة الـذي)).**

ما كان[1] معنى غامض من أجله
قد ساح قوم في الجبـــال وتـــاح[2]
حتى لقد سكروا من الأمر الذي
هامـــوا به عند العيـــان وســـاح[3]
لعذرتـــني وعلمـــت أني طالب
ما الزهد في الدنيـــا له مفتـــاح
فاترك صفيك قارعاً باب الرضى
واللـــه جـــل جلالـــه الفتـــاح
يا حيّ[4] حي عـــلى الفلاح وخلني
فجماعـــتي حثـــوا المطي وراح[5]

وقيدت من خطه في جملة ما كتب إلي ما نصه: ومما نظمته **بغرناطة**، وبعضه **ببرجة**، وهو مما يعجبني، وأظنه كتبه لك، وهو غريب المنزع، وإنه لكما قال[6]:

---

[1] في الكتيبة الكامنة: ((من كل)).
[2] نفسه: ((وناحوا)).
[3] نفسه: ((فباحوا)).
[4] في الكتيبة الكامنة: ((يا أخت)).
[5] نفسه: ((وراحوا))؛ وهو أصح.
[6] هذه القصيدة من البحر الكامل.

خذها على رغم الفقيه سلافة

تُجَلّى بها[1] الأقمار في شمس الضحى

أبدى أطباء القلــوب لأهلهــا

منهــا شرابــاً للنفوس مبرحا[2]

وإذا امرؤ[3] قال في نشوانهـــا

قل أنت[4] بالإخلاص فيمن قد صحا

يا قوتة[5] دارت على أربابهـــا

فاهتــزت الأقدام منها واللحـــا

مزجت فغار الشيخ من تركيبهـــا

فلذاك جردها وصاح وسرحا[6]

فبدت[7] فغار الشيخ من إظهارهـــا

فاشتـــد يبتدر الحجاب ملوحا

---

[1] في الزيتونـة: ((بـه)).

[2] في الكتيبـة: ((للنفـس مفرحـا)).

[3] كتبت في ج: ((المـرأى))، وفي الزيتونـة والملكيـة: ((المـرء)). وفي الكتيبـة: ((المـرائي))؛ وهـو أسلـم.

[4] في الملكيـة: ((مـا أنـت)).

[5] حرفت في ج، والملكيـة فكتبت: ((يـا قـوة)). وفي الكتيبـة: ((يـا قهـوة)).

[6] في الكتيبـة: ((وصرحـا)).

[7] نفســه: ((وبـدت)).

لا تعترض أبـــداً على مسترفد[1]

قد غار من أسرارها[2] أن يفضحا[3]

وكذاك لا تعتب على مستهتر

لم يدر ما الإيضاح لما أوضحـــا

سكران[4] يعثر في ذيول لسانه

كفـــراً ويحسب أنه قد سبحـــا

كم الهوى حرب[5] بعــض وبعـــ

ـــض ضاق ذرعاً بالغرام فبرحا

لا تخشيـــن[6] على العدالة هاتفاً

ثغر[7] ارتياح العاشقين فجرحا[8]

الحب خمر العارفين وقد ضفـــت[9]

حتماً على من ذاقها أن يشطحـــا

---

[1] في الكتيبـة: ((مستهتـر)).
[2] في الزيتونـة: ((أستارهـا)).
[3] في الكتيبـة: ((تفضحـا)).
[4] في ج: ((بسكـران)).
[5] في الكتيبـة الكامنـة: ((كتم الهـوى حريـة))؛ وهـو أصـوب وأسلـم.
[6] نفسـه: ((لا تحسبـن)).
[7] في ج: ((نقـر)). وفي الكتيبـة: ((نقـد)).
[8] في الكتيبـة: ((مبرحـا)).
[9] نفسـه: ((خمـر العاشقيـن وقـد قضـت)).

فاشطح على هذا الوجود وأهلـــه
عجباً فليس براجح من رجحا
كبر عليهم إنهم موتى عــلى
غير الشهـــادة ما أغر وأقبحا
واهزأ بهم فمتى يقل نصحاؤهــم
أهج[1] فقل حتى ألاقـــي مفلحـــا
وإذا أريبهـــم[2] استخف فقل له
بالله يا يحيى بن يحيى دع جحـــا
أبني سُلَيْـــم قد نجا مجنونكـــم
مجنون ليلى العارفين[3] به قد محـــا
هل يستوي من لم يبح بحبيبه
مع من بذكر حبيبه قد أفصحا[4]

[1] في الكتيبـة: ((أفلـح)).
[2] في ج، والملكيـة: ((زرهـم)). وورد الشطـر في الكتيبـة هكـذا: ((وإذا رزينـهـم استخفـك فقـل لـه)).
[3] في الكتيبـة: ((العامريـة)).
[4] نفسـه: ((صرحـا)).

فافرح وطب وأبهج[1] وقل ما شئتــه[2]

ما أملــح الفــقراء يا ما[3] أملحـــا

ومن مقطوعاته التي هي آيات العجايب، وطرر حلل البدايع في شتى الأغراض والمقاصد، قوله يعتذر لبعض الطلبة، وقد استدبره[4] ببعض حلق العلم **بسبتة**[5]:

إن كنت أبصرتك لا أبصرت

بصيـــرتي في الحق برهانها

لا غـــرو أني لـــم أشاهدكـــم

فالعيـــن لا تبصـــر إنسانهـــا[6]

---

[1] في الكتيبة: ((وارهج)).
[2] نفسه: ((شئته))
[3] في الزيتونة والملكية: كتب: ((ما)) مع حذف ((يا)).
[4] في الملكية والزيتونة: ((استدركه)).
[5] هذان البيتان من البحر السريع؛ وهما موجودان في الكتيبة الكامنة، وتاريخ قضاة الأندلس، ونفح الطيب.
[6] يقصد إنسان العين؛ أي بؤبؤها.

ومنها قوله في غرض التورية، وهو بديع في معناه[1]:

يلومونني بعد العذار على الهوى

ومثـــلي في وجدي له[2] لا يفنـــد[3]

يقولون لي[4] أمسك عنه قد ذهب الصبــا

وكيف يُرى[5] الإمساك والخيط أســـود

ومنها قوله في المجبنات[6]، وهو من الغريب البديع[7]:

ومصفـــرة الخديـــن مطوية الحشـــا

على[8] الجبن والمصفر يؤذن بالخوف

لها هيئة[9] كالشمـــس عند طلوعهـــا

ولكنها في الحين تغرب في الجوف

---

[1] البيتان من البحر الطويل. وهما موجودان في الكتيبة الكامنة، وتاريخ قضاة الأندلس، ونفح الطيب.

[2] في ج: ((بـه)). وفي الكتيبة الكامنة، وتاريخ قضاة الأندلس: ((حبي)).

[3] أي لا يكذب.

[4] في الكتيبة وبقية المصادر: ((يقولون أمسك))؛ وهو أسلم للوزن.

[5] في الكتيبة وبقية المصادر: ((أرى)).

[6] هكذا وردت في نفح الطيب؛ بينما كتبت في النسخ الثلاث: ((المجنبات)). ((المجنبات)). وقد اعتمد عنان ما ورد في نفح الطيب؛ هو الصحيح.

[7] البيتان من البحر الطويل. وهما موجودان في الكتيبة الكامنة، وتاريخ قضاة الأندلس، ونفح الطيب.

[8] في الكتيبة: ((عن)).

[9] في نفح الطيب وبقية المصادر: ((بهجة)).

ومنها قوله في النصح، ولها حكاية تقتضي ذلك[1]:

لا تبذلـــن نصيحـــة إلا لمـــن

تلـــقى لبذل النصح منه قبـــولا

فالنصح إن وجد القبول فضيلة

ويكون إن عدم القبول فضـــولا

ومنها في الحكم[2]:

ما رأيت الهمـــوم تدخـــل إلا

من دروب العيـــون والآذان

غض طرفاً وسد سمعاً ومهما[3]

تلق هماً فلا تثـــق بضمـــان

ومنها قوله، وهو من المعاني المبتكرات[4]:

حزنت عليك العين يا مغنى الهـــوى

فالدمـــع منهـــا بعد بعدك ما رقا[5]

---

[1] البيتـان مـن بحـر الكامـل.
[2] البيتـان مـن البحـر الخفيـف. وهمـا أيضـا في الكتيـة الكامنـة.
[3] في الكتيبـة: ((سمعـاً وإن)).
[4] البيتـان مـن البحـر الكامـل. ويوجـدان في الكتيبـة والكامنـة، ونفـح الطيـب.
[5] سقطـت الهمـزة للضـرورة الشعريـة. ومعنـى: رقـأ: جـف.

ولذاك قد[1] صُبِغَتْ[2] بلــون أزرق

أو ما ترى ثوب المآتــم أزرقــا

ومنها قوله في المعاني الغربية، قال: ومما نظمته في عام أربعة وأربعين[3] في التفكر في المعاني، مغلق العينين[4]:

أبحــث فيمــا أنــا حصلتــه

عند انغماض العين في جفنها

أحسبــنى كالشــاة مجتــرة

تمضغ ما يخرج من بطنهــا

---

[1] في الكتيبة والنفح: ((ما)).
[2] في نفح الطيب: ((ظهرت)).
[3] 744هـ/1343م.
[4] البيتان من البحر السريع.

وقال: ومما نظمته بين **أندرش وبرجة**[1] عام أربعة وأربعين[2]، وأنا راكب مسافر، وهو مما يعجبني، إذ ليس كل ما يصدر عني يعجبني. قلت وبحق أن يعجبه[3]:

تطالبني نفسي بما ليـــس لي به
يَدَانِ[4] فأعطيهـــا الأمان[5] فتقبـــل

عجبت لخصم لـــج في طلباتـــه
يصالـــح عنهـــا[6] بالمحال فيفصل

] قال: ومما نظمته في السنة المذكورة من ذم النساء[7]:

ما رأيت النســـاء يصلحـــن إلا
للذي يصلـــح الكنيف من أجله[8]

---

[1] هاتـان البلدتـان ـ تابعتـان للمريـة. إذ تتواجد أنـدرش إلى الشـرق مـن النـهر الأخضـر؛ بينمـا تقـع برجـة في الجهـة الغربيـة منـه؛ ليس بعيـداً مـن مصبـه. وكانـت أنـدرش هـذه؛ مقـراً لآخـر سلاطيـن غرنـاطـة أبي عبـد الله محمـد؛ بعد سقـط غرنـاطـة سنـة 898هـ/1492م؛ إذ بـقي في هـذه البلـدة حـوالي سنتيـن قبـل أن يعبـر إلى المغـرب؛ مسجـلا نـهايـة الحكـم الإسـلامي بتلـك الديـار.

[2] 744هـ/1343م.

[3] البيتـان مـن البحـر الطويـل. وهمـا في الكتيبـة، والنفـح.

[4] أي بمـا ليـس لي قـدرة عليـه.

[5] في ج: ((الأمـاني)). وفي الكتيبـة: ((وأعطيهـا الأمـاني)).

[6] في الكتيبـة: ((عنـه)).

[7] البيتـان مـن البحـر الخفيـف. وهمـا أيضـا في الكتيبـة.

[8] في الكتيبـة: ((للـذي يصلـح الكنيـف لأجلـه)). وهـذا اسلـم.

فعـــلى هذه الشريطة صالحـــ

ـــهن[1] لا تعد بأمـــرئ عن محله][2]

قال: ومما نظمته في السنة المذكورة[3]:

قد هجرت[4] النساء دهراً فلم أبـــ

ـــلغ آذاني[5] صفاتهـــن الذميمـــهْ

ما عسى أن يقال في هجو من قد

خصه المصطفى بأقبـــح شيمـــهْ

أو يبـــقى لناقـــص العقل والديـــ

ـــن إذا عـــدت المثالـــب قيمـــهْ

وقال: وما نظمته في تاريخ لا أذكره الآن، هذان البيتان، ولم أر معناهما لمن مضى. ولو رحل رجل إلى **خراسان**، ولم يأت إلا بهما، كان ممن لم يخفق مسعاه، ولا أجدب مرعاه، ينفتح بهما للقلب باب من الراحة فسيح، إذا أجهده ما يكابد من المضاضة، ونقض العهود،

---

[1] في الكتيبة: ((فاصحبهن)).
[2] ما بين الحاصرتين ساقط في الزيتونة.
[3] هذه الأبيات من البحر الخفيف. وهي موجودة في الكتيبة الكامنة.
[4] في الكتيبة: ((قد هجوت)).
[5] في الزيتونة والملكية: ((أذني)). وفي الكتيبة ((أذاني))؛ وهو أسلم.

واختلاف الوعود. وهذه المحنة من شر ما ابتلي به **بنو آدم**، شنشنة نعرفها من أمرهم: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ﴾[1]:

رعى الله إخوان الخيانة إنهم
كفونا مؤونات البقا[2] على العهد
فلو قد وفوا كنا[3] أسارى[4] حقوقهم
نراوح بين[5] النسيئة والنقد

وقال يداعبني، وعلى سبيل الكناية يخاطبني، ولقد لقيت[6]، رجلاً ببلاد الهند يعرف **بأبي البركات ابن الحاج**، وكان بَرِد[7] في بستان كان له، فقلت أهجوه عام أربعة وأربعين وسبعمائة[8]:

---

[1] الآية كاملة هكذا: (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً). سورة طه؛ الآية: 115. أما البيتان التاليان فهما من البحر الطويل.

[2] في الكتيبة والنفح: ((البقاء))؛ وهو أسلم.

[3] في تاريخ قضاة الأندلس: ((ولو قربوا كنا...))

[4] في النسخ الثلاث كتب: ((أسرى))؛ فرأى عنان: أن كلمة ((أسارى))؛ أسلم للوزن.

[5] في النفح: ((نراوح ما))؛ وهو أسلم.

[6] في الزيتونة: ((رأيت)).

[7] في الزيتونة والملكية: ((برداً)).

[8] 744هـ/1343م. والبيتان التاليان من البحر الكامل.

قالـــوا أبو البركات جَمَّ[1] مـــاؤُه
فغدا أبو البركات لا أبا البركات[2]

قلنـــا لأن يكـــنى بموجوداتـــه
أولى من أن يكنى بمعدومـــات

ومما نظمته عام خمس وأربعين وسبعمائة[3]:

قد كنت معذوراً بعلـــمي وما
أبث من وعـــظي بيـــن البشر[4]

من حيث قد أملت إصلاحهم
بالوعظ والعلم فخـــان النظـــر

فلم أجد أوعظ للنـــاس مـــن
أصوات وعاظ جلـــود البقـــر

---

[1] حرفت فكتب في ج: ((هم))، وفي الملكية: ((ضم)). وكلمة جمَّ ماؤه تعني: أنه كثر وتجمع.

[2] صوبها د. طويل؛ فجعلها: ((لا البركات))؛ وهو أسلم.

[3] الموافق لـ 1344م. والأبيت التالية من البحر السريع؛ وهي موجودة في الكتيبة الكامنة.

[4] وردت هذا البيت في الكتيبة الكامنة هكذا:
((قد كنت معرورا بوعظي وما * أبث من علمي بين البشر)).

ومما نظمته **بمرسى تلهى، من بلد هنين**[1]، عام ثلاثة وخمسين[2]، وقد أصابني هوس في البحر وخاطبت به بعض الأصحاب[3]:

رأسي به هوس جديد لا الذي

تدريه من هوس قديـــم فيـــه

قد حل ما أبديه من هذا كمـــا

قد حل من ذاك الذي أخفيـــه

ومن الملح قوله، قال: وبت بحمام الخندق من داخل **ألمرية** ليلة الجمعة الثامن من شهر محرم؛ عام اثنين وثلاثين[4] منفرداً، فطفي المصباح[5]، وبقيت مفكراً، فخطر ببالي ما يقول الناس من تخيل الجن في[6] الأرحاء والحمامات، وعدم إقدام كافة الناس إلا ما شذ عند دخولها منفردين بالليل، لا سيما في الظلام، واستشعرت

---

[1] هنين: هو المرسى الرئيس لمملكة تلمسان بالجزائر. وتبعد عنها بمائة كلم تقريباً. ويبدو أن د. طويل خلط بينها وبين بلدة في جنوب لبنان.

[2] الموافق لـ 1352م.

[3] البيتان من البحر الكامل.

[4] 732هـ/1331م.

[5] كلمة ((مصباح)) ساقطة في ج .

[6] ((في))؛ ساقطة في ج.

قوة في نفسي عند ذلك، أعراض وأوهام، فقلت مرتجلاً، رافعاً بذلك صوتي[1]:

زعـــم الذيـــن عقولهـــم قدرهـــا
إن عرضت للبيع غيـــر ثميـــن
أن الرحا معمورة بالجـــن والـــ
ـــحمـــام عندهم كـــذا[2] بيقيـــن
إن كان ما قالـــوه حقاً فاحضروا
للحرب هذا اليـــوم من صفيـــن
فلئـــن حضرتم فاعلمـــوا بحقيقة
بأني مصارع قيـــس المجنـــون

قال: ودخلت رياضاً يوماً، فوجدت كساء منشوراً للشمس لم أعرفه من حوايجي، ولا من حوايج حارسة البستان، فسألتها فقالت، هو لجارتي فقلت[3]:

---

[1] **هذه القطعة من البحر الكامل.**
[2] **كلمة ((كذا)) أضافها عنان.**
[3] **هذه القطعة من البحر الكامل.**

من منصفي من جارتي[1] جارت على
مالي كـــأني كنت من أعدائهـــا
عمدت إلى الشمس التي انتشرت[2] عـــلى
أرضي وأمت فيه يبس كسائهـــا
لولا غيـــوم يوم تيبـــس الكســـا
سرت لحجب السحب جل ضياءهـــا
لقضيـــت منهـــم الخسار لأنـــني
أصبحـــت مزوراً عـــلى بخلائها

قلت، وصرت إلى مَغْنًى[3] **بحمة بجانة**[4] وسار معي كلب كان يحرس رياضي اسمه **قَطْمير**، وهو فيما يُذْكر كَلْب **أهل الكهف**، في بعض الأقوال، فتبعني من **ألمرية** إلى **الحمة**، ثم من **الحمة** إلى **ألمرية**، فقلت[5]:

---

[1] في الزيتونـة: ((جاريتي)).
[2] في الملكيـة: ((انتثـرت)).
[3] في ج: ((مـالي))؛ وصوبت مـن الزيتونـة.
[4] في ج: ((مـالي))؛ بـدلا مـن ((معنى)). وكلمـة ((مغنًى)) جمعهـا معـاني؛ ومعناهـا: المنـزل؛ إذ يقولـون: خربت مبانيهم وخلت مغانيهم. أمـا حمـة بجانـة فتسمى بالإسبانيـة Pechina؛ وتتواجد في الشمـال الشرقي مـن ألمريـة؛ وتحـاذي نهـر أنـرش.
[5] هذه القصيدة مـن بحـر المتقـارب.

رحلت وقطميـــر كلبي رفيقي

يونـــس قلبي بطـــول الطريـــق

فلما أنخـــت أنـــاخ حـــذائي

يلاحظني لحـــظ خـــل شفيـــق

ويـــرعى أذمة رفـــقي كمـــا

يتغـــنى الصديـــق الصـــدوق

عـــلى حيـــن قومي بني آدم

بلؤمهـــم لـــم يوفـــوا حقـــوق

ولا فرق بين الأباعد منهـــم

وبيـــن أخ مستحـــب شفيـــق

أو ابـــن مـــتى تلقـــاه تلقـــه

هويّ اشتيـــاق بقلـــب خفـــوق

فمـــا منهـــم من ولي حميـــم

ولا ذي إخاء صحيـــح حقيـــق

وناهيـــك ممن يفضـــل كلبـــاً

عليهـــم فيا وليهـــم من رفيـــق

ألا من يرقّ لشيـــخ غريـــب

أبي البركـــات الفـــتى البلفيـــق

وقال: ومما نظمته بتاريخ لا أذكره هذان البيتان[1]:

وأين الخير من[2] زماني وأهله

عـــلى أنني للشـــر أول سابـــق[3]

لحا الله دهراً قد تقدمت أهلـــه

فتلك لعمر الله إحدى البوايـــق

ومن النزعات الشاذة الأغراض[4]:

لا بـــارك الله في الزهـــاد إنهـــم

لم يتركوا عرض الدنيا لفضلهـــم

بل أثقلتهـــم تكاليـــف الحياة فلم

يصايروهـــا فملوا ثقل حملهـــم

وعظم الناس منهـــم تركها فغدوا

من غبطة الترك في حرص لأجلهم

---

[1] وهما من البحر الطويل. ويوجدان في تاريخ قضاة الأندلس.
[2] في ج: ((عن)). وفي تاريخ قضاة الأندلس: ((وإني لخير)). وهو أسلم.
[3] في تاريخ قضاة الأندلس: ((أول سائق)).
[4] القصيدة من بحر البسيط.

نعم أسلـــم أن القوم إذ زهـــدوا

زاداً وأعلى الناس طراً فضل تركهم

من حيث قد أحرزوا الترجيح دونهم

لا شيء أبين من ترجيح فضلهم

فالمال والجود والراحات غاية ما[1]

يحكى لنا الزهد في ذا عن[2] أجلهم

والزاهدون براحات[3] القلوب مع الـــ

ـــأ بـــدان سروا وعزوا بعد ذلهم

فكل ما فرقوا قد حصلوا غرضاً[4]

منه وزادوا ثناء النـــاس كلهـــم

قال: ومما نظمته عام أربعين[5] في ذم الخمر من جهة الدنيا، لا من جهة الدين، إذ ليس بغريب[6]:

---

[1] في ج: ((الراحة)).
[2] في الملكية: ((في ذاك))، وفي ج: ((فيه))؛ وفي الزيتونة: ((في))؛ فصبت.
[3] في ج: ((براحة)).
[4] في ج: ((عوضاً)).
[5] 740هـ/1339م.
[6] هذه القصيدة من البحر الطويل.

لقد ذم بعض الخمر قــوم لأنهـــا

تكر عـــلى دين الفـــتى بفســـاد

وقد سلمـــوا قول الذي قال إنهـــا

تحـــل من الدنيـــا بأعظـــم نـــاد

وتذهـــب بالمال العظيم فلن ترى

لمدمنهـــا مـــن طـــارف وتـــلاد

فيمسي كريماً سيـــداً ثم يغتـــدي

سفيهـــاً حليف الغي بعد رشـــاد

وقالوا تسلَّى وهو عاريـــة لهـــا

وإلا فلـــم يأتـــوا لـــذاك بشـــاد

وصلة ونـــور[1] وحسنـــاء طفلـــة

ومَرْأى به للطريف سيـــر جواد

وهل[2] يُـــداوَى من مرارتها التي

أواخرهـــــا مقرونـــــة بمهـــاد

[1] في ج: ((نـوار)). وصوبهـا د. طويـل فجعلهـا: ((وصـل ونـور)).

[2] صوبهـا د. طويـل؛ فجعلهـا: ((وهـلا))؛ وهـو أسلـم.

ولو أُشْرِب الإنسان مهلاً بهـــذه

لأصبـــح مسروراً بأطيـــب زاد

ومن حسن حال الشاربين يُقَيُّـــؤ

نهـــا بالرغم من بـــرق وســـاد

ومن حسن ذا المحروم أن مدامه

إذا غلبت تكســـوه ثـــوب رقـــاد

فيختلف الندمـــان طراً لروحـــه

ويحدوهـــم نحو المروءة حـــادي

ومن حسنه بين الورى ضرب ظهره

فيمـــسي بلا حرب رهيـــن جلاد

مجانين في الأوهام قد ضل سعيهـــم

يخففـــون بيعـــاً بحســـن غـــواد[1]

---

[1] في الملكيـة: ((وغـاد)).

ومن نظمه في الإنحاء على نفسه، واستبعاد وجوه المطالب في جنسه، مما نظمته يوم عرفة؛ عام خمسين[1]؛ [وأنا مُنْزَوٍ في غارٍ][2] ببعض جبال **ألمرية**[3]:

زعموا أن في الجبال قوماً[4] صالحين[5] قالوا من الأبدال
وادعوا أن كل من ساح فيها فسيلقاهم على كل حال
فاخترقنا تلك الجبال مراراً بنعال طوراً ودون نعال
ما رأينا فيها سويّ[6] الأفاعي وشبا[7] عقرب كمثل النبال
وسباعاً[8] يخترون بالليل عدواً[9] لا تسلني عنهم بتلك القيال[10]
ولو كنا[11] لدى العدوة الأخـ ـرى رأينا نواجذ الريبال[12]

---

[1] 750هـ/1349م.
[2] أضيف ما بين الحاصرتين من نفح الطيب.
[3] هذه القصيدة من بحر الخفيف. وهي موجودة أيضاً في نفح الطيب.
[4] في نفح الطيب: ((رجالاً))؛ وهو أسلم.
[5] صوبها د. طويل؛ فجعلها ((صالحينا))؛ وهو أسلم.
[6] في نفح الطيب: ((خلاف)).
[7] شبا العقرب: هي الإبرة التي في ذيلها التي تلسب بها.
[8] في ج، والزيتونة: ((وسباع)).
[9] في النفح: ((يجرون بالليل عدوا))؛ وهو أسلم.
[10] نفسه: ((الليالي)).
[11] في النفح: ((أنَّا))؛ وهو أسلم.
[12] الرئبال: هو الأسد. وكتب (ريبال))؛ بالياء للتخفيف وهو مذهب المغاربة والأندلسيين.

وإذا أظلم الــدجى جاء إبليـــ ــس إلينا يزور طيف الخيال[1]

هو كان الأنيس فيها ولولا ه أصبيت عقولنا بالخبال

خل عنك المحال يا من تعنى ليس تلقى[2] الرجال غير الرجال

قال: ومن المنازع الغريبة ذم الأصحاب ومدح[3] الأعداء، فمن ذلك قولي[4]:

جزى الله بالخير [أعداءنا][5]

فموردهــم أنسى[6] المصدر

هم حملونا على العرف كرهاً

وهم صرفونا عن المنكــر

وهم أقعدونا بمجلس حكم

وهم بوؤونا ذرى المنبــر

وهم صيرونـــا أئمـــة علــم

ودين وحسبك من مفخــر

---

[1] في النفح: ((خيـال)) بـدون ألـف ولام.
[2] نفسـه: ((ليـس يلـقى)).
[3] كتـب في النسـخ الثـلاث: ((وذم))؛ فاستبـدل عنـان بهـا كلمـة: ((ومـدح))؛ ليستقيـم المعنـى.
[4] بحـر المتقـارب.
[5] مـا بيـن الحاصرتيـن مـن نفـح الطيـب.
[6] في الملكيـة: ((أنـى)).

عدوي بأول فــدي مأثــم

وإن جيت بالإثم لم يعــذر

وأنت ترى تمحيص من يعد

ل [بيــن المُسيءِ وبين البــرِ][1]

ولا زود اللـــه أصحابنـــا

بـــزاد تـــقيٍّ ولا خيّــــر

هم جرؤونا على كل إثــم

وما كنت لولاهم بالمخبـــر[2]

وعدوا من إكبـــار آثامنـــا

فكانـــوا أضر من الفاتـــر[3]

أعارني القوم ثوب التـــقى

وإني مما أعاروني بـــري

إذا خدعوني ولم ينصحوا

وإني بالنصح منهـــم حـــر

---

[1] ما بين الحاصرتين كتب في ج: ((يعادل بين المسيء والبر)). والبريء حذفت الياء منها للضرورة الشعرية.

[2] في ج: ((بالخبر)).

[3] في ج: ((الفتر)).

فمن كان يكذب حال الرضى

يصدق في غضـــب يفتـــر

بلى سوف تلقى لدى الحالتين

يحكم النفـــس هوى الفـــر

فيا رب أبق علينا عقولنـــا[1]

نبيـــع بهـــا وبهـــا نشتـــر

قال: وما رأيت هذا المعنى قط لأحد، ثم رأيت بعد ذلك لبعضهم ما معناه[2]:

عداتي لهم فضل عـــلي ومنة

فلا أذهب الرحمن عني الأعاديا

هم بحثوا عن زلتي فاجتنبتها

وهم نافسوني فاكتسبت[3] المعاليـــا

---

[1] في الملكيـة: ((عقـولاً)).
[2] البحـر الطويـل.
[3] في الزيتونـة: ((فارتكبت)).

فوقع حافري[1] على ساق هذا. قال: وما نظمته، متخيلاً[2] أني سابق معناه[3]:

خلسنا ليلة من كف دهـــر ضنيـــن[4] بالليالي الطيبات

سلكنا للهـــوى والعقل فيها مسالك قد جلين عن الشتـــات

قضينا بعض حق النفس فيها وحق الله مـــرعي الثبـــات[5]

فلم نر قبله في الدهر وقتاً بدت حسناته في السيئـــات

ثم رأيت بعد ذلك [على هذا][6]:

لا وليالٍ على المصـــلى سرق في نسكهـــا الذنوب

فوقعت ساقي على حافر هذا المحروم، إلا أني جردت ذلك في المعنى، وأوضحته، وجلوته على كرسي التقعيد والتنجيد، فلولا التاريخ لعاد سارق البرق.

---

[1] حرف في الزيتونة؛ فكتبت: ((حافي)).
[2] حرفت في ج؛ فكتبت: ((مختلاً)).
[3] البحر الوافر.
[4] حرفت في الزيتونة؛ فكتبت: ((ظنين)).
[5] في الزيتونة: ((الأهمات)).
[6] ما بين الحاصرتين من الزيتونة. والبيت التالي من مخلع البسيط.

نثـره

وأما نثره فنمط مرتفع عن معتاد عصره، استنفاراً وبلاغة، واسترسالاً وحلاوة، قلما يعرج على السجع، أو يأمر على التكليف، وهو كثير بحيث لا يتعين عيونه، ولكن نلمع منه نبذة، ونجلب منه يسيراً. كتب إلي عند إيابي من الرسالة إلى ملك **المغرب**، متمثلاً ببيتين لمن قبله، صدر بهما[1]:

يا أيتها[2] النفـــس إليه اذهبي

فحبـــه المشهـــور من مذهـــبي

إيـــأسى[3] التوبـــة من حبـــه

طلوعـــه شمســـاً من المغـــرب

بل محلك[4]، أمثل من التمثيل بالشمس، فلو كان طلوعك على هذه الأقطار شمساً، لأصبح [جلها لك][5] عباد. ولو كان نزولك مطراً لتكيفت الصخور تراباً دمثاً.

---

[1] البحر السريع. ورد البيتان في نفح الطيب؛ ونسبا إلى الشاعر ابن خروف.
[2] في النفح: ((أيتها النفس))؛ وهذا أسلم.
[3] نفسه: ((أيأسني))؛ وهو أسلم.
[4] في ج، والزيتونة: ((نجلك)).
[5] في ج: ((للقايك))، وفي الملكية: ((حلها بك)).

ولولا معرفتنا معشر إخوان[1] الصفا، بإقرار[2] أنفسنا، لحكمنا بأن قلوبنا تمايم لأصدقائنا، ولكن سبقت عيون السعادة، بالكلات فلو تصادف بالرضى محلاً، لأن تحصيل الحاصل محال، لا زلت محروساً، بعين الذي لا تأخذه سنة ولا نوم[3] [مكنوفة ببركة الذي يرومه رايم][4]. والسلام)).

وكتب إليّ عندما تقلدت من رياسة الإنشاء ما تقلدت: ((تخصكم يا محل الإبن الأرضَى ولادة، والأخ الصادق إخلاصاً ووداً، خصكم الله من السعادة بأعلاها مرقى، وأفضلها عقبى، وأحمدها غنى، وأكرمها مسعى، تحية اللهفان[5] إلى أيام لقائك، المسلى[6] عنها بتأميل العود إليها، المزجى أوقاته بترداد الفكر فيها، **محمد بن الحاج**، أبقاه الله، عن شوق، والذي لا إله إلا هو، لم أجد قط

---

[1] كتبت في النسخ الثلاث: ((إخواننا))؛ فصوبها عنان.
[2] جمعها قرارة؛ ومعناها: الأعماق.
[3] إشارة إلى قوله تعالى: (اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ). سورة البقرة؛ الآية: 255.
[4] ما بين الحاصرتين ساقط في الزيتونة والملكية.
[5] كتبت في الزيتونة: ((إسعاد)).
[6] في ج: ((المتسلي)).

مثله إلى ولي حميم. ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾[1]، معرفاً أنني بعلاقمه، وتصليني عن كسره مجامعه[2]، لما اعتنى به من توقلكم بالرتبة، التي ما زال أحباؤكم[3] بها ممطولي بره. على أنك لم تزد بذلك رتبة على ما كنت باعتبار الأهلية، والمكانة العلية، إلا عند الأطفال والأغفال، والمحلقين من النساء والرجال، لكن أفزعتنا هذه المخاطبة المحظية[4] في قالب الجمهور، ولم نسر فيها، على الأصح، لكن على الجمهور. ولو كانت مصارف الوجود بيدي، لوافتك من الوجود، منازل أسمايه منازل، وأوطأتك أفلاكه مراكب، وأوردتك كوثره مشرباً، وأحللتك أرفعه معقلاً، وأقبستك بدره[5] مصباحاً، وأهدتك[6] أسراره تحفاً. تحفاً. وقد تبلغ المقاصد مبالغ لا تنتهي أقاصيها الأعمال، فنحن وما نضمره لتلك الجملة الجليلة الفاضلة، مما الله

---

[1] الآيـة كاملـة هكـذا: (قَـالَ ذَلِـكَ بَيْـنِـي وَبَيْنَـكَ أَيَّمَـا الأَجَلَيْـنِ قَضَيْـتُ فَـلاَ عُـدْوَانَ عَلَـيِّ وَاللَّهُ عَلَـى مَـا نَقُـولُ وَكِيـلٌ). سـورة القصـص؛ الآيـة: 28.

[2] حرفـت فـي ج، والملكيـة؛ فكتبـت: ((مجاحمـه)).

[3] في ج: ((أحباؤهـا)).

[4] في الملكيـة: ((المخطيبـة)).

[5] في ج: ((بـدوره)).

[6] كتبـت في النسـخ الثـلاث: ((وأهديتـك))؛ فصوبهـا عنـان.

رقيب عليه، ومحيط بدقايقه. ولو كانت لهذا العبد الغافل، المأسور في قيد نفسه، المحزون على انتهاب الأيام، رأس عمره في غير شيء، دعوة يساعدها الوجد حتى يغلب على ظنه، أن العليم بذات الصدور، ولاها من قبوله بارقة، لخصك بها، والله شهيد على ما تكنه الأفئدة، وهو حسبنا ونعم الوكيل)).

والفضل جم، والمحاسن عديدة، فلنقصر اضطراراً، ولنكف[1] امتثالاً للرسم، وانقياداً، أمتع الله به.

***

---

[1] في ج، والزيتونة: ((ونكف)).

محمد بن عبد الله[1]

ابن منظور القيسي؛ من أهل مالقة؛ يكنى أبا بكر

أوليتـه

أصله من **إشبيلية**، من البيت المشهور بالتعيين والتقدم، والأصالة، تشهد بذلك جملة أوضاع؛ منها: ((**الروض المحظور**[2] **أوصاف بني منظور**)). وغيره.

حالـه

من **كتاب عائد الصلة**: كان جم التواضع والتخلق، كثير البر، مفرط[3] الهشة، مبذول[4] البشر، عظيم المشاركة، سريع اللسان إلى الثناء، مسترسلاً في باب الإطراء، درباً على الحكم، كثير الحنكة، قديم العالة،

---

[1] في ج: ((عبيد الله)). وترجمة محمد بن منظور موجودة في الكتيبة الكامنة، والدرر الكامنة، وكتاب تاريخ قضاة الأندلس؛ حيث ذكر فيه انه: (أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن يوسف بن يحيى بن عبد الله بن منظور.

[2] في ج، وفي تاريخ قضاة الأندلس: ((المنظور)).

[3] في الزيتونة والملكية: ((مفوض)).

[4] في تاريخ قضاة الأندلس: ((مبدول))؛ بالدال المهملة.

بصيــراً بالشــروط، ولي القضــاء بجهــات كثيــرة، وتقــدم **بمالقــة**، بلــده[1] فشكــرت[2] سيرتـه، وحمـدت مدارتـه، وكـان سريـع العَبْرة، كثير الخشية، حسـن الاعتقـاد، معـروف الإيثار والصدقة، شايـع الإقـراء[3] لمن ألـم بصقعـه، واجتـاز على محـل ولايتـه، جاريـاً عـلى سنـن سلفـه، ينظـم وينثـر، فـلا يقصـر.

مشيختـه

قـرأ عـلى الأستـاذ **أبي محمـد بـن أبي السـداد الباهـلي**، ولازمـه وانتفـع بـه، وسمـع على غيـره مـن الأعـلام، كالخطيـب الـولي **أبي عبـد الله الطنجـالي**، والعـدل الروايـة المسـن **أبي عبـد الله بـن الأديـب**، والمسـن **أبي الحكـم مالـك ابـن المرحـل**، وعـلى الشيـخ الصـوفي **أبي عبـد الله محمـد بـن أحمـد[4] الأقشـري الفـاسي**، ولبـس عنـه خرقـة التصـوف،

[1] كتبـت في النسـخ الثـلاث: ((ببلـده))؛ فصوبهـا عنـان.
[2] في تاريـخ قضـاة الأندلـس: ((فحمـدت سيرتـه، وشكـرت طرقتـه...)).
[3] حرفـت في ج؛ فكتبـت: ((القـراء)).
[4] كتـب بعـد هـذا مباشـرة ـ في النسـخ الثـلاث ـ كلمـة ((أميـن)).

وعلى الخطيب **أبي عبد الله بن رشيد**، وعن الشيخ القاضي **أبي المجد بن الأحوص، وعلى بن مجاهد الرندي المعروف بالسمار، والخطيب أبي العباس بن خميس بالجزيرة الخضراء**، وعلى الخطيب الزاهد **أبي عبد الله السلال**. وكتب إليه بالإجازة، **أبو عبد الله بن الزبير**، والفقيه **أبو الحسن بن عقيل الرندي**، والوزير المعمر **أبو عمر[1] الطنجي، وأبو الحكم بن منظور** ابن عم أبيه، والأستاذ **أبو عبد الله بن الكماد**. نقلت ذلك من خطه.

توالیفـه

أخبرني أنه ألف: ((**نفحات المسوك[2]، وعيون التبر المسبوك[3] في أشعار الخلفاء والوزراء والملوك**)). وكتاب ((**السحب[4] الواكفة والظلال الوارفة، في الرد على ما**

---

[1] في الزيتونة: ((أبو علي)). وفي تاريخ قضاة الأندلس: ((أبو عمرو)).
[2] في تاريخ قضاة الأندلس: ((النسوك)).
[3] في ج: ((المسكوك))، والملكية: ((المسوك)).
[4] في تاريخ قضاة الأندلس: ((السجم)).

تضمنه المضنون[1] به على غير أهله من اعتقاد[2] الفلاسفة)). وكتاب ((**الصيب الهتان الواكف بغايات الإحسان المشتمل على أدعية مستخرجة من الأحاديث الصحيحة النبوية وسور القرآن**)). وكتاب ((**البرهان والدليل في خواص سور التنزيل، [وما في قراءتها[3] في النوم من بديع التأويل][4]**...)). **وكتاب** يشتمل على **أربعين حديثاً** في الرقايق. موصولة الأسانيد، وكتاب ((**تحفة الأبرار في مسألة النبوة والرسالة، وما اشتملت[5] عليه[6] من الأسرار**)). وكتاب ((**الفعل المبرور والسعي المشكور فيما وصل إليه أو تحصل لديه من نوازل القاضي أبي عمر بن منظور**)).

---

[1] في الملكية: ((المظنون)). وفي تاريخ قضاة الأندلس: ((المظنون به من اعتقادات الفلاسفة)).
[2] في ج: ((الاعتقاد)).
[3] عبارة ((وما في قراءتها في النوم من بديع التأويل)) سقطت في تاريخ قضاة الأندلس.
[4] ما بين الحاصرتين سقط في الزيتونة.
[5] كتبت في النسخ الثلاث: ((اشتمل)).
[6] كلمة ((عليه)) من الزيتونة.

شعـره

ومـن شعـره قولـه[1]:

ما للعطاس[ولا][2] للفال من أثــر
فثق فديتك[3] بالرحمن واصطبــر

وسلم الأمر فالأحكام ماضيــة
تجري على السن[4] المربوط بالقــدر

***

[1] البحـر البسيـط. والبيتان يوجدان في الكتيبة الكامنة وتاريخ قضـاة الأأندلـس.
[2] كلمـة: ((ولا)) أضافهـا عنـان.
[3] في تاريـخ قضـاة الأندلـس: ((بدينـك)).
[4] في الكتيبـة، وقضـاة الأندلـس: ((علـى السَّنَـن))؛ وهـو أسلـم.

محمد بن علي

ابن الخضر بن هارون الغساني؛ من أهل مالقة؛ يكنى أبا عبد الله؛ ويعرف بابن عسكر[1].

حالـه

من **كتاب الذيل والتكملة**[2]. كان مغرباً[3] مجوداً، نحوياً[4] متوقد الذهن، متفنناً في جملة معارف. ذا حظ صالح من رواية الحديث، تاريخياً، حافظاً، فهيماً[5]، مشاوراً، دؤوباً[6] في الفتوى، متيناً في الدين[7]، تام المروءة، المروءة، سنياً فاضلاً، معظماً عند الخاصة والعامة، حسن الخلق، جميل العشرة، رحيب[8] الصدر، مسارعاً

---

[1] توجد ترجمة محمد بن عسكر أيضاً في التكملة، والذيل والتكملة، وبغية الوعاة، وتاريخ قضاة الأندلس، واختصار القدح المعلى، والمغرب، ونفح الطيب.

[2] كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة؛ لابن عبد الملك المراكشي المتوفي سنة 703هـ/1303م. سبقت الإشارة إليه والتعريف به. أما كتابه هذا فهو موسوعة كبيرة تشتمل على تراجم كثيرة لأعلام من المغرب والأندلس؛ وصل به صاحبه إلى القرن السابع الهجري؛ ويتكون من أربعة مجلدات ضخمة. تم نشر بعضها في بيروت؛ بينما بقيت الأخرى مخطوطة.

[3] في ج: ((مغرياً))، وفي الزيتونة: ((معرباً)). وفي الذيل والتكملة: ((مقرئاً)).

[4] في الذيل، والتكملة: ((نحوياً ماهراً)).

[5] نفسه: ((فقيهاً)).

[6] نفسه: ((درباً بالفتوى)).

[7] نفسه: ((متين الدين)).

[8] نفسه: ((رحب)).

إلى قضـــاء الحوايج[1]، شديد الإجمال[2]، محسنا إلى من أساء أساء إليه، نفاعاً بجاهه، سمحاً بذات يده، متقدماً في عقد الوثائق، بصيراً بمعانيها، سريع البديهة[3] في النظم والنثر، مع البلاغة، والإحسان في الفنين. ولي قضاء **مالقة** نايباً عن القاضي[4] **أبي عبد الله بن الحسن** مدة، ثم ولي[5] مستبداً بتقديم الأمير أبي **عبد الله بن نصر**[6]، يوم السبت لليلتين بقيتا من رمضان؛ عام[7] خمس وثلاثين[8]. وأشفق[9] وأشفق[9] من ذلك وامتنع منه [وخاطبه مستعفياً، وذكر أنه أنه لا يصلح للقيام بما قلده من تلك الخطة تورعاً منه][10]؛ فلم يسعفه. فتقلدها، وسار فيها أحسن سيرة، وأظهر الحقوق التي كان الباطل قد غمرها، ونفذ الأحكام. وكان

---

[1] في الذيل: ((حوائج الناس)).
[2] نفسه: ((الاحتمال)).
[3] نفسه: ((سريع القلم والبديهة في إغشاء نظم الكلام ونثره)).
[4] سقطت كلمة ((القاضي)) في الذيل.
[5] في الذيل: ((وليه)).
[6] مؤسس دولة بني الأحمر. الغالب بالله أبو عبد الله محمد بن يوسف ابن نصر. حكم من سنة 635هـ/1237م إلى سنة 671هـ/1272م.
[7] سقطت كلمة ((عام)) في الذيل.
[8] 635هـ/1237م. هكذا أيضاً في الذيل؛ وقد صوب الخطأ النحوي د. طويل؛ فجعلها: ((خمسة وثلاثين)).
[9] في الذيل: ((فأشفق)).
[10] ما بين الحاصرتين ساقط في الزيتونة والملكية.

ماضي العزيمة، مقداماً، مهيباً، جزلاً في قضائه، لا تأخذه في الله لومة لأئم، واستمر على ذلك بقية عمره.

مشيخته

روى عن: **أبي إسحاق الزوالي**[1]**، وأبي بكر بن**[2] **عتيق بن منزول**[3]**، وأبي جعفر الجيان**[4]**، وأبي حسن الشقوري، وأبي الحجاج بن الشيخ، وأبي الخطاب بن واجب، وأبي زكريا الأصبهاني** مقيم[5] **غرناطة.**

من روى عنه

روى عنه **أبو بكر بن خميس** ابن أخته، **وأبو العون**[6]**، وأبو عبد الله بن بكر الإلبيري**[7]. وحدث عنه بالإجازة، **أبو عبد الله الأبار**[8]**، وأبو القاسم بن عمران،** وكتب بالإجازة **للعراقيين** من[9] **أهل بغداد** الذين استدعوها

---

[1] في ج: ((الزرالي))، بينما كان في موضعها بياض في الزيتونة.
[2] سقطت كلمة ((ابن)) في الذيل)).
[3] في الذيل: ((قنترال)).
[4] نفسه: ((الجيار)).
[5] أي المقيم بغرناطة.
[6] في الذيل والتكملة: ((وابن أبي العيون)).
[7] نفسه: ((وأبو عبد الله ابن أبي بكر البُري)).
[8] نفسه: ((ابن الأبار)).
[9] سقطت كلمة ((من)) في الذيل.

استدعوها من **أهل الأندلس**، حسبما تقدم[1] في رسم **أبي بكر بن هشام**، وضمنها نظماً ونثراً اعترف له بالإجادة فيهما.

تصانيفه

صنف كتباً كثيرة، أجاد فيها وأفاد. منها: **((المشرع الروي في الزيادة على المروي[2]))**. ومنها ((أربعون حديثاً)) التزم فيها موافقة اسم شيخه، اسم **الصابي**[3]، وما أراه سبق إلى ذلك، وهو شاهد بكثرة شيوخه، وسعة روايته، ومنها ((**نزهة الناظر في مناقب عمار بن ياسر**)). ومنها ((**الخبر[4] المختصر، في السلوى[5] عن ذهاب البصر**))، ألفه ألفه **لأبي محمد بن أبي الأحوص[6] الضرير الواعظ**. ومنها ((**رسالة في ادخار الصبر، وافتخار القصر والفقر**))، ومنها ((**الإكمال والإتمام في صلة الإعلام بمجالس[7] الأعلام من**

---

[1] في الذيل: ((تقدم ذكره)).
[2] نفسه: ((على غريبي الهروي)).
[3] نفسه: ((الصحابي)).
[4] نفسه: ((الجزء)).
[5] نفسه، وقضاة الأندلس: ((السُّلوّ)).
[6] نفسه: ((خُرص)).
[7] نفسه: ((بمحاسن)).

أهل مالقة الكرام)). وله اسم آخر، وهو ((**مطلع الأنوار ونزهة الأبصار**[1]**، فيما احتوت عليه مالقة من الرؤساء والأعلام والأخيار، وتقيد من المناقب والآثار**)). واخترمته المنية عن إتمامه؛ فتولى إتمامه ابن أخته **أبو بكر محمد بن خميس** المذكور، وقد نقلت منه في هذا الكتاب.

شعـره

ومن شعره، وقد نعيت إليه[2] نفسه قبل[3] أن تغرب من سماء معارفه شمسه[4]:

ولما انقضى إحدى وخمسون حجة[5]

كأني منها بعد كرب[6] أحلـــم

ترقيت أعلاها لأنظر فوقها

مدى الحتف مني على منه أسلم[7]

---

[1] **في الذيل: ((ونزهة البصائر والأبصار)).**
[2] **في ج: ((إلى)).**
[3] **كلمة ((قبل)) أضافها عنان.**
[4] **وهذه الأبيات موجودة أيضاً في تاريخ قضاة الأندلس. وهي من البحر الطويل.**
[5] **في تاريخ قضاة الأندلس: ((لما انقضت إحدى وخمسون حجة)).**
[6] **في الزيتونة ((بكر)). وفي قضاة الأندلس هكذا: ((كني منها ما تذكرت أحلم)).**
[7] **ورد هذا الشطر في تاريخ قضاة الأندلس هكذا:**
((إلى الحتف مني علني منها أسلم)).

إذا هو قد أدنت إليه كأنمـــا

ترقيت [فيه نجوة] وهو سلم[1]

وقال في أحدب[2]:

وأحدب تحسب في ظهره

جابـــه[3] في نهـــر عايمة

مثلـــث الخلقـــــة لكنـــه

في ظهـــره زواية قايمة

ومن أمثال نظمه قوله، وقد استدعيت منه إجازة[4]:

أجبتـــك لأني[5] لمـــا رمتـــه أهـــل

ولكن ما أجبـــت محتمـــل سهـــل

[وما العلم إلا بحر طال مدانـــه][6]

ومالي محمّ[7] في الورود ولا نهـــل

---

[1] ما بين حاصرتين كتب محرفا في النسخ الثلاث: ففي ج: ((فيها نحوه))، وف الزيتونة والملكية: ((فيه نحوه)).

[2] بحر السريع.

[3] غيرها د. طويل؛ فغدت: ((جاء به)).

[4] البحر الطويل. وتوجد هذه الأبيات أيضاً في الذيل والتكملة.

[5] في الذيل: ((أجبتك لا أني))؛ وهو أسلم.

[6] كتب هذا الشطر في ج هكذا: ((وما العلم البحر طاب مذاقه)). وفي الحالتين ثمة اضطراب وخلل في الوزن.

[7] في ج: ((محمل)).

فكيف أراني أهــل ذاك وقــد أتى

علي المحتيــان[1] البطالة والجهــل

وأسأل ربي العفــو عــني فإنــه

لما يرتجيه العبد من فضل[2] أهــل

مولده

تخميناً [3] في نحو أربع وثمانين وخمسماية[4].

وفاته

ظهر يوم الأربعاء لأربع خلون من جمادى الآخرة؛ عام ستة وثلاثين وستماية[5].

***

[1] في الذيل: ((المميتـان)).
[2] نفسه: ((مـن فضلـه))؛ وهـو أسلـم.
[3] كلمـة ((تخمينـاً)) ساقطـة في الزيتونـة.
[4] الموافق لـ 1188م.
[5] الموافق لـ 1238م. وفي اختصار القدح المعلى: ((ومات بمالقة سنة ثمان وثلاثين وستمائـة)).

محمد بن يحيى

ابن محمد بن يحيى بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن سعد الأشعري[1] المالقي؛ يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن بكر؛ من ذرية[2] بلج بن يحيى بن خالد ابن عبد الرحمن بن يزيد[3] بن أبي بردة. واسمه عامر بن أبي عامر بن أبي موسى واسمه عبد الله بن قيس؛ صاحب رسول الله صلى لله عليه وسلم.
ذكره ابن حزم[4] في جملة من دخل الأندلس من العرب[5].

حاله

من **عائد الصلة**: كان من صدور العلماء، وأعلام الفضلاء، سذاجة ونزاهة ومعرفة وتفنناً. فسيح الدرس، أصيل النظر، واضح المذهب، مؤثراً للإنصاف، عارفاً بالأحكام والقراءات[6]، مبرزاً في الحديث، تاريخاً وإسناداً، وتعديلاً وتجريحاً، حافظاً للأنساب والأسماء والكنى، قايماً على العربية، مشاركاً في الأصول والفروع، واللغة والعروض والفرايض والحساب، مخفوض الجناح، حسن

---

[1] **توجد ترجمة محمد بن يحيى الأشعري في تاريخ قضاة الأندلس، واللمحة البدرية، ونفح الطيب، ونيل الإبتهاج، والدرر الكامنة.**
[2] **في نفح الطيب: ((من ذرية أبي موسى الأشعري)).**
[3] **في تاريخ قضاة الأندلس: ((زيد)).**
[4] **في كتاب جمهرة أنساب العرب.**
[5] **حرفت في ج، والملكية؛ فكتبت: ((المغرب)).**
[6] **في نفح الطيب: ((والقراءة)).**

التخلق[1]، عطوفاً على الطلبة، محباً في العلم والعلماء، مجلاً لأهله[2]، مطرح[3] التصنع، عديم المبالاة بالملبس، بادي الظاهر، عزيز النفس، نافذ الحكم، صوالة. معروف بنصرة [من أزر إليه][4]. تقدم للشياخة[5] ببلده **مالقة**، ناظراً ناظراً في أمور العقد والحل، ومصالح الكافة. ثم ولي القضاء بها، فأعز الخطة، وترك الهوادة، [وإنفاد الحق][6] ملازماً للقراءة والإقراء، محافظاً للأوقات، حريصاً على الإفادة. ثم ولي القضاء[7] والخطابة **بغرناطة** في العشر الأول الأول لمحرم؛ سبعة وثلاثين وسبعمايتة[8]، فقام بالوظايف، وصدع[9] بالحق، وجرح[10] الشهود فزيف

---

[1] في نفح الطيب: ((الخلق)).
[2] سقطت عبارة ((مجلا لأهله)) في نفح الطيب.
[3] في نفح الطيب: ((مطرّحاً للتصنع)).
[4] ما بين حاصرتين ساقط في الزيتونة.
[5] سقطت كلمة: ((شياخة)) في نفح الطيب.
[6] المقصود هنا هو التخلي والبعد عن إهدار الحق، والعمل على إقامته والحرص عليه. وجاء في نفح الطيب: ((وترك الشوائب، وأنفذ الحق)).
[7] في تاريخ قضاة الأندلس: ((ثم ولي قضاء الجماعة؛ فقام بالوظائف....)). وفي النفح: ((ثم ولي القضاء بغرناطة المحروسة؛ سنة 737هـ)).
[8] الموافق لـ 1336م.
[9] أي جهر بالحق.
[10] في النفح: ((وبهرج)).

منهـم مـا ينيــف عـلى السبعيـن[1] عدداً، واستهدف بذلـك إلى معـاداة ومناضلـة، خـاض ثَبَجها[2]، وصـادم تيارهـا، تيارهـا، غير مبـال بالمغبـة[3]، ولا حافـل بالتبعـة[4]، فنالـه لذلـك لذلـك مـن المشقـة، والكيـد العظيـم، مـا نـال مثلـه. حتـى كـان[5] كـان[5] يمـشي إلى الصـلاة ليـلاً في مِسَلَّة. لا يطمئـن عـلى حالـه. جـرت في هـذا البـاب حكايـات إلى أن استمـرت الحـال عـلى مـا أراده الله. وعـزم عليـه الأمير في بعـض مـن الخطـة، ليـرده إلى العدالـة، فلـم يجـد في قناتـه مغمـزاً، ولا في عـوده معجمـاً، وتصـدر لبـث العلـم بالحضـرة، يقـري [6] فنونـاً منـه جمـة، فنفـع وخـرج، ودرس العربيـة والفقـه والأصـول، وأقـرأ القـرآن، وعلـم الفرايـض والحسـاب، وعقـد مجالـس الحديـث،

---

[1] في تاريـخ قضـاة الأندلـس: ((علـى الثلاثيـن عدداً))، وفي النفـح: ((علـى سبعيـن واستهـدف...)).

[2] ثَبْجُ كل شيء: معظمه، ووسطه، وأعلاه؛ وجمعه: أثباج، وثبوج. وجاء في الحديث الشريف: ((خيار أمتي أولها وآخرها؛ بين ذلك ثبج أعوج؛ ليس منك، ولست منه)). وثبج الظهر: معظمه وما فيه من محاني الضلوع. وثبج الرجل ثبوجاً: أي أقعى على أطراف قدميه؛ كأنه يستنجي؛ وقال الشاعر العربي في هذا:

إذا الكمـاة جثمـوا على الركـب * ثبجت يا عمرو ثبوج المحتطب

[3] أي غيـر مبـال بالعاقبـة.

[4] أي مـا يترتـب عـن أفعالـه.

[5] في النفـح: ((حـتى كـان لا يمـشي إلى الصـلاة ليـلا؛ ولا يطمئـن...)).

[6] في الزيتونـة: ((يقـرأ)). وكتبهـا د. طويـل يقـرئ.

شرحاً وسماعاً، على سبيل[1] من انشراح الصدر، وحسن التجمل. وخفض الجناح[2].

وذكره القاضي المؤرخ **أبو الحسن بن الحسن**[3]؛ فقال: وأما شيخنا، وقريبنا مصاهرة، **أبو عبد الله بن أبي بكر**، فصاحب عزم ومضاء، وحكم صادع وقضاء. كان له رحمه الله، مع كل قولة، صولة، وعلى كل رابع لا يعرف ذرة، فأحرق قلوب الحسدة والصُّب، وأعزّ الخطة، بما أزال عنها من الشّوائب، وذهّب وفضّض[4] كواكب الحق الحق بمعارفه، ونفذ في المشكلات، وثبت في المذهلات[5]، واحتج وبكت، وتفقه ونكت[6].

---

[1] في الزيتونة: ((سبل)).
[2] في نفح الطيب: ((جناح)).
[3] هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي (ولد سنة 713هـ/1313م. وكان حياً سنة 793هـ/1390م. وهو صاحب كتاب تاريخ قضاة الأندلس؛ المسمى كتاب المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا.
[4] أي أزال عنها الشوائب، وحولها إلى شكل الفضة والذهب في النصاعة والصفاء.
[5] في نفح الطيب: ((المعضلات)).
[6] في النسخ الثلاث: ((وبكت))؛ فصوبها عنان.

توقيعـه

قال: وحدثنا صاحبنا، **أبو جعفر الشقوري**، قال كنت قاعداً في مجلس حكمه، فرفعت إليه امرأة رقعة، مضمونها أنها محبة في مطلقها، وتبتغي من يستشفع[1] لها في ردّها، فتناول الرّقعة، ووقع في ظهرها للحين من غير[2] مهلة: الحمد لله، من وقف على ما بالمقلوب[3]، فليصغ لسماعه إصاغة مغيث، وليشفع للمرأة عند زوجها، تأسّياً بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم **لبربرة** في **مغيث**[4]. والله يسلم لنا العقل والدين، ويسلك بنا مسالك المهتدين. والسلام يعتمد على من وقف على هذه الأحرف من كاتبها، ورحمة الله. قال صاحبنا، فقال لي بعض

---

[1] في ج: ((يشفع)).

[2] كلمة: ((غير)) أضافها عنان.

[3] يقصد ما كتب على ظهر الورقة. بينما كتب في المصدرين السابقين: ((القلوب، فاليصخ لسماعه)).

[4] وقصة بربرة زوجة مغيث: أنها كرهت زوجها؛ فطلبت الطلاق منه؛ بينما كان زوجها مغيث يحبها حباً شديداً؛ حتى أنه كان بعد فراقها يمشي خلفها في الأسواق ودموعه تسيل على لحيته. فأشفق عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وقال: ((يا عباس ألا تعجب من حب مغيث لبربره، ومن بغض بربره له؟)). ثم طلبها الرسول وقال لها: ((لو راجعته فهو أبو ولدك)). فقالت في إصرار: أهو أمر يا رسول الله؟ قال: ((لا؛ إنما أنا شافع)). قالت: لا حاجة لي فيه.

الأصحاب، هلاّ كان هو الشفيع لها. فقلت الصحيح أن الحاكم لا ينبغي أن يباشر ذلك بنفسه على النصوص[1].

شعره

ولم يسمع له شعر إلاّ بيتين؛ في وصف قوس عربيّ النسب؛ في (شعر من لا شعر له)، وهما[2]:

هام الفؤاد في بنت[3] النبع والنشم

[زوراً[4] تزري بعطف البان والصنم][5]

قوام قامتها تمام معطفها

من يلق مقتلها تصميه أو تصم

[1] في النفح: ((المنصوص)).
[2] البحر البسيط.
[3] صوبها د. طويل؛ فجعلها ((ببنت)). وهو أسلم.
[4] صوبها د. طويل؛ فجعلها ((زوراء))؛ لسلامة الوزن.
[5] كتب الشطر ـ مكان بين الحاصرتين ـ في الملكية هكذا: ((زورا ترى بعطف البان والصنم)).

مشيختـه

قــرأ عــلى الأستــاذ المتفنــن الخطيــب **أبي محمد بن أبي السداد الباهلي**[1] القـرآن العظيـم جمعـاً وإفـراداً، وأخـذ عنـه العربيـة والفقـه[2] والحديـث، ولازمـه، وتـأدب بـه. وعلى الشيـخ الراوية[3] الصالـح **أبي عبد الله محمد بن عياش الخزرجي القرطبي**، قرأ عليه كثيراً من كتب الحديث، منها كتاب صحيح مسلم، وسمع عليه جميعه إلاّ دولة واحدة. ومن أشياخه: القاضي **أبو القاسم قاسم ابن أحمد بن حسن بن السكوت**. والفقيه المشاور[4]، الصدر الكبير، **أبو عبد الله بن ربيع**، والخطيب[5] القدوة الولي **أبو أبو عبد الله بن أحمد الطنجالي**، والشيخ القاضي **أبو الحسن ابن الأستاذ العلامة أبي الحجاج بن مصامد**، والأستاذ خاتمة المقريين **أبو جعفر بن الزبير**، والخطيب

---

[1] يسمى عبد الواحد بن محمد بن علي بن أبي السداد الأموي المالقي؛ المعروف بالباهلي؛ وله ترجمة في الإحاطة.
[2] سقطت كلمة: ((والفقه)) في الملكية والزيتونة.
[3] كلمة ((الراوية)) سقطت في الملكية والزيتونة.
[4] كلمة ((المشاور)) سقطت في الزيتونة والملكية.
[5] في الملكية: ((الفقيه)).

المحدث **أبو عبد الله بن رشيد**. والخطيب الولي الصالح **أبو الحسن**[1] **بن فضيلة**، والأستاذ **أبو الحسن بن اللباد المشرفي**[2]. والشيخ الأستاذ **أبو عبد الله بن الكماد السطي اللَّبليسي**. وأجازه من **أهل سبتة**: شيخ الشرفا **أبو علي بن أبي التقى طاهر ابن ربيع**، والعدل الراوية **أبو فارس عبد العزيز بن الهواري، وأبو إسحاق التلمساني**، والحاج العدل[3] الراوية **أبو عبد الله ابن الحصار**، والأستاذ المقري **ابن أبي القاسم ابن عبد الرحيم القيسي، والأستاذ أبو بكر بن عبيدة**، والشيخ المعمر **أبو عبد الله بن أبي القاسم بن عبيد الله الأنصاري**. ومن **أهل إفريقية**: الأديب المعمر **أبو عبد الله محمد بن هارون، وأبو العباس أحمد بن محمد الأشعري المالقي [** نزيل **تونس]**[4]، **ومحمد بن سيد الناس اليعمري، وعثمان بن عبد القوي البلوى**. ومن **أهل مصر**: النسابة **شرف الدين عبد المؤمن بن خلف**

[1] في نفح الطيب: ((أبو الحسين)).
[2] في الملكية: ((المسرفي)).
[3] كلمة ((العدل)) أضيفت من الزيتونة.
[4] ما بين الحاصرتين سقط في الزيتونة والملكية.

الدمياطي. والمحدث الراوية **أبو المعالي أحمد بن إسحاق**، وجماعة غيرهم من **المصريين والشاميين والحجازيين**.

مولده

في أواخر ذي حجة ؛ من عام أربعة وسبعين وستماية[1].

وفاته

فُقِدَ في مُصاب المسلمين يوم المناجزة **بطريف**[2] شهيداً محرضاً[3]، زعموا أن بغلة كان عليها [كبت به][4]، وأفاق رابط الجأش، مجتمع القوى. وأشار عليه بعض المنهزمين بالركوب فلم يكن عنده قوة عليه. وقال انصرف هذا يوم

---

[1] الموافق لـ 1275م. في تاريخ قضاة الأندلس: ((ومولده في أواخر شهر ذي الحجة من عام 673)).

[2] مدينة طريف سبقت الإشارة إليها. والمقصود هنا هي معركة طريف التي حدثت سنة 741هـ/1340م بين جيش النصارى بقيادة ملك قشتالة ألفونسو الحادي عشر وجيش المسلمين المتشكل من الأندلسيين والمغاربة؛ تحت إمرة السلطان أبي الحسن المريني وسلطان غرناطة النصري أبي الحجاج يوسف. حيث حلت بالمسلمين فيها هزيمة قاسية. وفي هذه المعركة استشهد صاحب الترجمة محمد بن يحيى الأشعري.

[3] كلمة ((محرضاً)) سقطت من الملكية والزيتونة.

[4] ما بين الحاصرتين سقط من الزيتونة.

الفرج، إشارة إلى قوله تعالى في الشهداء: { فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ }[1]، وذلك ضحى يوم الاثنين السابع من جمادى الأولى عام أحد وأربعين وسبعمائة[2].

***

[1] الآية كاملة هكذا: [فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ). سورة آل عمران؛ الآية: 170.

[2] الموافق لـ 1340م.

محمد بن أحمد

ابن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن محمد بن علي
ابن موسى بن إبراهيم بن محمد بن ناصر بن حيّون بن القاسم بن الحسن
ابن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب [رضي الله تعالى عنه][1].
حسبما نقل من خطه [2].

أوليتـه

معروفة ؛ [كان وليته مثله][3].

حالـه

هذا الفاضل جملة من جمل الكمال، غريب في الوقار والحصافة، وبلوغ المدى، واستولى على الأمم حلماً

[1] ما بين الحاصرتين ساقط من ج. أما ترجمة محمد بن أحمد الحسني فهي موجودة أيضاً في نثير فرائد الجمان، وبغية الوعاة، والدرر الكامنة، واللمحة البدرية، وشذرات الذهب، وكتاب الوفيات لابن قنفذ القسنطيني، وكشف الظنون، والديباج المذهب، ودرة الحجال، وشجرة النور الزكية، وتاريخ قضاة الأندلس (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)؛ واسمه في عنوان الترجمة: القاضي أبو القاسم الشريف الغرناطي؛ أما في سياق النص: الشيخ الفقيه الأستاذ المتفنن الشريف المعظم أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله الحسنيُّ النسبة، السبتي النشأة. ثم كتاب نفح الطيب؛ إذ اكتفى المقري بذكر اسمه هكذ: ((أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد الحسني السبتي)). ثم قال أنه أحد شيوخ لسان الدين ابن الخطيب.

[2] ينسب إلى سبتة؛ وأحيانا تنسبه بعض المصادر مجازاً إلى غرناطة؛ فيكتب فيها: ((الغرناطي)).

[3] ما بين الحاصرتين ساقط في الملكية والزيتونة.

وأناة، وبعداً عن الريب[1]، وتمسكاً بعرى النزاهة، واستمساكاً مع الاسترسال، وانقباضاً مع المداخلة، معتدل الطريقة، حسن المداراة، مالكاً أزمة الهوى، شديد الشفقة، كثير المواساة، مَغَار حَبْل الصبر، جميل العشرة، كثيف سِتْر الحيا، قوي النفس، رابط الجأش، رقيق الحاشية، ممتع المجالسة، متوقد الذهن[2]، أصيل الإدراك، بارعاً بأعمال[3] المشيخة، إلى جلال المنتمى، وكرم المنصب، ونزاهة النفس، وملاحة الشيبة، وحمل راية البلاغة[4]، والإعلام في ميادين البيان، رحلة الوقت في التبريز بعلوم اللسان[5]، حائز الخصل[6] والفضل[7] في

---

[1] في ج: ((المريب)).
[2] حرفت في ج؛ فكتبت : ((الزهد)).
[3] في النسخ الثلاث: ((بإغفال))؛ فصوبها عنان.
[4] قال فيه عبد الرحمن بن خلدون واصفاً: ((شيخنا أبو القاسم الشريف السبتي؛ شيخ الدّنيا جلالة وعلماً ووقاراً ورئاسة؛ وإمام اللسان حوكاً ونقداً؛ في نظمه ونثره)). التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً، ص: 61.
[5] قال المقري في هذا الغرض: ((كان هذا الشريف آية الله الباهرة في العربية، والبيان، والأدب؛ يكفيه فضلاً أنه شرح الخزرجية، وافترع هضاب مشكلاتها بفهمه؛ من غير أن يسبقه أحد إلى استخراج كنوزها، وإيضاح رموزها؛ وشرح مقصورة أديب المغرب الإمام أبي الحسن حازم ابن محمد القرطاجني الأندلسي؛ التي مدح بها أمير المؤمنين المستنصر بالله أبا عبد الله محمداً الحفصي)). نفح الطيب؛ مج: 5، ص: 189.
[6] سقطت كلمة ((الخصل)) في: بغية الوعاة.
[7] كلمة ((والفضل)) سقطت في: ج.

ميدانها، غريبة[1] غريزة الحفظ. مقنعة الشاهد[2]. مستبحرة النظر، أصيلة التوجيه، برية عن النوك والغفلة، مرهفة باللغة والغريب، والخبر والتاريخ والبيان. وصناعة البديع. وميزان العروض، وعلم القافية وتقدماً في الفقه، ودرساً له، وبراعة في الأحكام، وإتقان التدريس، والصبر، والدؤوب عليه، بارع التصنيف، حاضر الذهن، فصيح اللسان [مفخرة من مفاخر أهل بيته][3].

ولايته

قدم على الحضرة في دولة **الخامس من ملوك بني نصر**[4]، كما استجمع شبابه، يفهق علماً باللسان، ومعرفة بمواقع البيان، وينطق بالعذب الزلال من الشعر، فسهل له

---

[1] في بغية الوعاة: ((عربية)).

[2] نفسه: ((الشمائل)).

[3] ما بين الحاصرتين كتبت في الزيتونة هكذا: ((مفخر أهل بيته)). وقال فيه النباهي: ((ارتحل عن بلده سبتة؛ وقد تملأ من العلوم، وبرع في طريقتي المنثور والمنظم؛ فطلع على الأندلس طلوع الصَّباح عَقِب السّرى، وخلص إليها خلوص الخيال مع سنة الكرى؛ فانْتَظمَ في الحين في سلك كتَبَتِها، وأمْسَى وهو صَدْرُ طَلَبتِها؛ لِمَا كان قد حصل له من الأخذ بأطراف الطّلب، والاستيلاء على غاية الأدب)). تاريخ قضاة الأندلس، ص: 171.

[4] هو السلطان أبو الوليد إسماعيل بن فرج بن إسماعيل ابن يوسف؛ الذي حكم بين سنتي: 713هـ/1314م - 725هـ/1325م.

كنف البر، ونظم في قلادة كتاب الإنشاء[1]، وهو إذ ذاك ثمينة[2] الخزرات، محكمة الرّصف؛ فشاع فضله، وذاع رجله. ثم تقدم[3]، فثقل من طور الحكم، إلى أن قلد الكتابة والقضاء[4] والخطابة بالحاضرة، بعد ولاية غيرها [التي أعقبها **ولاية مالقة]**[5] في الرابع من شهر ربيع الآخر؛ عام سبع وثلاثين وسبعماية[6]. فاضطلع بالأحكام. وطبق مفصل

[1] قال النباهي في ذلك: ((ورئيس الكتَّاب يومئذ الشيخ العلامة أبو الحسن ابن الجَيَّاب؛ الشَّهير بالتَّشَيُّع لأهْل البيت الكريم؛ المَوْسوم بالشِّيَم الرَّضِيَّة، والقلب السَّليم؛ وكان ـ رحمه الله ـ مع أدوات كَماله؛ وما خصّ به في وقته من سَنيّ أحواله، وصالح أعماله؛ مِمَّنْ شَغُفَ بالمذاكرة في الفنون الأدبية، وغوامض أسرار العَربيَّة، والرَّسائل السُّلطانيَّة، والمَسائِل البيانية؛ فألْفى من ذلك كلِّهِ لدَى الشَّريف، الخَليق بصنوف التشريف؛ ما شاءه من معنى رقاق، ولفظ رقراق، وطبع بالمعارف دَفَّاق؛ فجذبه الشيخ إليه، وتلقاه براحتيه)). تاريخ قضاة الأندلس، ص: 171.

[2] حرفت في النسخ الثلاث. ففي ج كتبت: ((ثمنية))، وفي الزيتونة كتبت: ((تمية))، وفي الملكية: ((تمنية)).

[3] ثمة عد من الملاحظات: الأولى: كلمة ((الرصف)): كتبت في الملكية: ((وصف)). والثانية: كلمة: ((فشاع)): أضافها عنان للنص. والثالثة: كلمة ((رجله))؛ كتبت في الملكية: ((أرجله)). والرابعة: عبارة ((ثم تقدم)): سقطت في الزيتونة.

[4] كتب النباهي: ((ثم صرف إلى الاستعمال في الخُطط القاضويَّة صَرْفَ الاستظهار؛ بمعارفه الباهرة الأنوار، وأحكامه القاضية بتأمين الأوطان، وتأميل الأوطار؛ فتقدم بذلك بجهات شتى؛ منها رية... نقل من مالقة إلى غرناطة؛ حضرة الملك، وواسطة السلك... فتقدم بها لتنفيذ الأحكام بعد أن ولي وادي آش بأيام)). تاريخ قضاة الأندلس، ص ص: 171 - 172.

[5] ما بين الحاصرتين ساقط من الملكية والزيتونة.

[6] الموافق لـ 1336م.

مفصل الفضل [ماضي الصريمة، وحي الإجهار][1]، نافذ الأمر. عظيم الهيبة، قليل الناقد، مطعم التوفيق، يصدع في مواقف الخطب بكل بليغ من القول. مما يريق ديباجته، ويشف صقاله، وتبرأ من كلال الخطباء جوانبه وأطرافه. واستعمل في السفارة للعدو ناجح المسعى، ميمون النقيبة، جزيل الحياء والكرامة؛ إلى أن عزل عن القضاء في شعبان من عام سبعة وأربعين وسبعماية[2]. من غير زلة تخفض[3]، ولا هنة تؤثر[4]، فتحيز إلى التحليق لتدريس العلم، وتفرغ لإقراء العربية والفقه؛ ولم ينشب أميره المنطوي على الهاجس، المغري بمثله، أن قدمه قاضياً **بوادي آش**[5]، بنت حضرته، معززة بسندها الكبير الخطة. فانتقل إليه بجملته،

---

[1] ما بين الحاصرتين ساقط من الزيتونة.

[2] الموافق لـ 1346م.

[3] في ج: ((تحفظ)).

[4] قال النباهي: ((ثم إنَّ القدَر جَرَى بتأخيره عن الخُطَّة؛ من غير موجب سخطه. فكان في حالته كالبدر خسف عند الاستقبال... وكان صرف الشريف أبي القاسم عن قضاء الحضرة، والخطابة بها؛ في شهر شعبان من 747هـ؛ فانقطع إلى تدريس العلم، ،إظهار عيونه، والاشتغال بإقراء فنونه)). تاريخ قضاة الأندلس؛ ص: 172.

[5] يقول النباهي: ((ثمَّ إنَّ الولاية حنَّت إليه، ووقفت مُرادَها عليه؛ فعاد إليها؛ والعَوْد أحْمَد. واستمر قيامه بها؛ إلى أن هلك أبو الحجاج مُستقضيه؛ مأموماً به؛ في الركعة الثانية من صلاة عيد الفطر عام 755هـ.)). تاريخ قضاة الأندلس؛ ص: 173.

وكانت بينه وبين شيخنا **أبي الحسن بن الجياب** صداقة صادقة، ومودة مستحكمة، فجرت بينهما أثناء هذه النقلة. بدايع. منها قوله. [يوس عنه خطة][1] القضاء التي اخترعها، ويوليها خطة الملامة[2]:

لا مرحباً بالناشــز الفــارك
إن جهلــت رفعــة مقــدارك
لو أنهــا قد أوتيــت رشدهــا
ما برحت تعشــو إلى نــارك
أقسمت بالنور المبين الــذي
منه بــدت مشكــاة أنــوارك
ومظهر الحكم الحكيــم الذي
يتلــو عليــه[3] طيــب أخبارك

---

[1] العبارة الواردة بين الحاصرتين غير مفهومة؛ ويبدو أنا نسخت بالخطأ. وورد بدلها في تاريخ قضاة الأندلس: ((منها قوله: يرقب خُطَّة القضاء التي اخترعها)).

[2] هذه الأبيات موجودة في تاريخ قضاة الأندلس. وهي من البحر السريع. وقال صاحب الكتاب واصفاً إياها: ((وهذه القطعة قد بلغت الغاية في البراعة، وتمكن البلاغة؛ وإن كان في طيّ ما تضمنته من وصف الخطة الشرعية بالناشز الفارك، وبأنها لم تُؤتَ رشدها ما فيه)). تاريخ قضاة الأندلس، ص: 173.

[3] في تاريخ قضاة الأندلس: ((علينا)).

ما لقيت مثلــك كفــواً لهــا
ولا أوَتْ أكــرم[1] مــن دارك[2]

ثم أعيد إلى القضاء بالحضرة، فوليها، واستمرت حاله وولايته على متقدم سمته من الفضل والنزاهة والمراجعة فيما يأنف فيه من الخروج عن الجادة، إلى أن هلك السلطان[3] مستقضية مأموماً به، مقتدياً بسجدته، يوم عيد الفطر؛ خمسة وخمسين وسبعماية[4]، وولي الأمر ولده[5] **الأسعد**، فجدد ولايته، وأكد تجلته، ورفع رتبته. واستدعى مجالسته.

---

[1] كتبت في النسخ الثلاث: ((الكريم))؛ فصوبها عنان.
[2] ورد هذا البيت في تاريخ قضاة الأندلس هكذ:
((ما ألفت مثلك كفوًا ولا * آوت إلى أكرم من دارك)).
[3] هو أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل؛ سابع سلاطين بني نصر.
[4] الموافق لـ 1354م.
[5] هو الغني بالله محمد بن يوسف بن إسماعيل؛ ثامن سلاطين بني نصر. وهو الذي استوزر ابن الخطيب، وأطلق يده في شئون الحكم. ومات في غرناطة سنة 763هـ/1361م. وله في الإحاطة ترجمة مطولة.

مشيخته

قرأ **ببلده سبتة** على أبيه الشريف الطاهر، نسيج وحده [في القيام][1]. وعلى **أبي عبد الله بن هاني**[2] [وبه جل][3] انتفاعه؛ وعليه جلّ استفادته. وأخذ عن الإمام شيخ المشيخة **أبي إسحاق الغافقي**. وروى عن الخطيب **أبي عبد الله الغماري**، والخطيب المحدث **أبي عبد الله بن رشيد**، والقاضي **أبي عبد الله القرطبي**، والفقيه الصالح **أبي عبد الله بن حريث**، وأخذ عن الأستاذ النظار **أبي القاسم بن الشاط** وغيره.

محنته

دارت عليه يوم مهلك السلطان المذكور [رحى الوقيعة][4]، فعركته بالثقال، وتخلص من شرارها هولاً، لتطارح الأمير المتوثب[5] أمام **ألمرية** عليه. خاتماً في السجدة

---

[1] ما بين الحاصرتين ساقط في الملكية والزيتونة.

[2] ابن هاني السبتي الذي توفي سنة 733هـ/1332م.

[3] هذه العبارة أضيفت من الزيتونة.

[4] هذه العبارة ساقطة في الملكية والزيتونة.

[5] في ج: ((المتبت)).

ودرس الحماة إياه عند الدجلة، من غير التفات لمحل الوطأة. ولا افتقاد[1] لمحل❖[2]............

❖❖❖

.... صلاة تلك الأمة، فغشيه من الأرجل، ورجل الرّبى كثيرة. والتفّ عليه مرسل طيلسانه؛ ساداً مجرى النفس إلى قلبه. فعالج الحمام وقتاً؛ إلى أن نفس الله عنه فاستقل من الرّدى، وانتبذ من مطرح ذلك الوغى، وبودر بالفصاد، وقد أشفى، فكانت عثرة لقيت لماً ومتاعاً، فسمح له المدى آخر من يوثق به من محل البث؛ ومودعات السر من حظيات الملك، أن السلطان عرض عليه قبل وفاته في عالم الحلم، كونه في محراب مسجده، مع قاضيه المترجم به. وقد أقدم عليه كلب أصابه بثوبه، ولطخ ثوبه بدمه، فأهمته رؤياه، وطرقت به الظنون مطارقها، وهم بعزل القاضي، انقياداً لبواعث الفكر،

---

[1] في ج: ((إبتغاء)).

[2] ❖ في هذا الموضع تنتهي مراجعة نسخة الملكية؛ لذا سيتم من هنا؛ مراجعة ما جاء في نسخة: الزيتونة و: ج فقط.

وسداً لأبواب التوقيعات. وقد تأذن الله بإرجاء العزم وتصديق الحلم، وإمضاء الحكم، جل وجهه، وعزت قدرته. فكان من الأمر ما تقرر في محله.

تصانيفه

وتصانيفه بارعة، منها: ((**رفع الحجب المستورة في**[1] **محاسن المقصورة**))[2]، شرح فيها مقصورة الأديب **أبي الحسن حازم**[3] بما تنقطع الأطماع فيه. ومنها ((**رياضة الأبيّ**[4] **في قصيدة الخزرجي**))[5]، أبدع في ذلك بما يدل على

---

[1] في تاريخ قضاة الأندلس: ((عن)).

[2] المقصورة هي قصيدة طويلة نظمها الأديب والشاعر الكبير الإمام أبو الحسن حازم بن محمد القرطاجني الأندلسي؛ مدح فيها السلطان الحفصي المستنصر بالله. أما شرح المقصورة فقد وضعه أبو القاسم محمد بن أحمد الحسني السبتي. وتوجد منه نسخ عديد في الخزائن المغربية. هذا وقد طبعت المقصورة وشرحها في القاهرة سنة 1344هـ.

[3] هو أبو الحسن حازم بن محمد بن حسن بن حازم القرطاجني الأندلسي؛ ولد سنة 608هـ/1211م وتوفي بتونس سنة 684هـ/1285م. من مؤلفاته: سراج البلغاء؛ في البلاغة، وكتاب في القوافي؛ وديوان شعر. أما المقصورة التي نظمها فهي قصيدة طويلة؛ مدح فيها السلطان الحفصي أبا عبد الله محمد المستنصر بالله. أما شرحها الذي أنجزه محمد بن أحمد الحسني؛ فيقع في مجلدين اثنين؛ وقد طبعت هذه المقصورة في القاهرة عام 1344هـ.

[4] في تاريخ قضاة الأندلس: ((الآن في شرح قصيدة الخزرجي)).

[5] في بعض المصادر: شرح القصيدة الخزرجية في العروض والقوافي.

الإطلاع وسداد الفهم، **وقيد على كتاب التسهيل لأبي عبد الله بن مالك** تقييداً جليلاً، وشرحاً بديعاً قارب التمام[1]. وشرع في **تقييد على الخبر المسمى، بدرر السمط في خبر السبط**[2]. ومحاسنه جمة، وأغراضه بديعة[3].

---

[1] سماه: التقييد الجليل على كتاب التسهيل.
[2] الذي ألفه ابن الأبار.
[3] ثم ديوان الشعر المسمى جهد المقل الذي أهداه لابن الخطيب. ثم الدرة النحوية في شرح الأجرومية، وشرح التنبيه لأبي إسحاق الشيرازي، واللؤلؤ والمرجان من بحر أبي البركات بن الحاج يستخرجان، ومختصر في الوثائق. وشرح تسهيل ابن مالك لابن هاني السبتي. المتوفى سنة 733ه،

شعـره[1]

وإما الشعر فله فيه القدح والمعلى، والحظ الأوفى، والدرجة العليا، طبقة وقته، ودرجة عصره. وحجة زمانه، كلامه متكافي في اللفظ والمعنى، صريح الدلالة، كريم الخيم، متحصد الحبل، خالص السبك، وأنا أثبت منه جزماً، خصني[2] به، سماه **جهد المقل**، اشتمـــل مــن حـــر الكـــلام، عــلى مـــا لا كفـــاء[3] لـــه.

---

[1] لـه ديـوان شعر مفقـود يسمى جُهْد المُقل؛ لم يبق منـه سوى مقدمتـه، وبعض المقاطـع؛ منهـا مـا أورده ابـن الأحمـر في نثيـر فرائـد الجمـان؛ مثـل:

دعيـني مـن مقال العاذليـن * وخـلـي بين تهيـامي وبيـني
ومـن يك ساليـا فلديّ حبّ * سلـو القلب عنه غير هيـن

أورد ابـن الأحمـر مـن هذه القصيـدة: 29 بيتـاً. وأرد أيضـاً قولـه:

وأحـور وسنان الجفون مرابـط * سبى حسنه لـبَّ اللبيب وصبـره
حمى ثغره عني بمرهف جفنـة * ولا غرو أن يحمي المرابط ثغـره

وأورد لـه صاحب بغيـة الوعـاة في طبقـات اللغويين والنحـاة؛ بالإضافـة إلى نثيـر فرائـد الجمـان هذيـن البيتيـن:

من مبلغ الرشأ الذي ما عنه لي * صبر ولا لي عن هواه بـراح
وما لاح خالـك والسواد شعاره * إلا انثنيـت ودمـعي السفـاح

وفيـه أيضـاً:

ولا كمنمنـم الخديـن غالـت * بدائـع حسنه حسن اصطباري
رأى الألحـاظ تجرح وجنتيـه * فسنَّ عليهمـا ورد العـذار

وفيـه كذلـك:

وفي عذارك لي عذر أقيم به * عـذر المتيّـم تبكيتـا للاحيـــه
وذاك أني أرى ماء النعيم جرى * في صحن خذك فاخضرت نواحيه

[2] في ج: ((أخصـني)).

[3] في الزيتونـة: ((كفـوء)).

الحمد لله[1] تردده أخرى الليالي، فهو المسئول أن يعصمنا من الزلل[2]، زلل القول. وزلل الأعمال. والصلاة على سيدنا **محمد** خاتم الإرسال. هذه أوراق ضمنتها جملة من بنات فكري، وقطعاً مما يجيش به في بعض الأحيان صدري، ولو حزمت لأضربت عن كتبها كل الإضراب، ولزمت في دفنها وإخفايها دين الأعراب، لكني آثرت على المحو الإثبات، وتمثلت بقولهم [إن خير ما][3] أوتيتْه العربُ الأبيات.

وإذا هي عضت على ذلك المجد، وسألها كيف نجت من الوأد فقد أوتيتها من حرمكم[4] إلى ظل ظليل، وأحللتها من بنايكم، معرساً ومقيل، وأهديتها علماً بأن كرمكم، بالإغضاء عن عيوبها جد كفيل، فاغتنم قلة التهدية مني، إن جهد المقل غير قليل، فحسبها شرفاً أن تبوأت في جنابك كنفاً، وكفاها مجداً وفخراً؛ أن عقدت

[1] هذه الفقرات هي كل ما بقي من مقدمة ديوان جهد لمحمد بن أحمد الحسني.
[2] حرفت في الزيتونة فكتبت: ((الزلال)).
[3] كتبت في الزيتونة: ((إن من أحسن ما)).
[4] في ج: ((كرمكم)).

بينها وبين فكرك عقداً وجواراً، [ومما قلت في حرف الهمزة][1].

مولده

بسبتة في السادس لشهر ربيع الأول[2]؛ من عام سبعة وتسعين وستماية[3].

[1] كتبت هذه العبارة هكذا في النسختين؛ دون أن يلحق بها أي شيء. وقد أورد المقري بعض الأبيات لمحمد بن أحمد الحسني؛ جاء فيها:

وأحْوَرَ زان خديه عذار * سبى الألباب منظره العجاب
أقول لهم وقد عابوا غرامي * به إذ لاحَ للدمع انسكاب

ومن شعره ايضاً قوله:

لولا مضاربُ من آل النبيّ بها * لولا مضاربُ من آل النبيّ بها
لقلت لا جادها صوب الحيا أبداً * إلا بناقع سمٍّ أو عبيط دم
أبعد كتاب عارضه يرجّى * خلاص لي وقد سبق الكتاب

[2] في بغية الوعاة: ((ربيع الآخر))؛ بينما تطابق النص مع ما جاء في تاريخ قضاة الأندلس.

[3] الموافق لـ 1297م. وفي بعض المصادر: ((698هـ)).

وفاتـه

توفي قاضياً **بغرناطة**؛ في أوايل شعبان[1]؛ من عام ستين وسبعماية[2].

***

[1] في تاريخ قضاة الأندلس: ((ووفاته بغرناطة ضحى يوم الخميس الحادي و العشرين لشهر شعبان من عام 760. وفي نفح الطيب: ((وكانت وفاة الشريف المذكور سنة إحدى وستين وسبعمائة)).

[2] الموافق لـ 1358م. ورد في تاريخ قضاة الأندلس: ((ووفاته بغرناطة ضحى يوم الخميس الحادي والعشرين لشهر شعبان من عام 760هـ)). وجاء في نفح الطيب: ((وكانت وفاة الشريف المذكور سنة لإحدى وستين وسبعمائة)).

محمد بن أحمد

ابن عبد الملك الفِشْتالي[1]؛ قاضي الجماعة ببيضة الإسلام فاس، يكنى أبا عبد الله[2].

حالـه

هذا الرجل له أبوة صالحة، وأصالة زاكية، قديم الطلب، ظاهر التخصص، مفرط في الوقار [نابه البزَّة والرّكبة، كثير التهمة، يوهم به الفارّ][3]، وصدر الصّدور في الوثيقة والأدب، فاضل النّفس، محموض النّصح، جميل العشرة لإخوانه، مُجري الصداقة [نصحاً، ومشاركة، وتنفيقاً، على سجية الأشراف وسنن الحسباء][4]، مديد الباع في فن الأدب، شاعر مجيد، كاتب بليغ، عارف بالتحسين

---

[1] نسبة إلى قبيلة أمازيغية تسمى فشتالة؛ تتواجد في الجبال الرابضة شمال مدينة فاس. ذكر في جذوة الإقتباس، وذرة الحجال في أسماء الرجال، وفي التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً؛ حيث ذكر أنه خلف المقري الجدّ في خطة القضاء؛ بعد سخطه السلطان أبو عنان؛ وذلك سنة 756هـ/1355م.

[2] ترجم له النباهي؛ وسماه: ((الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله الفشتالي)). وليس ابن عبد الملك الفشتالي. تاريخ قضاة الأندلس، ص: 170.

[3] ما بين، الحاصرتين ساقط في الزيتونة.

[4] ما بين الحاصرتين ساقط في الزيتونة.

والتقبيح، من أدركه، أدرك علماً من أعلام المشيخة. قدمه السلطان الكبير العالم **أبو عنان فارس**، قاضياً بحضرته[1]، واختصه، واشتمل عليه، فاتصل بعده سعده[2]، وعرف حقه. وتردد إلى **الأندلس** في سبيل الرّسالة عنه، فذاع فضله، وعلم قدره، ولما كان الإزعاج من **الأندلس** نحو النَّبْوَة[3] التي أصابت الدولة، بَلَوْت من فضله ونصحه وتأنيسه، ما أكد الغبطة، وأوجب الثناء، وخاطبته بما نصه[4]:

من ذا يعـــد فضائـــل الفشتـــالي
والدهـــر كاتب آيهـــا والتـــالي
علم إذا التمسوا الفنـــون بعلمـــه
مرعى المشيح[5] ونجعة المكتـــال

---

[1] **قال النباهي: ((وقد كان ولي ـ قبل تقدمه بفاس ـ القضاء أيضاً بإطرابُلُس، وتجول في نواحي إفريقية؛ ثم إنه؛ عند تجوّل البلاد؛ أمّ قطره؛ وقد صلب الدهر أشطره؛ فاستقضي به، وتصدر لأقراء العلم وبثه)). تاريخ قضاة الأندلس، ص: 170.**

[2] **في الزيتونة: ((استعماله)).**

[3] **أي النكسة.**

[4] **البحر الكامل.**

[5] **في ج: ((المهم)).**

نال الذي لا فوقهـا من رفعـة
مـا أمَّلَتهـا حيلـة المحتـال
وقضى قياس تراثـه عن جـدِّه
إن المقـدم فيـه عيـن التـالي

قاضي الجماعة؛ بماذا أثني على خلالك المرتضاة، أبقديمك الموجب لتقديمك، أم بحديثك الداعي لتحمّل حديثك، وكلاهما غاية بعد مرماها، وتحامى المُتَصَوِر حماها، والضالع لا يسام سبقاً، والمنبت لا أرضاً قطع، ولا ظهراً أبقى. وما الظن بأصالة تعترف بها الآثار وتشهد، وأبوة صالحة؛ كانت في غير ذات الحق تزهد، وفي نيل الاتصال به تجهد، ومعارف تقرر قواعد الحق وتمهد، وتهزم الشبه إذا تشهد. وقد علم الله أن جوارك لم يبق للدهر عليّ جواراً، ولا حَتَّ من غصني ورقاً ولا نواراً[1]. هذا وقد زأر على أسد وحمل ثوراً؛ فقد أصبحت في ظل الدولة التي وقف على سيدي اختيارها، وأظهر خلوص

[1] حرفت في النسختين؛ فكتبت: ((نوراً))؛ وقام عنان بتصويبها.

إبريزه معيارها، تحت كنف وعزّ مؤتنف، وجوار أبي دلف، وعلى ثقة من الله بحسن[1] خلف. وما منع من انتساب ما لديه من الفضائل إلا رحلة، لم يبرك بعد حملها، ولا قرّ عملها، وأوحال حال بيني وبين مسور البلد القديم[2] مهْلها. ولولا ذلك لاغتبطت الزايد، واقتنيت الفوايد، والله يطيل بقاءه، حتى تتأكد القربة، التي تنسى[3] بها الغربة، وتعظم الوسيلة، التي لا تذكر معها الفضيلة، وأما ما أشار به من تقييد القصيدة التي نفق سوقها استحسانه، وأنس باستظرافها إحسانه، فقد أعمل وما أمهل، والقصور باد إذا تأمل، والإغضاء أولى ما أمل، فإنما هي فكرة، قد أخمدت نارها الأيام، وغيرت آثارها اللِّيام[4]. وقد كان الحق إجلال مطالعة سيدي من خللها، وتنزيه رجله عن تقبيل مرتجلها. لكن أمره ممتثل، وأتى من

---

[1] حرفت في النسختين: في الزيتونة: ((تجس))، وفي ج: ((مجس)).
[2] أي فاس القديم أو البالي كما تسمى أيضاً؛ وضاحيتها سمى البلد الجديد أو مدينة فاس الجديدة التي يتواجد بها بلاط السلطان.
[3] كتبت في النسختين: ((تتسنى)).
[4] هي اللئام. وتكتب عند المغاربة وأهل الأندلس بتخفيف الهمزة كما سبق ذكره؛ فتغدو: ((الليام)).

المجد أمراً لا مرد له مثل. والسلام على سيدي من معظم قدره، وملتزم بره، **ابن الخطيب**، ورحمة الله.

فكتب إليّ مراجعاً، وهو المليء بالإحسان[1]:

وافت يجر الزهـــو فضلـــة بردهـــا
حسناء قد أضحت نسيجـــة وحدهـــا

للـــه أي قصيـــدة أهديـــت لـــو
يهتدي المعارض نحو غاية قصدها

لابن الخطيـــب بها محاسن جمـــة
قارعت عنه الخطوب ففلت من حدهـــا[2]

ســـر البلاغـــة عنه أودع حافظـــاً
قد صانـــه حتى فـــشى من عندهـــا

في غيـــر عقـــد نفثتـــه[3] بسحرهـــا[4]
فلـــذا أتى سلســـاً منظـــم عقدهـــا

---

[1] البحر الكامل. ويشوب بعض الأبيات خلل في الوزن.
[2] هذا العجز مختل.
[3] في ج: ((نفثت))، وفي الزيتونة: ((نبشت)).
[4] هذا الصدر مختل.

لـــم أدر ما فيهـــا وقمـــت معاونـــاً

من طرسها أو معلمـــاً من بردهـــا

حـــتى دفعـــت بهـــا لأبعـــد غايـــة

باعـــاً تقصـــر في البلـــوغ بحدهـــا

حـــدان من نظـــم ونثـــر إن مـــن

يلقاهمـــا منهـــا بذلـــة عبدهـــا

أولى يـــداً[1] بيضـــاء موليهـــا فمـــا

لي مِزْيَـــةٌ أن أقـــوم بحمدهـــــا[2]

ورفضـــت تكذيـــب المنى متشيعـــاً

لعـــلي مرآهـــا يصـــادق وعدهـــا

فبذلـــت شعري رافعـــاً من برهـــا

وهـــززت عطفي رافلاً من بردهـــا

---

[1] كتبت في النسختين: ((يد)).
[2] هذا الشطر جعله د. طويل هكذا؛ بعد أن أضاف كلمة من)) بعتد ((مزية)): ((لي مِزْية من أن أقوم بحمدها)).

خذها أعز الله جنابك، وأدال للأنس على الوحشة اغترابك، كغبَّة[1] الطائر المتجعد، ونهبة الثاير المستوفز، ومقة[2] اللحظ، قليلة اللفظ، قد جمعت من سوامها وانقحامها، بين نظم قيد، وصلود زند، ونوعت، فعلى إقدامها وانحجامها إلى قاصر ومعتد، وليتني إذا جادت سحابة ذلك الخاطر الماطر الوَدْق، وإنجاب[3] العاني عن مزنة فكرتي، بتقاضي الجواب، انجياب الطوق، وأيقنت أني قد سد علي باب القول وأرتحج، وقلت هذه السالفة الكلية فسدت لها الداعة من تكلم الإمرة [ولم أفه إذ أعوزت المرة بالحلوة][4]، لكني قلت، وجدّ المكثر كجهد المقل، والواجب قد يقل الامتثال فيه بالأقل. فبعثت بها على علاتها، وأبلغتها عذرها؛ في أن كتبت عن شوقها بلغاتها، وهي لا تعدم من سيدي في إغضاء كريم، وإرضاء سليم. والله عز وجل يصل بالتأنيس الحبل، ويجمع الشمل.

---

[1] كتبت في النسختين: ((كتفة)). ومعنى الغُبَّة: البُلغة من العيش؛ وهي كالغُفَّة؛ إذ يقال: ((تكفيه غُفَّة من العيش)). وغفَّة الإناء أو الضرع: بقية ما فيه.

[2] معناها: اللحظ الفاتر.

[3] في النسختين: ((واتجاية)). فصوبت.

[4] ما بين الحاصرتين ساقط في الزيتونة.

والسلام الكريم يخص تلك السيادة ورحمة الله وبركاته.

من **محمد بن أحمد الفشتالي**.

وهو الآن قاض **بفاس** المذكورة، محمود السيرة أبقاه وأمتع به[1].

***

[1] جاء في درة الحجال: ((أخذ عنه بفاس أبو العباس القباب صاحب (شرح القواعد) لعياض. توفي سنة 777))هـ الموافق لـ 1375م. أي بعد عام من وفاة ابن الخطيب.

محمد بن محمد

ابن أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي ابن داود[1] القرشي المقّري[2] يكنى أبا عبد الله؛ قاضي الجماعة بفاس وتلمسان.

أوليته

نقلت من خطه. قال: وكان الذي اتخذها من سلفنا قراراً[3] بعد أن كانت لمن قبله مراراً[4]، **عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي المقّري**[5]، صاحب **أبي مدين**[6]، الذي دعا له ولذريته، بما ظهر فيهم من قبول[7]

---

[1] **موجودة في الزيتونة؛ وغير واردة في نفح الطيب.**

[2] **وهو جد أحمد المقري صاحب كتاب نفح الطيب. له أيضاً ترجمة في: تاريخ قضاة الأندلس، والتعريف بابن خلدون، ونيل الابتهاج، ونفح الطيب، وأزهار الرياض.**

[3] **يقصد تلمسان.**

[4] **في النفح: ((مزاراً)).**

[5] **والمقري نسبة إلى ((مَقَّرَة))؛ المتواجدة بالقرب من المسيلة في الجزائر الآن. ويقول أحمد المقري حفيده؛ في كتابه نفح الطيب: ((وهي مَقَّرَة؛ من قرى زاب إفريقية؛ وانتقل منها جدُّه إلى تلمسان؛ صحبة شيخه ولي الله سيدي أبي مدين رضي الله عنه)). مج: 5، ص: 205.**

[6] **هو الولي الصالح الصوفي أبو مدين شعيب بن الحسين الأنصاري؛ ولد ببلدة قنطلانة التابعة لإشبيلية سنة 520هـ/1126م حسب بعض الأقوال. وتوفي بتلمسان سنة 594هـ/1197م أو 599هـ/1202م كما يقول آخرون. ودفن بالعباد في ضواحي تلمسان؛ وضريحه الآن مزاراً للمتصوفة وعامة الناس.**

[7] **في النفح: ((قبوله)).**

وتبين. وهو أبي الخامس فأنا **محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن**[1]، وكان هذا الشيخ عُرْوي[2] الصلاة، حتى أنه ربما[3] امتحن بغير شيء فلم يؤنس منه التفات، ولا استشعر منه شعور[4]. ويقال إن هذا هذا الحضور مما أدركه من مقامات شيخه **أبي مدين**. ثم اشتهرت ذريته على ما ذكر من طبقاتهم بالتجارة، فمهدوا طريق الصحراء بحفر الآبار وتأمين التجار؛ واتخذوا طبل الرحيل[5]، وراية التقدم[6] عند المسير. وكان ولد **يحيى**[7]، الذي[8] كان أحدهم **أبو بكر**، خمسةَ رجالٍ. فعقدوا الشركة بينهم فيما ملكوه[9]، وفيما يملكونه على السواء بينهم والاعتدال، وكان[10] **أبو بكر ومحمد**، وهما أرومتا

---

[1] أضيفت من نفح الطيب.
[2] يبدو أن المقصود (بالعروي) هو نسبته إلى عروة بن الزبير نظراً؛ لما كان عليه من إكثار الصلاة والدعاء.
[3] كلمة ((ربما)) أضيفت من نفح الطيب.
[4] في النسختين: ((شهور)). وصوبت من نفح الطيب.
[5] في النفح: ((واتخذو طبلا للرحيل)).
[6] نفسه: ((وراية تقدم عند المسير)).
[7] في الزيتونة: ((أولاد)).
[8] في النفح: ((الذي أحدهم)).
[9] نفسه: ((بينهم في جميع ما ملكوه أو ما يملكونه...)).
[10] نفسه: ((فكان)).

نسبي من جميع جهات [الأم والأب][1] **بتلمسان**؛ **وعبد الرحمن** وهو شقيقهما الأكبر **بسجلماسة**، **وعبد الواحد**[2] **وعلي**. وهما شقيقاهم الصغيران، **بإيوالاتن**[3]؛ فاتخذوا هذه[4] الأقطار والحوايط[5] والديار، فتزوجوا[6] [النساء][7]. النساء][7]. واستولدوا الإماء. وكان **التملساني** يبعث إلى **الصحـراوي**[8] [بما يرسم له من السلع. ويبعث إليه **الصحراوي** بالجلد والعاج والجوز والتّبر، **والسجلماسي** كلسان الميزان][9] يعرفهما بقدر الرجحان والخسران[10]، ويكاتبهما بأحوال التجار، وأخبار البلدان، حتى اتسعت أموالهم، وارتفعت في الفخامة[11] أحوالهم.

---

[1] في النفح: ((أمي وأبي)).
[2] في ج: والزيتونة: ((عبد الرحمن))؛ والتصويب من نفح الطيب.
[3] هذه الكلمة ساقطة في الزيتونة. وأي والاتن: موضع في عمق الصحراء؛ ويتواجد الآن في موريطانيا.
[4] في نفح الطيب: ((بهذه الأقطار الحوائط)).
[5] أي مزارع النخيل.
[6] نفسه: ((وتزوجوا النساء)).
[7] أضيفت من نفح الطيب.
[8] في ج: ((الصحراء)). وصوبت من نفح الطيب.
[9] ما بين الحاصرتين ساقط في ج، والزيتونة؛ والإضافة من نفح الطيب.
[10] في النفح: ((بقدر الخسران والرجحان)).
[11] في النفح: ((الضخامة)).

ولما افتتح **التكرور**[1] [كورة][2] **إيوالاتن** وأعمالها، أصيبت أموالهم، فيما أصيب من أموالها؛ بعد أن جمع من كان بها[3] منهم إلى نفسه الرجال، ونصب [دون ماله][4] ماله][4] القتال. ثم اتصل بملكهم؛ فأكرم مثواه، ومكّنه من التجارة بجميع بلاده، وخاطبه بالصّديق الأحب، والخلاصة الأقرب، ثم صار يكاتب من **بتلمسان**، يستقضي منهم مآربه، فيخاطبه بمثل تلك المخاطبة. وعندي من [كتبه][5] وكتب الملوك **بالمغرب**، ما ينبئ عن ذلك. فلما فلما استوثقوا[6] من الملوك، تذللت[7] لهم الأرض للسلوك؛

---

[1] التكرور: اسم لشعب كبير من القبائل الحامية؛ أسسوا مملكة شاسعة الأطراف بإفريقيا السوداء؛ عريقة في القدم؛ امتدت من غرب السودان (دارفور حالياً)؛ وحتى المحيط الأطلسي في (السِّنِغال). إذ كانت تشمل ما يعرف الآن بـ: تشاد، والنيجر، ونيجيريا، ومالي، والسينيغال. ودخل الإسلام في مملكة التكرور بسكل رسمي؛ في عهد ملكها: ((وارديابي))؛ المتوفي سنة 432هـ/1040م. غير أن بعض الدلائل تفيد أن الآسلام دخل إلى مملكة تكرور- في أضيق الحدود - قبل سنة 422هـ/1030م؛ بسنوات عديدة؛ وذلك بواسطة التجار الوافدين من شمال إفريقيا.

[2] هذه الإضافة من نفح الطيب.

[3] في النفح: ((فيها)).

[4] نفسه: ((دونها ودون مالهم القتال)).

[5] هذه الإضافة من نفح الطيب.

[6] حرفت في النسختين؛ فكتب في ج: ((است تقوى))، وفي الزيتونة: ((استانتوى))؛ وصوبت من نفح الطيب.

[7] في الزيتونة: ((ذللت)).

للسلوك؛ فخرجت أموالهم عن الحدّ، وكادت تفوق[1] الحصر والعدّ، لأن بلاد الصحراء، قبل أن يدخلها **أهل مصر**[2] [كانت[3] تجلب لها من **المغرب]**[4] ما لا بال له[5] له[5] من السلع، فيعاوض[6] عنه [بما له بال من الثمن][7]. [ثم قال **أبو مدين]**[8]: ((الدينا ضم جنب[9] جنب[9] **أبي حمو**[10]، وشمل ثوباه. كان يقول: لولا الشناعة لم أزل في بلادي تاجراً من غير تجار الصحراء الذين يذهبون بخبيث السلع، ويأتون بالتّبر الذي كُلّ أمر الدّنيا له تبع، ومن سواهم يحمل منها الذّهب، ويأتي

---

[1] في النفح: ((تفوت)).
[2] في نسخة من نسخ نفح الطيب؛ التي رمز لها د. إحسان عباس بـ ((ق))؛ كتب: ((مقرة)) بدل ((مصر)). ولاحظ عنان ـ هنا ـ أنه اكتشف من خلال هذا النص؛ بأن تجار مصر كانوا يصلون بتجارتهم إلى ممالك السودان الغربي؛ وذلك في القرن الرابع الميلادي.
[3] في النفح: ((كان يجلب إليها من...)).
[4] كتبت هذه العبارة في نفح الطيب كما يلي: ((كان يجلب لها من المغرب)).
[5] أي ما ليس له شأن يذكر.
[6] في نفح الطيب: ((فتعاوض)).
[7] كتبت هذه العبارة في ج هكذا: ((بمال ومال من الثمن))، وفي الزيتونة: ((بمال من التمر)). وفي نفح الطيب: ((الثمن. أيّ مدبّر دنيا ضمّ جنبا أبي حمو...)).
[8] هذه العبارة جاءت في النسختين؛ ولكنها ساقطة في نفح الطيب. ويبدو أنها زائدة؛ ولا محل لها في هذا السياق.
[9] في النفح: ((جنبا)).
[10] المقصود هنا هو أبو حمو موسى الأول ابن عثمان بن يغمراسن بن زيان)).

إليها بما يضمحل عن قريب ويذهب، إلى ما يغير من العوايد، ويجرّ السفهاء إلى المفاسد))[1].

ولما هلك[2] هؤلاء الأشياخ، جعل أبناؤهم ينفقون مما مما تركوا لهم [ولم يقوموا][3] بأمر التثمير قيامهم، وصادفوا توالي الفتن، ولم يسلموا من جور السلطان[4]، فلم تزل[5] حالهم في نقصان إلى هذا الزّمان[6] [فها أنا ذا لم لم أدرك في ذلك إلاّ أثر نعمة اتخذنا فصوله عيشاً، وأصوله حرمة. ومن جملة ذلك؛ خزانة كبيرة من الكتب، وأسباب كثيرة تعين على الطّلب، فتفرغت بحول الله عز وجل للقراءة؛ فاستوعبت أهل البلد لقاء، وأخذت عن بعضهم عرضاً وإلقاء، سواء المقيم القاطن، والوارد والظاعن][7].

---

[1] وردت هذه الفقرة المضطربة المحصورة بين شولتين في النسختين، وفي النفح.
[2] في نفح الطيب: ((ولما درج)).
[3] في النسختين: ((ويقولوا)). وصوبت من نفح الطيب.
[4] في نفح الطيب: ((السلاطين)).
[5] نفسه: ((فلم يزل)).
[6] نفسه: ((الزمن)).
[7] ما بين الحاصرتين نقلت عن نفح الطيب؛ لأنها غير موجودة في النسختين.

حالـه

هـذا الرجـل مشـار إليـه **بالعـدوة المغربية**[1] اجتهـاداً، ودؤوبـاً، وحفظـاً[2] وعنايـة، واطلاعـاً[3]، ونقـلاً ونزاهـة، سليـم الصّـدر، قريـب الغـور، صـادق القـول، مسلـوب التصنّـع، كثيـر الـهشّـة، مفـرط الخفّـة، ظاهـر السذاجـة، ذاهـب أقـصى مذاهـب التّخلـق، محافـظ عـلى العمـل، مثابـر عـلى الانقطـاع، حريـص عـلى العبـادة، مضايـق في العقـد والتوجـه، يكابـد مـن تحصيـل النيـة بالوجـه واليديـن مشقـة، ثـم يغافـض[4] الوقـت فيهـا، ويوقعهـا دفعـة متبعـاً إياهـا زعقـة التكبيـر، برجفـة، ينبـو عنهـا سمـع مـن لـم يكـن[5] تأنـس بهـا عـادة، بمـا هـو دليـل عـلى حسـن المعاملـة، وإرسـال السجيـة،

---

[1] في النسختيـن: ((الغربيـة)).

[2] ترجـم لـه النبـاهي؛ فقـال: ((كـان هـذا الفقيـه ـ رحمـه الله ـ في غـزارة الحفـظ، وكثـرة مـادة العلـم؛ عبـرة مـن العبـر، وآيـة مـن آيـات الله الكبـر؛ قلَّمـا تقـع مسألـة إلاّ ويـأتي بجميـع مـا للنـاس فيهـا مـن الأقـوال؛ ويرجـح ويعلّـل، ويستـدرك ويكمـل؛ قاضيـاً ماضيـاً، عـذلاً جـذلاً؛ قـرأ ببلـده عـلى المـدرِّس أبي مـوسى عمـران المشـدالي صهـر أبي علـي ناصـر الديـن، وعلـى غيـره؛ وقـام بوظائـف القضـاء أجمـل قيـام)). تاريخ قضاة الأندلـس، ص: 169.

[3] في الزيتونـة: (اضطلاعـاً)).

[4] هكـذا. وفي نفـح الطيـب: ((يغافـص))؛ وهـو أصـوب؛ لأن غفـص مغافصـة: فاجـأه واخـذه علـى غـرة.

[5] في النفـح: ((مـن لـم تؤنسـه بهـا العـادة)).

قديم النعمة، متصل الخيرية، مكب على النظر والدرس والقراءة، معلوم الصيانة والعدالة، منصف في المذاكرة، حاسر الذراع[1] عند المباحثة، راحب عن الصدر في وطيس المناقشة، غير مختار[2] للقرن، ولا ضان[3] بالفايدة، كثير الالتفاف، متقلب الحدقة[4]، جهير بالحجة، بعيد عن المراء والمباهتة، قايل[5] بفضل أولي الفضل من الطلبة، يقوم أتم أتم القيام على العربية والفقه والتفسير، ويحفظ الحديث، ويتهجر بحفظ الأخبار[6] والتاريخ والآداب، ويشارك مشاركة فاضلة في الأصلين والجدل والمنطق، ويكتب ويشعر مصيباً في ذلك[7] [غرض الإجادة][8]، ويتكلم في طريقة الصوفية كلام أرباب المقال، ويعتني بالتدوين فيها. شرق وحج، ولقي جلّة، واضطبن[9] رحلة مفيدة، ثم آب

---

[1] في النفح: ((للذراع)).
[2] كلمة مختار مضافة من نفح الطيب.
[3] أي لا باخل بالفائدة.
[4] في ج: والزيتونة: ((الحداقة)).
[5] في ج: ((قايد))، وصوبت من الزيتونة.
[6] في النفح: ((يحفظ التاريخ والأخبار)).
[7] عبارة: ((في ذلك)) غير واردة في نفح الطيب.
[8] هذه الإضافة من نفح الطيب.
[9] أي اعتزم الرحلة.

آب إلى بلده، فأقرأ به، وانقطع إلى خدمة العلم. فلما ولي ملك **المغرب** السلطان، محالف الصنع ونشيدة الملك، [وأثير الله من بين القرابة والإخوة][1] أمير المسلمين[2] **أبو عنان فارس**، اجتذبه وخلطه بنفسه، واشتمل عليه، وولاه قضاء الجماعة **بمدينة فاس**، فاستقل بذلك أعظم الاستقلال، وأنفذ الحكم[3]، وألان [الكلمة، وآثر التسديد، وحمّل الكَلَّ[4]، وخفض الجناح، فحسنت عنه القالة[5]، وأحبته][6] الخاصة والعامة. حضرت بعض مجالسه للحكم، فرأيت من صبره [على اللَّدد[7]، وتأتّيه[8] للحجج][9] ورفقه بالخصوم، ما قضيت منه العجب.

---

[1] ما بين الحاصرتين ساقط في الزيتونة.
[2] في النفح: ((أمير المؤمنين)). وما كتب هنا في الإحاطة أصح.
[3] في نفح الطيب ((الحق)).
[4] الكَل: التعب والإجهاد.
[5] أي أقوال الناس.
[6] ما بين الحاصرتين ساقط في ج، والزيتونة. وأضيف من نفح الطيب.
[7] اللَّدد: شدة الخصومة.
[8] في النفح: ((وتأنّيه)).
[9] ما بين الحاصرتين جاء في ج، ونفح الطيب؛ بينما سقط من الزيتونة.

دخوله غرناطة

ثم لما أخِّر عن القضاء[1]، استعمل بعد لأي في الرسالة، فوصل **الأندلس**، أوايل جمادى الثانية من عام ست[2] وخمسين وسبعمائة[3]. فلما قضى غرض الرّسالة[4]، الرّسالة[4]، وأبرم عقد وجهته، واحتل **مالقة** في منصرفه، بدا له في نبذ الكلفة، واصطراح[5] وظيفة الخدمة، وحلّ التقيد، إلى ملازمة الإمرة، فتقاعد، وشهر غرضه، وبتّ في الانتقال، طمع من كان صحبته، وأقبل على شأنه، فخلي بينه وبين همّه. وترك وما انتحله[6] من الانقطاع إلى

---

[1] يفهم من قول النباهي أنه هو استقال من خطة القضاء؛ إذ قال: ((ثم إنه كره الحكم بين النّاس، وتبرّم من حمل أمانته، ورام الفرار عنه بنفسه؛ فتنشَّب في انتظامه، وتوجه عليه الإنكار من سلطانه؛ ثم إنه تُرك ـ بعد عناء شديد ـ لشأنه)). تاريخ قضاة الأندلس، ص ص: 169 - 170. وهذ هو رأي حفيده أحمد المقري؛ الذي قال: ((فإن مولاي الجد المذكور كان نزل عن القضاء وغيره)). نفح الطيب، مج: 5، ص: 214. أما عبد الرحمن بن خلدون؛ فقال: ((فلم يزل قاضياً بها [أي بفاس] إلى أن سخطه لبعض النزعات الملوكية؛ فعزله، وأدال منه بالفقيه أبي عبد الله الفشتالي؛ آخر سنة ست وخمسين [وسبعمائة]؛ ثم بعثه في سفارة إلى الأندلس؛ فامتنع من الرّجوع)). التعريف بابن خلدون، ص: 60.

[2] صوبها د. طويل؛ فجعلها: ((ستّة))؛ بينما كتب في نفح الطيب: ((سبعة)).

[3] الموافق لـ 1355م.

[4] في نفح الطيب: ((رسالته)).

[5] في النفح: ((واطراح))؛ وهو أصوب.

[6] كتبت في ج، والزيتونة: ((انتحل)).

ربّه. وطار الخبر إلى مرسله، فأنف من تخصيص إيالته بالهجرة، والعدول عنها، بقصد التخلّي والعبادة، وأنكر ما نحله[1] غاية الإنكار، من إبطال عمل الرّسالة، والانقباض قبل الخروج عن العهدة، فوغر صدره على صاحب الأمر[2]، ولم يبعد حمله على الظنة والمواطأة على النفرة، وتجهزت[3] جملة من الخدام المجلين[4] في مآزق[5] الشبهة؛ المضطلعين بإقامة الحجّة، مولين خطة الملام [مخيرين بين سحايب عاد من الإسلام][6] مظنة إغلاق النعمة[7]، وإيقاع المثلة[8]، والإساءة[9] بسبب القطيعة والمنابذة. والمنابذة. وقد كان المترجم به لحق **بغرناطة** فتذمم

[1] في نفح الطيب: ((ما حقه الإنكار)).
[2] قال ابن خلدون: ((فامتنع من الرجوع؛ وقام السلطان لها في ركابه؛ ونكر على صاحب الأندلس [ابن الأحمر] تمسكه به؛ ويعث إليه فيه يستقدمه؛ فلاذ منه ابن الأحمر بالشفاعة فيه؛ واقتضى ذلك كتاب أمان بخط السلطان أبي عنا؛ وأوفده مع جماعة من شيوخ العلم بغرناطة)). التعريف بابن خلدون، ص ص: 60 - 61.
[3] في ج: ((تجهز)). وصوبت من نفح الطيب.
[4] في الزيتونة: ((المجبلين)).
[5] في النفح: ((مأزق)).
[6] بين الحاصرتين؛ حرف في ج، والزيتونة. وصوبت من نفح الطيب.
[7] في نفح الطيب: ((النقمة)).
[8] نفسه: ((العقوبة)).
[9] نفسه: ((أو الإشادة بسبب إجارته بالقطيعة...)).

بمسجدها، وجار[1] بالانقطاع إلى الله، وتوعّد من يجيره[2]، بنكير من يجير ولا يجار عليه سبحانه فأهمّ أمره، وشغلت القلوب آبدته، وأمسك الرسل بخلال ما صدرت شفاعة [اقتضت[3] له رفع التبعة][4]، وتركه إلى تلك الوجهة[5]. ولما تحصل ما تيسر من ذلك، انصرف محفوفاً بعالمي القطر: قاضي الجماعة **أبي القاسم الحسني** المترجم[6] به قبله، والشيخ **الخطيب أبي البركات بن الحاج**، مستهلين[7] لوروده، مشافهين للشفاعة[8] في غرضه، فأقشعت[9] الغمة، الغمة، وتنفست الكربة. [وجرى أثناء هذا من المراسلة

---

[1] نفسه: ((وجأر))؛ وهو أصوب. ومعناها رفع صوته.
[2] في النفح: ((يجبره))؛ وهو أصوب.
[3] نفسه: ((اقتضى له فيها رفع...)).
[4] ما بين الحاصرتين كتب في نفح الطيب: ((اقتضى فيها رفع التبعة)).
[5] علق أحمد المقري؛ الحفيد على هذا؛ فقال: ((قلت: هذه آفة مخالطة الملوك. فإن مولاي الجد المذكور؛ كان نزل عن القضاء وغيره؛ فلما اراد التخلي إلى ربّه؛ لم يتركه السلطان أبو عنان كما رأيت)). نفح الطيب، مج: 5، ص: 214.
[6] في نفح الطيب: ((المذكور قبله)).
[7] نفسه: (مسلمين)).
[8] نفسه: ((بالشفاعة)).
[9] نفسه: ((فانقشعت)).

والمراجعة، ما تضمنه الكتاب المسمى **بكناسة الدّكّان بعد انتقال السكان** المجموع **بسلا**][1] ما صورته[2]:

((المقام الذي يحبُّ الشّفاعة، ويرعى الوسيلة، وينجز العدة، ويتمم الفضيلة، ويضفي مجده المنن الجزيلة، ويُعيى حمده المادح العريضة الطويلة. مقام محل والدنا الذي كرم مجده، ووضح سعده، وصح في الله تعالى عقده، وخلص في الأعمال الصالحة قصده؛ وأعجز الألسنة حمده، السلطان الكذا[3] ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا، أبقاه الله سبحانه لوسيلة يرعاها، وشفاعة يكرم مسعاها، وأخلاق جميلة تجيب دعوة الطبع الكريم إذا دعاها، معظم سلطانه الكبير، وممجد مقامه الشهير، المتشيع لأبوته الرفيعة، قولاً باللسان، واعتقاداً بالضمير، المعتمد منه بعد

---

[1] ما بين الحاصرتين وارد في ج، وساقط في الزيتونة.

[2] الرسالة الأتية غير موجودة في النسختين؛ وقد أثبتها المقري في نفح الطيب؛ خلال الترجمة المخصصة لجدّه؛ وربما يكون قد نقلها من مخطوط كامل للإحاطة. وعليه فقد قرر عنان ضمها للإحاطة التي حققها. والنص الأصلي لهذه الرسالة هو النص الوارد في ((كناسة الدكان بعد انتقال السكان)).

[3] المقصود بهذا السلطان ـ كما يبدو ـ فارس أبو عنان المريني ابن السلطان أبي الحسن المتوفي في أواخر سنة 759هـ/1357م.

الله على الملجأ الأحمى، والولي النصير، فلان[1]. سلام كريم، طيب بَرٌّ عميم، يخص مقامكم الأعلى، وأبوتكم الفضلى، ورحمة الله وبركاته.

أما بعد حمد الله، الذي جعل الخلق الحميدة دليلاً على عنايته بمن حلاه حلاها، وميز بها النفوس النفيسة، التي اختصها بكرامته وتولاها، حمداً يكون كفواً للنعم التي أولاها، وأعادها ووالاها، والصلاة والسلام[2] على سيدنا ومولانا **محمد** عبده ورسوله، المترقي من درجات الاختصاص أرفعها وأعلاها، الممتاز من أنوار الهداية بأوضحها وأجلاها، مطلع آيات السعادة يروق مجتلاها. والرضا عن آله وصحبه الذين خبر صدق ضمائرهم لما ابتلاها، وعسل ذكرهم[3] في الأفواه فما أعذب أوصافهم على الألسن وأحلاها. والدعاء لمقام أبوتكم، حرس الله تعالى علاها، بالسعادة التي يقول الفتح أنا طلاع الثنايا

---

[1] المقصود هو سلطان غرناطة محمد الغني بالله؛ الذي حكم من سنة 755هـ/1356م وتوفي سنة 793هـ/1390م. وقد ترجم له ابن الخطيب ترجمة واسعة؛ مستهلاً به هذا المجلد.

[2] لم ترد كلمة: ((والسلام)) في نفح الطيب.

[3] أي جعل ذكرهم في الأفواه حلواً كالعسل.

وابن جلاها[1]، والصنائع التي تخترق المفاوز بركائبها المبشرات فتفلى فلاها. فإنا كتبنا إليكم، كتب الله تعالى لكم عزة مشيدة البناء، وحشد على أعلام صنائعكم الكرام جيوش الثناء، وقلدكم قلائد[2] مكارم الأخلاق، ما يشهد لذاتكم منه بسابقة الاعتناء. من **حمراء غرناطة** حرسها الله، والودّ باهر السناء[3]، مجد على الأناء، والتشيع رحب الدسيعة[4] والفناء.

وإلى هذا، وصل الله تعالى سعدكم، وحرس مجدكم، فإننا خاطبنا مقامكم الكريم، في شأن الشيخ الفقيه الحافظ الصالح **أبي عبد الله المقرى**، خار الله تعالى لنا وله، وبلغ الجميع من فضله العميم أمله، جواباً عما صدر من مثابتكم[5] فيه، من الإشارة المتمثلة[6]، والمآرب المعملة، والقضايا غير المهملة، نصادركم بالشفاعة التي مثلها

---

[1] هذه العبارة مقتبسة من قول سحيم بن وثيل الرياحي:
أنا ابن جَلا وطَلاّع الثَّنايَا * مَتَى أضعِ العِمَامَة تعْرِفوني
وقد اقتبسها عنه الحجاج بن يوسف الثقفي؛ فاشهرت به بعد ذلك.
[2] في النفح: ((من قلائد)).
[3] نفسه: ((السنا؛ ظاهر السنا؛ مجدد على...)).
[4] أي طيب الخلق.
[5] في النفح: ((مثابكم)).
[6] نفسه: ((الممتثلة)).

بأبوابكم لا يرد، وظمآها عن منهل قبولكم لا تجلى[1] ولا تصد، حسبما سنه الأب الكريم والجد، والقبيل الذي وضح منه في المكارم، الرسم والحد. ولم نصدر الخطاب حتى ظهر لنا من أحواله صدق المخيلة، وتبلج صبح الزّهاد والفضيلة، وجود النّفس الشّحيحة بالعرض الأدنى البخيلة، وظهر تخليه عن هذه الدار، واختلاطه باللفيف والغمار، وإقباله على ما يعني مثله من صلة الأوراد، ومداومة الاستغفار، وكنا لما تعرفنا إقامته **بمالقة** لهذا الغرض الذي شهره، والفضل الذي أبرزه للعيان وأظهره، أمرنا أن يعتنى بأحواله، ويعان على فراغ باله، ويجرى عليه سيب من ديوان الأعشار الشرعية وصريح ماله، وقلنا أما أتاك من غير مسألة مستند صحيح لاستدلاله، ففرّ من **مالقة** على ما تعرفنا لهذا السبب، وقعد بحضرتنا مستور المنتمى والمنتسب، وسكن بالمدرسة بعض الأماكن المعدة لكسنى المُتَّسمين بالخير، والمحترفين ببضاعة الطَّلب، بحيث لم يتعرّف وروده ووصوله إلاّ ممّن لا يؤبه بتعريفه،

[1] نفسه: ((لا تحلأ)).

ولـم تتحقـق زوائـده وأصولـه لقلـة تصريفـه. ثـم تلاحـق إرسالكـم الجلّـة، فوجبـت حينئـذ الشفاعـة، وعرضـت علـى سـوق الحلـم والفضـل مـن الاستلطـاف والاستعطـاف البضاعـة، وقررنـا مـا تحققنـاه مـن أمـره، وانقباضـه عـن زيـد الخلـق وعمـره، واستقبالـه الوجهـة الـتي مـن ولى وجهـه شطرهـا فقـد آثـر أثيـراً، ومـن ابتاعهـا بمتـاع الدّنيـا، فقـد نـال فضـلاً كبيـراً، وخيـراً كثيـراً، وسألنـا منكـم أن تبيحـوه ذلـك الغـرض الـذي رمـاه بعزمـه، وقصـر عليـه أقصـى همـه. فمـا أخلـق مقامكـم أن يفـوز منـه طالـب الدنيـا بسهمـه، ويحصـل منـه طالـب الآخـرة علـى حظـه الباقـي وقسمـه، ويتوسـل الزاهـد بزهـده والعالـم بعلمـه، ويعـول البـريء علـى فضلـه، ويثـق المذنـب بحلمـه. فوصـل الجـواب الكريـم بمجـرد الأمـان، وهـو أرب مـن آراب[1]، وفائـدة مـن جـراب، ووجـه مـن وجـوه إعـراب، فرأينـا أن المطـل بعـد جفـاء، والإعـادة ليـس يثقلهـا خفـاء، ولمجدكـم بمـا ضمنـا عنـه وفـاء، وبادرنـا الآن إلى العـزم عليـه في ارتحالـه، وأن يكـون

---

[1] **الآراب؛ مفردهـا أرب: أي البغيـة والمطلـب.**

الانتقال عن رضاً منه من صفة حاله، وأن يقتضي له ثمرة المقصد، ويبلغ طية الإسعاف في الطريق إن قصد، إذ كان الأمان لمثله ممن تعلق بجناب الله. من مثلكم حاصلاً، والدين المتين بين نفسه وبين المخافة فاصلاً، وطالبنا[1] كيمياء السعادة بإعانتكم واصلاً. ولما مدّت اليد في تسويغ حالة هديكم عليها أبداً يحرض، وعلمكم يصرح بمزيتها ولا يعرض، فكملوا أبقاكم الله ما لم تسعنا فيه مشاحة الكتاب، وألحقوا بالأصل حديث هذه الإباحة، فهو أصح حديث في الباب، ووفوا غرضنا من مجدكم، وخلوا بينه وبين مراده من ترك الأسباب، وقصد غافر الذنب وقابل التوب بإخلاص المتاب، والتشمير ليوم العرض وموقف الحساب، وأظهروا عليه عناية الجناب، الذي تعلق به، أعلق الله به يدكم من جناب، ومعاذ الله أن تعود شفاعتنا من لدنكم غير مكملة الآراب. وقد بعثنا من ينوب عنّا في مشافهتكم بها أحمد المناب، ويقتضى خلاصها بالرغبة لا بالغلاب، وهما فلان وفلان، ولولا الأعذار لكان في هذا

---

[1] **في النفح: ((وطالب)).**

الغرض إعمال الرّكاب بسبق إعلام الكتاب، وأنتم تولون هذا القصد من مكارمكم ما يوفّر الثناء الجميل، ويربي على التأميل، ويكتب على الود الصريح العقد وثيقة التسجيل. وهو سبحانه يبقيكم لتأييد المجد الأثيل، وإنالة الرّفد الجزيل، والسلام الكريم يخص مقامكم الأعلى، ومثابتكم الفضلى، ورحمة الله تعالى وبركاته. في الحادي والعشرين لجمادى الآخرة؛ من عام سبعة وخمسين وسبعمائة[1] والله ينفع بقصده، وييسر علينا الرجعة إلى وجهه وفضله))[2].

مشيخته

قال: فممن أخذت عنه، واستفدت منه علماها[3] - يعني **تلمسان**[4] - الشامخان، وعالماها الراسخان: **أبو زيد عبد الرحمن، وأبو موسى عيسى؛ إبنا محمد بن عبد الله**

---

[1] الموافق لـ 1356م.

[2] هذه الخاتمة جاءت في النسختين: (ج، والزيتونة) دون الرسالة. وعبارة: ((والله ينفع حتى: وفضله))؛ سقطت في نفح الطيب.

[3] في ج: ((علماؤها))، وفي الزيتونة: ((عالميها)). وصوبت في نفح الطيب.

[4] هذه العبارة مضافة من نفح الطيب.

ابن الإمام[1]، وحافظها ومدرسها ومفتيها: **أبو موسى عمران بن موسى بن يوسف المشذالي**[2]، صهر شيخ المتأخرين[3]، **أبي علي ناصر الدين**[4] على إبنته، ومشكاة الأنوار التي [يكاد زيتها][5] يضيء ولو لم تمسسه نار، الأستاذ **أبو إسحاق إبراهيم بن حكيم الكناني**[6] **السلوي** رحمه الله. ومنهم: القاضي **أبو عبد الله محمد بن عبد الله**

---

[1] **ترجمة هذين الإمامين موجودة في التعريف بابن خلدون، والعبر، والديباج المذهب، ونيل الابتهاج، وبغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، والبستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان. توفي أبو زيد سنة 743هـ/1342م. أما أبو موسى فتوفي بالطاعون في تلمسان سنة 749هـ/1348م. وقد أسهب المقري في الحديث عن هذين العالمين الجليلين؛ ويفهم من كلامه أن ما ذكره هو مستمد من رسالة لجدّه عنوانها (نظم الآلي في سلوك الأمالي)؛ وقال أنّ ابن الخطيب؛ اختصر منه الذي أورده الإحاطة: ((وقد ذكر لسان الدين ـ رحمه الله تعالى ـ في (الإحاطة) شيوخ مولانا الجد؛ فلنذكرهم من جزء الجد الذي سماه (نظم الآلي في سلوك الأمالي)؛ ومنه اختصر لسان الدين ما في (الإحاطة) في ترجمة مشيخته)). نفتح الطيب، مج: 5، ص: 215.**

[2] **سماه صاحب نفح الطيب بـ(المشدالي)؛ وهو أقرب إلى الصحة؛ لأن مشدالة قبيلة أمازيغية من المغرب الأوسط. وترجمته موجودة في نيل الابتهاج. ولد أبو موسى المشدالي سنة 670هـ/1271م. وتوفي عام 745هـ/1344م.**

[3] **في النفح ((المدرسين)).**

[4] **يسمى منصور بن أحمد بن عبد الحق؛ الذي توفي سنة 731هـ/1330م. وترجمته في نيل الابتهاج.**

[5] **في الزيتونة: ((زيتها يكاد)).**

[6] **سقطت كلمة ((كناني)) في نفح الطيب.**

ابن عبد النور[1]، **والشيخ أبو عبد الله محمد بن الحسن**[2] **البرّوني، وأبو عمران موسى بومن**[3] **المصمودي** الشهير **بالبخاري**. قال سمعت **البرّوني** يقول: كان الشيخ **أبو عمران** يدرس البخاري[4]، ورفيق له يدرس صحيح مسلم، مسلم، وكانا يعرفان **بالبخاري ومسلم**، فشهدا عند قاض، فطلب المشهود عليه بالإعذار فيهما؛ فقال له **أبو عمران** أتمكنه من الإعذار في الصحيحين: البخاري ومسلم؛ فضحك القاضي، وأصلح بين الخصمين. ثم قال، ومن شيوخي الصلحاء الذين لقيت بها: خطيبها الشيخ **أبو عثمان سعيد ابن إبراهيم بن علي الخياط**، أدرك **أبا إسحاق الطيار**. ومنهم: **أبو عبد الله بن محمد الكرموني**، وكان بصيراً بتفسير الرؤيا، فمن عجايب شأنه، أنه كان في سجن **أبي يعقوب يوسف بن عبد الحق** [مع من][5] كان فيه، من **أهل تلمسان**؛ أيام محاصرته لها،

---

[1] ترجمته موجودة في التعريف بابن خلدون، وجذوة الاقتباس، ونيل الابتهاج.
[2] في نفح الطيب: ((الحسين)). وله ترجمة في نيل الإبتهاج.
[3] كلمة ((بومن)) لم ترد في النفح.
[4] في النفح: ((يدرس صحيح البخاري)).
[5] في ج، والزيتونة: ((ممن)).

فرأى **أبا جمعة على التلالسي الجرايحي** منهم ؛ كأنه قايم على ساقيةٍ دايرةٍ، وجميع أقداحها وأقواسها تصب في[1] نقير في وسطها ؛ فجاء ليشرب ؛ فاغترف الماء ؛ فإذا فيه فرْثٌ ودم ؛ فأرسله، واغترف فإذا هو كذلك، ثلاثاً أو أكثر، ثم عدل إلى خاصة ماء، فجاءها وشرب منها. ثم استيقظ، [وهو النهار][2]؛ فأخبره، فقال: إن صدقت الرؤيا، فنحن عن قليل خارجون من هذا السجن. قال كيف، قال الساقية الزمان، والنقير السلطان، وأنت جرايحي، تدخل يدك في جوفه فينالها الفرث والدم، وهذا ما لا يحتاج معه [إلى دليل][3]، فأُخْرج، فوجد السلطان مطعوناً بخنجر، فأدخل يده في جوفه، فناله الفرث والدم، فخاط جراحته وخرج، فرأى خاصة ماء، فغسل يده وشرب. ولم يلبث السلطان أن توفي، وسرحوا من كان في سجنه. ومن أشياخه الإمام نسيج وحده، **أبو عبد الله محمد**

---

[1] في الزيتونة، ج: ((من)) بدلاً من ((في)).
[2] هكذا.
[3] هذه العبارة أضافها عنان.

بن إبراهيم بن أحمد الآبلى التلمساني، وهو رُحْلة الوقت في القيام على الفنون العقلية، وإدراكه وصحة نظره.

حدث قال: قدم على **مدينة فاس**، شيخنا **أبو عبد الله محمد بن يحيى الباهلي**، عرف **بابن المُسَفِّر**. رسولا من صاحب **بجاية**. وزاره الطلبة، فكان مما[1] حدثهم أنهم كانوا[2] على زمان **ناصر الدين**، يستشكلون كلاماً وقع في[3] تفسير سورة الفاتحة من كتب **فخر الدين**، واستشكله الشيخ معهم. وهذا نصه: ثبت في بعض العلوم العقلية، أن المركب مثل البسيط في الجنس، والبسيط مثل المركب في الفصل، وأن الجنس أقوى من الفصل. فأخبروا بذلك الشيخ **الآبلي** لما رجعوا إليه، فتأمله ثم قال، هذا كلام مصحف، وأصله أن المركب قبل البسيط في الحس، والبسيط قبل المركب في العقل، وإن الحس أقوى من العقل، فأخبروا **ابن المُسَفِّر**، فلجَّ: فقال لهم الشيخ، التمسوا النسخ، فوجدوا في لفظ بعضها كما قال الشيخ.

[1] في ج: ((ممن))؛ وصبت من الزيتونة.
[2] كلمة ((كانوا)) أضافها عنان.
[3] كلمة ((في)) أضافها عنان.

رحلتـه

رحل إلى **بجاية** مشرقاً، فلقي بها جلة، منهم الفقيه **ابو عبد الله محمد بن يحيى الباهلي، ابن المُسَفِّر**[1]. ومنهم قاضيها **أبو عبد الله محمد بن الشيخ أبي يوسف يعقوب الزواوي**، فقيه ابن فقيه. ومنهم **أبو علي حسن بن حسن**[2] إمام المعقولات بعد **ناصر الدين**. **وبتونس** قاضي الجماعة وفقيهها **أبو عبد الله بن عبد السلام**[3]، وحضر دروسه، وقاضى المناكح **أبو محمد اللخمي**[4]؛ وهو حافظ فقهائها في وقته، والفقيه **أبو عبد الله بن هارون** شارح **ابن الحاجب** في الفقه والأصول. ثم حج فلقي **بمكة** إمام الوقت[5] **أبا عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن التوزري** المعروف **بخليل**، وإمام المقام **أبا العباس رضي**[6] **الدين الشافعي**،

---

[1] ترجمته في نيل الابتهاج، والديباج المذهب. وقد توفي في سنة 743هـ/1342م.
[2] في النفح: ((أبو علي حسين بن حسين)).
[3] هو محمد بن عباد السلام المنستيري؛ ترجمته في نيل الابتهاج، وتاريخ قضاة الأندلس، والتعريف بابن خلدون. وتوفي سنة 750هـ/1349م.
[4] في النفح: ((الأجمي)).
[5] في ج: ((الموقف)).
[6] في النفح: ((ابن رضي)).

وغير واحد من الزايرين والمجاورين وأهل البلد. ثم دخل **الشام**، فلقي **بدمشق شمس الدين بن قيم الجوزية** صاحب **ابن تيمية، وصدر الدين الغماري**[1] **المالكي، وأبا القاسم ابن محمد اليماني الشافعي** وغيرهم. **وببيت القدس أبا عبدالله بن مُثْبت**[2]**،** والقاضي **شمس الدين بن سالم**، والفقيه **أبا عبد الله بن عثمان**، وغيرهم.

تصانيفه

ألف كتاباً يشتمل على أزيد **من مائة مسألة فقهية**، ضمنها كل أصيل من الرأي والمباحثة. ودَوَّن في التصوف، **إقامة المريد، ورحلة المتبتل، وكتاب الحقايق والرقايق**، وغير ذلك.

شعره

[1] **في النسختين: ((الغازي))؛ والتصويب من نفح الطيب.**
[2] **حرفت في الزيتونة؛ فكتبت ((منبت)).**

نقلت من ذلك قوله: هذه لمحة العارض لتكملة ألفية[1] **ابن الفارض**، سلب الدهر من فرايدها[2] مائة وسبعة وسبعين؛ فاستعنت على ردِّها بحول الله المعين:

---

[1] كلمة ((ألفية)) أضيفت من نفح الطيب.
[2] في ج: ((فوائدها)).

من فصل الإقبال[1]

رفضت السَّوى[2] وهو الطهارة عندما

تلفعت في مرط الهوى وهو زينتي[3]

وجئت الحمى وهو المصلى ميممـــاً

بوجهة قلـــبي وجههـــا وهو قبلـــتي

وقمت وما استفتحـــت إلا بذكرهـــا

وأحرمـــت إحرامـــاً لغيـــر تجلـــة[4]

فديني إن لاحت ركوع وإن دنـــت

سجـــود وإن لاهـــت[5] قيام بحســـرة

---

[1] هذه القصيدة من البحر الطويل؛ وتوجد أيضاً في نفح الطيب..

[2] كتبت هكذا في نفح الطيب؛ بينما كتبت في النسختين: ((الهوى)).

[3] ما وجد من هذه القصيدة في الزيتونة، و ج؛ لا يزيد عن هذا البيت الأول. بينما أبيات القصيدة هي خمسة وثلاثون بيتاً؛ تتبعها أربع قصائد طويلة أخرى؛ أثبتها المقري في نفح الطيب؛ قائلاً أنه نقلها من الإحاطة. وعلى هذا رأى عنان أن يستردها لصلب الإحاطة؛ فضم تلك القصائد إلى النسخة التي حققها؛ على اعتبار أن القصائد كانت في الأصل ضمن الإحاطة وضاعت.

[4] في نفح الطيب: ((تحلة))؛ بالحاء المهملة.

[5] أي تسترت.

على أننا في القرب والبعــد واحــد

تألفنــا[1] بالوصــل عيــن التشتــت

وكم من هجير خضت ظمآن طاوياً

إليهــا وديجــورٍ طويــت برحلــة

وفيها لقيــت الموت أحمــر والعدا

مزرقــةٌ[2] أسنــان الرمــاح وحــدة

وبيــني وبين العــذل فيها منــازل

تنسيــك أيــام الفجــار ومؤنــة

ولمــا اقتسمنــا خطتينــا فحامــل

فجــار بــلا أجــر وحامــل بــرة

خلا مسمعي من ذكرها فاستعدتــه

فعاد ختــام الأمر أصــل القضيــة

وكم لي على حكم الهوى من تجلــد

دليل عــلى أن الهوى من سجيــتي

---

[1] في النفـح: ((تؤلفنـا)).

[2] نفسـه: ((بزرقـة))؛ وهـذا أسلـم.

يقول سميري والأســا سالم الأسى

ولا توضــع الأوزار إلا لمحنــة

لو أن مجوساً بــت موقــد نارهــا

لمــا ظــل إلا منهــلاً ذا شريعــة

ولو كنت بحراً لم يكن فيه نضحــة

لعين إذا نــار الغــرام استحــرت

فلا ردم من نقيب[1] المعــاول آمِــنُ

ولا هــدم إلاك شيــــد[2] بقــــوة

فمم تقــول الأسْفِطْســات[3] منــك أو

عــلام مــزاج ركبــت أو طبيعــة

فإن قام لم يثبــت له منــك قاعــد

وإلا فأنت الدهــر صاحــب قعــدة

فما أنت يا هذا الهوى ماء أو هــوا

أم النـــار أم دساس عرق الأمومــة

---

[1] في النفـح: ((نَقْب))؛ وهـو أسلـم.
[2] نفسـه: ((إلا منـك شيـد))؛ وهـو أسلـم.
[3] نفسـه: ((الأسطقسـات)).

وإني على صبري كما أنت[1] واصف

وحـــالي أقـــوى القائميـــن بحجـــة

أقل الضنى إن عج من جسمي الضـــنى

وما شاكه معشـــار بعض شكيـــتي

وأيســـر شوقي أنـــني ما ذكرتهـــا

ولم أنسهـــا إلا احترقـــت بلوعـــة

وأُخْفي الجوى قرع الصواعق منك في

جـــواي وأخفى الوجد صبر المودة

وأسهـــل ما ألـــقى من العـــذل أنني

أحـــب أفلي[2] ذكرهـــا وفضيحـــتي

وأوج حظوظي اليوم منها حضيضها

بالأمس وَسْلُ حرِّ الجفون الغزيـــرة

وأوجـــز أمـــري إن دهـــري كلـــه

كما شاءت الحسنـــاء يوم الهزيمـــة

[1] في النفـح: ((أنــا)).
[2] نفسـه: ((أقلَّيْ)).

أروح وما يلــقى التأسف راحــتي

وأغــدو وما يعــدو التفجُّع خِطَّتي

وكالبيض بيض الدهر والسمر ســوده

مساءتهــا في طي طيب المســرة

وشأن الهوى ما قد عرفت ولا تسل

وحسبك أن لم يخبر الحــب رؤيتي

سقــام بلا برء ضــلال بلا هــدًى

أوام بـــلا ري دم لا بقيمــــة

ولا عتب فالأيام ليــس لها رضــاً

وإن ترض منها الصبر فهو بغيــتي[1]

ألا أيهــا اللــوام عــني قَوِّضــوا

ركــاب ملامي فهــو أول محنــتي

ولا تعذلوني في البكــاء ولا البُكى

وخلو سبيلي ما استطعتم ولوعــتي

فما سلسلــت بالدمع عيني إن جنت

ولكــن رأت ذاك الجمــال فجنــت

---

[1] **في النفـح: ((بغيـتي)). وقد كتبهـا د. طويـل: ((تعنـتي)).**

تجلى وأرجـــاء الرجـــاء حوالـــك

ورشـــدي غاو والعمايـــات عمـــت

فلـــم يستبـــن حتى كـــأني كاســـف

وراجعـــت إبصاري له وبصيـــرتي

***

ومن فصل الاتصال[1]

وكم موقف لي في الهوى خضت دونه

عباب الردى بين الظبـــا والأسنـــة

فجـــاوزت في حدي مجاهدتي لـــه

مشاهـــدتي لما سمـــت بي همـــتي

وحـــل جمالي في الجلال فلا أرى

سوى صورة التنزيه في كل صورة

وغبت عن الأغيـــار في تيه حالتي

فلم أنتبـــه حتى امتحى اسمي وكنيـــتي

---

[1] هذه القصيدة من البحر الطويل؛ وهي موجودة في نفح الطيب.

وكاتبـــت ناســـوتي بأمارة الهـــوى

وعـــدت إلى اللاهـــوت بالطمئنـــة

وعلـــم يقيني صار عينـــاً حقيقـــة

ولم يبق دوني حاجب غير هيبـــتي

وبدلـــت بالتلويـــن تمكيـــن عـــزة

ومن كل أحوالي مقامـــات رفعـــة

وقد غبت بعد الفراق والجمع موقفي

مع المحـــو والإثبـــات عند تثبـــتي

وكم جلت في سَمِّ الخِياط وضاق بي

لبسطي وقبضي بسط وجه البسيطة

وما اختـــرت إلا دن بقراط زاهـــدا

وفي ملكوت النفـــس أكبـــر عبـــرة

وفقري مع الصبر اصطفيت على الغنى

مع الشكر إذ لم يحظ فيه مثوبـــتي

وأكتـــم حـــبي ما كَنَى عنه أهلـــه

وأكني إذا هـــم صرحـــوا بالخبيـــة

وإني في جنــسي ومنـــه لواحــد

كنـــوع ففصل النوع علة حصـــتي

تسببـــت في دعوى التوكل ذاهبـــاً

إلى أنَّ أجدى حيلـــتي ترك حيلـــتي

وآخـــر حـــرف صـــار مني أولا

مريـــداً وحرف في مقـــام العبـــودة

تعرفـــت يوم الوقف منزل قومهـــا

فبـــت بجمـــع ســـدَّ خرق التشتـــت

فأصبحت أقضي النفس منها منى الهوى

وأقضي على قلبي برعي الرعيـــة

فبايعتهـــا بالنفـــس داراً سكنتهـــا

وبالقلـــب منه منـــزلاً فيـــه حلـــت

فخلص الاستحقاق نفسي من الهوى

وأوجب الاسترقاق تسليـــم شُفْعـــة

فيا نفـــس لا ترجـــع تقطـــع بيننـــا

ويا قلب لا تجزع ظفـــرت بوحـــدة

***

ومن فصل الإدلال[1]

تبـــدت لعيني من جمالـــك لمحـــة
أبادت فـــؤادي من سناهـــا بلفعـــة[2]
ومرت بسمعي من حديثـــك ملحـــة
تبـــدت لها فيـــك القـــران وقـــرت
ملامي أبِنْ عذري استبن وجدي استعن
سماعي أعن حالي أبِنْ قائلي أصمت
فمن شاهدي سخط ومن قاتلي رضا[3]
وتلويـــن أحوالي وتمكيـــن رتبـــتي
مرامي إشـــارات مـــراعي تعكـــر[4]
مـــراقي نهايـــات مـــراسي تثبـــت
وفي موقفي والدار أوقوت رسومها
تقـــرب أشـــواقي تبعـــد حســـرتي

---

[1] هذه القصيدة من البحر الطويل؛ وهي أيضاً في نفح الطيب..
[2] في النفح: ((بلفحة)).
[3] نفسه: ((قائلي رضا)).
[4] نفسه: ((تفكر)).

معـــاني إمـــارات مغـــاني تذكـــر

مبـــاني بدايـــات مثـــاني تلفـــت

وبُـــثَّ غرامٌ والحبيـــب بحضـــرة

وَرُدَّ ســـلام والرقيـــــب بغفلـــــة

ومطلع بدر في قضيـــب على نقـــا

فويـــق محل عاطـــل دون دجيـــة

ومكمـــن سحـــر بابـــلي لـــه بمـــا

حوت أضلعي فعلُ القنا السَّمْهريَّـــة

ومنبت مسك من شقيـــق ابن منـــذر

عـــلى سوســـن غض بجنة وجنـــة

ووصف اللآلي في اليواقيـــت كلما

تعل بصرف الراح في كل سحـــرة

سلّ السلسبيل العذب عن طعم ريقه

ونكهتـــه يخبرك عن علـــم خبـــرة

ورمـــان كافـــور عليـــه طوابـــع

من الند لم تحمل به بنـــت مزنـــة

ولطــف هــواء بين خفــق وبانــة

ورقــة مــاء في قواريــر فضــة

لقد عــز عنك الصبــر حتى كأنــه

سراقــة لحــظ منــك للمتلفــت

وأنــت وإن لم تبــق مني صُبابــة

منى النفس لم تقصد سواك بوجهــة

وكل فصيح منك يسري لمسمــعي

وكل مليــح منــك يبــدو لمقلــتي

تهــون عليَّ النفــس فيــك وإنهــا

لتكــرم أن تغــشى سواك بنظــرة

فإن تنظريني بالرضا تشف علــتي

وإن تظفريني باللقــا تطف غــلتي

وإن تذكريــني والحيــاة بقيدهــا

عدلــت لأمــني منيــتي بمنيِّــتي

وإن تذكريني بعد ما أسكــن الثرى

تجلــت دجــاه عنــد ذاك وولــت

صليني وإلا جددي الوعد تـــدركي

صبابـــة نفـــس أيقنـــت بتفلـــت

فمـــا أم بَّـــو[1] هالـــك بتنوفـــــة[2]

أقيـــم لها خلـــف الحلاب فَـــدرَّت

فلمـــا رأتـــه لا ينـــازع خِلْفهـــا

إذا هي لـــم ترســـل عليه وضَنَّـــت

بكـــت كلمـــا راحـــت عليه وإنهـــا

إذا ذكرتـــه آخـــر الليـــل حَنَّـــت

بأكثـــر مني لوعـــة غيـــر أنـــني

رأيت وقـــار الصبر أحسن حليـــة

فرحت كما أغـــدو إذا ما ذكرتهـــا

أطامـــن أحشـــائي على ما أجنـــت

أهـــوِّن مـــا ألقـــاه إلا من القِـــلى

هوى ونوى نيل الرضا منك بغيتي

---

[1] البـوّ: ولـد الناقـة.

[2] التنوفـة: الأرض الجدبـاء الواسعـة.

أخوض الصَّلَى أطفي العلا والعلــوّ لا
أصل السَّلا أرعى الخَلَى بين عبــرتي

ألا قاتــل الله الحمامــة غــدوة
لقد أصلت الأحشــاء نيران لوعــة

وقاتــل مغناها وموقــف شجوهــا
على الغصن ماذا هيجت حين غنت

فغنــت غنــاء أعجميــاً فهيجــت
غرامي من ذكري عهــود تولَّــتِ

فأرسلت الأجفان سحبــاً وأوقــدت
جَوَاي الذي كانت ضلوعي أكَنَّــتِ

نظرت بصحراء البريقيــن نظــرة
وصلت بها قلبي فَصَــلَّ وصلــتِ

فيــا لهمــا قلبــاً شجيــاً ونظــرة
حجازيــة لو جُــنَّ طرف لجُنَّــتِ

ووا عجبــاً للقــلب كيف اعترافــه
وكيف بدت أســراره خلف ستــرة

وللعيـــن لما سوئلت كيف أخبـــرت

وللنفـــس لما وطنـــت كيف دلـــت

وكنا سلكنا في صعـــود من الهوى

يســـامي بأعلام العـــلا كل رتبـــة

إلى مستـــوًى مـــا فوقـــه مستـــوى[1]

فلمـــا توافينـــا ثبـــت وزلـــت

وكنا عقدنا عقـــدة الوصـــل بيننـــا

على نحر قربان لدي قبـــر شيبـــة

مؤكـــدة بالنـــذر أيـــام عهـــده

فلمـــا تواثقنـــا اشتـــددت وحلـــت

***

[1] صدر هذا البيت في النفح هكذا: ((إلى مستوى مـا فوقـه فيـه مستـوى)).

ومن فصل الاحتفال[1]

أزور اعتماراً أرضها بتنسك

وأقصد حجا بيتها بتحلة

وفي نشأتي الأخرى ظهرت بما علت

له نشأتي الأولى على كل فطرة

ولولا خفاء الرمز لا ولن ولم

تجدها لشملي مسلكاً بتشتت

ولو لم يجدد عهدنا عقد خلة

قضيت ولم يقض المنى صدق توبة

بعثت إلى قلبي بشيراً بما رأت

على قدم عيناي منه فكفت

فلم يعد أن شام البشارة شام ما

جفا الشام من نور الصفات الكريمة

فيا لك من نور لو أن التفاتة

تعارض منه بالنفوس النفيسة

---

[1] **هذه القصيدة من البحر الطويل؛ وهي أيضاً موجودة في نفح الطيب..**

تحـــدث أنفـــاس الصبا أن طيبهـــا

بمـــا حملتـــه من حراقـــة حرقـــة

وتنـــبئ آصال الربيـــع عن الربـــا

وأشجـــاره إن قـــد تجلـــت فجلـــت

وتخبـــر أصـــوات البلابـــل أنهـــا

تغنـــت بترجيـــعي على كل أيكـــة

فهذا جمالي منك في بعد حســـرتي

فكيـــف بـــه إن قربتـــني بخلـــة

تَبَـــدَّى وما زال الحجاب ولا دنـــا

وغاب ولم يفقـــده شاهد حضـــرتي

لـــه كل غيـــر في تجليـــة مظهـــر

ولا غيـــر إلا ما محت كف غيـــرة

تجـــلى دليـــل واحتجـــاب تنـــزه

وإثبـــات عرفـــان ومحـــو تثبـــت

فما شئـــت من شيء وآليـــت أنـــه

هو شيء لم تحمـــد فجـــار أليَّـــتي

وفي كل خلـــق منـــه كل عجيبـــة

وفي كل خلـــق منـــه كـــل لطيفـــة

وفي كل خاف منه مكمـــن حكمـــة

وفي كل بـــاد منه مظهـــر جلـــوة

أراه يقلـــب[1] القلب واللغـــز كامنـــاً

وفي الزجر والفال الصحيح الأدلـــة

وفي طي أوفاق الحساب وسر مـــا

يتـــم مـــن الأعـــداد فابـــدأ بستـــة

وفي نفثات السحر في العقـــد التي

تَطُـــوعُ لهـــا كل الطبـــاع الأبيـــة

يصـــور شكلاً مثل شكل ويعتـــلي

عليـــه بأوهـــام النفـــوس الخبيثـــة

وفي كـــل تصحيـــف وعضـــو بذاتـــه

اختـــلاج وفي التقويـــم مجلى لرؤيـــة

وفي خضرة الكمُّون تزجي شرابـــه

مواعيد عرقوب على أثـــر صفـــرة

---

[1] **في النفـح: ((بقلـب)).**

وفي شجـــر قد خوفت قطع أصلهـــا
فبـــان بهـــا حمـــل لأقـــرب مـــدة
وفي النخل في تلقيحه واعتبر بمـــا
أتى فيه عن خيـــر البرية واسكـــت
وفي الطابع السبتي في الأحرف الـــتي
يبيـــن منهـــا النظـــم كـــل خفيـــة
وفي صنعة الطلســـم والكيميـــاء والـــ
ـــكنـــوز وتغويـــر الميـــاه المعينـــة
وفي حرز أقسام المـــؤدب محـــرز
وحزب أصيـــل الشـــاذلي وبكـــرة
وفي سيمياء الحاتمي ومذهـــب ابـــ
ـــنِ سبعين إذ يُعزى إلى شر بدعة
وفي المثل الأولى وفي النحل الألى
بها أوهمـــوا لما تسامـــوا بسنـــة
وفي كل ما في الكون من عجب ومـــا
حـــوى الكون إلا ناطقـــاً بعجيبـــة

فلا ســـر إلا وهـــو فيـــه سريـــرة

ولا جهـــر إلا وهـــو فيـــه كحليـــة

سل الذكر عن إنصاف أصناف ما ابتنى

عليـــه الكـــلام من حروف سليمـــة

وعن وضعها في بعضها وبلوغ ما

أتت فيه أمـــضى عدهـــا وتثبـــت

فلا بد من رمز الكنوز لذي الحجـــا

ولا ظلم إلا ظلـــم صاحب حكمـــة

ولولا ســـلام ســـاق للأمن خيفـــتي

لعاجل مـــس البـــرد خوفي لميتتي

ولو لم تداركـــني ولكـــن بعطفهـــا

درجـــت رجائي أن نعتني خيبـــتي

ولو لم تؤانسني عنا قبل لـــم ولـــم

قضى العتب مني بغية بعد وحشتي

ونعم أقامت أمـــر ملكي بشكرهـــا

كما هونـــت بالصبـــر كـــل بليـــة

***

ومن فصل الاعتقال[1]

سرت بفؤادي إذ سرت فيه نظرتي

وسارت ولم تثــن العنــان بعطفــة

وذلــك لما أطلع الشمس في الدُّجى

محيــاً ابنــة الحيين في خير ليلــة

يمانيــة لو أنجــدت حين أنجــدت

لا أبصــرت عيناك حيــاً كميــت

لأصحمــة[2] في نصحهــا قــدم بنى

لكــل نجــاشي بها حصــن ذمــة

ألمــت فحطــت رحلها ثم لم يكــن

سوى وقفــة التوديع حتى استقلــت

فلو سمحت لي بالتفــات وحل مــن

مهاوي الهوى والهون جــد تفــلتي

---

[1] هذه القصيدة من البحر الطويل؛ وهي موجودة أيضاً في نفح الطيب..

[2] أصحمة: هو النجاشي ملك الحبشة؛ الذي أحسن للمسلمين أيام الرسالة. وعند وفاته صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الغائب.

ولكنهـــا همـــت بنـــا فتذكـــرت
قضاء قضاة الحسن قدما فصـــدت
أجلـــت خيـــالاً إنـــني لا أجلِّـــهُ
ولـــم أنتســـب منـــه لغيـــر تعلـــة
على أنني كـــلي وبعـــضي حقيقـــه
وباطـــل أوصـــافي وحق حقيقـــتي
وجنسي وفصلي والعوارض كلهـــا
ونوعي وشخصي والهواء وصـــورتي
وجسمي ونفسي والحشـــا وغرامـــه
وعقـــلي وروحانيـــتي القدسيـــــة
وفي كل لفـــظ عنه ميل لمسمـــعي
وفي كل معنى منه معنى للوعـــتي
ودهـــري بـــه عيـــد ليوم عروبـــة
وأمري أمري والورى تحت قبضـــتي
ووقتي شهـــود في فنـــاء شهدتـــه
ولا وقـــت لي إلا مشاهـــد غيبـــة

أراه مـــعي حســـاً ووهمـــاً وإنـــه

منـــاط الثريـــا من مدارك رؤيـــتي

وأسمعـــه من غيـــر نطـــق كأنـــه

يلقـــن سمعي ما توسوس مهجـــتي

مـــلأت بأنـــوار المحبـــة باطـــني

كأنـــك نـــور في سرار سريـــرتي

وجليـــت بالإجلال أرجاء ظاهـــري

كأنـــك في أفـــقي كواكـــب زينـــة

فأنت الذي أخفيـــه عنـــد تستـــري

وأنت الذي أبديه في حين شهـــرتي

فته أحتمل واقطع أصل وأعل استفل

ومر أمتثل وأملل أمل وارم أثبـــت

فقلبي إن عاتبتـــه فيـــك لـــم أجـــد

لعتـــبي فيه الدهـــر موقـــع نكتـــة

ونفـــسي تنبو عن ســـواك نفاســـة

فـــــلا تنتـــمي إلا إليـــك بمنـــة

تعلقــت الآمال منــك بفــوق مــا

أرى دونـــه مـــا لا ينـــال بحيلـــة

وحامت حواليها وما وافقــت حمى

سحائب يأس أمطرت ماء عبـــرتي

فلو فاتـــني منك الرضى ولحقتـــني

بعفـــو بكيت الدهر فـــوت فضيلـــة

ولـــو كنت في أهل اليمين منعمـــاً

بكيـــت على ما كـــان من سبقيـــة

وكم من مقـــام قمت عنك مسائـــلاً

أرى كـــل حي كـــل حي وميـــت

أتيـــت بفـــاراب أبا نصرهـــا فلـــم

أجـــد عنـــده علمـــاً يبـــرد غلـــتي

ولم يـــدر ما قولي ابن سيناء سائلا

فقل كيف أرجـــو عنده بـــرء علتي

فهل في ابن رشد بعد هذين مرتجى

وفي ابن طفيل لا حتثـــاث مطيـــتي

لقــد ضـــاع لولا أن تداركني حمى

من الله سعي بينهــم طــول مــدتي

فقيض لي نهجــاً إلى الحق سالكـــاً

وأيقظـــني من نوم جهلي وغفـــلتي

فحصنـــت أنظـــار الجند[1] جنيدهـــا

بتـــرك فُلي من رغبة ريح رهبـــة

وكسرت عن رجل ابن أدهم أدهمـــاً

وأنقذتـــه من أســـر حب الأســـرة

وعدت على حلاج سُكْرى[2] بِصلْبـــه

وألقيـــت بلعـــام التفـــاني[3] بهـــوة

فقـــولي مشكـــور ورأيي ناجـــح

وفعـــلي محمـــود بكـــل محلّـــة

رضيـــت بعرفـــاني فأعليـــت للعلا

وأجلســـني بعد الرضـــا فيه جلتي

---

[1] في النفـح: ((الجنيـد))؛ وهـو أسلـم.
[2] نفسـه: ((شكـري)).
[3] نفسـه: ((التفـاتي)).

فعشت ولا ضيــراً أخاف ولا قلى

وصـــرت حبيبـــاً في ديار أحبـــتي

فها أنا ذا أمـــسي وأصبـــح بينهـــم

مبلـــغ نفـــسي منهـــم مـــا تمنـــت[1]

***

وأنشدني قوله في حال قبض وقيدتها عنه[2]:

إليك بسطت الكف أستنزل الفضـــلا

ومنك قبضت الطرف أستشعر الذلا

وها أنا ذا قد قدمت[3] يقدمني الرجـــا

ويحجمني[4] الخوف الذي خامر العقلا

أقدم رجلا إن يضئ بـــرق مطمـــع[5]

وتظلم أرجائي فلا أنقـــل الرجـــلا

---

[1] **هنا ينتهي ما نقله عنان من نفح الطيب وأضافه لنسخة الإحاطة التي حققها.**

[2] **هذه الأبيات من البحر الطويل.**

[3] **في النفح: ((قمت))؛ وهو أسلم.**

[4] **في الزيتونة: ((يحجبني))، وفي نفح الطيب: ((ويحجم بي)).**

[5] **في الزيتونة، وج؛ ورد هذا الشطر هكذا: ((أقدم رجلاً يقضي برق مظهر)). وصوب من نفح الطيب.**

ولي عثرات لست آمــل إن هــوت

بنفــسي ألاَّ أستقــل وأن أصــلى[1]

فإن تدركني رحمــة أنتعــش بهــا

وإن تكن الأخرى فأولى بي الأولى[2]

قال: ومما نظمته من الشعر[3]:

وَجْــدٌ[4] تُسْعِــره الضلــو

عُ وما تبــرده المدامــع

هــم تحركــه الصبــا

بة والمهابة لا تطــاوع[5]

أملي[6] إذا وصــل الرجــا

أسبابه فالمــوت[7] قاطــع

---

[1] في النسختين: ((أصلا))؛ فصوبت من نفح الطيب.
[2] هذا البيت سقط في الزيتونة، و ج؛ بينما يوجد في نفح الطيب.
[3] هذه الأبيات من مجزوء الكامل.
[4] في ج: ((وحوت)). وف الزيتونة: ((وحرة))؛ والتصويب من نفح الطيب.
[5] في ج: ((تطلع))، وفي الزيتونة: ((تطامع))؛ وصوبت من نفح الطيب.
[6] في النفح: ((أملٌ)).
[7] في ج: ((خوف)). وصبت من نفح الطيب.

بالله يــا هــذا الهــوى

ما أنت بالعشاق صانــع

قال ومما كتبت به لمن بلغني عنه بعض الشيء[1]:

نحن إن تســأل بنــاس معشــر

أهــل مــاء فجرتــه الهمــم

عــرب من بيضهــم أرزاقهــم

ومن السمــر الطــوال الخيــم

عرضــت أحسابهــم أرواحهــم

دون نيل العرض وهي الكــرم

أورثونــا المجــد حــتى أننــا

نرتــضي المــوت ولا نزدحــم

ما لنا في الناس من ذنب ســوى

أننــا نلــوي إذا مــا اقتحمــوا[2]

---

[1] هذه الأبيات من بحر الرمل.

[2] هذه الأبيات لا توجد في ج، ولا الزيتونة؛ ونقلت بالكامل من نفح الطيب؛ الذي نقلها صاحبه عن الإحاطة قديماً.

قال: وما قلته مذيلاً به قول القاضي **أبي بكر بن العربي**[1]:

أما والمسجد الأقــصى * ومـــا يتـــلى به نصّـــا

لقد رقصت بنات الشــو * قِ بين جوانحي رقصـــا

قولي[2]:

فأقلــع بي إليـــه هــوى * جناحـــا عزمـــه قصـــا

أقل القلـــب واستعــدى * على الجثمان فاستعصى

فقمـــت أجـــول بينهمـــا * فـــلا أدنى ولا أقـــصى[3]

قال: ومما قلته في التورية بشأن راوي المدونة[4]:

لا تعجبن لظبي[5] قد دهـــا أســـداً

فقد دهـــا أسداً من قبل سحنـــون

---

[1] **مجزوء الوافر.**

[2] **مجزوء الوافر.**

[3] **هذه ألأبيات نقلت أيضاً عن نفح الطيب. منقولة بدورها عن نسخة قديمة من الإحاطة.**

[4] **البحر البسيط.**

[5] **في الزيتونة: ((لصبي)).**

قال: ومما قلته من الشعر[1]:

أنبت عوداً بنعماء[2] بـــدأت بهـــا

فضلاً وألبستها بعد اللحى الورقا

فظل مستشعراً مستدثـــرا أرجـــا

ريّان ذا بهجة يستوقف الحدقـــا

فـــلا تُشِنْه بمكروه الجِنَى فلِكـــم

عوّدته من الجميل من لدن خلقا

وأنف القذى عنه وأثر الدهر منبتـــه

وغـــذِّه برجـــاء واسقـــه غدقـــا

واحفظه من حادثات الدهر أجمعهـــا

ما جاء منها على ضوء وما طرقـــاً[3]

---

[1] البحر البسيط.

[2] في النفح: ((لنعماء)).

[3] هذه الأبيات بدورها جاءت في نفح الطيب؛ بعد أن نقلت من نسخة قديمة للإحاطة.

ومما قيدت عنه أيام مجالسته ومقامه **بغرناطة**، وقد أجرى ذكر **أبي زيد بن الإمام**، أنه شهد مجلساً بين يدي السلطان **أبي تاشفين عبد الرحمن بن أبي حمو**[1]، ذكر فيه **أبو زيد** المذكور، أن **ابن القاسم** مقيد بالنظر بأصول **مالك**، ونازعه **أبو موسى عمران بن موسى المشذالي**[2]، وادّعى أنه مطلق الاجتهاد، واحتج له بمخالفته لبعض ما يرويه أو يبلغه[3] عنه لما ليس من قوله، وأتى من ذلك بنظائر كثيرة. قال فلو تقيد بمذهبه، لم يخالفه لغيره. فاستظهر **أبو زيد** بنص **لشرف الدين بن**[4] **التلمساني**، ومثل فيه الاجتهاد المخصوص باجتهاد **ابن القاسم**، بالنظر إلى مذهب **مالك**، **والمزني** إلى **الشافعي**. فقال **أبو موسى عمران**[5]، هذا مثال، والمثال لا يلزم[6] صحته؛ فصاح به

---

[1] هو السلطان أبو تاشفين عبد الرحمن الأول ابن أبي حمو موسى الأول ابن عثمان بن يغمراسن بن زيان. تربع على عرش تلمسان من سنة 718هـ/1318م إلى سنة 737هـ/1337م.

[2] في النفح: ((المشدالي))؛ وهو الأصوب.

[3] نفسه: ((ويبلغه)).

[4] كلمة: ((ابن)) سقطت في نفح الطيب.

[5] في النفح: ((فقال عمران)).

[6] نفسه: ((تلزم)).

أبو زيد[1] [**بن الإمام**][2]، وقال **لأبي عبد الله بن أبي عمر**[3]: تكلم؛ [فقال][4] لا أعرف ما قال هذا الفقيه، والذي أذكره أذكره من كلام أهل العلم [أنه][5] لا يلزم من فساد المثال فساد الممثل به، فقال **أبو موسى** للسلطان، هذا كلام أصولي محقق، فقلت لهما[6] يومئذ، وأنا حديث السن: ما ما أنصفهما[7] الرجل؛ فإن المثل[8] كما يؤخذ على جهة التحقيق، كذلك يؤخذ على جهة التقريب، ومن ثم جاء ما قال[9]: هذا الشيخ، أعني **ابن أبي عمران**[10]، وكيف لا وهذا **سيبويه** يقول، وهذا مثال ولا يتكلم به، فإذا صح أن المثال قد يكون تقريباً، فلا يلزم صحة المثال، ولا فساد الممثل لفساده[11] فهذان القولان من أصل واحد.

---

[1] في النفح: ((أبو موسى)).
[2] هذه العبارة ساقطة في الزيتونة.
[3] في النفح: ((عمرو)).
[4] سقطت هذه الكلمة من النسختين؛ وفي النفح الطيب؛ كتب: ((عمرو)).
[5] أضيفت هذه الكلمة من نفح الطيب.
[6] في النفح: ((لهما وأنا يومئذ حديث...))
[7] نفسه: ((ما أنصفتما)).
[8] نفسه: ((المُثُل كما تؤخذ)).
[9] نفسه: ((قاله)).
[10] نفسه: ((عمرو)).
[11] ((لفساده)) أضيفت من نفح الطيب.

وقال: شهدت مجلساً آخر عند هذا السلطان، قرئ فيه على **أبي زيد [بن الإمام]**[1] حديث: (لقنوا موتاكم لا إله إلا الله)، من[2] صحيح مسلم. فقال له الأستاذ **أبو إسحاق [بن حكم السلوي]**[3] هذا الملقن محتضر حقيقة، ميت مجازاً فما وجه ترك[4] مُحْتَضِريكم إلى موتاكم، والأصل الحقيقة، فأجابه **أبو زيد** بجواب لم يقنعه. وكنت قد قرأت على الأستاذ بعض التنقيح، فقلت: زعم **القرافي** أن المشتق إنما[5] يكون حقيقة في الحال، مجازاً في الاستقبال؛ الاستقبال؛ مختلفاً فيه في الماضي؛ إذا كان محكوماً به. وأما[6] وأما[6] إذا كان متعلق الحكم كما هنا، فهو حقيقة مطلقاً إجماعاً؛ وعلى هذا التقرير، لا مجاز ولا سؤال. ولا يقال إنه احتج على ذلك بما فيه نظر، لأنا نقول إنه نقل الإجماع. وهو أحد الأربعة، التي لا يطالب عنها[7]

---

[1] **وردت هذه العبارة في ج؛ وسقطت من الزيتونة.**
[2] **في النفح: ((في)).**
[3] **هذه العبارة واردة في ج، وساقطة من الزيتونة.**
[4] **كلمة ((ترك))؛ أضيفت من نفح الطيب.**
[5] **كلمة ((إنما)) كتب بدلا منها في الزيتونة ، و ج: ((لا)). وقد صوبت من من نفح الطيب.**
[6] **في النفح: ((أمّا)).**
[7] **نفسه ((مدعيها)). بدلا من ((عنها)).**

بالدليل، كما ذكر أيضاً، بل نقول إنه أساء حيث احتج في موضع الوفاق، كما أساء **اللخمي** وغيره في الاحتجاج على وجوب الطهارة ونحوها. بل هذا أشنع؛ لكونه مما علم كونه من الدين ضرورة[1]. ثم إنا لو سلمنا نفي الإجماع، فلنا أن نقول إن ذلك [إشارة إلى][2] ظهور العلامات التي يعقبها الموت عادة، لأن تلقينه قبل ذلك، إن لم يدهش، فقد يوحش، فهو تنبيه على وقت التلقين، أي لقنوا من[3] تحكمون بأنه ميت. أو يقال[4] إنما عدل عن الاحتضار لما فيه من الإبهام[5]. ألا ترى اختلافهم فيه، هل هو[6] أخذ من حضور الملايكة [أو حضور الأجل، أو حضور الجلاس][7].

---

[1] في نفح الطيب: ((بالضرورة)).
[2] ما بين الحاصرتين أضيف من نفح الطيب.
[3] كلمة ((من))؛ ساقطة في ج.
[4] في النفح: ((أو نقول)).
[5] في الزيتونة ((الأفهام)).
[6] سقطت كلمة ((هو)) في النفح.
[7] ما بين الحاصرتين سقط من ج، والزيتونة؛ وأضيف من نفح الطيب.

ولا شك أن هذه حالة خفية[1] يحتاج [في نصها إلى دليل الحكمة][2] أو[3] إلى وصف ظاهر يضبطها. وهو ما ذكرناه، أو من حضور الموت، وهو أيضاً[4] مما لا يعرف بنفسه. بل بالعلامات. فلما وجب اعتبارها[5]. وجب كون تلك التسمية إشارة إليها. والله أعلم.

وقال: وكان **أبو زيد** يقول[6] فيما جاء من الأحاديث: ما[7] معنى قول **ابن أبي زيد**. وإذا سلم الإمام[8]، فلا يلبث[9] بعد سلامه ولينصرف؛ وذلك بعد أن ينتظر[10] من يسلم من خلفه لئلا يمر بين يدي أحد، وقد ارتفع عنه حكمه، فيكون كالداخل مع المسبوق جمعاً بين الأدلة.

---

[1] في ج: ((خفيفة، وفي الزيتونة: ((حقيقة))؛ وصوبت من نفح الطيب.

[2] ما بين حاصرتين ورد هكذا في الزيتونة وج؛ أما نفح الطيب فكتب فيه بدلا منها: ((في نصبها دليلاً على الحكم)).

[3] ((أو)) سقطت في ج.

[4] كلمة ((أيضاً)) سقطت في النسختين، وأضيفت من نفح الطيب.

[5] في النسختين: ((اعتمارها))؛ وصوبت من نفح الطيب.

[6] سقطت هذه الكلمة في الزيتونة.

[7] في النفح: ((من)).

[8] سقطت هذه الكلمة في الزيتونة.

[9] في النفح: ((يثبت)).

[10] نفسه: ((ينتظر بقدر ما يسلم...))

وقلت[1]، وهذا من ملح الفقيه[2]. وقال كان **أبو زيد** يعنى الإمام، يصحف قول **الخونْجي في الجمل والمقارنات** التي يمكن اجتماعه معها؛ فيقول: والمفارقات[3]؛ ولعله في هذا كما قال **أبو عمرو بن العلاء للأصمعي** لما قرأ عليه[4]:

عليه[4]:

وغررتني[5] وزعمت أنك * لابن في الصيف تامـــرُ

فقال[6]:

وغررتني وزعمت أنك * لا تتى بالضيــف تامـــر

فقال، أنت في تصحيفك أشهر من **الحطيئة**، أو كما يُحكى[7] عن **الشافعي** أنه لما صلّى في رمضان بالخليفة، لم يكن يومئذ يحفظ القرآن؛ فكان ينظر في المصحف، وقرأ الآية: ((صنعة الله أصيب بها من أساء. إنما المشركون

---

[1] في النفح: ((قلت)).
[2] في ج: ((الفقه))، وصوبت من الزيتونة.
[3] في النسختين: ((والمقاربات))؛ وصوبت من نفح الطيب.
[4] مجزوء الكامل.
[5] في النسختين: ((وعورتني. وعوزتني))؛ وصوبت من نفح الطيب.
[6] مجزوء الكامل.
[7] في النفح: ((كما حكي عمن صلى بالخليفة في رمضان؛ ولم يكن...)).

نحس. وعدها إياه[1] تقية لكم خير لكم. هذا أن دعوا للرحمن ولدا. لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه))[2].

وقال: ذكر **أبو زيد بن الإمام** في مجلسه يوماً، أنه سئل بالمشرق عن هاتين الشريطتين[3]: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ، وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾[4]. فإنهما يستلزمان[5] ـ بحكم الإنتاج ـ "ولو علم الله فيهم خيراً لتولوا وهم معرضون"؛ وهو[6] محال. ثم أراد أن يرى ما عند الحاضرين، فقال **ابن حكم**[7]؛ قال **الخونْجي**، والإهمال بإطلاق لفظه: لو وأن في المتصلة، فهاتان القضيتان على هذا مهملتان، والمهملة في قوة الجزيئة[8]، ولا ولا قياس على[9] جزئيتين. فلما اجتمعت **ببجاية بأبي علي حسين بن حسين**، أخبرته بهذا، وبما أجاب به **الزمخشري**

---

[1] في النفح: ((أباه)).
[2] طبعاً هذه العبارات ليست هي الآيات القرآنية؛ وإنما توضح هذه الأمثلة الأخطاء التي وقع فيها الإمام الشافعي في صغره وبداية أمره.
[3] في النفح: ((الشرطيتين)).
[4] سورة الأنفال؛ الآية: 23.
[5] في النفح: ((تستلزمان)).
[6] كلمة: ((وهو)) سقطت في النسختين؛ وأضيفت من نفح الطيب.
[7] في الزيتونة: ((ابن الحكم)).
[8] في ج: ((الخيرية))، وفي الزيتونة: ((الخبرية))؛ والتصويب من نفح الطيب.
[9] في النفح: ((عن)).

وغيره مما يرجع إلى انتفاء أمر تكرار[1] الوسط. [فقال لي: الجوابان في المعنى سواء؛ لأن القياس على الجزئيتين إنما امتنع لانتفاء أمر تكرار الوسط][2]. وأخبرت بذلك شيخنا[3] شيخنا[3] **أبا عبد الله الآبلي**، فقال إنما يقوم القياس على الوسط، ثم يشترط فيه بعد ذلك أن لا[4] يكون من جزئيتين جزئيتين ولا سالبتين، إلى ساير ما يشترط. فقلت ما المانع [من كون هذه الشروط تفصيلاً لمجمل ما ينبني عليه الوسط[5] وغيره، وإلا فلا مانع][6] لما قاله **ابن حسين**. قال **الآبلي**؛ وأجبت بجواب **السلوي**، ثم رجعت إلى ما قاله الناس، لوجوب كون مهملات القرآن كلية، لأن الشرطية لا تنتج جزئية. فقلت هذا فيما يساق منها للحجة مثل: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[7]. أما في مثل هذا فلا.

---

[1] في الزيتونة، وج: ((تكرير)). وفي النفح: ((انتفاء تكرر الوسط)).
[2] ما بين الحاصرتين ساقط من الزيتونة.
[3] ((شيخنا)): ساقطة في ج.
[4] ((لا)): سقطت في النسختين، وأضيفت من نفح الطيب.
[5] في النفح: ((من الوسط)).
[6] ما بين الحاصرتين ساقط في الزيتونة.
[7] الآية كاملة هكذا: [لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللّهِ رَبِّ العَرْشِ عَمّا يَصِفُونَ). سورة الأنبياء؛ الآية: 22.

فلا. قلت[1]: وكان يلزم السؤال الأول لو لم يكن للمتولي سبب تأخر، حسبما تبين في مسألة، لو لم يطع الله، فلينظر ذلك في اسم شيخنا **أبي بكر يحيى بن هذيل** رحمه الله.

وقال: لما ورد **تلمسان** الشيخ الأديب **أبو الحسن بن فرحون**، نزيل **طيبة**، على تربتها السلام سأل **ابن حكم** عن معنى هذين البيتين[2]:

رأت قمـــر السمـــاء فأذكرتـــني
ليـــالي وصلنـــا[3] بالرقمتيـــــن
كلانـــا ناظـــر قمـــــراً ولكـــن
رأيـــت بعينهـــا ورأت بعـــيني

---

[1] سقطت كلمة ((قلت)) في النفح.
[2] البحر الوافر.
[3] في النفح: ((وصلها)).

[ففكر ؛ ثم قال][1]: لعل هذا الرجل كان ينظر إليها، وهي تنظر إلى قمر السماء، فهي تنظر إلى القمر حقيقة، وهو لفرط[2] الاستحسان يرى أنها الحقيقة. فقد رأى بعينها لأنها ناظرة الحقيقة. وأيضاً وهو ينظر إلى قمر مجازاً، وهو لإفراطه استحسانها[3] يرى أن قمر السماء هو المجاز، فقد رأت بعينه لأنها ناظرة المجاز.

قلت: ومن هذا يعلم وجه الفاء في قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[4]. والفاء فأذكرتني [بمثابة قولك أذكرتني][5]، فتأمله، فإن بعض من لا يفهم كلام الأستاذ كل[6] الفهم، ينشده ((وأذكرتني)). فالفاء في البيت الأول، منبهة على الثاني، وهذا النحو يسمى ((الإيذان؛ في علم

---

[1] ما بين الحاصرتين سقطت في النسختين؛ وكتب بدلاً منها: ((فقال))؛ وقد صوب ذلك من نفح الطيب.

[2] في النفح: ((الإفراط)).

[3] في الزيتونة كتب: ((استحسانه إياها)). وفي النفح: ((الإستحسان لها يرى)).

[4] الآية كاملة هكذا: [فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلاَ تَكْفُرُونَ]. سورة البقرة؛ الآية: 152.

[5] ما بين الحاصرتين ساقط في النسختين؛ وأضيف من نفح الطيب.

[6] في نفح: ((حق)).

البيان)). وقال: سألني **ابن حكم** عن نسب هذا[1] المجيب في هذا البيت[2]:

ومهفهف الأعطاف قلتُ له انتسبْ

فأجاب ما قتل المحب حرام

ففكرت؛ ثم قلت له[3]: أراه **تميمياً** لإلغائه ((ما)) النافية. فاستحسنه مني [لصغر سني يومئذ][4]. وسأل **[ابن فرحون][5] ابن حكم** يوماً[6]، هل تجد في التنزيل ست فئات فئات مرتبة ترتيبها في هذا البيت[7]:

رأى[8] فحب فرام الوصل فامتنعت

فسام صبراً فأعيا نيله فقضى

[1] سقطت كلمة ((هذا)) في النفح.
[2] البحر الكامل.
[3] سقطت كلمة: ((له)) في النفح.
[4] أضيفت هذه العبارة من نفح الطيب.
[5] ما بين الحاصرتين ساقط في النسختين؛ وأضيف من نفح الطيب.
[6] سقطت كلمة ((يوماً)) في النفح.
[7] البحر البسيط.
[8] في ج: ((وأنى))؛ وصوبت من نفح الطيب.

ففكر[1] **ابن حكم**: ثم قال نعم؛ قوله عز وجل: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ * فَتَنَادَوْا ﴾[2] إلى آخرها؛ فمنعت له البناء في ((فتنادوا)). فقال **لابن فرحون**: فهل عندك غيره؟ فقال: نعم. قوله عز وجل: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾[3]. إلى آخرها؛ فمنع لهم بناء الآخرة لقراءة الواو. فقلت له: امنع [ولا تسند][4]، فيقال[5]:

إن المعاني قد تختلف باختلاف الحروف، وإن كان السند لا يسمع الكلام[6] عليه. وأكثر ما وجدت الفاء تنتهي تنتهي في كلامهم إلى هذا العدد، سواء بهذا الشرط وبدونه، كقول نوح عليه السلام: ﴿ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ﴾[7].

---

[1] في النفح: ((ففكر ثم قال)).
[2] الآيات هكذا: [فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ * فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ]. سورة القلم؛ الآيات: 19 - 20 - 21.
[3] سورة الشمس؛ الآية: 13.
[4] هذه العبارة ساقطة في الزيتونة.
[5] في النفح: ((فيقال لك)).
[6] ((الكلام))؛ أضيفت من نفح الطيب.
[7] الآية كاملة هكذا: [وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ

وكقول **امرئ القيس**:

((غشيت ديار الحي بالبكرات))، البيتين[1].

لا يقال قوله، فالحب[2] سابع؛ لأنا نقول إنه عطف على عاقل المجرد منها، ولعل حكمة الستة أنها أول الأعداد التامة، كما قيل في حكمة خلق السموات والأرض فيها. وشأن اللسان عجيب.

وقال: سمعت **ابن حكم** يقول: [كتب][3] [بعض] أدباء [**فاس]** إلى صاحب له[4]:

إبعث إلي بشيء مدار فاس عليه
وليس عندك شيء مما أشير إليه

وَشُرَكَاءَكُمْ ثمّ لاَ يَكُنْ أمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمّة ثمّ اقضُوا إلَيّ وَلاَ تنْظِرُونِ). سورة يونس؛ الآية: 71.

[1] من البحر الطويل؛ وهما كما يلي:
غَشِيتُ ديار الحَيِّ بالبَكَرات * فعارِمَة فَبُرْقة العِيَرات
فَغَوْلٍ فَحِلّيت فَمَنْعِجٍ إلى عاقلٍ فالجُبّ ذي الأمرات

[2] في النفح: ((فالجب)).

[3] نفسه: ((بعث)).

[4] البحر المجتث.

فبعث [إليه] ببطة من مرّي[1] شرب ؛ [يشير بذلك إلى][2] الرياء. وحدث أن قاضيها[3] **أبا محمد عبد الله [بن أحمد بن الملجوم** دعي][4] إلى وليمة، وكان كثير البلغم، فوضع بين يديه صهره **أبو العباس ابن الأشقر** غضاراً من اللوز المطبوخ بالمري، لمناسبته لمزاجه، فخاف أن يكون قد عرّض له بالرياء. وكان **ابن الأشقر** يذكر بالوقوع في الناس، فقدم له القاضي[5] غضار المقروض[6]**،** فاستحسن الحاضرون فطنته.

وقال عند ذكر شيخه **أبي محمد عبد الله بن عبد الواحد المجاصي** : [دخلت عليه بالفقيه **أبي عبد الله السطي** في أيام عيد، فقدم لنا طعاماً، فقلت لو أكلت معنا، فرجونا بذلك ما يرفع من حديث. (**من أكل مع مغفور له، غفر له**) ؛ فتبسم، وقال لي: دخلت على سيدي **أبي**

---

[1] البطة: إناء يشبه القارورة. والمرّي: مستحضر يستعمل في تحضير الأطعمة.

[2] الكلمات السابقة المحصورة بين حاصرتين؛ كلها أضيفت من نفح الطيب.

[3] في النسختين: ((قاضينا))؛ وصوبت من نفح الطيب.

[4] ما بين الحاصرتين ساقط في النسختين؛ بينما كتب في نفح الطيب: ((حضر وليمة)).

[5] في النفح: ((فتناوله القاضي)).

[6] غضار المقروض: قطع من العجين تحشى بالتمر أو اللوز ثم تقلى؛ وتقدم كحلوى. مازال المقروض معروفاً بكثرة في بلاد المغرب كلها.

عبد الله الفاسي بالأسكندرية، فقدم لنا[1] طعاماً، فسألته عن هذا الحديث؛ فقال وقع في نفسي[2] شيء؛ فرأيت **النبي** صلى الله عليه وسلم في المنام، فسألته عنه، فقال[3]: لم أقله، وأرجو أن يكون كذلك؛ وصافحته بمصافحته الشيخ **أبا عبد الله زيان**، بمصافحته **أبا سعيد عثمان بن عطية الصعيدي**، بمصافحته **أبا العباس أحمد الملثم**، بمصافحته **المعمر**، بمصافحته رسول الله صلى الله عليه وسلم][4].

وحدث عن شيخه **أبي محمد الدلاصي**، أنه كان **للملك العادل** مملوك اسمه **محمد**، فكان يخصه لدينه وعقله، بالنداء باسمه، وإنما كان ينعق[5] بمماليكه [يا ساقي][6]، يا طباخ، يا مزين. فناداه[7] ذات يوم، يا فراش،

---

[1] سقطت كلمة: ((لنا)) في نفح الطيب.
[2] في النفح: ((نفسي منه شيء)).
[3] نفسه: ((فقال لي)).
[4] هذه الفقرة المحصورة بين حاصرتين سقطت من الزيتونة، وج. وقد أضيفت من نفح الطيب.
[5] نعق نعيقاً؛ والنعيق: صوت الغراب.
[6] هذه الإضافة من نفح الطيب.
[7] في النفح: ((فنادى به ذات يوم)).

فراش، فظن أن[1] ذلك لموجدة[2] عليه. فلم ير أثر ذلك، وتصورت له به خلوة، فسأله عن مخالفته لعادته[3]، فقال له له لا عليك، كنت يومئذ جنباً، فكرهت أن أذكر[4] اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، على تلك الحالة. وقال أنشدني **المجاصي**، قال أنشدني الإمام[5] **نجم الدين الواسطي**، قال أنشدني **شرف الدين الدمياطي**، قال أنشدني **تاج الدين الآمدي**[6]، مؤلف **الحاصل**، قال أنشدني أنشدني الإمام **فخر الدين** لنفسه[7]:

نهايـــة إقـــدام العقـــول عقـــال

وأكثر ســـعي العالمين ضـــلال

وأرواحنا في وحشة من جسومنا

وحاصـــل دنيانـــا أذى ودبـــال[8]

---

[1] **سقطت كلمة ((أن)) في نفح الطيب.**
[2] **أي لغضب.**
[3] **في النفح: ((لعادته معه فقال)).**
[4] **نفسه: ((فكرهت ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على تلك الحالة)).**
[5] **كلمة: ((الإمام)) أضيفت من الزيتونة. بينما سقطت هذه أيضاً في نح الطيب.**
[6] **في النفح: ((الأرموي)).**
[7] **البحر الطويل.**
[8] **في عيون الأنباء، والوافي بالوفيات: ((ووبال)).**

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا

سوى أن جمعنا فيه قيل وقالــوا

وكم من رجال قــد رأينا ودولة

فبادوا جميعاً مسرعين وزالــوا

وكم من جبال قد علت شرفاتهــا[1]

رجال فماتــوا والجبــال جبــال

وقال: وقد مرّ من ذكر الشريف القاضي **أبي علي حسين بن يوسف [بن يحيى][2] الحسني** في عداد شيوخه وقال[3]: حدثني **أبو العباس الرندي**، عن القاضي **أبي العباس بن الغماز**[4]. [قال لما قدم القاضي **أبو العباس بن الغماز** من **بلنسية**، نزل **بجاية**؛ فجلس بها في الشهود مع **عبد الحق بن ربيع**[5]، فجاء **عبد الحق** يوماً، وعليه برنس

---

[1] الإضافة من نفح الطيب.
[2] في ج: ((شرفها)).
[3] كلمة ((وقال)) أضافها عنان.
[4] هو أحمد بن محمد بن الحسن بن الغماز الأنصاري؛ الذي توفى بتونس سنة 693هـ/1293م.
[5] له ترجمة في عنوان الدراية.

أبيض، وقد حسنت شارته، كملت هيئته، فلما نظر إليه **ابن الغماز** أنشده[1]:

لبس البرنس الفقيه فباهى
ورأى أنه المليح فتاها[2]
لو زليخا رأته حين تبدّى
لتمنته أن يكون فتاها

قال أيضاً: إن **ابن الغماز**[3] جلس لارتقاب الهلال **بجامع الزيتونة[4]**، فنزل الشهود من المئذنة وأخبروا أنهم لم يهلوه[5]. وجاء حفيد له صغير، فأخبره أنه أهَلَّه، فردهم

---

[1] البحر الخفيف.
[2] فتاها في الأولى هذه تعني: تاه من التيه.
[3] ما بين الحاصرتين ساقط في الزيتونة، وج.
[4] يعتبر جامع الزويتونة أهم معلم إسلامي، وثاني الجوامع ـ تاريخياً ـ بعد مسجد عقبة بن نافع بالقيروان. كما يعتبر من أشهر وأقدم الجامعات العلمية في بلاد المغرب كلها. ومع أن المؤرخين قد اختلفوا في تاريخ تشييد هذا الجامع؛ إلاّ أنهم يجمعون أنه الأقدم بعد مسجد القيروان. وعليه فمنهم من يرى أنه بني سنة 79هـ/698م؛ وآخرون؛ يرون أنه بني في سنة 84هـ/ 703م؛ بأمر من حسان بن النعمان فاتح مدينة تونس وقرطاج؛ بينما يعتقد غيرهم أن الذي بنى جامع الزيتونة هو عبد الله ابن الحبحاب والي الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك سنة 116هـ/736م.
[5] أي لم يَرَوْه.

معه؛ فأراهم إياه، فقال ما أشبه الليلة بالبارحة، وقد[1] وقع لنا مثل هذا مع **أبي الربيع بن سالم**[2]، فأنشدنا فيه[3]:

تواري هال الأفق عن أعين الورى
وأرخى حجاب الغيم دون محياه
فلما تصدى لارتقاب شقيقه
تبدى له دون الأنام فحياه

وجرى في ذكر **أبي عبد الله بن النجار**[4]، الشيخ التعالمي[5] من **أهل تلمسان**، فقال: ذكرت يوماً قول **ابن الحاجب** فيما يحرم من النساء بالقرابة، وهي [أصول

---

[1] سقطت كلمة: ((وقد)) في النفح.

[2] هو أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الحميري الكلاعي؛ ولد ببلنسية سنة 565هـ/1170م، وتوفي شهيداً وهو رافع للراية؛ وذلك وقعة أنيشة القريبة من بلنسية؛ وذلك سنة 634هـ/1237م. وقد عرف الكلاعي بالبلاغة وحظ الحديث. وقد تولى قضاء بلنسية؛ وكان حميد السيرة خلال ولايته تلك. ومن مؤلفاته: ((الاكتفاء بسيرة المصطفى والثلاثة الخلفاء؛ ألفه في أربعة أجزاء. و(أخبار البخاري وترجمته))، وكتاب الحافل في معرفة الصحابة والتابعين. وقد خصه ابن الخطيب بترجمة له.

[3] البحر الطويل.

[4] هو أبو عبد الله محمد بن يحيى بن علي بن النجار؛ توجد ترجمته في: التعريف بابن خلدون، ونيل الابتهاج، وجذوة الاقتباس، ونفح الطيب.

[5] في ج: ((التعاليمي)).

وفصول][1]، أول أصوله، وأول فصل من كل [أصل][2] وإن علا، فقال إن تركب لفظ التسمية العرفية[3] من الطرفين حلت وإلا حرمت، فتأملته. فوجدته كما قال، لأن أقسام هذا الضابط أربعة، التركيب من الطرفين، كابن العم [وابنة العم][4] مقابله كالأب والبنت. والتركيب[5] من من قبل الرجل، كإبنة الأخ والعم مقابله كابن الأخت والخالة.

وذكر الشيخ الرئيس **أبا محمد عبد المهيمن ابن محمد الحضرمي**. وقال: كان ينكر إضافة الحول إلى الله [عز وجل][6]، فلا يجيز أن يقال: ((بحول الله وقوته))، قال: لأنه لم يرد إطلاقه[7]، والمعنى يقتضي امتناعه؛ لأن الحول كالحيلة، أو قريب منها.

---

[1] في النسختين: ((أصوله وفصوله))؛ وصوب هذا من نفح الطيب.
[2] في النسختين: ((فصل))؛ وصبت من نفح الطيب.
[3] حرفت في الزيتونة؛ فكتبت: ((العربية)).
[4] ما بين الحاصرتين أضيف من نفح الطيب.
[5] في النفح: ((التركب)).
[6] ما بين الحاصرتين أضيف من نفح الطيب.
[7] اختلف العلماء في إطلاق الأسماء على الله سبحانه وتعالى)).

وحكى عن شيخه **أبي زيد عبد الرحمن الصنهاجي**[1]، عن القاضي **أبي زيد عبد الرحمن بن علي الدكالي**: أنه اختصم عنده رجلان في شاة. ادعى أحدهما أنه أودعها الآخر، وادعى الآخر أنها ضاعت منه؛ [فأوجب اليمين على المودع[2] أنها ضاعت][3] من غير تضييع، فقال: كيف أضيع. وقد شغلتني، حراستها عن الصلاة؛ حتى خرج وقتها، فحكم عليه بالغرم. فقيل له في ذلك؛ فقال تأولت قول **عمر**: ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع.

وحكى عن الشيخ الفقيه رحلة الوقت **أبي عبد الله الآبلي**. حكاية في باب الضرب، وقوة الإدراك، قال: كنت [يوماً][4] مع **القاسم بن محمد الصنهاجي**، فوردت عليه طومارة من قبل القاضي **أبي الحجاج الطرطوشي** فيها[5]:

---

[1] جاء في نفح الطيب أنه أبو زيد عبد الرحمن بن يعقوب ابن علي الصنهاجي المكتب.
[2] في النفح: ((المودع عنده أنها)).
[3] ما بين الحاصرتين سقط في النسختين؛ وقد أضيفت من نفح الطيب.
[4] وردت كلمة يوماً)) في المخطوط بعد عبارة ((فوردت عليه)). وموضعها وموضعها هذا مطابق لما جاء في نفح الطيب.
[5] البحر السريع.

خيــرات مـــا تحويـــه مبذولـــة
ومطلـــبي تصحيـــف مقلوبهـــا

فقال لي ما مطلبه، فقلت: ((نارنـج))، ودخـل[1] عليـه وأنـا عنـده **بتلمســان** الشيــخ **الطبيــب**[2] **أبـو عبـد الله الدباغ المالقي**[3]، فأخبرنا أن أديباً استجدى وزيراً بهذا الشطر: ((ثَــمَّ حبيـــبٌ قَلَّمَـــا يَنْصِـــفُ))

فأخذته وكتبته، ثم قلبته وصحفته فإذا به[4]**:** قصبتا مِلَفٍّ شحمي.

وقال: قال شيخنا **الآبلي**، لما نزلت **تازة**[5] مع **أبي الحسن بن بري، وأبي عبد الله الترجالي**[6]، فاحتجت إلى

[1] في النفـح: ((دخـل عليـه الآبـلي وأنـا)).
[2] سقطت كلمـة ((الطبيـب)) في النفـح.
[3] في النفـح: ((المالـقي المتطبـب)).
[4] نفســه: ((فـإذا هـو)).
[5] ((تـازة)) كتبت في النسختين: ((تـازا ـ تـاز)). والصحيـح هـو: ((تـازة أو تـازى))؛ وهي مدينـة بالمغرب الأوسـط.
[6] نسبـة إلى بلـدة ترجالـة الأندلسيـة Trujillo؛ المتواجـدة في الشمـال الشـرقي مـن بطليـوس؛ علـى مقربـة مـن نـهر التاجـة.

النوم، وكرهت قطعهما إلى الكلام[1]، فاستكشفت منها عن معنى[2] هذا البيت **للمعري**[3]:

أقــول لعبــد الله لمــا سقاؤنــا

ونحن بوادي عبد شمس وهاشـــم

فجعلا يفكران فيه؛ فنمت حتى أصبحا؛ ولم يجداه، وسألوني عنه، فقلت: معناه ((أقول **لعبد الله** لِما، وهي سقاؤنا، ونحن بوادي **عبد شمس**، شمَّ لنا بَرقًا)).

قلت: وفيه نظر[4]، وإن استقصينا مثل هذا، خرجنا عن الغرض.

---

[1] في النفح: ((عن الكلام فاستكشفتهما)).
[2] ((معنى)) مضافة من نفح الطيب.
[3] البحر الطويل.
[4] في النفح: ((قلت وفي جواز مثل هذا نظر)).

مولـده

نقلت من خطه: كان مولدي **بتلمسان**، أيام **أبي حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن بن زيان**[1]. وقد وفقت على تاريخ ذلك، ورأيت[2] الصفح عنه؛ لأن **أبا الحسن بن موسى**[3]، سأل **أبا الطاهر السلفي** عن سنه؛ فقال: أقبل على شأنك؛ فإني سألت **أبا الفتح بن زيان ابن مسعدة**[4] عن سنه؛ فقال: أقبل على شأنك، فإني سألت **محمد بن علي بن محمد اللبان** عن سنه فقال: أقبل على شأنك، فإني سألت[5] [**حمزة بن يوسف السهمي** عن سنه، فقال: أقبل على شأنك، فإني سألت **أبا بكر محمد ابن علي النفزي**[6] عن سنه فقال أقبل على شأنك فإني سألت بعض أصحاب **الشافعي** عن سنه، فقال: أقبل على شأنك][7]، فإني سألت **أبا إسماعيل الترمذي** عن

---

[1] حكم من سنة 707هـ/1308م إلى سنة 718هـ/1318م.
[2] في النفح: ((ولكني رأيت)).
[3] في النفح: ((مؤمن)).
[4] سقطت عبارة ((بن مسعدة)) في النفح.
[5] في النفح: ((سألت علي بن محمد اللبان)).
[6] نفسه: ((محمد بن عدي المنقري)).
[7] ما بين الحاصرتين ساقط في الزيتونة.

سنه، فقال: أقبل على شأنك، فإني سألت **الشافعي**[1] عن سنه، فقال: أقبل على شأنك، فإني سألت **مالك**[2] **بن أنس** عن سنه، فقال: أقبل على شأنك، ليس من المروءة إخبار الرجل عن سنه[3].

وفاتـه

توفي **بمدينة فاس** في أخريات محرم؛ من عام تسعة وخمسين وسبعمائة[4]. وأراه توفي في ذي حجة؛ من العام قبله[5]. ونقل إلى تربة سلفه **بمدينة تلمسان** حرسها الله.

***

[1] في النفح: ((أقبل على شأنك؛ فإني سألت الشافعي...)).
[2] حرفت في ج: فكتبت: ((السايب)).
[3] في النفح: ((المروءة للرجل أن يخبر بسنّه)).
[4] الموافق لـ 1357م. وفي الزيتونة عام 709هـ.
[5] 758هـ/1356م.

محمد بن عياض

ابن محمد بن عياض[1] بن موسى اليحصبي؛
من أهل سبتة؛ حفيد القاضي الإمام أبي الفضل عياض؛
يكنى أبا عبد الله.

حاله

قال الأستاذ **أبو جعفر بن الزبير**: كان من عدول القضاة. وجلة سراتهم. وأهل النزاهة فيهم. شديد التحري في الأحكام، والاحتياط، صابراً على الضعيف فيهم والملهوف، شديد الوطأة على أهل الجاه وذوي السطوة؛ فاضلاً وقوراً، حسن السمت، يعرِّفه كلامه أبداً، ويزينه ذلك لكثرة وقاره، محباً في العلم وأهله، مقرباً لأصاغر الطلبة، ومكرماً لهم، ومعتنياً بهم، معملا جهده في الدفع عنهم، لما عسى أن يسوءهم. ليحبب إليهم العلم وأهله، ما رأينا بعده [في هذا مثله][2]. سكن **مالقة** مع أبيه، عند انتقال أبيه إليها، إلى أن مات أبوه سنة خمس وخمسين

[1] ((عياض)) ساقطة في ج.
[2] هذه العبارة ساقطة في الزيتونة.

وستماية[1]. حدثني شيخنا **أبو الحسن بن الجياب**، [وجرى ذكر إعرابه لفظ من حديثه عن شيوخه][2]، قال: دخلت على القاضي المذكور، فسأل أحدنا عن أبيه، فقال: ابن فلان؛ وذكر معرفة مشتركة بين تجار **فاس**. فقال: أيهما الذي ينحت في الخشب، والذي يعمل في السلاح؛ فما فطن لقصده لسذاجته وحدثني عن ذكر جزالته. أنها كانت تقع له مع السلطان مستقضيه، مع كونه مرهوباً، شديد السطوة، وقايع تنبي عن تصميمه، وبعده عن الهوادة. منها أن السلطان أمر بإطلاق محبوس، كان قد سجنه فأنفذ بين يدي السلطان الأمر للسجان بحبسه، وتوعده إن أطلقه. ومنها إذاعة ثبوت العيد، في أخريات يوم، كان قد أمل السلطان البروز إلى العيد في صباحه، فنزل عن القلعة ينادي، **عبد الله** يا **ميمون**، أخبر الناس عن عيدهم اليوم، وأمثال ذلك.

---

[1] **الموافق لـ 1257م.**

[2] **ما بين حاصرتين ساقط في الزيتونة.**

مشيختـه

قرأ **بسبتة**، وأسند بها، فأخذ عن **أبي الصبر أيوب ابن عبد الله الفهري** وغيره، ورحل إلى **الجزيرة الخضراء**. فأخذ بها **كتاب سيبويه** وغيره تفقيهاً[1] على النحوي الجليل **أبي القاسم عبد الرحمن بن القاسم القاضي** المتفنن؛ وأخذ بها أيضاً كتاب **إيضاح الفارسي** عن الأستاذ **أبي الحجاج بن مغرور**، وأخذ **بإشبيلية** وغيرها عن آخرين؛ وقرأ على القاضي **أبي القاسم بن بقي بن نافحة**، وأجاز له؛ وكتب له من أهل **المشرق** جماعة كثيرة، منهم **أبو جعفر محمد بن أحمد بن نصر بن أبي الفتح الصيدلاني**، وأجاز له **بإصبهان**، وهو سبط **حسن بن مندة**، أجاز له في شوال؛ سنة ثمان وتسعين وخمسمائة[2]. وتحمل عن **أبي علي الحداد**، شيخ السلفي الحافظ عن **محمود الصيرفي** ونظايرهما، وجماعة من **إصبهان** كثيرة كتبوا له بالإجازة. وكتب له من غيرها من البلاد [نيف وثمانون][3] رجلا،

---

[1] هكذا كتبت في النسختين. وقد تكون: ((تفقهاً)).

[2] الموافق لـ 1201م.

[3] كتبت هذه العبارة في الزيتونة هكذا: ((ما ينيف على الثمانين)).

منهم أحد وستون رجلاً كتبوا له مع الشيخ المحدث **أبي العباس المغربي**، والقاضي **أبي عبد الله الأزدي**، [وقد نصح على جميعهم في برنامجيهما، واستوفى **أبو العباس الغربي** نصوص الإسترعات، وفيها اسم القاضي **أبو عبد الله ابن عياض**][1].

ومن روى عنه

قال الأستاذ **أبو جعفر** رحمه الله، أجاز لي مرتين اثنين[2]. وقال حدثني **أبو عبد الله** مشافهة بالإذن، أنبأنا **أبو الطاهر بركات بن إبراهيم الخشوعي** كتابة من **دمشق**، أنبأنا **أبو عبد الله محمد بن أحمد الرازي** المعروف **بابن الحطاب** بالحاء المهملة، أخبرنا **محمد بن أحمد بن عبد الوهاب البغدادي بالقسطاط**، أخبرنا **موسى بن محمد بن عرفة السمسار ببغداد**، قال **أبو عمرو بن أحمد بن الفضل النفزي**، أخبرنا **إسماعيل بن موسى**، أخبرنا **عمر ابن شاكر** عن **أنس بن مالك**، قال: قال رسول الله صلى

---

[1] **ما بين الحاصرتين ساقط في الزيتونة.**

[2] **صوبها د. طويل؛ فجعلها: ((اثنتين))؛ وهذا أصح.**

الله عليه وسلم، ((يأتي على الناس زمان، الصابر[1] منهم على دينه، كالقابض على الجمر)).

هذا الإسناد قريب يعز مثله في القرب لأمثالنا، ممن مولده بعد الستمائة، **وإسماعيل بن موسى** من شيوخ **الترمذي**، قد خرج عنه الحديث المذكور، لم يقع له في مصنفه ثلاثي غيره.

مولده

بسبتة سنة أربع وثمانين وخمسمائة[2].

وفاته

توفي **بغرناطة** يوم الخميس الثامن والعشرين لجمادى الآخرة؛ سنة أربع وخمسين وستماية[3].

***

[1] في نص: ((القابض)).
[2] الموافق لـ 1188م.
[3] الموافق لـ 1256م.

محمد بن عياض

ابن موسى بن عياض بن عمر بن موسى بن عياض اليحصبي، من أهل سبتة؛ ولد الإمام أبي الفضل؛ يكنى أبا عبد الله.

حاله

كان فقيهاً جليلاً، أديباً، كاملاً. دخل **الأندلس**، وقرأ على **ابن بشكوال كتاب الصلة**، وولي قضاء **غرناطة**، قال **ابن الزبير**: وقفت على جزء ألفه [في شيء][1] من أخبار أبيه، وحاله في أخذه وعلمه، وما يرجع إلى هذا، أوقفني عليه حفدته **بمالقة**.

وفاته

توفي سنة خمس وسبعين وخمسمائة[2].

***

[1] **هذه العبارة سقطت في الزيتونة.**
[2] **الموافق لـ 1179.**

محمد بن أحمد[1]

ابن جبير بن سعيد بن جبير بن محمد[2] بن سعيد بن جبير
ابن محمد [بن مروان] بن عبد السلام [بن مروان بن عبد
السلام ابن جبير][3] الكناني؛ الواصل إلى الأندلس.

أوليته

دخل جده **عبد السلام بن جبير** في **طالعة بلج بن بشر بن عياض القشيري**؛ في محرم؛ ثلاث وعشرين ومائة[4]. وكان نزوله **بكورة شذونة**. وهو من ولد **ضمرة ابن كنانة بن بكر بن عبد مناف بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس [بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان]**[5]. **بلنسي** الأصل، ثم **غرناطي** الاستيطان. شرق وغرب، وعاد إلى **غرناطة**.

---

[1] **توجد ترجمة ابن جبير أيضاً في الذيل والتكملة، وزاد المسافر، والنجوم الزاهرة، وشذرات الذهب، والمغرب، ونفح الطيب، ومقدمة كتاب رحلة ابن جبير.**
[2] **((بن محمد)) أضيفت من الزيتونة.**
[3] **الجملة الأولى والثانية المحصورة كل واحدة منهما بين حاصرتين؛ أضيفتا من كتاب الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي، السفر الرابع.**
[4] **الموافق لـ 740م.**
[5] **هذه الإضافة من الذيل والتكملة؛ المخطوط نفسه.**

حالـه

كـان أديبـاً بارعـاً، شاعـراً مجيـداً، سنيـاً فاضـلاً، نزيـه المهمـة، سري النفس، كريـم الأخـلاق، أنيـق الطريقـة [في الخـط][1]. كتب **بسبتة**[2] عـن **أبي سعيد عثمان بن عبد المؤمن، وبغرناطة** عـن غيـره مـن ذوي قرابتـه، ولـه فيهـم أمـداح كثيرة. ثـم نـزع عـن ذلـك، وتوجـه إلى **المشـرق**، وجـرت بينـه وبيـن طايفـة مـن أدبـاء عصـره، مخاطبـات ظهـرت فيهـا براعتـه وإجادتـه. ونظمـه فايـق، ونثـره بديـع. وكلامـه المرسـل، سهـل حسـن، وأغراضـه جليلـة، ومحاسنـه ضخمـة، وذكـره شهيـر، ورحلتـه نسيجـة وحدهـا، طـارت كـل مطـار، رحمـه الله.

رحلتـه

قـال مـن عـني بخبره، رحـل ثلاثـاً مـن **الأندلـس** إلى **المشـرق**، وحـج في كـل واحـدة منهـا. فصـل [عـن **غرناطـة**][3] أول ساعـة مـن يـوم الخميـس لثمـان خلـون مـن شـوال؛ ثمـان

---

[1] أضيفت مـن الذيـل والتكملـة.
[2] في الذيـل والتكملـة: ((في شبيتـه)).
[3] هذه الإضافـة مـن الزيتونـة.

وسبعين وخمسماية[1]، صحبة **أبي جعفر بن حسان**، ثم عاد إلى وطنه **غرناطة**؛ لثمان بقين من محرم؛ واحد وثمانين[2]، ولقي بها أعلاماً يأتي التعريف[3] بهم في مشيخته، وصنف الرحلة المشهورة، وذكر مناقله[4] فيها وما شاهده[5] من عجايب البلدان، وغرايب المشاهد، وبدايع الصنايع، وهو كتاب مؤنس ممتع، مثير سواكن النفوس إلى [الرفادة على] تلك المعالم [المكرمة والمشاهد العظيمة][6].

ولما شاع الخبر المبهج بفتح **بيت المقدس** على يد **السلطان الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادي**[7]، قوي عزمه على عمل الرحلة الثانية، فتحرك إليها من **غرناطة**، يوم الخميس لتسع خلون من ربيع الأول؛ من سنة خمس وثمانين وخمسماية[8]، ثم آب إلى

---

[1] الموافق لـ 1182م.
[2] 581هـ/1185م.
[3] في ج: ((التعرف))؛ وصوبت من الزيتونة.
[4] في الذيل، والتكملة، والزيتونة: ((ما نقله)).
[5] في ج: ((مشاهده)). وصوبت من الزيتونة، والذيل والتكملة.
[6] الجملة الأولى والثانية المحصورة كل واحدة منهما بين حاصرتين؛ أضيفتا من كتاب الذيل والتكملة.
[7] كتبت في ج، والذيل والتكملة: ((ابن بوري))، أما الزيتونة فكتبت فيها: ((ابن برى)).
[8] الموافق لـ 1189م.

غرناطة يوم الخميس لثلاث عشر[1] خلت من شعبان ؛ سبع وثمانين[2]؛ وسكن **غرناطة**، ثم **مالقة**، ثم **سبتة**، ثم **فاس**[3]، منقطعاً إلى إسماع الحديث والتصوف، وترويـة ما عنده. وفضله بديع، وورعه يتحقق، وأعماله الصالحة تزكو[4]. ثم رحل الثالثة من **سبتة**، بعد موت زوجته **عاتكة عاتكة أم المجد** بنت الوزير **أبي جعفر الوقشي**[5]، وكان كلفاً كلفاً بها، فعظم وجده عليها، فوصل **مكة**، وجاور بها طويلاً، ثم **بيت المقدس**، ثم تجول **بمصر والإسكندرية**، فأقام[6] يحدث، ويؤخذ عنه إلى أن لحقي بربه.

مشيختـه

روى **بالأندلس** عن أبيه، **وأبي الحسن بن محمد بن أبي العيش، وأبي عبد الله بن أحمد بن عروس، وابن الأصيلي**. وأخذ العربية عن **أبي الحجاج بن يسعون**.

---

[1] صوبها د. طويل؛ فجعلها: ((عشرة))؛ وهذا أصح.
[2] 587هـ/1191م.
[3] في الذيل: ((ثم فاس ثم سبتة)).
[4] كتبت في النسختين: ((تذكر))؛ وصوبت من الذيل والتكملة.
[5] في الذيل: ((أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمن الوقشي)).
[6] نفسه: ((فأقام بها)).

وبسبتة عن **أبي عبد الله بن عيسى التميمي السبتي**. وأجاز له **أبو الوليد بن سبكة**، **وإبراهيم بن إسحاق بن عبد الله الغساني التونسي**، **وأبو حفص عمر بن عبد المجيد بن عمر القرشي الميانجي**، نزيلاً **مكة**، **وأبو جعفر أحمد بن علي القرطبي الفنكي**، **وأبو الحجاج يوسف بن أحمد بن علي بن إبراهيم بن محمد البغدادي**، **وصدر الدين أبو محمد عبد اللطيف الحجري** رييس **الشافعية بإصبهان**. **وببغداد** العالم الحافظ[1] المتبحر نادرة الفلك[2] **أبو الفرج**، وكناه **أبو الفضل بن الجوزي**. وحضر بعض مجالسه الوعظية وقال فيه فشاهدنا رجلاً ليس **بعمرو** ولا **زيد**[3]، **(وفي جوف الفرا كل الصيد)**. **وبدمشق أبو الحسن أحمد ابن حمزة بن علي بن عبد الله بن عباس السلمي الجواري**، **وأبو سعيد عبد الله بن محمد بن أبي عصرون**، **وأبو الطاهر بركات الخشوعي**، وسمع عليه، **وعماد الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد الأصبهاني** من أئمة

---

[1] في ج: ((الواعظ)).
[2] كلمة ((الفلك)) سقطت من الزيتونة.
[3] في ج: كتبت: ((ليس من عمر ولا زيد)).

الكتاب، وأخذ عنه بعض كلامه، وغيره، **وأبو القاسم عبد الرحمن بن الحسين بن الأخضر بن علي بن عساكر**، وسمع عليه، **وأبو الوليد إسماعيل بن علي بن إبراهيم [والحسين بن هبة الله بن محفوظ بن نصر الرقبعي، وعبد الرحمن بن إسماعيل بن أبي سعيد الصوفي**، وأجازوا له، **وبحران** الصوفي العارف **أبو البركات حيان بن عبد العزيز**، وابنه الحاذي حذوه][1].

من أخذ عنه

قال **ابن عبد الملك**[2]: أخذ[3] عنه **أبو إسحاق بن مهيب، وابن الواعظ، وأبو تمام بن إسماعيل، وأبو الحسن بن**[4] **نصر بن فاتح بن عبد الله البجائي، وأبو الحسن [بن علي]**[5] **الشادي**[6]، **وأبو سليمان بن حوط الله، وأبو زكريا، وأبو بكر يحيى بن محمد بن أبي الغصن**[7]،

---

[1] ما بين الحاصرتين كله سقط في الزيتونة.
[2] صاحب كتاب الذيل والتكملة.
[3] في الذيل والتكملة: ((رُوِيَ)).
[4] نفسه: ((وأبو الحسن ابن أبي نصر فاتح بن...)).
[5] هذه الإضافة من الزيتونة.
[6] في الذيل: ((وابن محمد الشاري)).
[7] نفسه: ((أبو بكر يحيى بن عبد الملك ابن أبي الغصن)).

وأبو عبد الله بن حسن بن مجير[1]**. وأبو العباس بن عبد المؤمن البناني**[2]**، وأبو**[3] **محمد بن حسن اللواتي**[4] **وابن تامتيت**[5]**، وابن محمد المروري، وأبو عمر بن سالم، وعثمان بن سفيان بن أشقر التميمي التونسي.**

وممن [أخذ عنه][6] **بالإسكندرية، رشيد الدين أبو محمد عبد الكريم بن عطاء الله، وبمصر رشيد الدين بن العطار. وفخر القضاة بن الجياب**، وابنه **جمال القضاة.**

تصانيفه

منها نظمه؛ قال **ابن عبد الملك**: وقفت منه على مجلد متوسط يكون على قدر ديوان **أبي تمام حبيب بن أوس**، ومنه جزء سماه ((**نتيجة وجد الجوانح في تأبين القرين الصالح**))؛ في مراثي زوجه **أم المجد**. ومنه جزء سماه ((**نظم الجمان في التشكي من إخوان الزمان**)). [وله

[1] في الذيل: ((مجبر)).
[2] نفسه: ((وآباء العباس: ابن عبد المؤمن والنباتي)).
[3] نفسه: ((وابن محمد)).
[4] كتبت في النسختين: ((الوابي))؛ وصوبت من الذيل والتكملة.
[5] في الذيل: ((ابن تامتيت)).
[6] في الزيتونة، والذيل: ((وممن روى عنه)).

ترسيل بديع، وحكم مستجادة]، و((**كتاب رحلته**)). [وكان **أبو الحسن الشادي،** يقول إنها ليست من تصانيفه، وإنما قيد معاني ما تضمنته، فتولى ترتيبها، وتنضيد معانيها بعض الآخذين عنه، على ما تلقاه منه][1].
والله أعلم.

شعره

من ذلك القصيدة الشهيرة التي نظمها، وقد شارف **المدينة المكرمة طيبة**، على ساكنها من الله أفضل الصلوات، وأزكى التسليم[2]:

أقول وآنست بالليل نارا
لعل سراج الهدى قد أنارا
وإلا فما بال أفق الدجى
كأن سنا البرق فيه استطارا

---

[1] **الفقرة الأولى والثانية المحصورتان كل على حدة بين حاصرتين؛ نقلا عن كتاب الذيل والتكملة؛ مع بعض التغييرات.**
[2] **هذه القصيدة موجودة في الذيل والتكملة؛ وهي من البحر المتقارب.**

ونحــن من الليــل في حنــدس

فمــا بالــه قــد تجــلى نهــارا

وهذا النسيــم شذا المســك قــد

أعيــر أم المسك منه استعــارا

وكانــت رواحلنـــا تشتـــكي

وجاهــا فقــد سابقتنـــا ابتــدارا

وكنـــا شكونـــا عنـــاء الســـرى

فعدنا نبـــاري ســـراع المهـــارا

أظـــن النفـــوس قد استشعـــرت

بلـــوغ هـــوى تَخِذتـــه شعـــارا

بشايـــر صبـــح السرى آذنـــت

بـــأن الحبيـــب تـــدانى مـــزارا

جرى ذكـــر طيبـــة مـــا بيننـــا

فلا قلب في الركب إلا وطـــارا

حنينـــاً إلى أحمـــد المصطـــفى

وشوقاً يهيـــج الضلوع استعـــارا

ولاح لنـــــا أحــــــد مشرقـــــاً

بنـــور من الشهـــداء استعـــارا[1]

فمـــن أجـــل ذلك ظـــل الدجى

يحـــل عقـــود النجـــوم انتثـــارا

ومن طرب الركب حث[2] الخطـــا

إليهـــا ونـــادى البـــدار البـــدارا

ولمـــا حللنـــا فنـــاء الرســـول

نزلنـــا بأكـــرم مجد[3] جـــوارا

وحين دنونـــا لفـــرض الســـلام

قصرنا الخطـــا ولزمنا الوقـــارا

فما نرسل اللحـــظ إلا اختلاســـاً

ولا نرجع[4] الطرف إلا انكســـارا

ولا نظهـــر الوجـــد إلا اكتتامـــاً

ولا نلفـــظ القـــول إلا ســـرارا

---

[1] **في الذيل والتكملة: ((استنـارا))؛ وهو أسلم.**
[2] **في النسختين: ((حط)).**
[3] **في الذيل والتكملة: ((خلق)).**
[4] **نفسه: ((نرفع)).**

سـوى أننـا لم نطـق أعينـاً

بأدمعهـا غلبتنـا انفجـارا

وقفنـا بروضـة دار السـلام[1]

نعيـد السـلام عليهـا مـرارا

[ولـولا مهابتـه][2] في النفـوس

لَثَمْنَا الثَّـرَى والتزمنا الجـدارا

قضينـا بزورتـه[3] حجنـا

وبالعمرتيـن[4] ختمنـا اعتمـاراً

إليـك إليـك نـبي الهـدى

ركبت البحار وجبـت القفـارا

وفارقـت أهـلي ولا منـة

ورب كـلام يجـر اعتـذارا

وكيـف نمـن عـلى من بـه

نؤمـل للسيئـات اغتفـاراً

---

[1] **ورد هذا الشطر في الذيل هكذا: ((وقفنا بروضته للسلام)).**
[2] **ما بين حاصرتين في الزيتونة: ((ومن إيمانه)).**
[3] **في الذيل: ((بزورتنا)).**
[4] **نفسه: ((وبالعمرين)).**

دعـــاني إليـــك هـــوى كامـــن

أثـــار من الشـــوق ما قد أثـــارا

فناديتـــك[1] لبيـــك داعي الهـــوى

وما كنـــت عنك أطيق اصطباراً

[ووطنـــت نفـــسي بحكـــم[2] الهوى

علي وقلت رضيـــت اختيـــارا][3]

أخوض الدجى وأروض السرى

ولا أطعـــم[4] النـــوم إلا غـــرارا

ولـــو كنت لا أستطيـــع السبيـــل

لطرت ولو لم أصادف مطـــارا[5]

[وأجـــدر من نال منـــك الرضى

محـــب ثراك على البعـــد زارا][6]

---

[1] في الذيل: ((فناديتك))؛ وهو أسلم.
[2] نفسه: ((لحكم)).
[3] في الزيتونة أدمج هذا البين مع الذي قبلة ضمن بيت واحد هو:
((فناديت لبيك داعي الهوى * علي وقلت رضيت اختيارا))
[4] في الزيتونة: ((أطمع)).
[5] هذا الشطر مقتبس من قول الأعمى التطيلي:
((طرت ولكن لم أصادف مطار)).
[6] سقط هذا البيت في الزيتونة.

عسى لحظـــة منك لي في غـــد

تمهـــد لي في الجنـــان القـــرارا

فما ضل من بمســـراك اهتـــدى

ولا ذل مـــن بـــذراك استجـــارا

وفي غبطة من منّ الله عليه لحج بيته، وزيارة قبره صلى الله عليه وسلم يقول[1]:

هنيئـــاً لمن حـــج بيـــت الهـــدى

وحـــط عـــن النفـــس أوزارهـــا

وإن السعـــــادة مضمونـــــة

لمن حـــج[2] طيبـــة أو زارهـــــا

وفي مثل ذلك يقول[3]:

إذا بلغ المـــرء[4] أرض الحجـــاز

فقـــد نـــال أفضـــل مـــا أملـــه[5]

---

[1] هذان البيتـان يوجـدان في الذيـل، والنفـح؛ وهمـا مـن البحـر المتقـارب.

[2] في الذيـل: ((حـل)).

[3] البيتـان يوجـدان في الذيـل والنفـح. وهمـا مـن البحـر المتقـارب.

[4] في النفـح: ((العبـد)).

[5] نفسـه: ((أم لـه)).

وإن[1] زار قبـــــر نـــبي الهـــدى

فقـــد أكمـــل اللـــه مـــا أملـــه[2]

وفي تفضيل المشرق[3]:

لا يستوي شرق البلاد وغربهـــا

الشرق حاز الفضل باستحقـــاق[4]

أنظر [إلى جمال الشمس][5] عند طلوعهـــا

زهراء تعجب بهجـــة الإشـــراق

وانظر إليها عند الغروب كئيبـــة

صفـــراء تعقب ظلمـــة الآفـــاق

وكفى بيوم طلوعها من غربهـــا

أن تـــؤذن الدنيا بعـــزم[6] فـــراق

---

[1] في النفح: ((فإن)).
[2] في الذيل: ((أم لـه)).
[3] توجد هذه الأبيات في الذيل والتكملة. وهي البحر الكامل.
[4] في الذيل: ((باسترقاق)). وما جاء في النص أصوب.
[5] ذكر عنان أنه ورد في نص: ((نرى الشمس))؛ ولكنه لم يعرف بذلك النص. وقد صوب د. طويل الشطر؛ بحيث غدا:
((أنظر جمال الشمس عند طلوعها)).
[6] في ج: ((في شكوك)). في الذيل: ((بوشك)).

وقال في الوصايا[1]:

عليك بكتمان المصايب واصطبر

عليها فما أبــقى الزمان شفيقــا

كفاك بالشكوى[2] إلى الناس أنهــا[3]

تســر عــدواً أو تسيء[4] صديقــا

وقال[5]:

وصانع[6] المعروف فلتــة عاقــل

إن لم تضعهــا في محل عاقــل[7]

كالنفس في شهواتها إن لم تكــن

وقفــاً[8] لها عادت بضر عاجــل

---

[1] هذان البيتـان يوجدان في الذيل والتكملـة. وهمـا مـن البحـر الطويـل.
[2] في الذيل والتكملـة: ((مـن الشكـوى))؛ وهـو أسلـم.
[3] نفسـه: ((وأنـه)).
[4] نفسـه: ((تسـوء)).
[5] البيتـان يوجدان في الذيـل والتكملـة. وهمـا مـن البحـر البسيـط.
[6] في الذيـل: ((لصانـع)). وفي الزيتونـة: ((فصانـع)).
[7] نفسـه: ((قابـل)).
[8] نفسـه: ((وفقـاً)).

نثــره

من حكمه قوله: إن شرف الإنسان، فشرف[1] وإحسان. وإن فاق فتفضل وإرفاق[2]. ينبغي أن يحفظ الإنسان لسانه. كما يحفظ الجفن إنسانه. فرب كلمة تقال، تحدث عثرة لا تقال. كم كست فلتات الألسنة الحداد، من ورائها ملابس حداد[3]. نحن في زمن لا يحظى[4] فيه بنفاق إلا إلا من عامل بنفاق. شغل الناس عن [طريق الآخرة][5] بزخارف الأغراض. [فلجوا في][6] الصدود عنها والإعراض. والإعراض. آثروا دنيا هي أضغاث أحلام، وكم هفت في حبها من أحلام، أطالوا فيها آمالهم[7]، وقصروا أعمالهم. ما بالهم، لم يتفرغ لغيرها بالهم، ما لهم في غير ميدانها

---

[1] في الذيل والتكملة: ((فبضل)).
[2] في الزيتونة: ((إفراق))، وفي الذيل والتكملة: ((وإنفاق؛ وينبغي للإنسان للإنسان أن يحفظ لسانه)).
[3] في الذيل والتكملة: ((من ملابس الحداد)).
[4] كتبت في النسختين: ((يحصى)). فصبت من التكملة.
[5] كتبت ما بين الحاصرتين في النسختين: ((الطريق))؛ فأضيف التصويب من التكملة. التكملة.
[6] ما بين الحاصرتين؛ كتب في النسختين: ((فمجوا))؛ وصوب من التكملة.
[7] كتبت هذه الكلمة في النسختين: ((إلمامهم))؛ فصوبت من التكملة.

استباق[1]، ولا [بسوى هواها][2] اشتياق. تالله لو كشفت الأسرار، لما كان هذا الإصرار، ولسهرت [العيون]، وتفجرت من شئونها [الجفون][3]، فلو أن عين البصيرة من سنتها هابّة، لرأت جميع ما في الدنيا ريحاً[4] هابّة [ولكن استولى العمى على البصاير][5] ولا يعلم الإنسان[6] ما إليه صاير، أسأل الله هداية سبيله، ورحمة تورد نسيم الفردوس وسلسبيله، إنه الحنان المنان لا رب سواه[7]. ومنها: فلتات الهبات، أشبه شيء بفلتات الشهوات. منها نافع لا يعقب ندماً، ومنها ضار يبقي في النفس ألماً. فضرر الهبة وقوعها عند من لا يعتقد لحقها أداء، وربما أثرت[8] عنده اعتداء. وضرر الشهوة أن لا توافق ابتداء، فتصير

---

[1] في الذيل: ((إستنـان)).
[2] في ج: ((سوى هداها))؛ وصوبت من التكملة.
[3] كلمة: العيون في الجملة السابقة، وكلمة: الجفون هنا؛ كتبت في الزيتونة: ((العين. والجفن)). وفي الذيل: ((العيون)).
[4] في الذيل: ((ريح)).
[5] حرفت هذه العبارة في ج؛ فكتبت: ((ولكن استولى على العمى ريح البصائر)).
[6] في الذيل: ((المرء)).
[7] أكثر الذي صوب في هذه الفقرة؛ تم بواسطة كتاب الذيل والتكملة.
[8] في الذيل: ((أثمرت)).

لُتّبعِها[1] داء، مثلها كمثل السكر يلتذ صاحبه[2] بحلاوة[3] جناه، فإذا صحا يعرف[4] قدر ما جناه. عكس هذه القضية القضية هي الحالة المرضية.

مولـده

ببلنسية سنة تسع وثلاثين [وخمسماية][5] وقيل **بشاطبة** [سنة أربعين وخمسماية][6].

وفاتـه

توفي **بالإسكندرية** ليلة الأربعاء التاسع والعشرين لشعبان؛ أربع عشرة وستماية[7].

***

[1] في ج: ((لمستعمها))، وفي الذيل والتكملة: ((فتعود لمستعملها)).
[2] في النسختين: ((صاحبها))؛ فصوبها عنان.
[3] في الذيل: ((بحلو)).
[4] في الذيل: ((تعرّف)).
[5] الموافق لـ 1144م. أضيفت كلمة ((خمسمائة)) من الزيتونة.
[6] الموافق لـ 1145م. كتب موضع هذا التاريخ الوارد بين حاصرتين: ((في هذا التاريخ)).
[7] الموافق لـ 1217م.

محمد بن أحمد

ابن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن ابن علي بن شبرين[1]؛ يكنى أبا بكر؛ شيخنا الفقيه القاضي المؤرخ الكاتب البارع رحمة الله عليه

أوليتـه

أصله من **إشبيلية**، من **حصن شلب** من **كورة باجة**، من غربي صقعها، يعرفون فيها **ببني شبرين**، معرفة قديمة. ولي جده القضاء **بإشبيلية**، وكان من كبار أهل العلم تشهد بذلك الصلاة[2]. وانتقل أبوه منها عند تغلب العدو عليها عام ستة وأربعين وستماية[3]، فاحتل **رندة** ثم **غرناطة**[4]، ثم انتقل إلى سكنى **سبتة**، وبها ولد شيخنا **أبو بكر**، وانتقل عند الحادثة إلى **غرناطة**، فارتسم بالكتابة

---

[1] في ج: هنا والذي يلي بعد سطرين: ((ابن شيرين)). وصوبت في الموضعين من الزيتونة. وابن شيرين هو الاسم الصحيح؛ وهو من شيوخ ابن الخطيب المقربين. وقد أشار إليه في عدة مواضع من الإحاطة. وترجمته موجودة أيضاً في الكتيبة الكامنة، وتاريخ قضاة الأندلس، واللمحة البدرية، ونفح الطيب.

[2] كتبت هذه العبارة بدون داع لها في هذا الموضع.

[3] الموافق لـ 1248م.

[4] في تاريخ قضاة الأندلس: ((ثم عاد عند الحادثة التي كانت بها في أواخر عام 705 إلى غرناطة)).

السلطانية، وولي القضاء بعدة جهات، وتأثل مالاً وشهرة، حتى جرى مجرى الأعيان من أهلها.

حالـه

كان فريد دهره، ونسيج وحده في حسن السمت[1] والرواء[2]، وكمال الظرف وجمال الشارة، وبراعة الخط، وطيب المجالسة، خاصياً، وقوراً، تام الخلق، عظيم الأبهة، عذب التلاوة لكتاب الله، من أهل الدين والفضل والعدالة، تاريخياً، مقيداً، طلعة اختيار أصحابه[3] محققاً لما ينقله، فكها مع وقاره، غزلاً، لوذعياً، علي شأن الكتابة، جميل العشرة، أشد الناس على الشعر، ثم على المحافظة، ما يحفظه من الأبيات من غير اعتيام ولا تنقيح، يناغي الملكين في إثباتها، مقررة التواريخ، حتى عظم حجم ديوانه، [تفردت أشعاره بما أبر على المكثرين][4] مليح الكتابة، سهلها، صانعاً، سابقاً في ميدانها، راجحاً

---

[1] في الزيتونة: ((السمة)).
[2] في تاريخ قضاة الأندلس: ((وجمال الرواء)).
[3] سقطت هذه الكلمة في ج.
[4] ما بين الحاصرتين سقط في الزيتونة.

كفة المنثور. وكانت له رحلة إلى **تونس**، اتسع بها نطاق روايته. وتقلب بين الكتابة والقضاء، منحوس الحظ في الاستعمال، مضيقاً فيه، وإن كان وافر الجد، موسعاً عليه. وجرى ذكره في **كتاب التاج المحلى**[1] بما نصه: خاتمة المحسنين، وبقية الفصحاء اللسنين، ملأ العيون هدياً وسمتاً، وسلك من الوقار طريقة؛ لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً، ما شئت من فضل ذات، وبراعة أدوات. إن خط، نزل **ابن مقلة** عن درجته [وإن خط][2]. وإن نظم أو نثر، تبعت البلغاء ذلك الأثر. وإن تكلم أنصت الحفل لاستماعه، وشرع[3] لدرره النفيسة صدق أسماعه. وفد على **الأندلس** عند كاينة **سبتة**، وقد طرحت النوى برحاله، وظعن عن ربعه بتوالي إمحاله، [ومصرف بلاده][4]، والمستولي على طارفها وتالدها، **أبو عبد الله بن الحكيم**، قدس الله صداه، وسقى منتداه، فاهتز لقدومه

---

[1] تأليف ابن الخطيب. ويسمى بالكامل: التاج المحلى في مساجلة القدح المعلى. وهو كتاب تاريخي يتناول تاريخ مملكة غرناطة بشكل مختصر؛ مع تراجم عديدة لأعيانها خلل القرن الثامن الهجري.
[2] هذه العبارة سقطت في الزيتونة.
[3] في الزيتونة: ((وسمع)).
[4] هذه العبارة ساقطة في الزيتونة

اهتزاز الصارم، وتلقاه تلقي الأكارم، وانهض إلى لقايه آماله، وألقى[1] له قبل الوسادة ماله، ونظمه في سمط الكتاب، وأسلاه عن أعمال الاقتاد، ونزل ذمامه تأكداً في هذه الدول، وقوفي له الآتية منها على الأول، فتصرف في القضاء بجهاتها، ونادته السيادة هاك وهاتها، فجدد عهد حكامه العدول من سلفه وقضاتها. وله الأدب الذي تحلت بقلايده اللبات والنحور، وقصرت عن جواهره البحور. وسيمر من ذلك في تضاعيف هذا المجموع ما يشهد بسعة ذرعه، ويخبر بكرم عنصره، وطيب نبعه[2].

مشيختـه

قرأ على جده لأمه الأستاذ الإمام[3] **أبي بكر بن عبيدة الإشبيلي**، وسمع على الرييس **أبي حاتم**، وعلى أخيه **أبي عبد الله الحسين**، وعلى الأستاذ **أبي إسحاق الغافقي**، وعلى الشريف **أبي علي بن أبي الشرف**، وعلى الإمام **أبي عبد الله بن حريث**. وسمع على العدل **أبي فارس**

[1] كتبت في الزيتونة: ((وأمنى)).
[2] كتب في الزيتونة: ((نعمه)).
[3] سقطت كلمة ((الإمام)) في تاريخ قضاة الأندلس.

عبد العزيز الجزيري. وسمع بحضرة **غرناطة** على الأستاذ **أبي جعفر بن الزبير**،] وعلى العدل **أبي الحسن بن مستقور]**[1] وعلى الوزير **أبي محمد بن المؤذن**، وعلى الخطيب **أبي عبد الله بن رشيد. وبمالقة** على الخطيب ولي الله تعالى **أبي عبد الله الطنجالي**، وعلى الوزير الصدر **أبي عبد الله بن ربيع**، وعلى القاضي العدل **أبي عبد الله بن برطال. وببجاية** على الإمام **أبي علي ناصر الدين المشذالي، وعلي أبي العباس الغبريني. وبتونس** على أبي **علي بن علوان**، وعلى قاضي الجماعة **أبي إسحاق**[2] **بن عبد الرفيع**، وسمع على الخطيب الصوفي ولي الله تعالى، **أبي جعفر الزيات**، والصوفي **أبي عبد الله بن برطال**، وعلى الصدر **أبي القاسم محمد بن قايد الكلاعي**.] وأجازه عالم][3] كثير من **أهل المشرق والمغرب.**

---

[1] سقط هذا الاسم في الزيتونة؛ بينما ورد اللقب محرفاً في ج هكذا: ((مغموسور)). وقد صوبت بواسطة كتاب قضاة الأندلس للنباهي.

[2] في تاريخ قضاة الأندلس أضيف اسم ((إبراهيم)) هنا.

[3] حرفت في تاريخ قضاة الأندلس. وفي الزيتونة فكتبت: ((وأجازوه علماء)).

شعــره

وشعـره متعـدد الأسفـار، كثيـر الأغـراض. وفي الإكثار مجلـل الإختيـار. فمنه قولـه[1]:

أخذت بكظم الروح يا ساعة[2] النوى
وأضرمت في طي الحشى لاعــج الجــوى

فمن مخبري يا ليت شعري متى اللقــا
وهل تحسن الدنيا وهل يرجع الهوى

ســـلا كل مشتـــاق وأكثـــر وجـــده
وعند النَّوَى[3] وجدي وفي ساكن الهـــوى

ولي نية ما عشت في حفظ عهدهـــم
إلى يـــوم ألقاهـــم وللمرء ما نـــوى

وقـال[4]:

باتـــوا فمـــن كان باكيـــاً يبـــك
هـــذي ركاب الشرى بلا شـــك

---

[1] هـذه الأبيـات موجـودة في الكتيبـة الكامنـة؛ وهي مـن البحـر الطويـل.
[2] في الكتيبـة: ((في ساعـة)).
[3] نفسـه: ((اللـوى)).
[4] بحـر المنسـرح.

[فمن ظهــور الركـــاب معملـــة

إلى بطـــون الـــربى إلى الفلـــك

تصـــدع الشمل مثلما انحـــدرت

إلى صبـــوب جواهـــر السلـــك][1]

كـــن بالذي حدثـــوا على ثقـــة

ما في حديث الفراق من إفـــك

من النوى قبـــل لـــم أزل حذراً

هذا النوى جل من مالك الملـــك[2]

وقال[3]:

يا أيهـــا المعـــرض الـــلاهي

يســـوءني هجـــرك واللـــه

[فيا ليت[4] شعري كم أرى فيك

لا أقفـــك عن ويِّـــه وعزاه

---

[1] أضاف عنان هاذين البيتين لهذه المقطوعة، وكان ابن الخطيب قد ضمنهما كتاب الوداع الذي بعثه إلى السلطان الغني بالله؛ عندما قرر اللجوء للمغرب.

[2] صوب د. طويل هذا الشطر؛ فأضحى: ((هذا النوى جل مالك الملك))؛ وهو أسلم.

[3] البحر السريع.

[4] صوبها د. طويل؛ فغدت: ((يا ليت))؛ وهذا أسلم.

ويحيي مغيري إلى باخل واه

مـــن ذا الــــذي رآه][1]

مـــن يـــرد اللـــه فيه فتنـــة

يشغلـــه في الدنيـــا بتيـــاه

يا غصن البـــان ألا عطفـــة

عـــلى معـــنًّى جسمـــه واه

أوسعـــني بعـــدك ذلاً وقـــد

رأ يُثْـــني[2] عندك ذا جـــاه[3]

ذكرك لا ينفك عن خاطـــري

وأنـــت عـــني غافـــل ســـاه

يكفيك يا عثمان من جفـــوني

لو كان ذنبي ذنـــب جهجـــاه

---

[1] هذان البيتان الموجودان بين حاصرتين؛ كتبا بشكل مضطرب في كلا النسختين.
[2] صوبها د. طويل؛ فجعلها: ((يثنينا))؛ وهو أسلم.
[3] هذا البيت سقط في الزيتونة.

هيهات لا معترض[1] لي عـــلى
حكمـــك أنت الآمـــر النـــاه[2]

قلت: **جهجاه** المشار إليه رجل من **غفار**؛ قيل[3]: إنه تناول عصا الخطبة من يد **عثمان** رضي الله عنه، فكسرها على ركبته، فوقعت فيها الأَكلة فهلك. وقال[4]:

يا من أعاد صباحي فقده حلكـــا
قتلت[5] عبدك لكـــن لم تخف دركا
مصيبتي ليست كالمصائـــب لا
ولا بكائي عليها مثل كـــل بكـــا
فمن أطالب في شرع الهوى بـــدمي
لحظي ولحظك في قتلي قد اشتركـــا

---

[1] في الزيتونـة: ((متعرض))
[2] صوبهـا د. طويـل؛ فجعلهـا: ((النـاهي)).
[3] أضـاف عنـان هذا المعنى.
[4] البحـر البسيـط.
[5] كتبـت في ج: ((أملـت)).

وقال، وقد سبقه إليه الرصافي ؛ وهو ظريف[1]:

أشكــو إلى الله فــرط بلبــالي[2]
ولوعــة لا تــزال تــذكي لي

بمهجــتي حايــك شغلــت بــه
حلــو المعاني طــرازه عــالي

سألتـــــه لثــم خالـــه فــــأبي
ومـــــن ذا نخـــــوة وإذلال

وقـــال حـــالي يصـــون خـــالي
يدني فويحي بالحـــال والخـــال

يقربـــني الآل مـــن مواعـــده
وأتـــــقي منـــه سطـــــوة الآل

لكـــن عـــلى ظلمـــه وقسوتـــه
فلســـت عنه الزمـــان بالســـالي

[1] بحر المنسرح.
[2] البلبال: شدة الهم وكثرة الوسواس.

وقال أيضاً مضمناً[1]:

لي همــة كلما حاولت أمسكهــا

على المذلة في أرجاء[2] أرضيهــا

قالت ألم تكن[3] أرض الله واسعــة

حتى يهاجــر عبد مؤمــن فيهــا

وقال مسترجعاً من ذنبه، ومستوحشاً من شيبه[4]:

قد كان عيبي من قبل في غيب[5]

فمــذ بــدا شيبي بــدا عيبي

لا عــذر اليــوم ولا حجــة

فضحتــني والله يــا شــيبي

---

[1] البحر البسيط.

[2] في الزيتونة: ((أرجال)). وفي تاريخ قضاة الأندلس: ((أرجا أراضيها)).

[3] في تاريخ قضاة الأندلس، والكتيبة الكامنة: ((تك))؛ وهو أسلم.

[4] البحر السريع.

[5] صوب د. طويل هذ الصدر؛ فجعله: ((قد كان عيبي قبلُ في غيب))؛ وهذا أسلم.

وقال[1]:

أثقلتني الذنــوب ويحي وَوَيْــسي
ليتــني كنــت زاهــداً كأويــس[2]

وجرت بينه وبين السلطان ثالث الأمراء من **بني نصر**[3]، بعد خلعه من ملكه، وانتثار سلكه، واستقراره **بقصبة المنكب**، غريباً من قومه، معوضاً بالسهاد من نومه، قد فل الدهر سباته، وتركه يندب ما فاته، والقاضي المترجم به يومئذ، مدبر أحكامها، وعلم أعلامها، ومتولي نقضها، وإيرامها، فارتاح يوماً إلى إيناسه، واجتلاب أدبه والتماسه، وطلب منه أن يعبر عن حاله ببيانه، وينوب في بثه عن لسانه، فكتب إليه[4]:

---

[1] البحر الخفيف.
[2] يقصد الزاهد المتعبد أويس القرني؛ عاش في القرن الأول الهجري.
[3] هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن الأحمر (المخلوع)؛ حكم من سنة 701هـ/1301م إلى سنة 708هـ/1308م. السنة التي خلع فيها عن عرشه؛ بعد أن ثار عليه أخوه أبو الجيوش نصر.
[4] البحر الطويل.

قفا نفســـاً فالخطب فيها يهـــون

ولا تعجـــلا إن الحديث شجـــون

علمنا الذي قد كان من صرف دهرنا

ولسنا على[1] علـــم بمـــا سيكـــون

ذكرنا نعيماً قد تقـــضى نعيمـــه

فأقلقنـــا شـــوق لـــه وحنيـــن

وبالأمس كنا كيف شئنا وللدنـــا[2]

حراك على أحكامنـــا وسكـــون

وإذا بابنا مثوى الفؤاد ونحونـــا

تمـــد رقـــاب أو تشيـــر عيـــون

فنغص من ذاك الســـرور مهنـــأ

وكـــدر من ذاك النعيـــم معيـــن

ونبا عن الأوطان بين ضـــرورة

وقد يقـــرب[3] الإنســـان ثم يبيـــن

---

[1] **أضـاف عنـان هـذه الكلمـة. أمـا في الزيتونـة فقـد كتـب هكـذا الشطـر هكـذا: ((ولا نعلمـوا بـذا الـذي سيكـون)).**

[2] **في الزيتونـة: ((وللدنيـا)).**

[3] **نفسـه: ((يغـرب)).**

أيا معهد الإسعاد[1] حييت معهــداً
وجادك من سكب الغمام هتــون
تريــد الليالي أن تهيــن مكاننــا
رويدك إن الخيــر ليــس يهون
فإن تكن الأيـــام قد لعبــت بنــا
ودارت علينا للخطــوب فنــون
فمن عـــادة الأيـــام ذل كرامهــا
ولكن سبيـــل الصابريـــن مبيــن
لئن خاننا الدهر الذي كان عبدنا
فــلا عجب إن العبيــد تخــون
وما غض منا مخبري غير أنـــه
تضاعــف إيمـــان وزاد يقيــن

وكتب إلى **الحكم بن مسعود**، وهو شاهد المواريث بهذه الدعابة التي تستخف الوقور، وتلج السمع الموقور: ((أطال الله بقاء أخي وسيدي، لأهل الفرايض، يحسن الاحتيال في مداراتهم، وللمنتقلين إلى الدار الآخرة يأمر

---

[1] في الزيتونة: ((الإسناه)).

بالاحتياط في أمواتهم، ودامت أقلامه مشرعة لصرم الأجل المنسأ، معدة لتحليل هذا الصنف المنشأ من الصلصال والحمأ. فمن ميت يغسل وآخر يقبر، ومن أجل يطوى، وكفن ينشر، ومن رمس يفتح، وباب يغلق. ومن عاصب يحبس، ونعش يطلق. فكلما خربت ساحة، نشأت في الحانوت راحة. وكلما قامت في شعب مناحة، اتسعت للرزق مساحة. فيباكر سيدي الحانوت، وقد احتسى مرقته، وسهل عنقفته، فيرى الصعبة بالمناصب شطراً. فيلحظ هذا برفق، وينظر إلى هذا شزراً. ويأمر بشق الجيوب تارة، والبحث عن الأوساط أخرى. ثم يأخذ القلم أخذاً رفيقاً. ويقول وقد خامره السرور، رحم الله فلاناً، لقد كان لنا صديقاً، وربما أدبره بالانزعاج الحثيث، وقال مستريح منه كما جاء في الحديث. وتختلف عند ذلك المراتب، وتتبين الأصدقاء والأجانب، فينصرف هذا، وحظه التهريب، والنظر الحديد، وينفصل هذا، وبين يديه المنذر الصيت، والنعش الجديد؛ ثم يغشى دار الميت

ويسل[1] عن الكيت والكيت، ويقول علي بما في البيت. أين دعاء الثاغية والراغية. أين عقود الأملاد بالبادية. وقد كانت لهذا الرجل حالاً في حال. وقد ذكر في الأسماء[2] الخمسة فقيل ذو مال؛ وعيون الأعوان ترنوا من عل[3]، وأعناقهم تشريب[4] إلى خلف الكلل، وأرجلهم تدب إلى الأسفاط دبيب الصقور[5] إلى الحجل. والموتى قد وجبت منهم الجنوب، وحضر الموروث والمكسوب. وقيد المطعوم والمشروب. وعدت الصحاح. ووزنت[6] الأرطال، وكيلت الأقداح. والشهود يغلظون على الورثة في الألية [ويصونهم بالبتات][7] في النشأة الأولية. والروائح حين تفعم الأرض طيباً، وتهدي الأرواح شذاً يفعل في إزعاجها على الأبدان فعلاً عجيباً. والدلال يقول هذا مفتاح الباب. والسمسار يصيح قام الندا فما تنتظرون بالثبات. والشاهد يصيح

[1] هي: ((ويسأل))؛ كتبت ((يسل)) من باب تخفيف الهمزة؛ كما هي عادة المغاربة.
[2] كتبت في ج: ((أسماء))؛ وصوبت من الزيتونة.
[3] في ج: ((من خل)).
[4] هي: ((تشرئب))؛ فخففت الهمزة.
[5] في الزيتونة: ((الصقر)).
[6] حرفت في ج، والزيتونة؛ فكتب: ((وزيت. وزينت)).
[7] هكذا ذكرت هده العبارة في النسختين؛ وهي غامضة.

فتعلوا صيحته، والمشرف يشرب فتسقط سبحته. والمحتضر يهس ألا حي فلا تسمعون [ويباهي لون العباء عليه][1] الجواب رب أرجعون. ما هذا النشيج والضجيج. مت كلا لم أمت. ومن حج له الحجيج. فترتفع له الأصوات، كي لا يفسح فيه الممات. ويبقر بطنه برغمه، ويحفر له بجانب أبيه وبحذا أمه. ثم يشرع في نفسه الفرض، ولو أكفئت السموات على الأرض. ويقال لأهل السهام، أحسنوا، فالإحسان ثالث مراتب الإسلام. وقد نص **ابن القاسم** على أجرة القسام؛ وسوغه **أَصْبَغ وسحنون**، ولم يختلف فيه **مُطَرِّف وابن الماجشون**. إن قيل إيصال الحقائق إلى أرجايها، حسن فجزاه الإحسان إحسان. وقيل إخرج النسب والكسور كفايه، [فللكاهنين حلوان][2]. اللهم غفراً، ونستقيل الله من انبساط يجر غدراً، ونسل الله حمداً يوجب المزيد من نعمايه وشكراً. ولولا أن أغفل عن الخصم، وأثقل رحل الفقيه **أبي النجم**، لأستغلن المجلس

---

[1] هذه العبارة ساقطة في الزيتونة.

[2] هذه العبارة ساقطة في الزيتونة.

شرحاً[1]، ولكان لنا في بحر المباسطة سبح، ولأفضنا في ذكر الوارث والوراث[2]. وبينا العلة في أقسام الشهود، مع المشتغل بنسبة الذكور مع الأناث. والله يصل عز أخي ومجده، ويهب له قوة تخصه بالفايدة، وجده[3] ويزيده بصيرة يتبع بها الحقوق إلى أقصاها، وبصراً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، ودام يحصي الخراريب والفلوس والأطمار، ويملأ الطوامر بأقلامه البديعة الصنعة، ويصل الطومار بالطومار والسلام)).

والشيء بالشيء يذكر؛ قلت: ومن أظرف ما وقعت عليه في هذا المعنى. قال بعض كتاب **الدولة الحكمية بمنورقة**[4]: وقد ولاه خطة المواريث، وكتب إليه راغباً في الإعفاء[5]:

---

[1] في ج: ((شرح)).
[2] هذه الكلمة سقطت في الزيتونة.
[3] هذه الكلمة سقطت في الزيتونة.
[4] يقصد دولة أبي عثمان سعيد بن حكم الأموي (توفي سنة 680هـ/1281م) في جزيرة منورقة؛ شقيقة جزيرة مايورقة؛ التي تجتمعان فيما يسمى بالجزائر الشرقية.
[5] البحر الطويل.

وما نلـــت من شغل المواريث رقعـــة
سوَى شرح[1] نعش كلما مات ميت
وأكتـــب للأموات صكـــاً كأنهـــم
يخاف عليهـــم في الجباب التفلـــت
كأني لعزرائيل صــــرت مناقضـــاً
بما هو يمحـــو كل يـــوم وأثبـــت[2]

وقال: فاستظرفها الرييس **أبو عثمان بن حكم**[3] وأعفاه.

مولـده

في أواخر أربعة وسبعين وستماية[4].

[1] **في ج: كتب: ((غير أن أشرح))، وفي الزيتونة: ((سوى أن أشرح)).**
[2] **هذا البيت سقط في الزيتونة.**
[3] **هو أبو عثمان سعيد بن حكم الأموي. ذكر من قبل.**
[4] **الموافق لـ 1275م.**

وفاتـه

قـال في **العايـد**[1]، ومـضى لسبيلـه، شهاباً مـن شهـب هـذا الأفـق، وبقيـة مـن بقايـا حلبـة السبـق، رحمـه الله، في ليلـة السبـت الثـاني مـن شهـر شعبـان المكـرم؛ عـام سبعـة وأربعيـن وسبعمايـة[2]، وتخلـف وفْـراً لـم يشتمـل علـى شيء مـن الكتـب، لإيثـاره اقتنـاء النقديـن، وعيـن جرايـة لمـن يتلـو كتـاب الله علـى قبـره [علـى حـد مـن التعـزرة والمحافظـة علـى الإتقـان][3]. ودفـن **ببـاب إلبيـرة**[4] في دار اتخذهـا لذلـك.

***

[1] قـد يكـون يقصـد كتـاب عائـد الصلـة الـذي ألفـه ابـن الخطيـب نفسـه.

[2] الموافـق لـ 1346م.

[3] مـا بيـن حاصرتيـن سقـط في الزيتونـة.

[4] سبقت الإشـارة ليـه. وهـو أحـد الأبـواب القديمـة لغرناطـة؛ ويقـع شمـال غربي المدينـة؛ علـى مقربـة مـن ملعـب الثيـران الحديـث. ومـازال إلى ألان قائـم بشكلـه الإسـلامي. وتقـوم بجانبـه قطعـة مـن سـور غرناطـة الإسلاميـة القديمـة.

محمد بن أحمد

ابن قُطبة الدّوسي[1]؛ من أهل غرناطة، يكنى أبا القاسم.

حالـه

مجموع خلال بارعة، وأوصاف كاملة، حسن الخط، ذاكر للتاريخ والأخبار، مستول على خصال حميدة من [حسن رواء][2] وسلامة صدر، إلى نزاهة الهمة، وإرسال السجية، والبعد عن المصانعة، والتحلي بالوقار والحشمة، شاعر، كاتب. ومناقبه يقصر عنها الكثير من أبناء جنسه، كالفروسية، والتجند، والبسالة، والرماية، والسباحة، والشطرنج، متحمد بحمل القنا[3]، مع البراعة، مديم[4] على المروءة، مواس للمحاويج من معارفه. ارتسم

[1] يبدو أنه هو الذي ترجم له ابن الخطيب في الكتيبة الكامنة؛ حيث سماه: ((أبا القاسم محمد بن أبي بكر بن محمد بن أحمد بن قطبة الهرنيسي. ويؤكد ذلك تطابق القصيدتين الواردتين في الكتيبة والإحاطة؛ وهما منسوبة إليه.

[2] سقطت هذه العبارة في الزيتونة.

[3] هذه العبارة سقطت في الزيتونة.

[4] كتبت في ج: ((مدع))؛ وصوبت من الزيتونة.

في الديوان فظهر غناؤه، وانتقل إلى الكتابة، معززة بالخطط النبيهة العلمية، وحاله الموصوفة متصلة إلى هذا العهد، وهو معدود من حسنات قطره.

وثبت في **التاج المحلى** بما نصه: سابق ركض المحلى، أتى من أدواته بالعجايب، وأصبح صدراً في الكتاب، وشهماً في الكتايب. وكان أبوه رحمه الله، بهذه البلدة، قطب أفلاكها، وواسطة أسلاكها، ومؤتمن روسايها وأملاكها، وصدر رجالها، وولي أرباب مجالها، قد نثل ابنه[1] سهامها، فخبر عدالة وبراعة وفهماً، وألقاه بينهم قاضياً شهماً، فظهر منه نجيباً، ودعاه إلى الجهاد سميعاً مجيباً[2]، فصحب السرايا الغريبة المغيرة، وحضر على هذا العهد من الوقايع الصغيرة والكبيرة، وعلى مصاحبة البعوث، وجوب السهول والوعوث، فما رفض اليراعة الباتر، ولا ترك الدفاتر للزمان الفاتر.

---

[1] كتبت في ج: ((بينه))؛ وصوبت من الزيتونة.
[2] سقطت هذه الكلمة في ج.

شعـره

ولـه أدب بـارع المقاصـد قاعـد للإجـادة بالمراصـد، وقـال مـن الروضيـات ومـا في معناهـا[1]:

دعيني ومطلول الرياض فإنـــني
أنادم في بطحايها[2] الآس والوردا

أعلـــل هـــذا بخضـــرة شـــارب
وأحكي بهذا في تـــورده الخـــدا

وأزهر غض البان رايد نسمـــة
ذكرت به لين المعاطف والقـــدا

وقـال[3]:

وليـــل أدرناهـــا سلافـــا كأنهـــا
على كف ساقيها تضـــرم نـــارا[4]

غنينا عن المصباح في جنح ليلها
بخـــد مديـــر لا بكـــأس عقـــار

---

[1] البحـر الطويـل.
[2] كتبـت في النسختيـت: ((بطحايـه)).
[3] البحـر الطويـل.
[4] حـذف د. طويـل الألـف؛ فغدت: ((نـار)).

وقال[1]:

يومنـــا يـــوم ســـرور فلتقـــم

تصـــدع الهم بكاســـات المـــدام

إنمـــا الدنيـــا منـــــام فلتكـــن

مغرمـــاً فيهـــا بأحـــلى المنـــام

وقال[2]:

وبي منك ما لو كان للشرب ماصحـــاً

وبالهيـــم مـــاروّت صداها المناهـــل

أحبـــك ما هبت من الروض نسمـــة

وما اهتـــز غصن في الحديقة مايـــل

فإن شئت أن تهجر وإن شئت فلتقبـــل

فإني لمـــا حملتـــني اليـــوم حامـــل

وقال[3]:

كم قلت للبـــدر المنيـــر إذ بـــدا

هيهات وجه فلانـــة تحكى لنـــا

---

[1] **بحر الرمل.**
[2] **البحر الطويل.**
[3] **البحر الكامل.**

فأجابــني بلسان حـــال واعتنى

لا الشمس تحكيها فأحكيهـــا أنـــا

وصرفت وجهي نحو غصن أملد

قد رام يشبـــه قدهـــا لما انثنـــا

فضحكت هزءاً عند هز قوامهـــا

إذا رام أن يحـــكى قوامـــاً كالقنا[1]

وكتب إليه في غرض يظهر من الأبيات[2]:

جوانحنا نحـــو اللقـــاء جوانـــح

ومقـــدار ما بيـــن الديـــار قريب

وتمضي الليالي والتزاور معـــوز

على الرغـــم منا وإن[3] ذا لغريب

فديتـــك عجلها لعيـــني زيـــارة

ولـــو مثل ما رد اللحـــاظ مريب

وإن لقائي جل عن ضرب موعد

لأكرم ما يُهـــدى الأريب أريـــب

---

[1] كتبت في النسختين: ((كالعنـا)).
[2] البحـر الطويـل.
[3] صوبهـا د. طويـل؛ فجعلهـا: ((إن))؛ وهـو أسلـم.

فراجعني بقوله، والتجني شيمة[1]:

لعمرك ما يومي إذا كنت حاضراً
سوى [يوم صب][2] من عداه يغيب

أزور فلا ألــفي لديــك بشاشــة
فيبعد مني الخطــو وهو قريــب

فلا ذنب للأيام في البعــد بيننــا
فإني لداعي القرب منك مجيــب

وإن لقــاء جاء من غير موعــد
ليحســن لكــن مــرة ويطيــب

وإحسانة كثير، وفيما ثبت كفاية ليلاً نخرج [عن غرض الاختصار][3].

***

[1] البحر الطويل.
[2] ما بين الحاصرتين كتب في النسختين: ((منه)).
[3] ما بين الحاصرتين؛ كتبت في الزيتونة ((عن الغرض)).

محمد بن محمد

ابن أحمد بن قطبة الدوسي[1] يكنى محمد أبا بكر، أخو الذي قبله[2].

حالـه

تلوه في الفضل والسراوة، وحسن الصورة [ونصاعة الطرف][3] مُرْبٍ عليه بمزيد من البشاشة والتنزل، وبذل التودد، والتبريز في ميدان الانقطاع، متأخر عنه في بعض خلال غير هذا. ذكي الذهن، مليح الكتابة، سهلها، جيد العبارة [متأتي اليراع][4]، مطلق اليد، حسن الخط، سريع بديهة المنثور، معمٌّ، مخول في التخصص والعدالة. كتب الشروط بين يدي أبيه، ونسخ كثيراً من أمهات الفقه، واستظهر كتباً، من ذلك **المقامات الحريرية**. وكتب بالدار السلطانية، واختص بالمراجعة عمن بها، والمفاتحة أيام حركات السلطان عنها إلى غيرها. حميد السيرة، حسن

---

[1] ترجمة أبي بكر محمد بن محمد بن قطبة الدوسي موجودة في نثير فرائد الجمان، والدرر الكامنة.
[2] مع أن الذي قبله سماه: محمد بن أحمد. أما هذا فهو محمد بن محمد بن أحمد.
[3] هذه العبارة سقطت في الزيتونة.
[4] هذه العبارة ساقطة في ج.

الوساطة، نجدي الجاه، مشكور التصرف، خفيف الوطأة. وولي الخطابة العلية. مع الاستمساك بالكتابة. ولم يؤثر عنه الشعر، ولا عول عليه[1].

***

[1] **وخالف هذا الرأي ابن الأحمر صاحب كتاب نثير فرائد الجمان؛ الذي قال: ((فتح له باب الشعر وهو صغير؛ فولجه وهو على معان مغير؛ وأتى منه بما ملأ الأقطار بالكثرة، ونظم من سلوكه ما نثر مسك إجادته على نثره؛ كأنها من بدائعه الحسنة البسنة)). ص: 319.**

محمد بن محمد بن محمد

ابن قطبة الدوسي، يكنى أبا بكر، وقد ذكرنا أباه وعمه، ويأتي ذكر جده.

حاله

نبيل المقاصد في الفن الأدبي، مشغول به، مفتوح من الله عليه فيه [شاعر مطبوع مكثر][1] انقاد له مركب النظم، في سن المراهقة، واشتهر بالإجادة، وأنشد السلطان، وأخذ الصلة، وارتسم لهذا العهد في الكتابة. وشرع في تأليف يشتمل على أدباء عصره.

شعره

ومما خاطب به أحد[2] أصحابه[3]:

إذا شمت من نحو الحمى في الدجا برقا

أبى الدمـــع إلا أن يسيـــل ولا يـــرقى

[1] كتبت في الزيتونة: ((شاعراً مطبوعاً مكسراً)).
[2] كتبت في الزيتونة: ((بعض)).
[3] البحر الطويل.

ومهمـــا تذكرت الزمان الذي مـــضى

تقطعـــت الأحشـــاء من حـــر ما ألقى

خليـــليّ لا تجـــزع لمحـــل فأدمـــعي

تبـــادر سقيـــاً في الهوى لمن استسقى

وما ضـــر من أصبحـــت ملك يمينـــه

إذا رق[1] لي يومـــا وقـــد حـــازني رقا

فنيـــت بـــه عشقـــا وإن قـــال حاســـد

أضل الورى من مات في هاجـــر شقا

تلهـــب قـــلبي مـــن تلهـــب خـــدّه

فيـــا نعم[2] ذاك الخـــد فاض بأن أشقى

ومنهـا:

وكم من صديق كنـــت أحسب أنـــه

إذا كذبـــت أوهامنـــا رفع الصدقـــا

***

---

[1] كتبـت في النسختيـن: ((راق)).

[2] كتبـت في ج: ((فنعـم))؛ وصوبـت مـن الزيتونـة.

[[1] محمد بن محمد

ابن محمد بن أحمد بن قطبة الدوسي[2] ابن عم المذكورين قبله؛ يكنى أبا القاسم.

حالـه

حسن الصورة، لازم القراءة على شيوخ بلده، ونظم الشعر على الحداثة، وترشح للكتب بالدار السلطانية مع الجماعة، ممن هو في نظمه.

ومـن شعـره

كتب إليّ بما نصه[3]:

أحســـب وحده يوم رأسك ربما
تُعطي السلامة في الصراع سلماً]

***

[1] هذه الترجمة المختصرة بكاملها؛ والمحصورة بين الحاصرتين؛ وردت في النسخة: ج؛ بينما هي ساقطة في الزيتونة.
[2] توجد ترجمة أبي القاسم هذا في الكتيبة الكامنة؛ حيث يصفه فيها ابن الخطيب فيها بصفات مذمومة؛ على خلاف ما يظهر في الإحاطة.
[3] البحر الكامل.

محمد بن محمد

ابن محمد بن أحمد بن قطبة الدوسي؛ الفقيه أبي بكر بن القاسم ابن محمد المذكور

حالـه

شاب حسن فاضل، دمث، متخلق، جميل الصورة، حسن الشكل، أحمر الوجنتين[1]. حفظ كتباً من المبادي النحوية، وكتب خطاً حسناً، وارتسم في ديوان الجند مثل والده، وهو الآن بحاله الموصوفة.

شعـره

قيد أخوه لي من الشعر الذي زعم أنه من نظمه، قوله[2]:

حلفـت بمـن[3] ذاد عـني الكرى
وأسهـر جفـني ليـلاً طويـلا

[1] كتبت في ج: ((الوجنة))؛ وصبت من الزيتونة.
[2] البحر المتقارب.
[3] كتبت في ج: ((لمن))؛ وصوبت من الزيتونة.

وألبـــس جسمي ثيـــاب النحول

وعذب بالهجـــر قلـــبي العليـــلا

مـــا[1] حلـــت عـــن وده ساعـــة

ولا اعتضت منه ســـواه بديـــلا

***

[1] كتبت في النسختين: ((لما))؛ وصوبها عنان.

محمد بن محمد

ابن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف ابن جُزَيّ الكلبي[1]؛ من أهل غرناطة وأعيانها، يكنى أبا عبد الله.

أوليته

تنظر في اسم أبيه؛ في ترجمة المقريين والعلماء.

حاله

من أعلام الشهرة على الفتاوة[2]. وانتشار الذكر على الحداثة. تبريزاً في الأدب، واضطلاعاً بمعاناة الشعر، وإتقان الخط، وإيضاحاً للأحاجي والملغزات. نشأ **بغرناطة** في كنف والده رحمه الله، مقصور التدريب عليه، مشاراً إليه في ثقوب الذهن؛ وسعة الحفظ، ينطوي على نبل لا يظهر أثره [على التفاتة، وإدراك، تغطي شعلته مخيلة غير صادقة، من تغافله. ثم جاش طبعه، وفهق حوضه، وتفجرت ينابيعه، وتوقد إحسانه][3]. ولما فقد والده، رحمه

---

[1] **توجد ترجمة محمد بن جُزّي الكلبي في: الكتيبة الكامنة، ونثير فرائد الجمان، ونفح الطيب، وأزهار الرياض.**
[2] **المقصود: الفتوة.**
[3] **ما بين الحاصرتين سقط في الزيتونة.**

الله، ارتسم في الكتابة، فبذَّ جلة الشعراء، إكثاراً واقتداراً، ووفور مادة، مجيداً في الأمداح، عجيباً في الأوضاع، صدِّيقاً في النسيب، مطبوعاً في المقطوعات، معتدلا في الكتابة، نشيط البنان، جلداً على العمل، سيال المجاز[1]، جموح عنان الدعابة، غزلا، مؤثرا للفكاهة، انتقل إلى **المغرب** لشفوف خصله، على ما قد قسم[2] الحظوظ. سبحانه من رزقه بهذه البلاد. فاستقر بباب ملكه. مرعي الجناح، أثير الرتبة. مطلق الجراية، مقرر السهام، معتبا وطنه [راضيا عن جيرته. ديدن من يستند إلى قديم، ويتحيز إلى أصالة] [3].

تواليفه

أخبرني عند لقايه إياي **بمدينة فاس** في غرض الرسالة، عام خمس[4] وخمسين وسبعماية[5]، أنه شرع في تأليف **تاريخ غرناطة**، ذاهباً هذا المذهب، الذي انتدبت

[1] في ج: ((المزاح)).
[2] في النسختين: ((قاسم)).
[3] ما بين الحاصرتين ساقط في الزيتونة.
[4] صوبها د. طويل؛ فجعلها: ((خمسة))؛ وهذا أصح.
[5] الموافق لـ 1354م.

إليه، ووقفت على أجزاء منه تشهد باضطلاعه، وقيد بخطه من الأجزاء الحديثة[1] والفوايد والأشعار ما يفوت الوصف، ويفوق الحد. وجرى ذكره في **التاج**؛ بما نصه: ((شمس في البلاغة[2] بازغة، وحجة على بقاء الفطرة الغريزية[3] في هذه البلاد الغربية بالغة، وفريدة وقت أصاب من فيها نادرة أو نابغة، من جذع ابن علي القادح[4]، وجرى[5] من المعرفة كل بارح[6]، لو تعلقت الغوامض بالثريا لنالها، وقال أنا لها. وربما غلبت[7] الغفلة على ظاهره، وتنطفق أكمامها[8] على أزاهره، حتى إذا قدح في الأدب زنده، تقدم المواكب بنده، إلى خط[9] بارع، يعنو

---

[1] ربما يكون المقصود من هذه العبارة هنا هو أنها حديثة بالنسبة لتاريخ الكتابة.
[2] في الكتيبة الكامنة: ((شمس في سماء البلاغة)).
[3] نفسه: ((العربية هي بالمغربية بالغة))
[4] نفسه: ((من جَذْع أَبَرّ على القارح)).
[5] نفسه: ((وزجر من المعرفة كل سانح؛ لا بارح)).
[6] نفسه: ((وزَجَر من المعرفة كل سانح لا بارح)).
[7] في ج: ((وبلغت))؛ فصوبت من الزيتونة.
[8] في الكتيبة الكامنة: ((وانطبق كمامه)).
[9] في النسختين: ((حظ)).

طوال الطويل منه [إلى سر وبراعة، كما ترضى المسك والكافور عن طرس وحبر][1].

شعـره

فمن غرامياته وما في معناها قوله[2]:

متى يتــلاقى شايــق ومشــوق
ويصبح عير[3] الحب وهو طليــق

أمــا أنهــا أمنيــة عــز نيلهــا
ومرمى لعمري في الرجا[4] سحيق

ولكــني خدعــت قــلبي تعلــة[5]
أخاف انصداع القلب فهو رقيــق

وقد يرزق الإنسان من بعد يأسه
وروض الربى بعد الذبول يروق

---

[1] ما بين الحاصرتين سقط في الزيتونة.
[2] البحر الطويل.
[3] في الكتيبة: ((عاني)).
[4] أضاف د. طويل الهمزة؛ فغدت ((رجاء))؛ وهذا أسلم.
[5] جاء هذا الصدر في الكتيبة الكامنة هكذا:
((ولكنني خدعت قلبي تعلة))؛ وهذا أسلم.

تباعدت لما زادني القرب لوعـــة

لعل فــؤادي من جـــواه يفيــق

ورمـــت شفـــاء الداء بالداء مثله

وإني[1] بألا أشتــفي لحقيــــق

وتالله ما للصب في الحب راحة

على كـــل حـــال إنـــه لمشـــوق

ويا رب[2] قد ضاقت علي مسالكي[3]

فها أنا في بحر الغـــرام غريـــق

ولا سلوة ترجى ولا صبر[4] ممكن

وليس إلى وصل الحبيب طريق

ولا الحب عن تعذيب قلبي ينثني

ولا القلب للتعذيـــب[5] منه يطيـــق

شجون يضيق الصدر عن زفراتهـــا

وشوق نطاق الصبر عنه يضيق

---

[1] في الكتيبـة الكامنـة: ((فـإني)).

[2] نفسـه: ((أيـا)).

[3] نفسـه: ((مذاهبي)).

[4] نفسـه: ((ولا الصبـر))

[5] في الزيتونـة: ((بالتعذيـب)).

نثـــرت عقود الدمع ثم نظمتهـــا

[قريضاً فـــذا در وذاك عقيـــق][1]

بكيت أسًى[2] حتى بكى حاسد[ي معي][3]

كأن عذولي عـــاد وهو صديـــق

ولو أن عند الناس بعض محبتي

لما كان يلقى[4] في الأنام مفيـــق

أيا عين كفى الدمع ما بقي الكـــرى

إذا منعـــوك النوم[5] سوف تـــذوق

ويا نايماً عن ناظـــري أما ترى[6]

لشمسك من بعد الغروب شروق

رويـــدك رفقـــاً بالفـــؤاد فإنـــه

عليـــك وإن عاديتـــه[7] لشفيـــــق

---

[1] كتبت في الزيتونـة هكـذا: ((قريضـاً فصـار لـون ذاك عقيـق)).
[2] هـذه الكلمـة ساقطـة في الزيتونـة.
[3] ما بيـن الحاصرتيـن سقـط في ج.
[4] في الكتيبـة: ((يلـفى)).
[5] نفسـه: ((اليـوم)).
[6] ورد هذا الشطر في الكتيبة الكامنة هكذا: ((ويا غائبا عن ناظري أما يرى)).
[7] في الكتيبـة: ((عذبتـه)).

نقضت عهودي ظالما بعد عقدها

ألا إن عهدي كيف كنت وثيـــق

كتمتـــك حـــبي يعلـــم الله مـــدة

وبين ضلوعي من هواك حريق

فما زلت بي حتى فُضحت فإن أكن

صبرت بعد[1] اليوم لســـت أطيق

وقال[2]:

ومورد الوجنات معسول اللَّـــمَى

فتاك بلحـــظ[3] العين في عشاقـــه

الخمـــر بين لثاتـــه والزهر في

وجناتـــه والسحـــر في أحداقـــه

ينـــادى[4] غصن البان في أثوابـــه

ويلـــوح بدر التـــم في أطواقـــه

[1] في الكتيبـة: ((فبعد))؛ وهو أسلم.
[2] البحر الكامل.
[3] في الكتيبـة: ((فتـاك لحـظ))؛ وهو أسلم.
[4] نفسـه: ((ميـاد غصـن))؛ وهو أسلم.

مــن للهــلاك[1] بثغــره أو خــده

هــب أنه يحكيــه في إشراقــه

ولقــد تشبهــت الظبــا[2] بشبهــة

من خلقه وعجزن عن أخلاقــه

نادمته وسناً محياً الشمــس قــد

ألقى على الآفاق فضل رواقــه

في روضة ضحكت ثغور أقاحها

وأمــال[3] فيها المزن من آماقــه

أسقيه كأس سلافــة كالمسك في

نفحاتــه والشهــد عنــد مذاقــه

صفــراء لم يدر الفتى أكواسهــا

إلا تــــداعى همــه لفراقــــه

ولقد تلين الصخر[4] من سطواتــه

فيعــود للمعهــود مــن إشفاقــه

---

[1] في الكتيبـة: ((مـن للهـلال))؛ وهـو أصـوب.
[2] نفسـه: ((الظبـاء))؛ وهـو أسلـم.
[3] في الكتيبـة: ((وأسـال)).
[4] كتبـت في النسختيـن: ((الخمـر)). وفي الكتيبـة: ((الصـم)).

وأظل أرشف من سلافة[1] ثغـــره

خمراً تداوي القلب من إحراقـــه

ولربمـــا عطفتـــه عنـــدي نشوة

فشفى[2] الخيـــال بضمه وعناقـــه

أرجـــو نـــداه[3] إذا تبسم ضاحكـــا

وأخاف منه العتب في إطراقـــه

أشكو القساوة من هواي وقلبـــه

والضعف من جلدي ومن ميثاقه

يا هل لعهد قد مضى من عـــودة

أم لا سبيـــــل بحالـــة للحاقـــه

يا ليت شعري لو كانت لذلك حيلـــة[4]

أو كان يُعـــطى المرء باستحقاقه

فلقد يـــروق الغصن بعد ذبولـــه

ويتـــم[5] بـــدر التـــم بعد محاقـــه

---

[1] في النسختين: ((أقـاح)). والكتيبـة الكامنـة: ((أقـاحي)).
[2] في الكتيبـة: ((تشـفي)).
[3] نفسـه: رضـاه)).
[4] في الكتيبـة: ((يـا ليـت لـو كانـت لذلـك حيلـة)).
[5] نفسـه: ((ويـروق)).

ومما اشتهر عنه في هذا الغرض[1]:

ذهبــت حشاشة قلبي الصــدوع[2]

بيــن الســلام ووقفــة التوديــع

ما أنصف الأحباب يوم وداعهــم

صبــاً[3] يحــدث نفســه برجــوع

أنْجــد بغيثــك[4] يا غمام فإنــني

لم أرض يوم البيــن قل[5] دمــوع

من كان يبكي الظاعنين بأدمــع

فأنــا الــذي أبكيهــم بنجيــــع

إيه وبين الصــدر مني والحشــا

شجن طويت على شجاه ضلوع[6]

هات الحديث عن الذين تحملــوا

واقــدح بزند الذكر نار ولــوع[7]

---

[1] البحر الكامل.
[2] في نثير فرائد الجمان: ((المصدوع))؛ وهذا أسلم.
[3] نفسه: ((صبّ)).
[4] نفسه: ((بدمعك)).
[5] كتبت في النسختين، وفي نثير فرائد الجمان: ((فعل)).
[6] في النثير: ((ضلوعي)).
[7] نفسه: ((تقدح بزند الذكر نار ولوعي)).

عندي شجون في التي جنت النـــوى[1]

أشكـــو الغداة[2] وهن في توديـــع[3]

من وصلي الموقوف أو من سُهْدي[4] الـــ

ـــموصول أو من نومي المقطوع

ليت الذي بيـــني وبين صبابـــتي

بعد[5] الذي بيـــني وبيـــن هجوع[6]

يا قلب لا تجزع لما فعل النـــوى[7]

فالحـــر ليـــس لحادث بجـــزوع

أبعد ما[8] غـــودرت في أشراكـــه

تبغي النزوع ولات حين نـــزوع

ومهفهف مهما هبت ريح الصبـــا

أبدت له عطفـــاه عطف مطيـــع

---

[1] **في النثير، وأزهار الرياض: ((من أي أشجاني التي جنت الهوى)).**
[2] **في أزهار الرياض ونفح الطيب: ((العذاب)).**
[3] **في النثير والنفح وأزهار الرياض: ((تنويع)).**
[4] **في المصادر نفسها: ((هجري)).**
[5] **في النثير: ((مثل)).**
[6] **كتبها د. طويل: ((هجوعي)).**
[7] **في النثير: ((يا قلبي لا تجزع لما فعل الهوى)).**
[8] **نفسه: ((أفبعد)).**

جمع المحاسن وهو منفرد بهـــا

فاعجب لحسن مفــرد مجمــوع

والشمس لولا إذنـــه مـــا آذنـــت

خجـــلا وإجـــلالاً لـــه مطلـــوع[1]

ما زلت أسقي خده من أدمـــعي

حتى تفتـــح عن رياض ربيـــع

إن كان يرنو عن[2] نواظر شـــادن

فلرب ضرغـــام بهـــن صريـــع

عجبـــاً لذاك الشَّعر زاد بفرقـــه

حسنا كحسن الشِّعر بالتصريـــع

منع الكرى ظلما وقد منع الضنا

فشقيـــت[3] بالممنـــوح والممنـــوع

جردت ثـــوب العز عني طائعاً

[أتـــراه يعطفـــه علي خضـــوع][4]

---

[1] في النثير: ((بطلوع)).
[2] في الزيتونة: على.
[3] في النثير: ((فسقيت)).
[4] ذكر عنان أن هذا الشطر كتب في نص آخر هكذا:
((أتراه يولي عطفه لخضوعي)). ولكنه لم يعين ذلك النص.

لم أنتفــع لبسا من الملبوس في[1]

حــبي ولا بعــذاري المخلــوع

بجماله استشفعــت في إجمالـــه

ليحــوز أجــر منعــم وشفيــع

يا خادعي عن سلوتي وتصبري[2]

لولا الهوى ما كنت بالمخــدوع

أوسعتني بعد الوصـــال تفرقـــا[3]

وأثبتـــني ســـوءاً لحسن صنيـــع[4]

أسرعت فيما ترتضي فجزيتـــني[5]

بطويـــل هجـــران إلي سريـــع

أشرعت رمحا من قوامك دايـــلاً[6]

فمنعت من ماء الرُّضاب شـــروعي

---

[1] في النثير: ((لم أقتنع بسقامي الملبوس في)).
[2] نفسه: ((ويا خادعي عن سلوتي ومصبري)).
[3] في النثير: ((بعداً بفضل تقربي وجزيتي سوءاً)).
[4] كتبها د. طويل: ((صنيعي)).
[5] في النثير: ((فأثبتني)).
[6] نفسه: ((ذابلاً)).

خذ من حديث تولعي وتولـــهي

خبراً صحيحاً ليس بالمصنـــوع

يرويه[1] خدي مسندا عن أدمـــعي

عـــن مقلتي عن قلبي المصدوع

كم من ليال في هواك قطعتهـــا

وأنـــا لذكراهــــن في تقطيـــع

لا والذي طبع الكرام على الهـــوى

وبرّ[2] ســـوا أن الهوى المطبـــوع

ما غيرتني الحادثات ولم أكـــن

بمذيـــع ســـر للعهـــود مضيـــع

لا خير في الدنيا وساكنها معـــا

إن كان قـــلبي منك غير جميـــع

[1] كتبت في الزيتونة: ((بروٴ)).

[2] في الزيتونة: ((ومن)). وفي النثير: ((ويعز سلوان)).

وقال في غير ذلك [في غرض][1] يظهر من الأبيات[2]:

وقالوا عداك البخت والحزم عندمـــا

غـــدوت غريب الدار منزلك الفنت

ألـــم يعلمـــوا أن اغتـــرابي حرامة

وأن ارتحالي عن دارهم هو البَخْت

نعم لست أرضى عن زمـــاني أو أرى

تهـــادي السفـــن المواخر والبُخْـــت

لقـــد سيمـــت نفـــسي المقـــام ببلـــدة

بها العيشة النكراء[3] والمكسب السحت

يُـــذَلُّ بها الحـــرُّ الشريـــف لعبـــده

ويجفوه بين السمت[4] من سنة ســـت

إذا اصطافها المرء اشتكى من سمومها

أذى ويــــرى فيـــه أذاً يبـــــت

[1] هذه العبارة سقطت في الزيتونة.
[2] البحر الطويل
[3] كتبت في الزيتونة: ((النكداء)).
[4] كتبت في ج: ((الستين)).

ولست كقــوم في تعصبهــم عتــوا

يقولــون بغــداد لغرناطــة أخــت

رغبــت بنفسي أن أساكن معشــراً

مقالهـــــم زور وودهــم مقــت

يدسُّــون في لين الكـــلام دواهيـــاً

هي الســم بالآل المشــود لها لــت

فـــلا درَّ دُرُّ القــوم إلا عصيبـــة

إليَّ بإخـــلاص المــودة قــد متــوا

وآثــرت أقوامـــاً حمدت جوارهـــم

مقالهــم صـــدق وودهــم بحــت

لهم عن عيان الفاحشات إذا بـــدت

تَعامٍ وعن ما ليس يعينهــم صمــت

فما ألفــوا لهوا ولا عرفــوا خـــنًى

ولا علمــوا أن الكـــروم لها بنــت

به كل مرتاح إلى الضيف والوغى

إذا ما أتـــاه منهمـــا النبـــأ البغــت

وأشعث ذي طمرين أغنـــاه زهـــده

فلـــم يتشـــوف للذي ضمـــه التخت

صبور على الإيذاء بغيض على العـــدا

معين على ما يتقي جاشـــه الشَّـــت[1]

ولي صاحـــب مثـــلي يمان جعلتـــه

جليسي نهاراً أو ضجيعي إذا بـــت

وأجـــرد جـــرار الأعنـــة فـــارح

كميت وخير الخيل قداحها الكمـــت

تسامت به الأعراق[2] في آل أعـــوج

ولا عوج في الخلق منه ولا أمـــت

وحسبي لعضات النوائـــب منجـــدا

عليها الكميت الهند والصارم الصلت

قطعـــت زمـــاني خبـــرة وبلوتـــه

فبالغـــدر والتخفيف عندي له نعـــت

---

1 **الشَّتُّ: التفرق والشتات.**

2 **في الزيتونـة: ((الأعذار)).**

ومارســـت أبناء الزمـــان مباحثـــا

فأصبـــح حَبْـــلي منهم وهو منبـــت

وذي صلف يمشي الهوينـــا ترفقـــا

على نفســـه كيـــلا يزايلهـــا السمت

إذا غبت فهو المَرْوة القوم عندهـــم

له الصدر من ناديهـــم وله الدســـت

وإن ضمـــني يوما وإيـــاه مشهـــد

هو المعجم السُّكَيت والعمّة الشَّخْـــت

فحسبي عُداتي أن طويـــت مـــآربي

على عزمهـــم حتى صفا لهم الوقت

وقلت لدنياهـــم إذا شئت فاغـــربي

وكنت متى أعزم فقلـــبي هو البـــت

وأغضيت عن زلاتهم غير عاجـــز

فمـــاذا الذي يبغونـــه لهـــم الكبـــت

وقال[1]:

لا تعدُ ضيفك إن ذهبت لصاحب

تعتــده لكــن تخيــر وانتــق[2]

أو ما ترى الأشجار مهما ركبت

إن خولفــت أصنافها لم تغلــق[3]

ومنه في المقطوعات[4]:

وشــــادن تيَّمَــني حبــه

حظي منه الدهــر هجرانــه

مورد الخدين حلــو اللّــمىَ

أحمر مضني الطرف وسنانه

لم تنطوِ الأغصان في الروض بــل

ضلــت له تسجــد أغصانــه

يا أيها الظــبي الــذي قلبــه

تضــرم في القلــب[5] نيرانــه

---

[1] البحر الكامل.
[2] في ج: ((وأنفق)).
[3] في نفح الطيب: ((تعلق))؛ بالعين المهملة.
[4] البحر السريع.
[5] في ج: ((قلبني)).

هل عطفة ترجى لصب شبح

ليس يـــرجى عنك سلوانـــه

يود أن لو زرتـــه في الكرى

لو متعـــت بالنـــوم أجفانـــه

قـــد رام أن يكتـــب ما نابـــه

والحـــب لا يمكـــن كتمانـــه

فأفضيـــت أسراره واستـــوى

إســــراره الآن وإعلانــــه

وقال[1]:

نهـــار وجـــه وليـــل شعـــر

بينهمـــــا الشـــوق يستثـــار

قـــد طلبـــا بالهـــوى فؤادي

فأيـــن[2] لي عنهمـــا الفـــرار

وكيف يبـــغي النجـــاة شيء

يطلبـــه الليـــل والنهـــــار

---

[1] مخلـع البسيـط.

[2] في نثير فرائـد الجمـان: ((وأيـن)).

وقال في الدوبيت[1]:

زارت ليــلا وأطلعــت فجرهــا

صبحاً فجمعت بين صبح وظلام

لما بصرت بالشمس قالت يا فتى

[جمع الإنسان بين][2] الأختين حرام

وقال في غرض التورية[3]:

أبح لي في رياض المحاسن نظــرة[4]

إلى ورد ذاك الخد أروي به الصدى

وبــالله لا تبخــل عــلي بعطفــة[5]

فإني رأيت[6] الروض يوصف بالنــدا

---

[1] **الدوبيت: أحد الأوزان الشعرية المولدة؛ وهذا الوزن؛ غير الأوزان التي ابتكرها الخليل. وثمة من يرى أن الاسم فارسي الأصل.**

[2] **في الزيتونة: ((الجمع بين الأختين)).**

[3] **البحر الطويل.**

[4] **ورد صدر البيت في الكتيبة الكامنة، ونثير فرائد الجمان هكذا: ((أبح لي يا روض المحاسن نظرة))؛ وهذا أسلم.**

[5] **في الكتيبة: ((بقطفة)).**

[6] **في الكتيبة والنثير: ((عهدت)).**

وقال[1]:

وعاشـــق صـــلى ومحرابـــه
وجـــه غـــزال ظـــل يهـــواه
قالـــوا تعبـــد[2] فقلـــت نعـــم
تعبـــــداً يفهـــــم معنـــــاه

وقال وهو مليح جداً[3]:

وصديـــق شـــكى بمـــا حملـــوه
من قضاء[4] يقضي بطول العنـــاء
قلت فـــاردد ما حملوك عليهـــم
قال مـــن يستطـــع[5] رد القضـــاء

[1] البحـر السريـع.
[2] في الكتيبـة: ((((تعبـدت))؛ وهـو أسلـم.
[3] البحـر الخفيـف.
[4] في الزيتونـة: ((قضـاء)).
[5] في الكتيبـة والنثيـر: ((يستطيـع))؛ وهـو أصـوب وأسلـم.

وقال[1]:

لسانـــان هجيـــا[2] من خاصمـــاه

لســـان الفـــتى ولســـان القضـــا

[إذا لـــم تحـــز واحـــداً منهمـــا

فلســـت أرى لـــك أن تنطقـــــا][3]

وقال[4]:

تلك الذؤابة[5] ذبت من شوقي لهـــا

واللحـــظ يحميها بـــأي ســـلاح

يا قلـــب فانجح لا إخالك ناجيـــاً[6]

مـــن فتنـــة الجعـــدي والسفـــاح

---

[1] البحـر المتقـارب.

[2] في الزيتونـة: ((يهجيـا)). وصوب الكلمـة د. طويـل؛ فجعلهـا: ((هاجـا))؛ وهذا أسلـم.

[3] هذا البيـت سقـط في ج.

[4] البحـر الكامـل.

[5] في نفـح الطيـب: ((الذوائـب)).

[6] في الزيتونـة: ((ناجحـاً)). وورد هذا الشطـر في الكتيبـة هكـذا: ((ياقلـب فانـج لا إخالـك ناجيـاً)).

[وإحسانه كثير. ويدل بعض الشيء على كله. ويحجر طلّ الغيث على وبْله][1].

وفاته

اتصل بنا خبر وفاته **بفاس** مبطوناً؛ في أوايل ثمانية وخمسين وسبعماية[2]. ثم تحققت [أن ذلك][3] [في آخر شوال من العام قبله][4].

***

[1] ما بين الحاصرتين ساقط في الزيتونة.
[2] الموافق لـ 1356م. ما بين الحاصرتين كتب في الزيتونة هكذا: ((ثم تحققت أن ذلك في أوائل ربيع الأول من ذلك العام)). وقد شطب من هذه العبارة الكلمات بدءاً بكلمة: ((في أوائل)).
[3] أضاف عنان هذه العبارة.
[4] 757هـ/1355م. والتاريخ الأخير هو الذي ذكر في نفح الطيب.

محمد بن محمد

ابن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن محمد بن الحكيم اللخمي[1]؛ يكنى أبا القاسم.

حالـه

من **كتاب عائد الصلة**: فرع دوحة الأصالة والخصوصية، والعلم والدين، والمكانة والجلالة، [مجلي بيته]. ومجدد مآثره [براً، ومجاملة، وخيرية][2]. نشأ بأطراف جملته من الفنون، من حساب وفريضة وأدب وقراءة ووثيقة، إلى خط حسن، وأدب تكفله[3]، حتى انقاد له أو كاد. أُعْبِط[4] في وقيعة الطاعون قاضياً ببعض الجهات. وكاتباً للدار السلطانية، فكانت فيه الفجيعة عظيمة.

وجرى ذكره في **التاج المحلى** بما نصه: ((من فروع[5] مجد وجلالة، ورث الفضل لا عن كلالة. أشرف[6]، مجيد،

---

[1] له ترجمة أيضاً في الكتيبة الكامنة.
[2] ما بين الحاصرتين في الأولى والثانية سقط في الزيتونة.
[3] في الزيتونة: ((تكلفه)).
[4] حرفت في ج؛ فكتبت: ((اغتط)). ومعنى أعبط؛ هو: هلك.
[5] في الكتيبة الكامنة: ((فرع محمدة وجلالة)).
[6] في ج: ((يشرب)).

معظم، مخول في العشيرة، وصل لباب المجد بفرايد الخلال الأثيرة، وأصبح طرفاً[1] في الخير والعفاف، واتصف من العدالة بأحسن اتصاف، وسلك[2] من سنن سلفه، أثر هذا[3]، لا يزال يرشده ويدله، ويسدده فيما يعقده أو يحله، واتسم بميسم الحياء، والحياء خير كله، إلى نزاهة لا ترضى بالدون، ونجابة تتهالك في صون الفنون. وطمح في هذا العهد إلى نمط في البلاغة رفيع، وجنح إلى مساجلة ما يستحسنه[4] من مخترع وبديع، وصدرت منه طرف تُسْتملح، وتُسْتحلى إذا استحلى. ونحن نورد ما أمكن من آياته، ونجلي بعض غرره وشياته.

[1] الطرف: القوة.
[2] في الكتيبة: ((واقتفى)).
[3] نفسه: ((هادٍ)).
[4] في الزيتونة: ((من يستحسنه)). وفي ج: ((من يقتبسه)).

شعـره

ومـن مقطوعـات آياتـه[1]:

وهبـــت فهزت عندمـــا[2] رأت بـــه
الطلا مثل الطفل يرضـع في المهـــد

والروض حياه[3] المزن خلعة برقـــة
وباتت ربـــاه من حباه على وعـــد

يحدثنا عن [كرمها] ما من [مزنهـــا][4]
فتبدي ابتسام الزهر في لثمة الخـــد

عجبنـــا لمـــا رأينـــا مـــن برهـــا[5]
بـــدور حباب الكأس تلعب بالنـــرد

---

[1] البحـر الطويـل.
[2] تصـرف د. طويـل؛ فأضـاف كلمـة ((أن))؛ بعد ((عندمـا))؛ ليستقيـم الـوزن.
[3] تصـر ف فيهـا أيضـاً د. طويـل؛ فجعلهـا: ((حبـاه))؛ مـن أجـل سلامـة الـوزن.
[4] مـا بيـن حاصرتيـن في الكلمتيـن: كتبـت: ((كرمـه)). ((قريـه)). وقـد تصـرف د. طويـل؛ فجعـل الشطـر هكـذا:
((يحدثنـا عـن كرمهـا مـاء مزنهـا))
[5] هـذا الشطـر مختـل.

وقال[1]:

شربنـــا وزنـــجيٌّ الديـــاجيّ موقـــد

مصابيح من زهر النجوم الطوالع

عقـــاراً رأتـــه حين أقبـــل حالكـــاً

فجـــاءت بمصفر من اللون فاقـــع

عجبـــت لهـــا ترتـــاع منه وإنهـــا

لفي الفرقـــد قرت لـــدم المدامـــع[2]

وقال[3]:

لاح في الـــدر العقيـــق[4] فحيـــا

أم مـــزاجٌ[5] أدّاه صرف المحيـــا

من بنات الكروم والروم بكـــرا

أقبلـــت ترتـــــدي حيـــاً[6] يهيـــا

---

[1] البحر الطويل.

[2] هذا العجز مختل.

[3] البحر الخفيف.

[4] صوبها د. طويل؛ فجعلها: ((والعقيق))؛ وهو أسلم.

[5] في ج: ((زجاج))؛ وصوبت من الزيتونة.

[6] صوبها د. طويل؛ فجعلها: ((حياء))؛ وهذا أسلم.

خلتهـــا والحباب يطفـــو عليهـــا

شفقـــاً فوقـــه نجـــوم الثريـــا

قهوة كالعروس في الكأس تُجْلى

صـــاغ من لؤلئها المزج حليـــا

وقال[1]:

ويوم أنـــس صقيل الجـــو ذي نظـــر

كأنه من وميض البـــرق[2] قد خلقـــا

ما زلت فيه لشمس الطست مصطحباً

وبالنجـــوم وبالأكـــواس مغتبقـــــا

صفراء كالعسجد المسبوك إن شربت

تبـــدي احمراراً على الخديـــن مؤتلقـــا

[كذلـــك الشمس في أخرى عشيتهـــا

إذا تـــوارت أثارت بعدها شفقـــا][3]

---

[1] **البحـر البسيـط.**

[2] **في ج: ((الـوض)).**

[3] **هـذا البيـت سقـط في ج:**

وقال[1]:

بنفــسي حبيب صـــال[2] عامل قـــده
علـيّ ولمّـــا ينعطف وهو كالغصـــن
ويا عجبـــاً منـــه متى صار ذابـــلا
ونُضْرتـــه تنار عن حوطـــة اللَّـــدُن[3]
وأعجـــب من ذا أن سيـــف لحاظـــه
يمزق أفلاذ الحشا وهو في الجفـــن

وقال[4]:

يـــأبى وغيـــر أبـــى غـــزال نافـــر
بين الجوانـــح يغتـــدي ويـــروح
قمـــر تـــلألأ واستنـــــار حبيبـــه[5]
غارت[6] بـــه بين الكواكـــب بـــوح

[1] البحر الطويل.
[2] في ج: ((حال))، وفي الكتيبة الكامنة: ((مال)).
[3] في الكتيبة الكامنة: ((ونظرته لم تنأ عن خوطه اللَّدْن))؛ وهذا أسلم.
[4] البحر الكامل.
[5] في الكتيبة: ((جبينه)).
[6] في ج: ((عادت)).

لم يــرض غير القلــب منزلة فهــل

يا ليــت شعــري بالذراع يلــوح

ومما نسب لنفسه وأنشدنيه[1]:

ليــل الشبــاب انجــاب أول وهلــة

عن صبح شيب لست عنه بــراض

إن ســرني يومــاً ســواد خضابــه

فنصوله عــن ســاق[2] ببيــــاض

هلا اختــفى فهو الذي سرق الصبــا

والقطع في السرقات [أمر مــاض][3]

فعليــه ما استطاع[4] الظهــور بلَمَّــتي

وعــليّ أن ألقــــاه بالمقــراض

---

[1] البحر الكامل.

[2] جعلها د. طويل: ((ساقيَ))؛ ليستقيم الوزن.

[3] حرف ما بين الحاصرتين؛ فكتبت في النسختين: ((أرماض))

[4] جعلها د. طويل: ((اسطاع))؛ من أجل سلامة الوزن.

وفاتـه

تـوفي رحمـه الله **بغرناطـة** في السابـع عشـر شهـر ربيـع الآخـر ؛ عـام خمسيـن وسبعمائـة[1]، في **وقيعـة الطاعـون**، ودفـن **ببـاب إلبيـرة** [رحمـة الله عليـه][2].

***

[1] **الموافـق لـ 1349م.**
[2] **مـا بيـن حاصرتيـن أضيـف مـن الزيونـة.**

محمد بن محمد

ابن عبد الله بن محمد بن محمد [بن علي][1] بن محمد اللوشي اليحصبي؛ يكنى أبا عبد الله، ويعرف باللوشي[2]

أوليته

من **لوشة**. وقرأ العلم بها، وتعرف بالسلطان **الغالب بالله محمد** قبل تَصَيُّر الملك له وتقدم عنده. تضمن ذكره الكتاب المسمى بـ**((طرفة العصر في أخبار بني نصر))**[3]، وتقرر ذلك في حرف الحاء في اسم أبي عمر اللّوْشي، كاتب **الدولة النصرية** رحمه الله.

حاله

من كتاب **عايد الصلة**[4]. كان رحمه الله من أهل الحسب والأصالة، شاعراً، مداحاً. نشأ مدللاً في حجور **الدولة النصرية**، خفيفاً على أبوابها، مفضلاً على مداحها.

---

[1] هذه الإضافة وردت في الزيتونة.
[2] توجد ترجمة محمد اللوشي اليحصبي أيضاً في الكتيبة الكامنة، ونثير فرائد الجمان.
[3] ألفه ابن الخطيب. ولكنه مازال مفقوداً. سبقت الإشارة إليه.
[4] لابن الخطيب وهو مفقود أيضاً.

ثـم تجنى بآخـرة، ولـزم طـوراً مـن الخمـول في غيـر تشـك، أعـرض بـه عـن أربـاب الدنيـا، وأعـرض عنـه، واقتصـر علـى تبلـغ مـن علالـة مؤمِّـل كـان لـه خـارج **غرناطـة**[1] غيـر مسـاد مـن ثلمـه، ولا مصلـح في خللـه، أخـذ نفسـه بالتقشـف، وسـوء المسـكن، والتهـاون بالملبـس، حمـلا عليهـا في غيـر أبـواب الرياضـة، مجانبـاً أربـاب الخطـط، وفيـاً لمـن لحقتـه مـن السلطـان موجـدة، تختلـف معاملتـه لمـن يعرفـه في اليـوم مـرات، مـن إعـراض عنـه، وقبـول عليـه، ولصـوق بـه، كـل ذلـك عـن سلامـة، وتهيـب نفـس. مليـح الدعابـة، ذاكـرا لفنـون مـن الأناشيـد، حسـن الجـد، متجافيـاً عـن الأعـراض.

وجـرى ذكـره في **التـاج**[2] بمـا نصـه: شاعـر مفلـق، وشهـاب في أفـق[3] البلاغـة متألـق، طبـق مفاصـل الكـلام بحسـام لسانـه، وقلـد نحـور الكـلام[4]، مـا يـزري بجواهـر الملـوك[5] مـن إحسانـه. ونشـأ في حجـور **الدولـة النصريـة** مدلـلاً

---

[1] **هذه الكلمة أضافها عنان.**

[2] **هو لابن الخطيب؛ ويسمى: التاج المعلى في مساجلة القدح المعلى؛ وهو مفقود أيضاً.**

[3] **سقطت كلمة ((أفق)) في الكتيبة الكامنة.**

[4] **في الكتيبة: ((الملوك)).**

[5] **نفسه: ((السلوك)).**

بمتاته، متقلباً من العز في أفانينه وأشتاته، إذ لسلفه الذمام الذي صفت منه الحياض والحمام، والوداد الذي قصرت عنه الأنداد، والسابقة التي أزرى بخبرها العيان، وشهدت بها **أرجونة**[1] **وجيان**، محيز ثمرة الطيب. وله همة عالية، بعيدة المرمى، كريمة المنتمى، حملته بآخرة على الانقباض والازدراء، والزهد في الازدياد والاستكثار، والاقتصاد والاقتصار، فعطف على انتجاع غلته، والتزام محلته، ومباشرة فلاحة صان بها وجهه، ووفاه الدهر حقه ونجمه، واحتجبت عقايل بيانه لهذا العهد وتقنعت، وراودتها النفس فتمنعت، وله فكاهة، وأنس الزمان، مناجاة القينات، عند البيات، وأعذب من معاطاة الراح في الأقداح)).

[1] أرجونة: هي الموطن الأول لبني نصر ملوك غرناطة. وقد سبق ذكرها.

شعـره

قال: [وله أدب بلغ في الإجادة الغاية][1]، ورفع للجبين من السنن الراية ومن مقطوعاته يودع[2] شيخنا الفقيه القاضي **أبا البركات بن الحاج**[3]:

رأوني وقــد أغرقت في عبــراتي

وأحرقــت في ناري لدى زفــراتي

فقالــوا سلــوه تعلموا كنــه حالــه

فقلــت سلــوا عني أبــا البركــات

فمــن قال إني بالرحيــل محــدث

روت عنه أجفاني غريــب ثبــات

ونــادى فــؤادي ركبــه فأجابــه

ترحل وكن في القــوم بعض عدات

---

[1] هذه العبارة المحصورة ما بين حاصرتين كتبت في الزيتونة هكذا: ((وله أدب بليغ في الإجادة بلغ الغية)).

[2] كتبت في النسختين: ((يردد)).

[3] البحر الطويل.

ومن مقطوعاته البديعة من قصيدة مجازية[1]:

سيخطب قس العزم في منبر السُّرى
وهل في الدنـــا يوم المسير أطيـــق
وأقطـــع زند الهجر والقطع حقـــه
فما زال طيب العمر عني يستـــرق[2]

مولـده

في حدود ثمانية وسبعين وستماية[3].

وفاتـه

في الموفّى عشرين من شهر ربيع الثاني؛ من عام اثنين وخمسين وسبعماية[4].

***

---

[1] البحر الطويل.
[2] جعلها د. طويل: ((يريق))؛ وهذا أسلم.
[3] المافق لـ 1279م.
[4] الموافق لـ 1351م.

محمد بن محمد

ابن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن الحكيم اللخمي[1]؛ يكنى أبا بكر

أوليته

مرت[2] في اسم **ذي الوزارتين**.

حاله

من كتاب **عائد الصلة**: كان صدر أبناء أصحاب النعم، وبقية أعلام البيوت، ترف نشأة، وعز تربية، وكرم نفس، وطيب مجالسة، وإمتاع محاضرة، وصحة وفاء، وشياع مشاركة في جملة فاضلة، محدثاً تاريخياً، كاتباً بليغاً، حسن الخط، مليح الدعابة، ظريف التوقيع، متقدم الحيلة[3] في باب التحسين والتنقيح. يقرض الشعر، ويفك المُعَمَّى، ويقوم على جمل الكتاب العزيز. حفظاً وتجويداً. وإتقاناً، ويسرد نتف التاريخ. وعيون الأخبار، إلى حسن الخلق، وكمال الأبهة، وحلاوة البساطة،

---

[1] توجد ترجمة محمد بن الحكيم اللخمي أيضاً في الكتيبة الكامنة، ونفح الطيب.
[2] هذه الكلمة؛ إضيفت من الزيتونة.
[3] كتبت في ج: ((الحبلة))، وفي الزيتونة: ((الحملة)).

واحتمال المنابشة. والمثابرة على حفظ المودة، والاستقالة من الهفوة، والتمسك بالاستعتاب والمعذرة. كتب بالدار السلطانية أكثر عمره، وتصدر بعد في قيادة المواضع النبيهة، [محارباً ذا قدرة في ذلك][1]. ومع ذلك فشايع المعروف، ذايع المشاركة، قيد الكثير. ودون وصنف، وحمل عن الجلة ممن يشق إحصاؤهم، وكان غرة من غرر هذا القطر، وموكبا من مواكب هذا الأفق، لم يتخلف بعده مثله.

وجرى ذكره في **التاج المحلى** بما نصه: ((ماجد أقام رسم[2] المجد بعد عفايه، فوفى الفضل حق وفايه؛ بيته في **رندة**، أشهر في الأصالة من بيت **امرئ القيس**، وأرسَى في بجبوحة الفخر[3]، من قواعد الرضوى وأبي قيس، استولى على الجود البديع البعيد المدا، وحجت إليه من كل فج طلاب الندا، وعشت إلى ضوء ناره، فوجدت على النار التقى والهدى. ولي الوزارة **النصرية**، التي

[1] كتبت هذه العبارة في ج؛ كما يلي: ((محارباً مقدوراً عليه)).
[2] في الكتيبة الكامنة: ((ربع)).
[3] في الزيتونة: ((الفضل)).

اعتصر منها طريفاً بتالد، فأحيت مآثرها الخالدة مآثر **يحيى بن خالد**[1]. ولما أدار عليها الدهر كأس النوايب، وخلص إليها سهمه الصايب[2] بين صحايف الكتب وصفايح الكتايب، تطلعت من خلالها الرايقة لباب الوجود، وبكتها بسيل أجفانها عين الباس والجود، وطلع على أعقاب هذه الفضايل [محلى من صفحاتها][3]، وأعاد لو ساعده الدهر من لمحاتها، وارتقى من الكتابة إلى المحل النبيه، واستحقها من بعض ميراث أبيه، وبنى وشيد، ودوَّن فيها وقيَّد، وشهر في كتب الحديث وروايته، وجنى[4] ثمرة رحلة أبيه، وهو في حجر ذؤابته[5]. وأنشأ الفهارس، وأحيى الأثر الدارس، وألف كتابه المسمى **بالموارد المستعذبة والمقاصد المنتخبة** فسرح الطرف، وروضه طيب الجنى والعرف، وله شعر أنيق الحلية، حاز في نمط

[1] هو يحيى بن خالد البرمكي؛ وزير هارون الرشيد؛ وكبير أسرة البرامكة الشائع ذكرها؛ وهي التي استبدت بالسلطة في الدولة العباسية؛ مما دفع بالرشيد إلى استئصالها سنة 187هـ/802م؛ حرصاً منه على بقاء دولته وسلامة ملكه.
[2] هذه الكلمة سقطت في الزيتونة.
[3] وردت هذه العبارة محرفة في ج؛ فكتبت كما يلي: ((بحلى من صباحها)).
[4] في الكتيبة الكامنة: ((واجتنى ثمره رحلة إليه؛ وهو في حجر...))
[5] كتبت في ج، والكتيبة: ((دايته)).

العلية. وبيني وبين هذا الفاضل وداد صافي الحياض[1]، وفكاهة كقطع الرياض، ودعابة سحبت الدالة أذيالها، وأدارت الثقة والمقة جريالها. وسيمر في هذا الديوان كل رايق المُحيّا، عاطر الريّا)).

مشيختـه

قرأ على الأستاذ **أبي جعفر الحريري، والأستاذ أبي الحسن القيجاطي، والأستاذ إسحق بن أبي العاصي**. وأخذ عن الطّم والرّم، من مشايخ **المشرق والمغرب**. فمنهم: الولي الصالح **فضل بن فضيلة المعافري**، إلى العدد الكثير من **أهل الأندلس**: كالخطباء الصلحاء **أبي عبد الله الطنجالي، وأبي جعفر الزيات، وأبي عبد الله بن الكماد**، وغيرهم من: **الرُّنديين والمالقيين والغرناطيين**، حسبما تضمنه برنامجه.

---

[1] **حرفت في الزيتونة؛ فكتبت: ((الحياطة)).**

تواليفه

ألف الكتاب المسمى، ((**الفوائد المنتخبة والموارد المستعذبة**))[1]. وكمل التاريخ المسمى بـ((**ميزان العمل**)) **لابن رشيق**. ودون كتاباً في عبارة الرؤيا؛ سماه ((**بشارة القلوب بما تخبره الرؤيا من الغيوب**))، و((**الأخبار المذهبة**))، و((**الإشارة الصوفية، والنكت الأدبية**))، و((**الهَوْدج في الكتب**))، و((**الإشارة في ألف إنشاده**)).

شعره وكتابته

قال في التاريخ ما نصه: ((وتهادته إلى هذا العهد رتب السيادة، واستعمل في نبيهات القيادة؛ فوجه إلى **معقل قرطمة**[2] من **كورة ريُّه**؛ وهو واليه، وبطاحه في مجرى جياده وصحر عواليه. وقد حللت **مالقة** صحبة الركب السلطاني في بعض التوجهات، إلى تلك الجهات،

---

[1] سبق ذكر هذا الكتاب تحت العنوان التالي: ((الموارد المستعذبة والمقاصد المنتحبة)).

[2] يسمى بالإسبانية Cartama؛ ويتواجد هذا المعقل الحصين في الغرب من مالقة؛ في نطاق كورة ريه. وقد ورد الاسم في النسختين محرفاً؛ إذ كتب فيهما: ((قرطبة))؛ وهذا تحريف؛ لأن قرطبة كانت قد سقطت من قبل ذلك في أيدي النصارى بزهاء القرن. كما أنها ـ من جهة أخر ـ لا تدخل في نطاق رية أو مالقة.

في بعض ما أتحف [من مقعده][1]، المتصل المستمر، بهدية مشتملة على ضروب من البر. فخاطبته مقيماً لسوق الانبساط، وغير حايد عن الوداد والاغتباط، على ما عول عليه[2] من حمل الإفراط، والانتظام في هذا المعنى والانخراط[3]:

ألام على أخذ القليل وإنما
أعامل أقواماً أقل من الذَّرِّ
فإن أنا لم آخذه منهم فقدته
ولا بد من شيء يُعين على الدَّهْرِ

سيدي أطلق الله يدك بما تملك، وفتر عن منحك البخل ليلاً تهلك. كنت قد هومت[4]، وحذرني القلق فتلومت. ولومي[5] كما علمت سيئ الخصال، عزيز الوصال. يمطل ديني، ويعاف طيره ورد عيني. فإذا الباب

[1] كتبت في ج: ((ما تفقده))؛ وقد صوبت من الزيتونة.
[2] أضاف عنان هذه الكلمة.
[3] البحر الطويل.
[4] كتبت في ج: ((هرمت))؛ وصوبت من الزيتونة.
[5] في ج: ((قومي)).

يدق بحجر، فأنبأني عن ضجر، وجار الجنب يؤخذ بالذنب؛ فقمت مبادراً وجزعت؛ وإن كان الجزع مني نادراً؛ واستفهمت من وراء الغَلَق، عن سبب هذا القَلَق؛ فقالت امرأة من سكان البوادي؛ رابطة الفؤاد يا قوم، رسول خير، وناعق طير، وقرع إذلال لا فرع إدلال؛ حطوا شعار الحَرْب والحَرَب، فقد ظفرتم ببلوغ الأرَب، فتأخرت عن الإقدام، وأنهدت إليه، فحَنَّ[1] **عمر بن أبي ربيعة** عمن كان بالدار من الخدام؛ فأسفرت الوقيعة عن سلام وسلم، ولم يزن أحد منا بكلم. ونظرت إلى رجل **قرطبي** الطلعة والأخلاق، خاو على الإطلاق. تنهد قبل أن يسلم، وارتمض[2] لما ذهب من الشبيهة وتألم. شنشنة معروفة. وعين تلك الجهات معاذ الله مصروفة. وقد حملته سيادتكم من المبرة ضروباً شتى. وتجاوزت في المسرات غاية حتى ولم تضع عضواً من جسده، فضلاً عن منكبه ويده، إلا علقته وعاء ثقيلا، وناطت به زنبيلا؛ واستلقى كالمنيِّ إذا ترك المعترك؛ وعلت حوله تلك الأثقال،

---

[1] **في ج: ((بحن)).**
[2] **في ج: ((وارتمط))؛ وصوبت من الزيتونة.**

وتعاورها الانتقال[1]] وكثر بالزقاق القيل والقال. فلما تخلصت إلى الدار[2]، وسترت معرفتها بالجدار، وتناولها الاختبار الفاضح، وبان قصورها الواضح، فتلاشت، بعد ما جاشت، ونظرت إلى قعب من اللبن الممزوق الذي لا يستعمل في البيوت، ولا يباع في السوق، فأذكرتني قول الشاعر[3]:

في تلـــك[4] المكـــارم لا قعبان من لبن
شِيبَـــت بمـــاء فعـــاد بعد أبـــوالا

أما زُبده فرفع، وأما جُبنه فاقتيت به وانتفع. وأما من بعثه من فضلاء الخدام فدفع، وكأني به قد ألح وصفع، والتفت إلى قفة قد خيطت، وبعنق ذاك البايس قد نيطت، رمس[5] فيها أفراخ الحمائم، وقلدت بجيده كما

[1] اعتبارا من الكلمة الآتية التي فتحت بها الحاصرة وحتى تقفل الأخرى فيما بعد خلال فقرة آتية؛ كل ذلك ساقط في ج؛ بينما هو وارد في الزيتونة؛ فقط دون غيرها.
[2] كتبت في ج: ((قومي)).
[3] البحر البسيط.
[4] حذف د. طويل كلمة ((في))؛ فأضحت ((تلك المكارم)).
[5] في الزيتونة: ((ومس)).

يتقلد بالتمائم، وشد حبلها بمخنقه، وألزم منها في العاجل طائره في عنقه، هذا بعد ما ذبحت، وأما حشوها فربحت. ولو سلكتم الطريقة المثلى، لحفظتم جثتها من العفن؛ كما تحفظ جثة القتلى، وأظنكم لم تغفلوا هذا الغرض الأدنى، ولا أهملتم هذه الهمم التي غريزة في المبنى. فإني رميت منها اللهو رمي المختبر، فَكَلُحَ من مرارة الصبر، ولما أخرجتها من كفن القفة، واستدعيت لمواراتها أهل الصُّفة، تمثلت تمثل اللبيب بقول **أبي تمام حبيب**[1]:

هن الحَمـــام فإن كسرت عِيافَـــةً[2]

مـــن حائهـــن فإنهـــن حِمـــام[3]

---

[1] **البحر الكامل.**

[2] **العيافة: هي ضرب من الكهانة والتنجيم؛ بواسط رسم الخطوط على الأرض. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها وفيما يشبهها: ((العيافة والطيرة والطّرْق من الجبت)). والطّرْق: هو زجر الطَّيْر؛ بأن يراقب ـ كما سبق ذكره ـ فإن مرّ من اليمين تفاءلوا، وإن مرّ من الشمال تشاءموا؛ والعكس صحيح أحياناً.**

[3] **الحَمام ـ بفتح الحاء المهملة: هو الطائر الدّاجن المعروف؛ أما الحِمام: ـ بكسر الحاء المهملة ـ فهو الموت.**

ولو أن إحدى الدجاجتين لاحت عليها مخيلة سر؛ لكانت من بقايا مواطني ديوك **بني مُرّ**، وبعث بها حلالك حلاله، وأهدى منها اجتهاد من أحسن. ولم يكن بالهدية ما يذكر، ولا كانت مما ينكر، أستغفر الله، فلو لم تكن التحفة، إلا تلك الفكاهة العاطرة والغمامة الماطرة؛ التي أحسبها الأمل الأقصى، وتجاوزت إلا من التي لا تعد ولا تحصى، للزم الشكر ووجب، وبرز من حر المدح ما تيسر واحتجب؛ فالمكارم وإن تغيرت أنسابها، وجهل انتسابها، وادعي إرثها واكتسابها، إليكم تنشر يدها، وتسعى لأقدامها، ولبيتكم تميل بهواديها، وبساحتكم يسيل واديها، وعلى أرضكم تسح غواديها. ومثلي أعزكم الله، لا يُغضي من قدر تحفكم الحافلة، ولا يقدر من شكرها على فريضة ولا نافلة، ولكنها دعابة معتادة، وفكاهة أصدرتها ودادة. ولا شك أنكم بما جبلتم عليه قديماً وحديثاً، تغتفرون[1] جفائي، الذي سيرتموه سمراً وحديثاً، في جنب وفائي، وتغضون وتتحملون، وبقول الشاعر

---

[1] في الزيتونة: ((تعدون)).

تتمثلون، وأسمع من الألفاظ اللغوية التي يسر بها سمعي، وإن ضمنت شتمي ووصفي[1]:

بعثــت بــشيء كالجفــاء وإنمــا
بعثــت بعذري كالمــدل إلى غــدر
وقلــت لنفــسي لا تــردعي فإنــه
كما قيل شيء قد يعيــن على الدهــر
وما كان قدر الــود والمجــد مثلــه
فخـــذه على قدر الحــوادث أو قدري
وإن كنت لم أحســن صنيعي فإنــني
سأحسن في حسن القبول له شكــري
وقــدرك قــدر النيل عندي وإنــني
لــدى قــدرك العالي أدق من الــذر
قنعــت وحــظي من زماني وودكــم
هبــاء ومثلي ليــس يقنــع بالنــزر
أتــاني كتاب منــك بــاه مبــارك
لقيــت بــه الآمــال باهتــة الثغــر

[1] البحر الطويل.

جـــلا من بنات الفكـــر بكراً وزفهـــا

إلى ناظري تختال في حبـــر الحبـــر

فألفاظهـــا كالزهـــر والزهـــر يانـــع

وقدر المعاني في الأصالـــة كالزهـــر

نجـــوم معان في سمـــاء صحيفـــة

ولكنها تُســـري النجوم ولا تســـري

تضمـــن من نوع الدعابـــة مـــا بـــه

رجوت الذي قد قيل في نشوة الخمر

رعى الله مسراها الكريـــم فجـــل ما

جلته من البشرى وأبدت من البشـــر

لعمـــري لقد أذكرتني دولة الصبـــا

وأهديـــت لي نوع الجلال من السحر

ولما أتت تلـــك الفكاهـــة غـــدوة

وجدت نشاطا سائر اليوم في بشري

ولا سيمـــا إن كـــان ملحـــم بردهـــا

عميد أولي الألبـــاب نـــادرة العصـــر

نشــــرت بها ما قد طــويت بساطـــه

زمانـــاً وبي طي الأمور مع النشـــر

ونعم خليــل الخيـــر أنـــت محافظـــاً

على سنن الإخلاص في السر والجهـــر

ودونكهـــا تلهـــو بهـــا وتـــديرهـــا

سحيريـــة الأنفـــاس طيبـــة النشـــر][1]

فراجعني بقوله:

وقد منّ سيدي الجواب، محتوياً على العجب العجاب، فيالك من فكاهة كوثرية المناهل، عنبرية المسايل، ولو لم يكن إلاّ وصف القرطبي المستوي[2] الطلعة، الشرطي الصنعة. وأما وصف اللبن وفراخ الحمام، فقد بسطتم في المزاح القول، وامتنعتم في الكلام الفصل؛ وذلك شيء يعجز عن مساجلتكم فيه أرباب البلاغة والبيان، فكيف بمثلي ممن له القول المهلهل النسيج، الواهي البيان. ولا بد من عرض ذلك على

---

[1] هنا ينتهي ما نقل عن الزيتونة؛ وهو ما سبق ذكره سقط في ج.

[2] في ج: ((المشوى)).

سيدي[1] القطب الكبير الإمام، وأستاذنا علم الأعلام، وكبير أيمة الإسلام؛ فيحكم بيننا بحكم الفصل، وينصف بما لديه من الحق والعدل. وقد كنت أحيد عن مراجعتكم حيدة الجبان، وأميل عن ذلك ميلة الكوَدْن[2] عن مجاراة السُّمْر الهجان؛ وأعدل عن مساجلة أدبكم الهتان؛ عدول الأعزل عن مبارزة جيد السنان؛ إلى أن وثقت بالصفح، وعولت على ما لديكم من الإغضاء والسمح، ووجهت حاملة السر والظروف، كي تتصل الهدايا ولا ينقطع المعروف، وأستقيل من انبساط يجر عذراً. وأسأله سبحانه وتعالى حمداً يوجب المزيد من إنعامه وشكراً. دام سيدي وآماله مساعدة. والكلمة على فضله واحدة.

ومن شعره في النُّسك واللَّجْإ إلى الله تعالى[3]:

أيا من له الحكم في خلقه

ومن[4] بكربي له أشتكي

---

[1] في ج: ((سبيل))؛ وصويت من الزيتونة.
[2] أي من يتثاقل في مشيه، ويبطئ في حركته؛ مثل الفيل.
[3] هذه الأبيات موجودة في الكتيبة الكامنة؛ وهي من البحر المتقارب.
[4] في الكتيبة: ((يا من))؛ وهذا أسلم.

تـــــول أمـــوري ولا تسلمـــني

وإن أنـــت أسلمتـــني أهلـــــك

تعاليـــت من مفضـــل[1] منعـــم

ونزهـــت من طالـــب مـــــدرك

ومن ذلك ونقلته من خطه[2]:

تصبـــر إذا ما أدركتـــك ملمـــة

فصنـــع إلـــه العالمين عجيـــب

وما يدرك[3] الإنسان عار بنكبـــة[4]

ينكب فيهـــا صاحـــب وحبيـــب

ففي من مضى للمرء ذي العقــل أســـوة

وعيش كرام الناس ليس يطيـــب

ويوشـــك أن تهمي سحايب نعمة

فيخصب من ربع السرور[5] جديب

---

[1] كتبت في الزيتونة ((فاضل)). وفي الكتيبة: ((من منعم مفضل)).
[2] هذه الأبيات موجودة في الكتيبة الكامنة، ونفح الطيب. وهي من البحر الطويل.
[3] في النفح: ((وما يلحق)).
[4] في الكتيبة: ((فينكب)).
[5] في الكتيبة، والنفح: ((فيخصب ربع للسرور جديب)).

إلهــك يا هذا مجيب[1] لمن دعــا
وكل الــذي عند القريـــب قريب

مولــده

عـام خمسة وستيـن وستماية[2].

وفاتـه

مـن **عائد الصلـة**. قـال: وختـم الله عمـره بخير العمـل مـن الإنابـة والتهـدج، والتـزام الـورد، وإن كـان مستصحـب الخيرية. وحـل ببلـد ولايتهـم **رنـدة**، فكانـت بهـا تربتـه؛ فـي الثالـث والعشريـن لربيـع الآخـر عـام خمسيـن وسبعمايـة[3].

***

---

[1] **في النفـح: ((قريـب)).**
[2] **الموافـق لـ 1266م.**
[3] **الموافـق لـ 1349م.**

محمد بن محمد

ابن علي بن العابد الأنصاري؛ ولد المذكور بعد الكاتب بالدار السلطانية.

حالـه

من كتاب **طرفة العصر** وغيره؛ قال: كان[1] كاتباً مشهوراً، بليغا، ذا معرفة، بارع الخط، أوحد زمانه في ذلك، وقوراً، معذب[2] اللفظ، منحطاً في هوى نفسه، محارفاً[3] بحرفة الأدب على جلالة قدره. وكتابته نقية، جانحة إلى الاختصار.

شعـره

وثيق تقل فيه أرواح المعاني، كشعر أبيه، وتوشيحه فائق. تولى كتابة الإنشاء لثاني **الملوك النصريين**[4]، واستمر قيامه[5] بها على حجر شديد من السلطان وَمَحْمل،

---

[1] ((كان)) سقطت في النسختين؛ أضافها عنان.
[2] أي عذب.
[3] أي محترفاً.
[4] هو السلطان أبو عبد الله محمد بن محمد بن نصر؛ حكم من سنة 671هـ/1272م إلى سنة 701هـ/1302م.
[5] كتبت في ج: ((قيامة))؛ وصوبت من الزيتونة.

لملازمته المعاقرة وانهماكه في البطالة، واستعمال الخمر، حتى زعموا أنه قاء يوماً بين يديه، فأخره عنها، وقدم الوزير **أبا عبد الله ابن الحكيم**. وفي ذلك يقول[1]:

أمن عادة الإنصاف والعدل أن أُجفا[2]

لأن زعموا أني تحسيتها صرفا

وأقام بقية عمره تحت رفد وبر.

وفاته

توفي في حدود التسعين وستماية[3]. وكان شيخنا **ابن الجياب** [قد آثره][4] بكتبه. وكانت نفيسة أعلاها بخط أبيه رحمه الله.

***

---

1 البحر الطويل.

2 في النسختين: ((جفا)).

3 الموافق لـ 1291م.

4 في النسختين: ((فآثره)).

محمد بن مالك

المُرّي الطِّغنَري[1]؛ من أهل غرناطة، من ذوي البيتية والحسب فيها. ذكره الأستاذ[2]، في الكتاب المسمى بالصلة[3]، والغافقي[4]، وغيرهما.

حاله

أديب نبيل، شاعر، على عهد الأمير **عبد الله بن بلقين بن باديس** صاحب **غرناطة**. قال وكان أولاً يميل إلى البطالة والراحة. ثم إنه استيقظ من غفلته، وأقلع عن راحته، وأجب في توبته. وكان من أهل الفضل والخير والعلم.

من تواليفه: كتابه الشهير **في الفلاحة**، وهو بديع، سماه **زهرة البستان، ونزهة الأذهان**، عبرة في الظرف.

---

[1] **حرف هذا الاسم بالكامل في ج؛ فكتب: ((محمد بن ملك الميري الصعري)). وكذلك في الزيتونة: ((محمد بن ملك المري الصعري)). وما تم إثباته هو الصحيح. وكلمة ((الطنغري)) نسبة إلى طغنر؛ وهي قرية تابعة لغرناطة؛ سبق ذكرها. وتوجد ترجمة محمد بن مالك الطغنري أيضاً في الذخيرة.**

[2] **يقصد الأستاذ أبا جعفر بن الزبير صاحب كتاب صلة الصلة.**

[3] **اسم الكتاب هو ((صلة الصلة))؛ للأستاذ أبي جعفر بن الزبير. وهو لتراجم أعيان الأندلس؛ ويعتبر كذيل لكتاب الصلة لبشكوال.**

[4] **يقصد بكملة الغافقي: محمد بن عبد الواحد الغافقي المعروف بالملاحي؛ وقد سبق ذكره.**

قال، وجرى له مع **سَماجة**[1]، خليفة **عبد الله بن بلقين** قصة. إذ فاجأه **سماجة** مع إخوان له، ولم يشعروا به، فأنشده **ابن مالك** ارتجالاً، وقد أخذ بلجام دابته[2]:

بينمـــا نحن في المصلى نســـاق[3]

وجنـــاح العـــشي فيـــه جنـــوح

إذا[4] أتـــانـــا سماجـــة يتـــلألأ

ردى[5] الشمس من تجليله[6] يـــوح

فطفقنـــا يقـــول بعض لبعـــض

أغبـــوق شرابنـــا أم صبـــوح

---

[1] سماجة: هو أحد رؤساء قبيلة صنهاجة الأمازيغية. تولى وزارة أمير غرناطة عبد الله بن بلقين، وكان وزيراً حازماً، وله سطوة وشدة؛ الأمر الذي جعل عبد الله يتحول عنه ويقيله من مهمه. فسار إلى المرية بأهله وأمواله؛ حيث عاش في كنف أمير المرية ابن صمادح.

[2] البحر الخفيف.

[3] في النسختين: ((نسقى)).

[4] حذف د. طويل الألف؛ فغدت: ((إذ))؛ وذلك من أجل سلامة الوزن.

[5] جعلها د. طويل: ((فردى)).

[6] جعلها د. طويل: ((تجليه)).

قال: فتكلم الوزير **سماجة** [**باللسان البربري**] [1] مع عبيده، فرجعوا مسرعين، ووقف **سماجة** مع الوزير **ابن مالك**، إلى أن أتاه عبيده، بوعاء فيه جملة كبيرة من الدراهم، تنيف على الثلاثمائة دينار. فقال ادفعوها إليه، وانصرف. وأتاهم العبيد مع الدراهم، بطعام وشراب. قال: **ابن مالك**، وذلك أول مالٍ تَأَثَّلْتُه[2].

شعـره

ومنـه[3]:

صـــب على قلبي هوى لاعـــج
ودب فـــي جسمي ضــنًى دارج
في شـــادن أحمـــر[4] مستأنـــس
لســـان تذكـــاري[5] بـــه لاهـــج

---

[1] في الزيتونـة ((باللسـان الغربي)).
[2] في النسختيـن: ((تأثلـه)).
[3] ((ومنـه)): سقطت في ج. وهذه الأبيـات موجودة في الذخيرة؛ وهي من البحر السريـع.
[4] في الذخيـرة: ((أحـور)).
[5] في ج: ((تذاكـري)).

قـــدر[1] نعمـــان إذا مـــا مـــشى
ومـــا عـــسى يفعلـــه[2] عـــالـــج
فقـــده مـــن رقـــة مايـــــس
وردفـــه من ثقلـــــه مايـــــج
عنوان ما فـــي ثوبـــه وجهـــه[3]
تشابـــه الـــداخـــل والخـــــارج
فـــلا تقيســـوه ببـــدر الـــدّجى
ذا معلـــم الوجـــه وذا ســـاذج

وقد نسبها بعض الناس لغيره.

[1] في الذخيرة: ((ما قدر)).
[2] نفسه: ((يبلغه)).
[3] في الزيتونة: ((مارج)).

وفاتـه

قال الأستاذ: كان حيًا سنة ثمانين وأربعمائة[1]، وأمر أن يكتب على قبره[2]:

يا خليـــلي عـــرج على قبـــري تجـــد
من أكلة[3] الترب بين جنبي ضريـــح
خافـــت الصـــوت إن نطقـــت ولكـــن
أي نطـــق إن اعتبـــرت فصيـــح
أبصـــرت عيـــني العجايـــــب لكـــن
لما فرق[4] الموت بين جسمي وروح[5]

***

[1] الموافق لـ 1087م.
[2] البحر الخفيف.
[3] صوبها د. طويل؛ فجعلها: ((أكلة)).
[4] صوبها د. طويل؛ فجعلها: ((فرق الموت))؛ وهذا أسلم.
[5] في الزيتونة: ((الروح)). وجعلها د. طويل: ((روحي)).

محمد بن علي

ابن محمد [بن عبد الله][1] بن عبد الملك الأوسي[2]؛ المدعو بالعَقْرب؛ من إقليم الآش[3]

حالـه

كان حسن النظم والنثر، ذكياً من أهل المعرفة بالعربية والأدب، موصوفاً بجودة القريحة، والنبل والفطنة.

أدبـه وشعـره

ذكره **الملاحي**، وقال: حدثني قاضي الأحكام **بغرناطة**، **أبو القاسم الحسن بن قاسم**، **الهلالي** صاحبنا. قال: كان الأستاذ **أبو عبد الله العقرب** جارنا، قد وقع بينه وبين زوجه، **زهرة بنت** صاحب الأحكام **أبي الحسن علي بن محمد** تنازع؛ فرفعته إلى القاضي **بغرناطة**، **أبي**

---

[1] أضيفت هذه الزيادة في النسبة من الزيتونة.
[2] في ج: ((الأسدي)).
[3] أي: وادي آش.

عبد الله ابن السماك العاملي، وكنت يومئذ كاتباً له، فرأى القاضي قوته وقدرته على الكلام وضعفها، وإخفاق[1] نظمها، وشفق لحالها. وكان يرى أن النساء ضعاف، وأن الأغلب من الرجال يكون ظالمهن؛ وكان كثيراً ما يقول في مجلسه: رويدك، رفقاً بالقوارير. وحين رأى، [ما صدر عن القاضي من الجمل][2]، فقلت له وأين حلاوة شعرك، والقاضي أديب، يهتز إليه ويرتاح، فطلب مني قرطاساً، وجلس غير بعيد، ثم كتب على البديهة بما نصه[3]:

لله حي يا أميم حواك
وحمايم فوق الغصون حواك
غنين حتى خلتهن عَنَيْنَنِي
بغنايهن فنحت في مغناك

---

[1] كتبت في النسختين: ((اتفاق)).
[2] حرفت هذه الجملة في ج: كالأتي: ((أن القاضي من الحمل)).
[3] البحر الكامل.

ذكرتني[1] ما كنــت قــد أنسيتــه

بخطوب هذا الدهر من ذكــراك

أشكو الزمان إلى الزمان ومن شكى

صرف الزمان إلى الزمان فشــاكي

يا ابن السماك المستظل[2] برمحه

والعزل ترهب ذا السلاح الشاكي

راع الجــوار فبيننــا في جونــا

حق السُّرى والسير في الأفــلاك

وابسط إلى الخلق المئوب ببسطة

ظــرف الكرام بعفــة النســاك

وأنا ذاكر إن لم يفت من لم يمت

فــدارك ثــم دارك ثــم ذاك[3]

---

[1] جعلها د. طويل: ((ذكرنني)).
[2] في ج: ((المستقل)). والسّماك: كوكب صغير في الجهة الشمالية.
[3] هذا البيت مختل.

ثـم دفعهـا إلـى القـاضي، فكتـب القـاضي بخطه فـي ظهـر الرقعـة: لبيك، لبيك. ثـم أرسلـني[1] أصلـح بيـن العقـرب وزوجـه، فإن وصـل صلحهمـا إلـى خمسيـن دينـاراً، فأنـا أؤديهـا عنـه مـن مـالي، فجمعـت بينهمـا، وأصلحـت بينهمـا عـن تـراض منهمـا، رحمهمـا اللـه تعـالى.

***

[1] كتبت في ج: ((ثم أرسل عني)).

محمد بن علي

ابن عبد الله بن علي القيسي العراوي[1]؛ من أهل غرناطة

حالـه

كان فتى حسن السمت، ظاهر السكون، بادي التصون والعفة، دمث الأخلاق، قليل الكلام، كثير الحياء، مليح الخط، ظريفه، بادي النجابة. أبوه وجده من تجار سوق العطر، نبهاء السوق. نظم الشعر، فجاء منه بعجب، استرسالا وسهولة، واقتداراً، ونفوذاً في المطولات، فأنِفْتُ[2] له من الإغفال، وجذبته إلى الدار السلطانية، واشتدت براعته، فكاد يستولي على الأمر. لولا أن المنية اخترمته شاباً، فثكل منه الشعر، قريع إجادة، وبارع ثُنَيَّة شهرة، لو انفسح له الأمد.

مولـده

في ذي الحجة؛ عام أحد وثلاثين وسبعمائة[3].

---

[1] ربما يكون معناها من عرد عروداً: أي قوي واشتد.
[2] هكذا وردت في النسختين.
[3] الموافق لـ 1330م.

وفاتــه

تـوفي مبطونـاً عـلى أيـام قريبـة مـن إسراعـه **بغرناطـة**، عـن سـن قريبـة مـن العشريـن، في عـام خمسـة وخمسيـن وسبعمائـة[1]، وأبـوه أميـن العطاريـن.

***

[1] الموافق لـ 1354م.

محمد بن علي

ابن العابد الأنصاري؛ يكنى أبا عبد الله، أصله من مدينة فاس.

حالـه

من خط القاضي **أبي جعفر بن مسعدة**: علم كتّاب دار **الإمارة النصرية الغالبية**، الذي بنوره يستصبحون؛ وسراجهم الذي بإشراقه وبهجته، ونهج محدته يهتدون. رفع لواء الحمد، وارتدى[1] بالفهم والعلم والحلم. كان رحمه الله إماماً في الكتابة، والأدب، واللغة، والإعراب، والتاريخ والفرايض والحساب، والبرهان عليه [عارفاً بالسجلات والتوثيق][2] أربى على الموثقين من الفحول، المبرزين في حفظ الشعر ونظمه، ونسبته إلى قائله حافظاً مبرزاً. درس الحديث، وحفظ **الأحكام لعبد الحق الإشبيلي**، ونسخ الدواوين الكبار، وضبط كتب اللغة. وقيد على كتب الحديث، **واختصر التفسير**

---

[1] في النسختين: ((وارتد)).
[2] هذه العبارة سقطت في الزيتونة. وقد حرفت في ج؛ فكتبت كما يلي: ((عارف والسجلات والتوثيق)).

للزمخشري، وأزال عنه الاعتزال، لم يفتر[1] قط من قراءة أو درس أو نسخ أو مطالعة، ليله ونهاره. لم يكن في وقته[2] مثله.

مشيختـه

أخذ **بفاس** عن **أبي العباس أحمد بن قاسم بن البقال** الأصولي، **وأبي عبد الله بن البيوت المقري**، وعن الزاهد **أبي الحسن بن أبي الموالي**، وغيرهم.

شعره

ومنه قوله[3]:

طرقت تتيه على الصباح الأبلـــج
حسنـــاء تختـــال اختيـــال تبـــرج

[1] في ج: ((يفتـن)).
[2] في ج: ((وقتلـه))؛ وصوبـت مـن الزيتونـة.
[3] البحـر الكامـل.

في ليلـــة قد ألبســـت بظـــلامهـــا

[فضفـــاض بـــرد بالنجوم مدبـــج][1]

وشعـره مـدون كثير.

وفاتـه

تـوفي بحضرة **غرناطة** ؛ عـام اثنيـن وستيـن وسبعمائـة[2]؛ [فـي ذي القعـدة منـه][3].

***

[1] هذا الشطر كتب في الزيتونـة هكذا: ((فضفـاض البجـوم مدبـج)).
[2] الموافـق لـ 1360م.
[3] هـذه العبـارة سقطت في الزيتونـة.

محمد بن هاني[1]

ابن محمد بن سعدون الأزدي الإلبيري الغرناطي؛ من أهل قرية سكون؛ يكنى أبا القاسم، ويعرف بالأندلسي، وكأنها تفرقة بينه وبين الحكمي أبي نواس.

أوليته

قال غير واحد من المؤرخين: هو من ذرية **يزيد بن حاتم بن قبيصة**[2] **بن المهلب بن أبي صفرة**، وقيل من ولد [أخيه][3] **روح بن حاتم**.

حاله

كان من فحول الشعراء، وأمثال[4] النظم، وبرهان البلاغة، لا يدرك شأوه، ولا يشق غباره، مع المشاركة في العلوم، والنفوذ في فك المعمَّى. خرج من **الأندلس** ابن

---

[1] **توجد ترجمة ابن هاني الأندلسي في: التكملة، ومطمح الأنفس، والمطرب، وجذوة المقتبس، وبغية الملتمس، ووفيات الأعيان، ومعجم الأدباء، وعبر الذهبي، وشذرات الذهب، والفلاكة والمفلوكون، والمغرب، والنجوم الزاهرة، ورايات المبرزين، ومرآة الجنان؛ والأعلام (للزركلي)، ونفح الطيب.**

[2] **حرفت في المخطوطين؛ فكتبت: ((فيضة ، قبطة))؛ والتصويب من كتاب وفيات الأعيان.**

[3] **هذه الإضافة من كتاب وفيات الأعيان.**

[4] **هكذا. وصيغت هنا على أنها جمع (مثيل). أي الفاضل.**

سبع وعشرين سنة، فلقي **جوهراً** [المعروف بالكاتب مولى **المعز بن المنصور العبيدي** صاحب **المغرب**][1]؛ وامتدحه، وكان لئيماً، فأعطاه مائتي درهم، فوجد لذلك، وقال: أها هنا كريم يقصد؟ فقيل بلى، **جعفر بن يحيى بن علي ابن فلاح بن أبي مروان**، **وأبو علي بن حمدون**، فامتدحهما[2]، ثم اختص **بجعفر بن يحيى وأبي علي**، فبالغا[3] في إكرامه، وأفاضا عليه من [النعم و][4]الإحسان ما لم يمر بباله، وسارت أشعاره فيهما، حتى أنشدت **للمعز العبيدي**، فوجهه **جعفر بن علي** إليه في جملة طرف وتحف بعث بها إليه، كان **أبو القاسم** أفضلها عنده، فامتدح **[المعز لدين الله]**[5]، وبلغ **المعز** من إكرامه الغاية. ثم عاد إلى **إفريقية**، ثم توجه إلى **مصر**، فتوفي **ببرقة**.

---

[1] ما بين الحاصرتين سقط في الزيتونة.
[2] كتبت في المخطوطين: ((فامتدحهم))؛ فصوب عنان الكلمة.
[3] في ج: ((فبلغا))؛ فصبت من الزيتونة.
[4] هذه الإضافة من الزيتونة.
[5] في المخطوطين: ((المعز بالله))؛ فصوب عنان ذلك.

وجرى ذكره في **تخليص الذهب**[1] من تأليفنا بما نصه: ((العقاب الكاسرة، والصمصامة الباترة، والشوارد التي تهادتها الآفاق، والغايات التي أعجز عنها[2] السباق)).

وصمته

وذكره **ابن شرف في مقاماته**، قال: وأما **ابن هاني محمد**، فهو نجدي الكلام، سردي النظام، إلا أنه إذا ظهرت معانيه، في جزالة مبانيه، رمى عن[3] منجنيق لا يؤثر في النفيق. وله غزل معري[4]، لا عذري، لا يقنع بالطيف، ولا يصفع بغير السيف [وقد قده به الذات، وعظم شأنه فاحتمل الثواب][5]، وكان يقف دولته في أعلى أعلى منزلته ناهيك[6] من رجل يستعين على صلاح دنياه، دنياه، بفساد أخراه[7]، لرداءة دينه، وضعف يقينه. ولو

---

[1] هو بين مؤلفات ابن الخطيب المفقودة؛ ويسمى بالكامل: تخليص الذهب في اختيار عيون الكتب الأدبيات؛ ويسمى أيضاً: تخصيص الذهب في اختيار الكتب الأدبيات الثلاثة.
[2] في ج: ((عندها)).
[3] في ج: ((على)).
[4] هكذا في المخطوطين.
[5] ما بين الحاصرتين ورد في ج، وسقط في الزيتونة.
[6] أضاف عنان هذه الكلمة.
[7] في الزيتونة: ((آخرته)).

عقل ما ضاقت عليه معاني الشعر، حتى يستعين عليه بالكفر.

شعـره

كان أول ما مدح به **جعفر بن علي** قوله[1]:

أحْبِـــبْ بتيـــاك القبـــاب قبابـــا

لا بالحـــداة ولا الركـــاب ركابـــا

فيها قلـــوب العاشقيـــن تخالهـــا

عَنَمـــاً بأيـــدي البيض والعنابـــا

وقال يمدح **جعفر بن علي** من القصيدة الشهيرة[2]:

أليتنـــا إذ أرسلـــت وارداً وجفـــا[3]

وبانت لنا الجوزاء[4] في أذنها شنفـــا[5]

شنفـــا[5]

---

[1] البحـر الكامـل.

[2] البحـر الطويـل.

[3] في المغـرب: ((وَحْفـا)). أي الكثيـف الأسـود. وطبعاً فالمقصـود هـو الشعر الطويـل المسترسـل، أو الـوارد كمـا أشـار إليـه.

[4] في ديـوان ابـن هـاني والمغـرب: ((وبتنـا نـرى الجـوزاء)).

[5] الشنـف: حليـة تعلـق في أعلـى الأذن.

وبات لنا ساق يقوم[1] على الــدجى

بشمعة صبح[2] لا تُقَــطُّ[3] ولا تعطفــا

أغَنُّ[4] غَضيضٌ[5] جفَّف[6] اللين قـــده

وأثقلت[7] الصهباء أجفانـــه الوطفــا[8]

ولم يبـــق إرعـــاش المدام له يـــداً

ولم يبـــق إعنات[9] التثني له عِطْفــا

نزيف قضاه السكر إلا ارتجاجـــة

إذا كَلَّ عنها[10] الخصر حملها الردفا

يقولون حقف[11] فوقي[12]خيزرانـــة

أما يعرفـــون الخيزرانـــة والحقفــا

---

[1] في المغرب: ((يصـول)).
[2] في ديـوان ابـن هـانـي: ((نجـم)).
[3] في الزيتونـة: ((تغط)). ولا تُقطّ؛ معنـاهـا: لا يُقطـع رأسهـا.
[4] أي في صوتـه غِنَّـة.
[5] أي فاتـر الطـرف.
[6] في الديـوان، والمغـرب: ((خفّـف)).
[7] نفسـه: ((وثقّلـت)).
[8] أي أجفانـة وحواجبـه كثيـرة الشعـر.
[9] حرفت في الزيتونـة فكتبت: ((أعبـات)). ويقصد بـ ((إعنـات)): مـا انتابـه مـن مشقـة وعنـاء.
[10] في الديـوان: ((إذا كَـلّ عنـه الخصـر...)).
[11] كتبـت في المخطوطيـن: ((خفـف))؛ وصوبهـا عنـان.
[12] في الديـوان والمغـرب: ((فوقـه)).

جعلنـــا حشايانـــا[1] ثيـــاب مدامنـــا

وقدت لنا الظلمـــاء من جلدها لحفـــا

فمن كبد تـــدني إلى كبـــد هـــوى

ومن شفة توحي[2] إلى شفـــة رشفـــا

بعيشـــك نبـــه كأســـه وجفونـــه

فقد نبـــه الإبريق من بعد ما أغفـــا

وقد فكـــت الظلمـــاء بعض قيودنا

وقد قام جيش الليل للصبـــح فاصطفّـــا[3]

وولـــت نجـــوم للثريـــا كأنهـــا

خواتيـــم[4] تبدو في بنان يـــد تخفـــا

ومـــرّ عـــلى آثارهـــا دبرانهـــا

كصاحب رديء[5] كمنت[6] خيله خلفـــا

---

[1] أي جعلنـا فراشنـا المحشـو.

[2] في الزيتونـة: ((تـرمي)).

[3] ورد هـذا البيـت في الديـوان هكـذا:

((وقد ولت الظلمـاء تقفـو نجومـها * وقد قام جيش الفجر لليل واصطفًـا)).

[4] في الزيتونـة: ((خواتـم)).

[5] في الديـوان: ((ردء)).

[6] في الزيتونـة: ((أكمنـت)).

وأقبلت الشِّعْــرى العَبُــورُ مُلِمَّـــة[1]

بمِرْزَمِها[2] اليَعْبُوب[3] تَجْنًبُه[4] طِرْفـــا[5]

وقد قبلتهـــا[6] أختها[7] من ورائهـــا

لتخـــرق من ثُنَيَّـــا[8] مجرتها سجفا[9]

تخاف[10] زئير الليث قدم[11] نَثْـــرَةً[12]

وبربـــر[13] في الظلماء ينسفها نسفـــا

كأن مُعلى قطبهـــا[14] فـــارس لـــه

لواءان مركوزان قد كـــره الزحفـــا

---

[1] في الزيتونـة: ((مبلـة))، وفي ديـوان ابـن هـاني: ((مُكِبَّـة)).

[2] في ج: ((بمرازمهـا)). والمرزم: هـو نجـم مـن الشعرى اليمنيـة.

[3] كتبهـا د. طويـل: ((اليعبـوب))؛ ولكنـه لـم يذكـر مصـدره. واليعبـوب: هـو الفـرس السريـع الطويـل.

[4] أي تقـوده إلى جانبهـا.

[5] الطِّرْف: هـو المُهْر.

[6] في الديـوان: ((وقـد بادرتهـا)).

[7] أختهـا: الشعرى الشاميـة.

[8] في ديـوان محمـد بـن هـاني: ((ثِنْـيَيْ))؛ بمعنـى الـطَّيُّ.

[9] السجـف: الستـر.

[10] في الزيتونـة: ((تخـال)).

[11] في الديـوان: ((يقـدم)).

[12] النثـرة: أنـف الأسـد، وكوكبـان.

[13] أي غضـب وصـاح.

[14] نجـم في القطـب.

كأنّ السماكيــن[1] اللذين تظاهــرا
على لُبَّتَيْــه[2] ضامنـــان له الحتفــا[3]
فذا رامــح يهــوي إليــه سنانـــه
وذا أعزل قد عــض أنملـــه لهفــا
[كأن قدامى النسر[4] والنسر واقـــع[5]
قُصِصْنَ فلم تسمُ الخوافي[6] له ضعفا][7]
كـــأن أخـــاه حيـــن دوَّم طايـــرا
أتى دون نصف البدر فاختطف النصفــا
كأن رقيـــب الليـــل[8] أجدل[9] مرقب
يقلـــب تحت الليل في ريشه طرفــا

---

[1] السماكـان: كوكبـان؛ يسـمى الأول: الرامـح، والثـاني: الأعـزل.
[2] في الديـوان: ((علـى لِبْدَتَيْـه)).
[3] نفســه: ((حتفـا)).
[4] أي الريـش الكبيـر في مقدمـة جنـاحي النسـر.
[5] النسـر الواقـع هنـا: هـو كوكـب؛ يشـترك مـع كوكـب النسـر الطائـر في تشكيـل كوكبـة العقـاب. ويعتبـر النسـر الطائـر ألمـع نجـم في الكوكبـة.
[6] أي الريـش الصغيـر في مؤخـرة في مؤخـرة الجنـاح.
[7] سقـط هـذا البيـن مـن ج، وورد في الزيتونـة ولكـن بتحريـف وبتـر في شطـره شطـره الأخيـر؛ وجـاء الشطـر هكـذا: ((قصـص فلـم يستطـع ضعفـا)). أمـا في ديـوان ابـن هـاني؛ فكتـب: ((لـه ضعفـا)).
[8] في الديـوان: ((النجـم)). ويقصـد برقيـب الليـل: النجـم الـذي يغيـب عنـد طلـوع النجـم الـذي يراقبـه.
[9] الأجـدل: هـو الصقـر.

كأن بني نَعْش[1] ونَعْــشٍ مَطافــل[2]

بوجرة[3] قد أضللن في مَهْمَهِ قشفــا[4]

كأنّ سُهاها[5] عاشــق بين عُــوَّد

فآونـــة يبـــــدو وآونـــة يخفـــــا

كـــأن سهيلا[6] في مطالـــع أفقـــه[7]

مفارق إلــف لم يجــد بعــده إلفــا

كأن الهزيـــع[8] الأبنـــوسي[9] موهنا[10]

سرى بالنسيج الخســرواني[11] ملتفاً

---

[1] أي بنـات نعش: سبعـة كواكـب؛ سبـق الحديـث عنهـا.

[2] المطافل: ذوات الأطفال؛ وسـواء من الإنس أو الحيوان؛ والمقصود هنا الظباء.

[3] وجـرة: مكـان يقـع بيـن بمكـة البصـرة ي العـراق.

[4] في الديـوان: ((خشفـا)). الخِشَـف: الظـبي.

[5] السـهى: كوكـب خـفي.

[6] أي نجـم سهيـل. ويعتبـر هـذا النجـم ألمـع نجـم في المجموعـة المكونـة لبـرج لبـرج كارينـا؛ وثـاني النجـوم لمعانـاً في السمـاء ليـلاً. يمكـن مشاهدتـه بسهولـة في النـص الجنـوبي مـن الكـرة الأرضيـة. بينمـا لا يظهـر في نصـف الكـرة الشمـالي إلاّ في أواخـر الصيـف؛ وذلـك في اتجـاه الجنـوب.

[7] سقطـت كلمـة ((أفقـه)) مـن ج.

[8] الهزيـع: طـرف مـن الليـل.

[9] أي بلـون مـادة الأبنـوس السـوداء؛ المستخرجـة مـن بعـض الأشجـار؛ والشبيهـة بالعـاج.

[10] في الديـوان: ((لونـه)).

[11] الخسـرواني: ضـرب مـن الحريـر الفـارسي؛ أبيـض اللـون؛ ويتميـز بالرقـة والنعومـة. وهـو منسـوب إلى الملـك الفـارسي خسـرو.

كأن ظلام الليل إذ مـــال ميلـــة

صريع مدام بات يشربهـــا صرفـــا

كأن نجوم الصبح خاقـــان[1] معشر[2]

من الترك نادى بالنجاشي[3] فاستخفى

كأن لـــواء الشمـــس غرة جعفـــر

رأى القرن[4] فازدادت طلاقته[5] ضعفا

[وقد جاشت الظلماء[6] بيضاً صوراماً][7]

ومركوزة[8] سمرا وفضفاضة زعفـــا[9]

وجاءت عتاق الخيل تردي كأنهـــا

تخـــط لنا أقـــلام آذانهـــا صحفـــا

---

[1] يطلق على ملك الترك لقب خقان؛ ويتصف بالبياض. وقد شبه عمود الفجر به.
[2] حرفت في الزيتونـة فكتبت: ((مشعر)). وفي ديـوان ابـن هـاني جـاء هـذا الشطـر هكـذا: ((كـأن عمـود الفجـر خاقـان عسكـر)).
[3] يطلق على ملك الحبشة لقب النجاشي. ويتصف بسواد اللون. وقد شبه الليل به. به.
[4] أي الخصـم المتكـافئ.
[5] أي بشاشتـه.
[6] في الديـوان: ((الدأمـاء)).
[7] كتب هذا الشطر في ج؛ هكذا: ((وقـد جاشـت الدنيـا بيضـاً صوارمـا)).
[8] في الديـوان: ((ومارنـة)).
[9] الزَّعْف: الـدُّروع الواسعـة.

هنالــك تلــقى جعفراً خير[1] جعفر
وقد بدلت يمنــاه من لينهــا[2] عنفــا
فكاين[3] تراه في الكريهة عاجــلا[4]
عزيمتــه برقــاً وصولتــه خطفــاً

وشعره كثير مدون، ومقامه شهير، وفيما أوردناه كفاية، وهو من **إلبيرة الأصيلة**[5].

---

[1] في الديوان: ((غير)).
[2] نفسه: ((من رفقها)).
[3] في الزيتونة: ((كماين)). وفي الديوان: ((وكائن))؛ وهذا أسلم.
[4] في الديوان: ((جاعلا)).
[5] في الزيتونة: ((الأصلية)). وثمة اختلاف بين رواية ابن الخطيب، بين رواية ابن خلكان في وفيات الأعيان. فبينما يقول ابن الخطيب أن ابن هاني من إلبيرة الأصيلة؛ ذكر ابن خلكان: أنه من إشبيلية. وبمقابلة الرأيين رجح عنان قول ابن خلكان؛ لكونه أقدم، وأقرب إلى عصر ابن هاني. ومع هذا يبقى الرأي الصحيح في حاجة إلى بحث؛ لأن ابن خلكان - وإن كان زمنيا - أقرب إلى عصر ابن هاني؛ فهو أبعد عنه جغرافياً؛ بينما يكون ابن الخطيب قريباً جداً من ابن هاني ومن أخباره الحقيقية. خاصة وأن ابن هاني شاعر مغربي أندلسي؛ ولم يعش في المشرق؛ وأخباره في المغرب أكثر انتشاراً.

وفاتــه

قالـوا، لما توجه إلى **مصـر**، شـرب **ببرقة** وسكـر ونـام عريانـا، وكـان البـرد شديـداً فأفلـج[1]، وتـوفي فـي سنة إحدى وستيـن وثلاثمائـة[2]؛ وهـو [ابـن][3] اثنيـن[4] وأربعيـن سنـة. ولما بلغـت **المعز** وفاتـه، تأسـف عليـه وقـال: هـذا رجـل كنـا نطمـع[5] أن نفاخـر بـه **أهـل المشـرق**.

***

□

---

[1] في ج: ((ففلـج)).
[2] الموافـق لـ 971م.
[3] هـذه الكلمـة سقطـت في الزيتونـة.
[4] صوبهـا د. طويـل؛ فجعلهـا: ((اثنتيـن)).
[5] في الزيتونـة: ((نريـد)) بـدلا مـن ((نطمـع))..

محمد بن يحيى

ابن محمد بن يحيى بن علي بن إبراهيم [ابن علي] الغساني البرجي [الغرناطي][1]؛ يكنى أبا القاسم، من أهل غرناطة.

حاله

فاضل، مُجْمَع على فضله، صالح الأبوة، طاهر النشأة، بادي الصيانة والعفة، طرف في الخير والحشمة، صدر في الأدب. جم المشاركة، ثاقب الذهن[2]، جميل العشرة[3]، ممتع المجالسة، حسن الخط[4] والشعر والكتابة، فذ في الانطباع، صنيع[5] اليدين، يحكم على الكثير[6] من الآلات العلمية، ويجيد تفسير الكتاب[7]، رحل إلى

---

[1] ما بين حاصرتين ـ في الموضعين ـ موجود في الزيتونة؛ بينما كتب في هامش ج: عبارة: ((ابن يحيى البرجي)). وترجمة محمد بن يحيى البرجي موجودة أيضاً في الكتيبة الكامنة، ونيل الابتهاج، والتعريف بابن خلدون، وجذوة المقتبس، ونفح الطيب، وأزهار الرياض.

[2] في نفح الطيب: ((الفهم)).

[3] في الزيتونة ((المعاشرة)).

[4] في النفح: ((حسن الشعر والخط)).

[5] حرفت في الزيتونة فكتبت: ((صبغ)). أما في النفح فكتبت: ((صنّاع)). والصنيع معناه: ماهر في الصنعة.

[6] في النفح: ((محكم لعمل الكثير)).

[7] نفسه: ((الكتب)).

العـدوة[1]، [وتوسـل إلـى ملكهـا][2]، مجدد الرسم، ومقام الجلة، وعلـم دسـت[3] الشعـر والكتابة [أمير المسلميـن][4] **أبـي**

أبـي عنـان فـارس[5]، فاشتمـل عليـه، ونـوه بـه، ومـلأ بالخير يـده، فاقتنى جدة وحظـوة وشهـرة، وذكـراً[6]؛ وانقبـض مـع

مـع استرسـال الملـك[7]، وآثـر الراحـة، وجهـد فـي التمـاس **الرحلة**[8] **الحجازية**، ونبـذ الكـل، وسـلا الخطـة، فأسعفـه سلطانـه بغرضـه، وجعـل (**حبله**[9] **علـى غاريـه**)[10]، وأصحبـه رسالـة إلـى **النبـي** الكريـم مـن إنشايـه، متصلـة بقصيـدة مـن

---

[1] في النفـح: ((رحـل إلى العدوة ولـقي جلـة وتوسـل)).

[2] كتب في المخطوطين بـدلا ممـا جـاء بيـن حاصرتيـن: ((وترسـل إلى ملطـف))؛ وقـد صوبـت مـن نفـح الطيب.

[3] النفـح: ((ومقـام أولـي الشهـرة وعامـر دسـت)).

[4] مـا بيـن حاصرتيـن أضيفـت مـن نفـح الطيـب.

[5] سقطت كلمـة: ((فـارس)) في نفـح الطيـب.

[6] سقطت كلمـة ((ذكـراً)) في نفـح الطيـب.

[7] في النفـح: ((مـع استرسـال الملـك لفضـل عقلـه؛ حتـى تشـكى إليّ سلطانـه بـث ذلـك عنـد قـدومي عليـه؛ وآثـر الراحـة...)).

[8] حرفت في المخطوطيـن فكتبـت: ((الراحـة))؛ وصوبـت مـن نفـح الطيـب.

[9] في النفـح: ((حبـل همـه)).

[10] الغـارب: هـو الظهـر أو الكاهـل. ومـن اقـوال العـرب: ((ألـقى حبلـه علـى غاربـه؛ أي علـى ظهـره. كمـا يقولـون أيضـاً ((ألـقى الرجـل حبلهـا علـى غاربهـا))؛ أي علـى كاهلهـا. والمـراد مـن كـل ذلـك أنـه أعطاهـا حريتهـا. والمقصـود فـي الأولـى: هـو وضـع الحبـل الـذي يشـد الدابـة علـى ظهرهـا؛ وتركهـا حـرة طليقـة تمـشي وتـرعى كيفمـا يحلـو لهـا.

نظمه، وكلاهما تُعْلن[1] في الخلفاء بُعْدَ شأوه، ورسوخ قدم علمه، وعراقة البلاغة، في نسب خصله، حسبما تضمنه الكتاب المسمى **بمساجلة البيان**. ولما هلك وولي ابنه؛ قدمه قاضياً بمدينة ملكه[2]، وضاعف التنويه به، فأجرى الخطة، على سبيل من السداد والنزاهة. ثم لما ولي السلطان **أبو سالم** عمه، أجراه على الرسم المذكور. وهو الآن بحاله الموصوفة؛ مَفْخر من مفاخر [ذلك الباب السلطاني على تعدُّدِ مفاخره][3] يحظى[4] بكل اعتبار.

شعـره[5]

[ثبت في كتاب **نفاضة الجراب** من تأليفنا، عند ذكر المدعى الكبير بباب **ملك المغرب**، ليلة ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكر من أنشد ليلتئذ من الشعراء

---

[1] في الزيتونـة: ((تعلى)). وفي النفـح: ((يعلـن)).
[2] يقصـد المدينـة حاضـرة ملكـه؛ وهي مدينـة فـاس.
[3] مـا بيـن الحاصرتين مـن نفـح الطيـب؛ بينمـا ورد بـدلاً منهـا فـي المخطوطيـن: ((ذلـك السلطـان)).
[4] هـذه الكلمـة أضافهـا عنـان.
[5] الفقـرة النثريـة والقصيـدة المواليـة لهـا المحصورتـان بيـن حاصرتيـن سقطتـا مـن المخطوطيـن؛ ولكـن عنـان نقلهمـا مـن نفـح الطيـب؛ الـذي كـان المقـري قـد نقلهمـا بـدوره ضمـن ترجمـة البـرجي مـن الإحاطـة في وقتـه.

ما نصه:[1] وتلاه الفقيه الكاتب الحاج القاضي، جملة[2] السذاجة، وكرم الخلق، وطيب النفس، وخدن العافية، وابن الصلاح والعبادة، ونشأة القرآن، المتحيز إلى حزب السلامة، المنقبض عن الغُمار، العزوف عن فضول القول والعمل، جامع المحاسن؛ من: عقل رصين، وطلب ممتع، وأدب نقادة[3]، ويد صَناع، **أبو القاسم بن أبي زكريا البرجي**، فأنشدت له على الرسم المذكور هذه القصيدة الفريدة[4]:

أصغى إلى الوجـــد لما جد عاتبه

صـــب لـــه شغـــل عمن يعاتبـــه

لم يعط للصبر من بعد الفراق يدا

فضل من ظـــل إرشاداً يخاطبـــه

---

[1] **هكذا.**

[2] **في نفاضة الجراب: ((حملة)).**

[3] **نفسه: ((نقاوة)).**

[4] **هذه القصيدة من البحر البسيط؛ وهي موجودة أيضاً في نفح الطيب، ونفاضة الجراب، وكتاب الكتيبة الكامنة؛ التي ذكر فيه أنه قال هذه القصيدة سنة 701هـ.**

لولا النوى لم يبت حيران[1] مكتئبـــا

يغالب الوجد كتمـــاً وهو غالبـــه

يستودع[2] الليل أسرار الغرام ومـــا

تمليـــه أشجانـــه فالدمـــع كاتبـــه

لله عصر بشرقي الحمى سمحـــت

بالوصـــل أوقاتـــه لو عاد ذاهبـــه

يا جيرة أودعوا إذ ودعوا حرقا

يَصْلى بها من صميم القلـــب ذائبه[3]

يا هل تـــرى تجمع الأيام فرقتنـــا

كعهدنـــا أو يرد القلـــب ساكبـــه[4]

ويا أهيل ودادي والنـــوى قـــذف

والقرب قد أبهمـــت دوني مذاهبه

هل ناقض العهد بعد البعد حافظـــه

وصادع الشمل يوم الشعب شاعبـــه

---

[1] **في نفاضـة الجـراب، والكتيبـة الكامنـة، ونفـح الطيـب: ((حـرّان)).**

[2] **في الكتيبـة الكامنـة: ((يـوادع)).**

[3] **نفسـه: ((ذائبـه)).**

[4] **ورد هـذا البيـت في الكتيبـة هكـذا:**

((يا هل ترى ترجـع الأيـام ألفتنـا * كعهدنـا ويـر القلـب سالبـه)).

ويا ربوع الحمى لا زلت ناعمة

يبكي عهودك مُضْنى الجسم شاحبــه

يا من لقب مع الأهواء منعطــف

في كل أوب لــه شــوق يجاذبــه

يسمــو إلى طلب البــاقي بهمَّتــه

والنفــس بالميل للفــاني تطالبــه

وفتنـــة المرء بالمألوف معضلـــة

والأنس بالإلف نحو الإلف جاذبة

أبكي لعهد الصبا والشيب يضحك بي[1]

يا للرجــال سبت جدّي ملاعبــه

ولن ترى كالهوى أشجــاه سالفه

ولا كوعــد المنى أحــلاه كاذبــه

وهمة المــرء تغليه وترخصــه

من عز نفساً لقد عــزت مطالبــه

ما هان كسب المعالي أو تناولهــا

بل هان في ذاك ما يلقــاه طالبــه

---

[1] في الكتيبـة: ((لي)).

لولا سرى الفلك السامي لما ظهرت

آثـــاره ولمـــا لاحـــت كواكبـــه

في ذمة الله ركـــب للعلا ركبـــوا

ظَهْرَ السُّـــرَى فأجابتهـــم نجائبـــه

يرمون عرض الفلا بالسير عن غــرض[1]

طي السجـــل إذا ما جـــد كاتبـــه

كأنهم في فـــؤاد[2] الليل سِرٌّ هـــوى

لولا الضرام لما خفـــت جوانبـــه

شدوا على لهب الرمضاء وطأتهم

فغاص في لجـــة الظلماء راسبـــه

وكلفوا الليل من طول السرى شططاً

فخلفـــوه وقـــد شابـــت ذوائبـــه

حتى إذا أبصروا الأعلام ماثلـــة[3]

يجانـــب الحـــرم المحمي جانبـــه

---

[1] في الكتيبـة، ونفاضـة الجـراب، ونفـح الطيـب: ((عُرُض)).
[2] في الكتيبـة: ((سـواد)).
[3] في نفاضـة الجـراب: ((مائلـة)).

بحيـــث يأمـــن من مولاه خائفـــه

من ذنبـــه وينال القصـــد راغبـــه

فيها وفي طيبـــة الغراء لي أمـــل

يصاحب القلب منه ما يصاحبـــه

لم أنـــس[1] لا أنـــس أياماً بظلهمـــا

سقى ثـــراه عميم الغيث ساكبـــه

شوقي إليها وإن شط المزار بهـــا

شـــوق المقيـــم وقد سارت حبائبه

إن ردها الدهر يوما بعد ما عبثت

في الشمل منـــا يـــداه لا نعاتبـــه[2]

معاهـــد شرفت بالمصطفى فلهـــا

من فضله[3] شرف تعلـــو مراتبـــه

محمد المجتبى الهادي الشفيع إلى

رب العباد أميـــن الوحي عاقبـــه

---

[1] في الكتيبـة: ((مـا أنـس)).
[2] في نفاضـة الجـراب: ((تعاتبـه)).
[3] في الكتيبـة: ((مـن أجلـه)).

أوفى الورى ذمماً أسماهم هممــاً

أعلاهــم كرمــاً جلــت مناقبــه

هــو المكمل في خلــق وفي خلق

زكت حلاه[1] كما طابــت مناسبــه

عناية قبل بــدء الخلــق سابقــة

من أجلهــا[2] كــان آتيــه وذاهبــه

جاءت تبشرنا الرســل الكرام به

كالصبح تبدو تباشيــراً كواكبــه[3]

أخباره سر علم الأوليــن وســل

بديــر تيمــاء ما أبــداه راهبــه

تطابق الكون في البشرى بمولــده

وطبق الأرض أعلامــاً تجاوبــه

فالجــن تهتف إعلانــاً هواتفــه

والجــن تقــذف إحراقــاً ثواقبــه

---

[1] في الكتيبـة: ((علاه)).

[2] نفسـه: ((من أجلـه)).

[3] هذا البيت ومـا يتبعه غير وارد في الكتيبـة الكامنـة.

ولم تزل عصمة التأييــد تكنفـــه

حتى انجلى الحق وانزاحت شوائبـــه

سرى وجنح ظلام الليل منســـدل

والنجم لا يهتدي في الأفق ساربه

يسمـــو لكل سمـــاء منـــه منفـــرد

عن الأنـــام وجبرائيـــل صاحبـــه

لِمُنْتَـــهًى وَقَفَ الرُّوح الأمين بـــه

وامتاز قُربًـــا فلا خَلْـــقٌ يُقَارِبـــه

لِقَاب قَوْسَيْـــن أو أدنى[1] فما علمت

نَفْـــسٌ بمقـــدار ما أولاه واهبـــه

أراه أســـرار ما قد كان أودعـــه

في الْخلْـــقِ والأَمْرِ باديه وغائبـــه

وآب والبدرُ في بحر الدُّجى غَرِقٌ

والصبـــح لمَّا يؤب للشـــرق آيبُه

---

[1] **مقتبس من قوله تعالى في سورة النجم: [فكَانَ قابَ قوْسَيْن أوْ أدْنَى). الآية: 9.**

فأشرقت بسنَاه الأرضُ واتَّبعــت

سُبل النجـــاة بما أبدت مذاهبـــه

وأقبل الرُشْد والْتَــاحت زواهــره

وأدْبَــر الغي فانجابت غياهبـــه

وجـــاء بالذكـــر آيـــاتٍ مفصلـــة

يهدى بها من صِراط اللـــه لاحبهُ

نورٌ من الحِكَم لا تخبو سواطعـــهُ

بَحْرٌ من العلـــم لا تفْنى عجائبـــهُ

له مقـــام الرِّضا المحمـــود شاهده

في موقف الْحَشْر إذ نابت نوائبـــه

والرُّسل تحت لواء الحمد يقدُمُهـــا

محمـــدٌ أحمـــد الســـامي مراتبـــه

له الشَّفاعـــات مقبـــولاً وسائلهـــا

إذا دهى الأمر واشتـــدت مصاعبه

والحوض يروي الصَّدى من عَذْب مورده

لا يشتـــكي غُلَّة الظمآن شاربـــه

محامد المصطفى لا ينتهي أبـــداً

تَعْدَادُهَـــا هل يعدُّ القَطْرَ حاسبـــه

فضلٌ تكفـــل بالدَّارين يُوسِعُهـــا

نَعْمَـــى ورَحْمَى فلا فضلٌ يناسبه

حسبي التوسُّل منها بالذي سَمَحَتْ

بـــه القوافـــي وجلتهـــا غرائبـــه

حيّاه من صلوات الله صَوْبُ حيـــاً

تُحْدِى إلى قبـــره الزَّاكي نجائبـــه

وخلَّد اللّـــه مُلْك المستعيـــن بـــه

مؤيـــد الأمر منصـــورًا كتائبـــهُ

إمام عـــدل بتقوى اللَّـــه مشتمـــل

في الأمر والنهـــي يُرضِيه يراقبه

مســـدَّدُ الحُكْـــم ميمـــونٌ نقيبتُـــه

مُظَفَّر العزم صِدْق الرأي صائبـــه

مشمِّـــرُ للتّـــقى أذيـــال مجتهـــد

جرَّارُ أذيال سحب الجود ساحبـــه

قد أوسعـــت أمل الراجي مكارمه
وأحسبت رغبـــة العافي رغائبـــه
وفـــاز بالأمن محبـــوراً مسالمـــه[1]
وباء بالخزي مقهـــوراً محاربـــه
كم وافـــد آمـــل معهـــود نائلـــه
أثنى وأثنـــت بمـــا أولى حقائبـــه
ومستجيـــر بعـــز مـــن مثابتـــه
عزت مراميه وانقـــادت مآربـــه
وجاءه الدهر يسترضيه معتـــذراً
مستغفـــراً من وقوع الذنب تائبـــه
لولا الخليفـــة إبراهيم لانبهمـــت
طرق المعالي ونال الملك غاصبه
سمـــت لنيل تراث المجد همتـــه
والملك ميراث مجد وهو عاصبه[2]

---

[1] في نفاضـة الجـراب: ((مسالبـه)).
[2] في نفاضـة الجـراب، ونفـح الطيـب: ((غاصبـه))؛ بالغيـن المعجمـة.

ينميـــه للعز والعليـــا أبو حســـن

سمـــح الخلائق محمود ضرائبـــه

من آل يعقوب حسب الملك مفتخـــراً

ببـــاب عزهـــم السامي تعاقبـــه

أطواد حلم رسا بالأرض محتـــده

وزاحـــت[1] منكب الجوزا مناكبـــه

تحفهـــا من مرين أبحر زخـــرت

أمواجهـــا وغمـــام ثـــار صائبـــه

بكل نجـــم لدى الهيجاء ملتهـــب

ينقض وسط سماء النقـــع ثاقبـــه

أكفهـــم فـــي دياجيهـــا مطالعـــه

وفي نحـــور أعاديهـــم مغاربـــه

يا خيـــر من خلصـــت لله نيتـــه

في الملك أو خطب العلياء خاطبه

جردت والفتنة الشعـــواء ملبســـة

سيفاً من العزم لا تنبو مضاربـــه

---

[1] في نفاضة الجراب، ونفح الطيب: ((وزاحمت))؛ وهو أسلم.

وخضتهـــا غير هيـــاب ولا وكـــل
وقلمـــا أدرك المطلـــوب هائبـــه
صبرت نفساً لعقبي الصبر حامدة
والصبر مذ كان محمود عواقبـــه
فليهن دين الهدى إذ كنت ناصـــره
أمن يواليـــه أو خـــوف يجانبـــه
لا زال ملكـــك والتأييـــد يخدمـــه
تقضي بخفض مناويـــه قواضبـــه
ودمت في نعم تضفـــوا[1] ملابسهـــا
في ظل عز علاً تصفو مشاربـــه
ثم الصلاة على خيـــر البرية مـــا
ســـارت إليـــه بمشتـــاق ركائبـــه][2]

---

[1] في نفاضة الجراب: ((تصفوا)).
[2] هنا ينتهي ما نقله عنان من نفح الطيب؛ وهو ما سبق للمقري أن نقله من الإحاطة التي كانت ين يديه آنئذ بخصوص ترجمة أبي القاسم البرجي وشعره. وهذا هو ـ بالذات ـ ما سجله ابن الخطيب نفسه في كتابه نفاضة الجراب. وكل هذا سقط من مخطوطي: ج، والزيتونة. ومن هنا نعود إلى السياق الثابت في مخطوطي ج، والزيتونة.

ومن شعره ما قيده لي بخطه صاحب قلم الإنشاء بالحضرة **المرينية**[1]، الفقيه الرئيس الصدر المتفنن [**أبو زيد ابن خلدون**][2]:

صحا القلـــب عما تعلميـــن فأقلعا[3]

وعطل من تلك المعاهـــد أربعـــا

وأصبح لا يلوي على حـــد منزل

ولا يتبـــع الطرف الخلي المودعا

وأضحى من السلوان في حرز معقـــل

بعيد على الأيـــام أن يتضعضعـــا

[يرد الجفـــان النُّجّل عن شرفاتـــه

وإن لحظـــت عن كل أجيد أتلعـــا][4]

عزيز على داعي الغرام انقيـــاده

وكان إذا نـــاداه[5] للوجـــد أهطعـــا

---

[1] **أي البلد الجديد في ضاحية مدينة فاس. وهي عاصمة دولة بني مرين.**
[2] **ما بين الحاصرتين سقط في ج.؛ بينما ورد في الزيتونة. والقصيدة التالية من البحر الطويل؛ وهي موجودة أيضاً في نفح الطيب.**
[3] **كتبت هكذا في ج، وفي نفح الطيب؛ بينما كتبت في الزيتونة: ((فأقنعا)).**
[4] **هكذا في نفح الطيب؛ بينما حرف البيت في المخطوطين؛ فكتب هكذا: ((يرى الحيوان الخل من شرفاته * وإن لحظت عن كل أجيد أملعا ـ ملعد)).**
[5] **في ج: ((أنداه))؛ وصوبت من الزيتونة ونفح الطيب.**

أهـــاب به للشيب أنصح واعـــظ

أصـــاخ له قلبـــاً منيباً ومسمعـــا

وسافر في أفق التفكـــر والحجـــا

زواهـــره لا تبرح[1] الدهر طلعـــا

لعمري لقد انضيت[2] عزمي تطلبـــاً

وقضيت[3] عمري رُقْيَـــة[4] وتطلعـــا

وخضت عباب البحر أخضر مزبـــدا

ودست أديم الأرض أغبر أسفعـــا

ومن شعره حسبما قيده المذكور[5]:

نهاه النهى بعد طول التجـــارب

ولاح له منهج الرشـــد لاحـــب

وخـــاطبـــه دهـــره نـــاصحـــاً

بألسنة الوعـــظ من كل جانـــب

---

[1] في ج: ((أنداه))؛ وصوب ذلك من الزيتونة ونفح الطيب.

[2] هكذا في الزيتونة ونفح الطيب؛ أما في ج؛ فكتب: ((أمضيت)).

[3] هكذا في ج؛ بينما كتب في الزيتونة ونفح الطيب: ((وقطعت)).

[4] في النفح: ((رقبة)).

[5] هذه الأبيات في الكتيبة الكامنة، ونفح الطيب؛ وهي من البحر المتقارب. المتقارب.

فــأضحى إلى نصحـــه واعيـــاً
وألغى حديـــث الأماني الكواذب
وأصبـــح لا تستبيـــه[1] الغـــواني
ولا تزدريه حظـــوظ المناصـــب

وإحسانه كثير في النظم والنثر، والقصار والمطولات. واستعمل في السفارة إلى ملك **مصر** [وملك][2] **قشتالة**، وهو الآن قاضي[3] **مدينة فاس**، نسيج وحده، في السلامة والتخصيص[4]، واجتناب فضول القول والعمل، كان الله له.

***

[1] في الكتيبة: ((لا تشتهيه)).
[2] ما بين حاصرتين أضيف من نفح الطيب.
[3] في النفح: ((قاضي حضرة الملك)).
[4] نفسه: ((والتخصص)).

محمد بن يوسف

ابن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف [بن محمد][1] الصريحي[2]؛ يكنى أبا عبد الله؛ ويعرف بابن زَمْرك. أُصله من شرق الأندلس، وسكن سلفه ربض البيازين من غرناطة، وبه[3] وُلد ونشأ، وهو من مفاخره[4].

حاله

هذا الفاضل صدر من صدور طلبة **الأندلس** وأفراد نجبائها، مختص[5]، مقبول، هش، خلوب، عذب الفكاهة، حلو المجالسة حسن التوقيع، خفيف الروح، عظم الانطباع، شره المذاكرة، فطن بالمعاريض[6]، حاضر الجواب، شعلة من شعل الذكاء، تكاد تحتدم[7] جوانبه، كثير الرقة، فكه، غزل، مع حياء وحشمة، جواد بما في

---

[1] ما بين الحاصرتين؛ أضيفت من الزيتونة.
[2] ترجمة محمد بن يوسف بن زمرك موجودة في: الكتيبة الكامنة، ونثير فرائد الجمان، ونيل الابتهاج، ونفح الطيب، وأزهار الرياض.
[3] هكذا في ج، ونفح الطيب؛ بينما كتب في الزيتونة: ((وبها)). وكما يبدو فالإحالة هنا هي على غرناطة. وعليه تكون كلمة ((بها)) أصح.
[4] هكذا في ج، ونفح الطيب؛ بينما كتب في الزيتونة: ((مفاخرها)). والإحالة كالأولى على غرناطة.
[5] في النفح: ((مختصر)).
[6] أي ما عرض به دون تصريح.
[7] حرفت في الزيتونة فكتبت: ((تنحرم)).

يده، مشارك لإخوانه. نشأ عفاً، طاهراً، كلفا بالقراءة، عظيم الدؤوب، ثاقب الذهن، أصيل الحفظ، ظاهر النبل، بعيد مدى الإدراك، جيد الفهم، فاشتهر فضله، وذاع أرجه[1]، وفشا خبره، واضطلع بكثير من الأغراض، وشارك في جملة[2] من الفنون، وأصبح [متلقف كرة][3] البحث، وصارخ الحلقة[4] وسابق الحلبة، ومظنة الكمال. ثم ترقى [في] درج[5] المعرفة والاضطلاع، وخاض لجة الحفظ، وركض قلم التقييد والتسويد والتعليق، ونصب نفسه للناس، متكلماً فوق الكرسي [المنصوب][6] وبين الحفل[7] المجموع، مستظهرا بالفنون[8] التي بعد فيها شأوه، شأوه، من العربية والبيان واللغة، وما يقذف به [في] لج النقل، من الأخبار والتفسير. متشوفاً مع ذلك، إلى

[1] كتبت في المخطوطين: ((رجله))؛ وصبت من نفح الطيب.
[2] في نفح الطيب: ((كثير)).
[3] حرفت هذه العبارة في المخطوطين؛ فكتبت هكذا: ((متقلب من كثرة))؛ وقد صوبت من نفح الطيب.
[4] هكذا في ج، ونفح الطيب؛ بينما كتبت في الزيتونة: ((الخلقة)).
[5] كلمة ((في)) السابقة أضافها عنان. أما ((درج)) فوردت هكذا في الزيتونة؛ بينما كتبت في ج، ونفح الطيب: ((درجة)). والأولى أصح.
[6] كلمة ((المنصوب)) سقطت في المخطوطين؛ والإضافة من نفح الطيب.
[7] في النفح: ((وفوق المحفل)).
[8] أي متقوياً بالفنون.

السلوك، مصاحباً للصوفية، آخذاً نفسه بارتياض ومجاهدة، [ثم عانى الأدب، فكان أملك به، وأعمل الرحلة في طلب العلم][1] والازدياد، وترقى[2] إلى الكتابة، عن ولد السلطان أمير المسلمين **بالمغرب**، **أبي سالم إبراهيم ابن أمير المسلمين أبي الحسن علي بن عثمان بن يعقوب**، ثم عن السلطان، وعرف [في] باب الإجادة[3].

ولما جرت الحادثة على [السلطان][4] صاحب الأمر **بالأندلس**، واستقر **بالمغرب**، أنس به، وانقطع إليه، وكرّ صحبة[5] ركابه، إلى استرجاع حقه، فلطف منه محله، وخصه بكتابة سره. وثابت الحال، ودالت الدولة، وكانت له [الطايلة]، [فأقره][6] على رسمه، معروف الانقطاع والصاغية، كثير الدالة، مضطلعاً بالخطة، خطاً وإنشاء ولسناً ونقداً، فحسن منابه، واشتهر

---

[1] ما ورد بين الخاصرتين جاء في نفح الطيب وسقط في المخطوطين.

[2] في النفح: ((فترقى)).

[3] نفسه: ((في بابه بالإجادة)).

[4] كلمة ((السلطان)) سقطت في المخطوطين؛ وأضيفت من نفح الطيب.

[5] في النفح: ((في صحبة ركابه)).

[6] كلمة ((الطايلة)) كتبت في المخطوطين: ((طايلة))؛ وصوبت من نفح الطيب. أما كلمة: ((فأقره))؛ فوردت هكذا في الزيتونة ونفح الطيب؛ بينما حرفت في ج؛ فكتبت: ((فأقر له)).

فضله، وظهرت مشاركته، وحسنت وساطته ووسع الناس تخلقه، وأرضى السلطان حمله[1]، وامتد في ميدان النثر[2] والنظم باعه، فصدر عنه [من المنظوم][3] في أمداحه، قصائد [بعيدة الشأو][4] في مدى الإجادة، [حسبما يشهد بذلك، ما تضمنه اسم السلطان أيده الله في أول حرف الميم، في الأغراض المتعددة من القصائد والميلاديات، وغيرها][5]. وهو بحاله الموصوفة [إلى الآن] [6]. أعانه الله تعالى[7] تعالى[7] وسدده.

شيوخه

قرأ العربية على الأستاذ رُحلة الوقت[8] في فنّها **أبي عبد الله بن الفخار** [ثم][9] على إمامها[10] القاضي الشريف.

---

[1] هكذا كتبت في الزيتونة ونفح الطيب؛ بينما وردت في ج: ((جملة)).
[2] في النفح: ((النظم والنثر)).
[3] هذه العبارة سقطت في المخطوطين؛ بينما وردت في نفح الطيب.
[4] هذه العبارة وردت في ج، ونفح الطيب، وسقطت في الزيتونة.
[5] ما بين حاصرتين سقط في نفح الطيب.
[6] هكذا وردت في المخطوطين؛ بينما كتبت في نفح الطيب كالتالي: ((إلى هذا العهد)).
[7] أضيفت كلمة ((تعالى)) من النفح.
[8] هكذا وردت في ج؛ أما الزيتونة ونفح الطيب فكتب: ((رحلة إلى المغرب في فنها...)).
[9] كلمة ((ثم)) أضيفت من نفح الطيب.
[10] سقطت كلمة: ((إمامها)) في نفح الطيب.

الشريف. إمام الفنون اللسانية، **أبي القاسم محمد بن أحمد الحسني**، والفقه والعربية على الأستاذ المفتي **أبي سعيد بن لب**، واختص بالفقيه الخطيب الصدر المحدث **أبي عبد الله بن مرزوق**، فأخذ عنه كثيراً من الرواية، ولقي القاضي الحافظ **أبا عبد الله المقري** عندما قدم رسولاً إلى **الأندلس**[1] وذاكره، وقرأ الأصول [الفقهية][2] على **أبي علي علي منصور الزواوي**، وروى عن جملة، منهم: القاضي **أبو البركات بن الحاج**، والمحدث **أبو الحسن**[3] **بن التلمساني**، والخطيب **أبو عبد الله بن اللوشي، والمقرئ أبو عبد الله ابن بيبش**. وقرأ بعض الفنون [العقلية][4] **بمدينة بمدينة فاس** على الشريف الرحلة الشهير **أبي عبد الله [العلوي]**[5] **التلمساني** [واختص به اختصاصاً لم يخل فيه من إفادة[6] مران، وحنكة في الصناعة][7].

---

[1] في النفح: ((قدم من الأندلس)).
[2] وردت هذه الكلمة في نفح الطيب؛ بينما سقطت في المخطوطين.
[3] في النفح: ((أبو الحسين)).
[4] أضيفت هذه الكلمة من نفح الطيب.
[5] أضيفت من نفح الطيب.
[6] في النفح: ((استفادة)).
[7] ما بين الحاصرتين موجود في ج، ونفح الطيب؛ بينما سقط في الزيتونة. الزيتونة. وفي نفح الطيب كتب: ((في الصنعة)).

شعره

وشعره مترام إلى نمط[1] الإجادة، **خفاجيّ**[2] النزعة، كلف بالمعاني البديعة، والألفاظ الصقيلة، غزير المادة. فمنه في غرض النسيب[3]:

رضيت بما تقضي علي وتحكم
أُهان فأُقصى أم أصافي فأكرم

إذا كان قلبي في يديك قياده
فمالي عليك في الهوى أتحكم

على أن روحي في يديك بقاؤه
بوصلك يحيى أو بهجرك يعدم

وأنت إلى المشتاق نار وجنة
ببعدك يشقى أو بقربك ينعم

---

[1] في نفح الطيب: ((هدف)).

[2] كتبت في المخطوطين: ((خفاجيد))؛ وصوبت من نفح الطيب. وكلمة ((خفاجيّ)) يقصد بها تأثره بشاعر الطبيعة في الأندلس ابن خفاجة.

[3] لم تذكر هذه الأبيات في نفح الطيب؛ وهي من البحر الطويل.

ولي كبـــد تتـــدى إذا ما ذكرتـــم

وقلـــب بنيران الشـــوق[1] يتضـــرم

ولو كان ما بي منك بالبرق ما سرَى

ولا استصحب الأنواء تبكي وتبسم

أراعي نجوم الأفق في الليل ما دَجَى

وأقـــرب [من عينيّ للنوم][2] أنجـــم

وما زلت أخفي الحب عن كل عـــادل

وتُشفي دموع الصب ما هو يكتـــم

كساني الهوى ثوب السقام وإنـــه

متى صح حب المرء لا شيء يسقـــم

فيا من له العقل الجميـــل سجيـــة

ومن جود يمنـــاه الحيـــا يتعلـــم

وعنه يُـــرَوي الناس كل غريبـــة

تخط على صفح الزمان وترســـم

---

[1] **في الزيتونـة: ((التشـوق)).**

[2] **هكذا في الزيتونـة؛ وفي ج: ((مـن نـومي للعيـن))؛ والأولى أفضـل.**

إذا أنت لم ترحم خضوعي في الهوى

فمن ذا الذي يحني[1] عليّ ويرحـــم

وحِلِمــك حِلِــم لا يليــق بمذنــب

فما بال ذنبي عند حِلِمــك يعظــم

ووالله ما في الحي حي ولم ينــل

رضـــاك وعمتـــه أيـــاد وأنعــم

ومن قبـــل ما طوقتني كل نعمـــة

كأني وإياهـــا ســـوار ومعصـــم

وفتحت لي باب القبول مع الـــرضى

[يغض الحي طرفي كأني مجـــرم][2]

ولو كان لي نفس تخونك في الهــوى

لفارقتها طوعــاً وما كنت أنـــدم

وأترك أهـــلي في رضاك إلى الأسى

وأسلـــم نفـــسي في يديـــك وأسلم

---

[1] في الزيتونـة: ((يحنـو)).

[2] ورد هـذا الشطر في الزيتونـة هكـذا: ((فمـا بـال ذاك البـاب دونـي مبهـم)).

أما والذي أشقى فؤادي في الهوى
وإن كان في تلك الشقـــاوة ينعـــم
لأنت من قلبي ونزهـــة خاطـــري
ومـــورد آمالي وإن كنت أحـــرم[1]

ومن ذلك ما خاطبني به، وهي من أول نظمه، قصيدة مطلعها[2]: ((أما وانصداع النور في[3] مطلع الفجـــر)).
وهي طويلة[4].

ومن بدائعه التي عقم عن مثلها قياس **قيس**، واشتهرت بالإحسان اشتهار الزهد **بأويس**[5]، ولم يحل مجاريه ومباريه إلا بويح وويس، قوله في إعذار الأمير ولد

---

[1] وردت هذه القصيدة في ج؛ بينما لم يذكرها المقري في نفح الطيب. وبالمقابل؛ فإن المقري نقل من الإحاطة؛ قصائد طويلة لابن زمرك لم تذكر في المخطوطين. لذا فضل عنان أن يتبع نص الترجمة الوارد في نفح الطيب؛ على أنه اكتفى بقطع فقط؛ من تلك القصائد الطويلة. ثم بعد ذلك يعود إلى سياق النص في المخطوطين.
[2] هي من البحر الطويل.
[3] في نفح الطيب: ((من)).
[4] وردت هذه القصيدة في الكتيبة الكامنة، وأزهار الرياض؛ إذ وصل عدد أبياتها إلى 59 بيتاً. ويقول فيها؛ بعد أبيات:
لك الله من فذ الجلالة أوحد * تطاوعه الآمال في النهي والأمر
[5] أويس القرني؛ أحد الزهاد الكبار؛ قتل في وقعة صفين؛ سنة 27هـ/647م.

سلطانه المنوه بمكانه، وهي من الكلام الذي عنيت الإجادة بتذهيبه وتهذيبه، وناسب الحسن بين مديحه ونسيبه[1]:

معاذ الهوى أن أصحب القلب ساليـــا

وأن يشغـــل اللوام بالعـــذل باليـــا

دعاني أعط الحب فضــــل مقادتي

ويقضي علي والوجد ما كان قاضيـــا

ودون الذي رام العواذل صبـــوة

رمت بي في شعب الغرام المراميا

وقلب إذا ما البرق أومض موهناً[2]

قدحت به زنداً من الشوق واريـــاً

خليليّ إني يـــوم طارقـــة النـــوى

شقيـــت بمن لو شـــاء أنعم باليـــا

وبالخيف يوم النفر يـــا أم مالـــك

تخلَفْـــتِ قلبي في حبالك عانيـــا[3]

---

[1] البحر الطويل

[2] المَوْهِنُ من الليل: ((نصفه)). أو بعد ساعة منه.

[3] (تخلفت قلبي: تركته. وعانياً: أسيراً).

وذي أشــر عذب الثنايا مخصــر

يسقي بــه ماءُ النعيــم الأقاحيــا

أحــوم عليه ما دجــا الليل ساهرا

وأصبح دون الورد ظمآن ضاريــا[1]

يضيء ظلام الليل ما بين أضلعي

إذا البـــارق النجدي وهنا بدا ليــا

أجيرتنــا بالرمل والرمل منـــزل

مضى العيــش فيــه بالشبية حاليا

ولم أر ربعــا منه أقضى لبانـــة

وأشجى حمامـــات وأحلى مجانيــا

سقت طَلّــهُ[2] الغر الغوادي ونظمت

من القطر في جيد الغصون لآليــا

أبثكــم أني عــلى النــأي حافــظ

ذمام الهوى لو تحفظون ذماميــا

[1] في نفـح الطيـب، وأزهـار الريـاض: ((صاديـاً)).

[2] في أزهـار الريـاض: ((ظلّـه)).

أناشدكــم والحــر أوفى بعهــده

ولن يعدم الخير والإحسان[1] جازيـــا[2]

وورد على السلطان **أبي سالم** ملك **المغرب** رحمة الله تعالى عليه وفد **الأحابيش** بهدية من **ملك السودان**، ومن جملتها الحيوان الغريب المسمى **بالزرافة**[3]، فأمر من يعاني الشعر من الكتاب بالنظم في ذلك الغرض ؛ فقال ؛ وهي من بدائعه[4]:

لــولا تألــق بــارق التذكــار

ما صاب واكــف دمعي المــدرار

لكنــه مهمــا تعــرض خافقــاً

قدحت يــد الأشواق زنــد أواري[5]

وعلى المشوق[6] إذا تذكــر معهــدا

أن يغــري الأجفــان باستعبــار

---

[1] **في النفح، والأزهار: ((الإحسان والخير))؛ وهذا أسلم.**
[2] **نظم هذه القصيدة في 84 بيتاً؛ وهي في نفح الطيب.**
[3] **في نفح الطيب: ((الزرافة)).**
[4] **هذه القصيدة من البحر الكامل.**
[5] **الأوار: هو لهيب النار وحرها.**
[6] **في أزهار الرياض: علَّ المشوق)).**

أمذكـــري غرناطـــة حلـــت بهـــا

أيـــدي السحـــاب أزرة النـــوار

كيف التخلـــص للحديـــث وبيننـــا[1]

عرض الفـــلاة وطافـــح زخـــار[2]

وغريبة قطعت إليـــك على الوَنى

بيـــداً تبيـــد بها همـــوم الســـاري

تنسيـــه طيّتـــه[3] الـــتي قـــد أمهـــا

والركـــب فيهـــا ميِّـــت الأخبـــار

يقتادهـــا من كل مشتمل الـــدُّجى

وكأنمـــا عينـــاه جـــــذوة نـــار

خاضوا بها لجج الفلا فتخلّصـــت

منها خلـــوص البـــدر بعد ســـرار

سلمـــت بسعدك من غوائل مثلهـــا

وكـــفى بسعـــدك حاميـــاً لذمـــار

---

[1] في أزهار الرياض: ((ودونها)).

[2] في النفح: ((وطافح الزخار)).

[3] أي نيته ووجهته.

وأتتــك يا ملــك الزمان غريبــة

قيــد النواظــر نزهــة الأبصــار

موشية الأعطاف رائقــة[1] الحــلى

رقمــت بدائعهــا يــد الأقــدار

راق العيــون أديمهــا فكأنــه

روض تفتــح عن شقيــق بهــار

ما بين مبيــض وأصفــر فاقــع

ســال اللجين بــه خلال نضــار

يحكي حدائق نرجس فى شاهــق

تنســاب فيــه أراقــم الأنهــار[2]

وأنشد السلطان في ليلة ميلاد **رسول الله** صلى الله عليه وسلم عقب ما فرغ من البنية الشهيرة ببابه رحمه الله تعالى[3]:

تأمــل أطــلال الهــوى فتألمــا

وسيما الجوى والسقم منها تعلمــا

---

[1] في أزهار الرياض: ((رائعة)).

[2] نظمت هذه القصيدة في 90 بيتاً تقريباً. وقد اختصرت في نفح الطيب.

[3] البحر الطويل.

أخو زفـــرة هاجت له منه ذكـــرة[1]

فأنجـــد في شعب الغـــرام وأتهما

وأنشد السلطان في وجهة للصيد أعملها، وأطلق أعنة الجياد في ميادين ذلك الطراد وأرسلها قوله[2]:

حيـــاك يـــا دار الهـــوى من دار

نـــوء السمـــاك بديمـــة مـــدرار

وأعاد وجـــه رباك طلقاً مشرقـــاً

متضاحكـــاً بمباســـم النـــــوار

أمذكري دار الصبابـــة والهـــوى

حيث الشباب يرف غصن نضـــار[3]

عاطيتني عنهـــا الحديـــث كأنمـــا

عاطيتـــني عنها كـــؤوس عقـــار

إيـــه وإن أذكيت نـــار صبابـــتي

وقدحـــت زنـــد الشوق بالتذكـــار

---

[1] في نفح الطيب: ((لـه نـار ذكـرة)).

[2] البحر الكامل. ونظمت هذه القصيدة في 74 بيتاً. وقد وردت في نفح الطيب. وهنا نهاية اقتباس المطولات من نفح الطيب؛ ثم يعود عنان لسياق النص في المخطوطين.

[3] في أزهار الرياض: ((يروق حسن نضار)).

يا زاجـــر الأظعان وهي مشوقـــة
أشبهتهـــا فـــي زفـــــرة وأوار

حنـــت إلى نجـــد وليست دارهـــا
وصبـــت إلـــى هنديـــة والقـــار[1]

شاقت بـــه برق الحمى واعتادهـــا
طيـــف الكرى بمزارها المـــزوار[2]

ومن شعره في غير المطولات[3]:

لقد زادني وجداً وأغرى بي الجـــوى
ذُبـــالٌ[4] بأذيـــال الظـــلام قد التفّـــا

تشيـــر وراء الليـــل منه [بنانـــة][5]
مخضبة والليل قد حجـــب الكفّـــا[6]

---

[1] في النفح: ((هندية والغار)).
[2] ورد هذا البيت في أزهار الرياض هكذا:
((لكنها شامت به برق الحمى * واعتادها طيف الكرى بمزار)).
[3] توجد هذه الأبيات في نفح الطيب، وأزهار الرياض؛ وهي من البحر الطويل.
[4] أي فتائل المصابيح.
[5] أضيفت هذه الكلمة من نفح الطيب.
[6] هذا البيت وارد في ج، ونفح الطيب، بينما سقط في الزيتونة.

تلوح سنانــاً حين لا تنفح[1] الصبــا

وتبدو[2] سواراً حين تثني له العطفا

قطعت به ليلا يطارحني الجــوى

فــآونــة يبــدو وآونــة يخــفى

إذا قلــت لا يبــدو أشال لسانــه

وإن قلت [لا يخبو الصبابة إذ لفَّــا][3]

إلى أن أفاق الصبح من غمرة الدُّجى

وأهدى نسيم الروض من طيبه عرفــا[4]

لك الله يا مصباح أشبهت مهجتي

وقد شفها من لوعة الحب ما شفَّــا

[ومما ثبت له في صدر رسالة[5]:

أزور بقلبي معهد الأنس والهــوى

وأنهب من أيدي النسيم رسائـــلا

---

[1] في الزيتونـة: ((تفـتى)).
[2] في النفـح: ((وتُبْـدِي)).
[3] هكـذا وردت في ج، والزيتونـة؛ بينمـا كتبـت في نفـح الطيـب هكـذا: ((لا يخفى الضياء بـه كفـا))، وفي أزهار الرياض: ((لا يخبـو الضياء به كفـا)).
[4] ورد هـذا البيـت في الزيتونـة ونفـح الطيـب؛ بينمـا سقـط في ج.
[5] البحـر الطويـل.

ومهما سألت البرق يهفــو من الحمى

يبـــادره[1] دمعي مجيبـــاً وسائـــلا

فيا ليـــت شعري والأماني تعلـــل

أيرعى ليَ الحي الكـــرام الوسائلا

وهل جيرتي الأولى كما قد عهدتهـــم

يوالون بالإحسان من جاء سائـــلا][2]

ومـن أبياتـه الغراميـات[3]:

قيـــادي[4] قـــد تملكـــه الغـــرام

ووجـــدي لا يطـــاق ولا يـــرام[5]

ودمعي دونه صوب الغـــوادي

وشجوي فوق ما يشدو الحمـــام[6]

---

[1] في أزهـار الريـاض: ((يبـادرُ بـه)).

[2] مـا بيـن الحاصرتيـن سقط في المخطوطين؛ وقد أضافه عنان من نفـح الطيـب.

[3] هـذه العبـارة وردت هكـذا في ج، ونفـح الطيـب؛ بينمـا وردت في الزيتونـة كمـا يـلي: ((ومنـه مثـل ذلـك)). والأبيـات مـن البحـر الوافـر.

[4] في الزيتونـة: ((فـؤادي)).

[5] أي لا يطلـب.

[6] ورد هـذا الشطـر في الكتيبـة الكامنـة هكـذا:
((وشـوقي فـوق مـا يشـكي الحمـام)).

إذا ما الوجد[1] لم يبرح فــؤادي

على الدنيــا وساكنهــا الســلام

وفي غرض يظهر من الأبيات[2]:

ومشتمل بالحسن أحوى[3] مهفهــف

قضى رجع طرفي من محاسنه الوطرْ[4]

فأبصرت[5] أشباه الرياض محاسنــاً

وفي خده جرح[6] بدا منه لي أثــرْ

فقلت لجلاَّسي خذوا الحــذر إنمــا

به وصب من أسهم الغنج والحورْ

ويا وجنة قد جاورت سيف لحظه

ومن شأنها تُدمي من[اللمح بالبصرْ][7]

---

[1] في المخطوطين: ((المجد))؛ وصوبت من نفح الطيب.
[2] وهي من البحر الطويل.
[3] أي أسمر)).
[4] أي الحاجة.
[5] في المخطوطين: ((فأبصر))؛ فصوبت من نفح الطيب.
[6] هكذا في نفح الطيب؛ بينما كتبت في المخطوطين: ((حسن)). والأولى أصوب.
أصوب.
[7] العبارة المكتوبة ما بين الحاصرتين؛ وردت هكذا في نفح الطيب؛ بينما كتب في المخطوطين: ((اللحظ والبصر))؛ والأولى أصوب.

تَخَبَّــلَ للعينيــن جرحـــاً وإنمـــا

بدا كلف منه على صفحة القمــرْ

ومما يرجع إلى باب الفخر، ولعمري لقد صدق في ذلك[1]:

يالايمي[2] في الجود والجود شيمتي[3]

جبلــت على آثارها[4] يوم مولدي[5]

ذريني فلــو أني أخَلَّــدُ بالغــنى

لكنت ضنيناً بالذي ملكــت يــدي

ومن مقطوعاته[6]:

لقــد علــم اللــه أني امــرؤ

أجرر ثــوب العفــاف القشيــب

فكــم غمــض الدهر أجفانــه

وفــازت قداحي بوصل الحبيب

---

[1] البحر الطويل.
[2] في نفح الطيب: ((ألائمة))، وفي أزهار الرياض: ((ولائمتي)).
[3] في النفح: ((شيمة)).
[4] نفسه، والأزهار: ((إيثارها)).
[5] هكذا في الزيتونة ونفح الطيب؛ بينما حرفت في ج؛ فكتبت: ((مولود)).
[6] البحر المتقارب.

وقيـــــل رقيبــك فـــي غفلـــة

فقلـــت أخـــاف الإلـــه الرقيـــب

وفي مدح **كتاب الشفا**[1] طلبه الفقيه **أبو عبد الله ابن مرزوق** عندما شرع في شرحه[2]:

ومسرى ركاب للصبا قد ونت به

نجائب سحب للتـــراب نزوعهـــا

تسلُّ سيوف البرق أيدي حداتهـــا

فتنهل خوفاً من سُطاها دموعهـــا

ومنها:

ولا مثل تعريـــف الشفـــاء حقوقه

فقـــد بـــان فيه للعقـــول جميعهـــا

بمرآة حسن قد جلتها يـــد النـــهى

فأوصافـــه يلتـــاح فيـــه بديعهـــا

---

[1] عنوانه بالكامل هو: كتاب حقوق المصطفى. ويعتبر هذا الكتاب من أشهر الشفا بتعريف الكتب التي وضعها الفقيه القاضي عياض بن موسى السبتي؛ المتوفي بمراكش سنة 544هـ/1149م.

[2] البحر الطويل.

نجـــوم اهتـــداء والمـــداد يُجِنُّهـــا

وأسرار غيب واليـــراع تذيعهـــا

لقد حزت فضلا يا أبا الفضل شامـــلا

فيجزيك عن نصح البرايا شفيعهـــا

ولله ممـــن قد تصـــدَّى لشرحـــه

فلبّاه من غـــرّ المعاني مطيعهـــا

فكـــم مجمل فصّلت منه وحكمـــة

إذا كتـــم الإدمـــاج منه تشيعهـــا

محاسن والإحسان يبـــدو خلالهـــا

كما افْتَرَّ[1] عن زهر البطاح ربيعها

إذا ما أصول المرء طابت أَرُومَةً[2]

فلا عجب أن أشبهتهـــا فروعهـــا

بقيـــت لأعلام الزمـــان تنيلهـــا

هدى ولأحداث الخطوب تروعهـــا[3]

---

[1] أي ابتسم.
[2] أي الأصل.
[3] نقلت هذه القطعة من قصيد؛ ذات عشرين بيتاً من نفح الطيب؛ لأنها غير موجودة في المخطوطين.

وممـا امتـزج فيـه نثـره ونظمـه، وظهـر فيـه أدبـه وعلمـه، قولـه يخاطبـني جوابـاً عـن رسـالة خاطبـت بهـا الأولاد، وهـم مع مولانـا أيـده اللـه بالمنكـب[1]:

مـــالي بحمـــل الهـــوى يَـــدان[2]
مـــن بعـــد ما أعـــوز التـــداني
أصبحـــت أشكـــو مـــن زمـــان[3]
مـــا بـــت منـــه عـــلى أمـــان
مـــا بـــال عينيـــك تسجمـــان
والدمـــع يرفـــض كالجمـــان
نـــاداك والإلـــف عنـــــك وان
والبعـــــد مـــن بعـــده كـــوان[4]
يـــا شقـــة[5] النفـــس مـــن هوان
لجـــج[6] في أبحـــــر الهـــوان

---

[1] هذه الأبيـات مـن مخلـع البسيـط.
[2] هكـذا في الزيتونـة؛ أمـا في ج فكتبـت: ((يـداني)).
[3] في أزهـار الريـاض: ((أصبحـت أشكـو إلى زمـانٍ))؛ وهـو أسلـم.
[4] في الأزهـار: ((كـواني)).
[5] في الأزهـار: ((شقـوة)).
[6] حرفـت في الزيتونـة فكتبـت: ((يحـج))؛ وصوبـت مـن ج. بينمـا كتبـت في أزهـار الريـاض: ((لَجَجْتُ)).

لـــم يثـــن[1] عـــن هـــواك ثـــان
يا بغيـــة القلـــوب[2] قـــد كفـــان[3]

يا جانحة الأصيل، أين يذهب قرصك المذهب، وقد ضاق بالشوق المذهب. أمست شموس [الأنس][4] محجوبة عن عيني، وقد ضرب البعد الحجاب بينها وبيني. وعلى كل حال؛ من إقامة وارتحال؛ فما محلك من قلبي محلا بينها. وما كنت لأقنع من وجهك تخيلا وشبيهاً. ومن أين انتظمت لك عقول التشبيه واتسقت، ومن بعض المواقع والشمس لو قطعت[5]. صادك منذور، وأنت تتجمل بثوبي زور، وجيب الظلام على دينارك حتى الصباح مزرور، ووراءك من الغروب غريم لا يرحم، ومطالب تتقلب منه في كفه المطالب. ويا برق الغمام من أي حجاب تبتسم، وبأي صبح ترتسم، وأي غفل من السحاب تسم أليست مباسم الثغور لا تنجد بأفقي ولا تغور. هذا وإن كانت

[1] في الأزهار: ((لم يثنني)).
[2] نفسه: ((القلب))؛ وهو أسلم.
[3] نفسه: ((كفاني)).
[4] هذه الكلمة أضافها عنان.
[5] في ج: ((نطقت)).

مباسمك مساعدة، والجو ملبس لها من الوجوم شعاراً، فلطالما ضحكت فأبكت الغوادي، وعقت الرايح والغادي. أعوذ بواشم البروق، بنواسم الطَّفَل والشروق، ذوات الزايرات المتعددة الطروق، فهي التي قطعت وهاداً ونجاداً، واهتدت بسيف الصباح من السحاب قراباً. ومن البروق نجاداً، واهتدت خبر الذين أحبهم مستظرفاً مستجاداً، فعالها ولعلها؛ والله يصل في أرض الوجود نهلها وعلها، وأن يبل ظعين الشوق بنسيمها البليل، وأن نعوضه من نار الغليل، بنار الخليل، وخير طبيب يداوي الناس وهو عليل. فشكواي إلى الله لا أشكو إلى أحد. هل هو إلا فرد تسطو رياح الأشواق على ذبالته، وعمر الشوق قد شب على الطوق، ووهب الجمع للفرق، ولم يقنع بالمشاهدة بالوصف دون الذوق. وقلب تقسم أحشاؤه الوجد، وقسم باله الغور والنجد، وهموم متى وردت قليب القلب، لم تبرح ولم تعد، فلله الأمر من قبل ومن بعد. أستغفر الله يا سيدي الذي يوقد[1] أفكاري حلو لقائه،

---

[1] في ج: ((ترقدن))، وفي الزيتونة: ((توقدون))؛ وصوبها عنان.

وأتنسم أرواح القبول من تلقايه ؛ وأسأل الله أن يديم لي آمالي[1] بدوام بقايه. إن بعد مداه، قربت منا يداه، وإن أخطأنا رفده أصبنا نداه. فثمرات آدابه الزهر تجيء إلينا، وسحايب بنانه الغر تصوب دوالينا أو علينا، على شحط هواه، وبعد منتواه. ولا كرسالة سيدي الذي عمت فضايله وخصت، وتلت على أولياء نعمته أنباء الكمال وقصت، وآي[2] قضى كل منها عجباً، ونال من التماح غرتها واجتلاء صفحتها أرباً. فلقد [كرمت عنه][3] بالاشتراك في بنوته الكريمة نسباً، ووصلت لي بالعناية [منه][4] سبباً. تولى سيدي خيرك من يتولى خير المحسنين، ويجزل شكر المنعمين. أما ما تحدث به من الأغراض البعيدة العذيبة، وأخبر عنه من المعاني الفريدة العجيبة، والأساليب المطيلة، فيعجز عن وصفه، وإحكام رصفه، القلم واللسان، ويعترف لها بالإبداع المستولي على أمد الإحسان

---

[1] حرفت في المخطوطين فكتبت: ((مالي)).
[2] في ج: ((وألوان))؛ وصوبت من الزيتونة.
[3] في ج: ((لابت عني)).
[4] أضافها عنان.

البديع وحسَّان[1]. ولقد أجهدت جياد الإرتجال، في مجال الاستعجال، فما سمحت القريحة إلا بتوقع الآجال، وعادت من الإقدام إلى الكلال. فعلمت أن تلك الرسالة الكريمة، من الحق الواجب على من قرأها وتأملها، أن لا يجري في لجة من ميادينها، ويديم يراع سيدي الإحسان كرينها، لكن على أن يفسح الرياض للقصي مدى، ويقتدي بأخلاق سيدي التي هي نور وهدى. فإنه والله يبقيه، ويقيه مما يتقيه، بعد ما أعاد في شكوى البين وأبدى، وتظلم من بالبعد واستعدى[2]، ورفع حكم العتاب عن ذرات النسيم والاقتعاب، ورعى وسيلة ذكرها في محكم الكتاب. وولَّى فضله ما تولَّى، وصرف هواه إلى هوى المولى أن صور[3] السعادة على رأيه، أيده الله تُجلَّى، وثمرة فكره المقدس، أيده الله تتحلَّى. شكر الله له عن جميع نعمه التي أولى، وحفظ عليه مراتب الكمال التي هو الأحق بها والأولى. وقد طال الكلام، وجمحت

---

[1] **يقصد: بديع الزمان الهمذاني، وحسان بن ثابت الأنصاري.**
[2] **في الزيتونة: ((استدعا)).**
[3] **نفسه: ((سور)).**

الأقلام؛ ولسيدي وبركتي الفضل؛ أبقى الله بركته، وأعلى في الدارين درجته، والسلام الكريم يخصكم، من مملوككم **ابن زَمْرك**، ورحمة الله وبركاته، في الخامس عشر لجمادى الأولى؛ عام تسعة وستين[1]. وخاطبني كذلك، وهو من الكلام المرسل: أبو معارفي، وولي نعمتي، ومعيد جاهي، ومقوم كمالي، ومورد آمالي، ممن توالى نعمه علي، ويتوفر قسمه لدي؛ وأبوء له بالعجز، عن شكر أياديه. التي أحيت الأمل، وملأت أكف الرغبة، وأنطقت الحدايق؛ فضلا عن اللسان، وأياديه البيض وإن تعددت، ومننه العميمة، وإن تجددت، تقصر عن إقطاع أسمى شرف المجلس في الروض المطور بيانه. فماذا أقول، فيمن صار مؤثراً إليّ بالتقديم، [جالياً صورة][2] تشريفي، بالانتساب إليه في أحسن التقويم....[3] وإنى ثالث اثنين أتشرف بخدمتها، وأسحب في أذيال نعمتها[4]:

---

[1] الموافق لـ: 1367م. حرفت في المخطوطين؛ فكتب: ((وسبعين))؛ لأن ابن الخطيب توفي في سنة 776هـ.
[2] حرفت في الزيتونة فكتبت: ((جانباً سورة)).
[3] يوجد هنا فراغ بقدر كلمة؛ غير واضحة.
[4] البحر الطويل.

خليليّ هل أبصرتمـــا أو سمعتمـــا

بأكـــرم من تمشي إليـــه عبيـــد

اللهم أوزعني شكر هذا المنعم، الذي أثقلت نعمه ظهر الشكر، وأنهضت كمال[1] الحمد، اللهم أدم بجميع حياته، وأمتع بدوام بقايه الإسلام والعباد، وأمسك بيمن آرائه رمق ثغر الجهاد. يا أكرم مسئول، وأعز ناصر. تفضل سيدي، والفضل عادته، بالتعريف بما يقر عين التطلع [2] ويقنع غلة التشوف. ولقد كان المماليك لما مثلنا بين يدي مولانا، أيده الله، لم يقدم عملاً عن السؤال [ولا] [3] عن الحال، إقامة لرسم الزيارة، وعملاً بالواجب، فإنني أرى الديار بطرفي، فعلى أن أرى الديار بعيني، وعلى ذلك يكون العمل إن شاء الله. وإن سأل سيدي شكر الله احتفاءه، وأبقى اهتمامه، عن حال المماليك، من تعب السفر، وكدِّ الطريق، فهي بحمد الله دون ما يظن. فقد وصلنا **المُنَكَّب** تحت الحفظ والكلاءة، محرزين شرف

[1] في ج: ((الكامل)).
[2] هكذا في الزيتونة؛ بينما كتب في ج: ((المتطلع))؛ والأولى أسلم.
[3] سقطت في ج، وكتبت في الزيتونة.

المساوقة، لمواكب[1] المولى، يمن الله وجهته، وكتب عصمته، واستقر جميعنا بمحل القصبة، وتاج أهبتها، ومهب رياح أجرايها، تحت النعم الثرَّة، والأنس الكامل الشامل. قرب الله أمد لقايكم وطلع على ما يسر من تلقايكم. ولما بلغنا هذه الطيّة، وأنخنا المطيّة، قمنا بواجب تعريفكم على الفور بالأدوار، ورفعنا مخاطبة المالك على الابتداء، والسلام.

مولده

في الرابع عشر من شوال؛ ثلاث[2] وثلاثين وسبعمائة[3].

***

((انتهى السفر السادس هنا؛ والحمد لله ربّ العالمين [ويليه السفر السابع])).[4]

---

[1] هكذا في ج؛ وفي الزيتونة ((لمراكب))؛ والأولى أصوب.
[2] صوبها د. طويل فجعلها: ((ثلاثة)).
[3] الموافق لـ 1332م.
[4] وردت هذه العبارة في النص الأصلي؛ وهى تشير إلى الترتيب والتصنيف الذي وضعه ابن الخطيب لكتاب الإحاطة.

ومن الطارئين منهم في هذا الباب[1]

***

محمد بن أحمد

ابن محمد بن أبي خيثمة الجَبّائي؛ سكن غرناطة؛ يكنى أبا الحسن

حاله

كان مبرزاً في علوم اللسان: نحواً ولغة وأدباً، متقدما في الكتابة والفصاحة؛ جامعاً فنون الفضائل، على غفلة كانت فيه.

مشيخته

روى عن **أبي الحسن بن سهل، وأبي بكر ابن سابق، وأبي الحسن بن الباذِش، وأبي علي الغساني،** وغيرهم. وصحب **أبا الحسن بن سراج** صحبة مُواخاة.

[1] هنا يبدأ مخطوط الإسكوريال رقم: 1673 دير نبوز.

توالیفـه

صنف في **شرح غريب البخاري** مصنفاً مفيداً.

توفي

ليلة الثامن والعشرين من جمادى الأولى؛ سنة أربعين وخمسماية[1].

***

[1] **الموافق لـ 1145م.**

محمد بن أحمد

ابن عبد الله بن أحمد الإسْتِجّي الحميري؛
من أهل مالقة؛ وأصله من إسْتِجة[1]؛ انتقل سلفه إلى مالقة،
يكنى أبا عبد الله.

حالـه

كان من جملة[2] حملة العلم، والغالب عليه الأدب، وكان من أهل الجلالة، [ومن بيت علم ودين][3]. أقرأ ببلده، وقعد بالجامع الكبير منه، يتكلم على صحيح البخاري، وانتقل في آخر عمره إلى **غرناطة**.

وقال الأستاذ[4]: كان من أبرع أهل زمانه في الأدب [نظماً ونثراً][5].

---

[1] تسمى بالإسبانية: **Ecija** وهي بلدة متوسطة الحال؛ وتتواجد في الجنوب الغربي من قرطبة؛ وتربض على ضفة نهر شينيل؛ الذي هو في الحقيقة فرع من فروع نهر الوادي الكبير.

[2] هذه الكلمة وردت في مخطوط الإسكوريال؛ بينما سقطت في الزيتونة وج.

[3] هكذا في الإسكوريال؛ بينما كتبت في المخطوطين: ((من بيت أهل العلم والدين)).

[4] المقصود بالأستاذ هنا؛ هو أبو جعفر أحمد بن الزبير؛ صاحب كتاب صلة الصلة؛ المتوفي سنة 708هـ/1308م. وقد خصه ابن الخطيب بترجمة في الإحاطة.

[5] هذه العبارة واردة في الإسكوريال، و ج؛ وساقطة في الزيتونة.

شعره

منقولاً من خط الوزير الراوية **أبي محمد عبد المنعم بن سِماك**، وقد ذكر أشياخه فقال: الشيخ المتفنن الأديب، البارع، الشاعر المفلق، قرأ على أشياخها، وأقرأ وهو دون[1] العشرين سنة. وكانت بينه وبين الأستاذ **المقري الشهير أبي العباس** الملقب **بالوَزَعي** قرابة، وله قصيدة أولها[2]: ((مـا للنسيـم لـدى الأصيـل عليـلاً))

ومنها:

حتى النسيم إذا ألم بأرضهم
خلعوا عليه رقة ونحولا

[وكان يقول: كان الأستاذ **أبو العباس**، يستعيدني هذا البيت، ويقول نعم أنت قريبي، وقدم على **غرناطة**؛ أظن سنة تسع وثلاثين وستمائة][3].

---

[1] هكذا في الإسكوريال؛ وفي المخطوطين: ((بن)).
[2] البحر الكامل.
[3] الموافق لـ 1241م. نقلت هذه الفقرة المحصورة ما بين حاصرتين من ج. بينما هي ممحاة ومطموسة في الإسكوريال.

محنته

قال الأستاذ: جرى له قصة؛ نُقِل بعض كلامه فيها، على بعض أحاديث الكتاب من جهة استشهاد أدبي عليه فيها؛ غالب أدبه. فأطلق عنان الكلام، [وما أكثر مما يطاق فيما يأنفه، إدراكات][1] تلك الأفهام. ولكل مقام مقال. ومن الذي يسلم من قيل وقال. وكان ذلك سبب الانقطاع، ولم يؤت من قصر باع، وانتقل إلى **غرناطة**، فتوفي في أثر انقطاعه [2] وانتقاله.

شعـره

من ذلك قوله في غرض يظهر من الأبيات[3]:

قضوا في رُبى نَجْد [ففي القلب مرساه][4]

وغنّـوا إن اْبصرتُـمُ ثَمَّ مغنـاه

[1] في الإسكوريال؛ يوجد بياض في موضع العبارة المحصورة بين الحاصرتين.
[2] سقطت في الإسكوريال.
[3] البحر الطويل.
[4] هكذا في المخطوطين؛ أما في الإسكوريال فكتب: ((وفي الحي مرباه)).

أما هـــذه نجـــد أما ذلك الحـــمى

فهل عَمِيَت عيناه أم صُمّت[1] أذنـــاه

دعـــوه يـــوفي ذكـــره باتشامـــه

ديـــون هـــواه قبـــل أن يتوفـــاه

ولا تسألـــوه سلـــوة فمن العنـــا

رياضة من قد شاب في الحب فـــوداه[2]

أيحسب من أصْلَى[3] فؤادي بحبـــه

أني أسلـــو[4] عنه حاشـــاه حاشـــاه

متى غدر الصب الكريم[5] وفى لـــه

وإن أتلف القلـــب الحزين تلافـــاه

وإن حجروا معناه وصرحوا بـــه

فـــإن معنـــاه أحـــق بمعنـــــاه

ويا سابقـــاً عيس الغرام سيوفـــه

وكلّ إذا يخشاه في الحب يخشـــاه

---

[1] هكذا في الزيتونة؛ أما الإسكوريال، وج؛ فكتبت: ((صمّ))؛ وبها صوبت.
[2] أي معظم شعر الرأس؛ في جهة الأذن.
[3] هكذا في الإسكوريال؛ أما في ج، والزيتونة فكتبت: ((أبلى)).
[4] جعلها د. طويل: ((بأني سأسلو))؛ وهو أسلم.
[5] هكذا في الإسكوريال؛ أما في ج؛ فكتبت: ((الكئيب)).

أرحها فقد ذابت من الوجد والســـرى

ولم يبـــق إلاّ عظمهـــا أو بقايـــاه

ويا صاحبي عج بي على الخَيْفِ[1] من منَى

وما التعـــني لي مـــن بأني ألقـــاه[2]

وعرج على وادي العقيق لعلـــني[3]

أسايل عمن كان بالأمـــس مـــأواه[4]

وقـــل لليـــالي قـــد سلفن بعيشـــه

وعُمْـــرٌ على رغم العذول قطعناه

هل العود أرجوه أم العمر ينقضي

فأقضي ولا يُقْـــضى الـــذي أتمناه

---

[1] يقصد بالخَيْف هنا: الموضع الذي أقيم فيه مسجد منى. والخَيْف لغة: ما ارتفع عن مجرى السيل وانحدر عن غلظ الجبل. لذا سمي مسجد منى بهذا الاسم لأنه بُنيَ في سفح جبلها.

[2] صوب د. طويل هذا الشطر؛ فجعله:

((وما للتعني لي بأني ألقاه))؛ وهذا اسلم.

[3] هكذا في الإسكوريا؛ بينما كتبت في المخطوطين: ((فإنني)).

[4] هكذا في الإسكوريال؛ بينما كتبت في المخطوطين: ((سكناه)).

[ومـن شعـره أيضـاً، قولـه، رحمـه اللـه[1]:

سرت من ربى نجد معطرة الرَّيَّـــا

يمـــوت لهـــا قلبي وآونـــة يحيـــا

تمســـح أعطـــاف الأراك بليلـــة

وتنثر كافوراً على التربـــة اللَّميـــا

ومرتد[2] في حجر الرياض مريضة

فتحيي بطيب العرف من لم يكن يحيا[3]

وبشرت[4] بأنفاس الأحبـــة سحـــرة

فيسرع دمع العين في إثرها جريا

سقني[5] الله دهـــراً ذكـــره بنعيمـــه

فكم لجفوني عند ذكراه من سقيـــا

ملـــني[6] محيـــاه الأنيـــق وحسنـــه

ومن خلقي قد كنت لا أحمل النأيا

---

[1] البحـر الطويـل.

[2] جعلهـا د. طويـل: ((ترتـد)).

[3] صوبهـا عنـان.؛ لأنهـا كتبت في مخطـوط الإسكوريـال: ((فنحيـا)).

[4] جعلهـا د. طويـل: ((وبشـرى)).

[5] صوبهـا د. طويـل؛ فجعلهـا: ((سـقى))؛ وهـو أسلـم.

[6] جعلهـا د. طويـل: ((ونـآني)).

وبي رشأ من أهل غرناطة غـــدا

يجـــود بتعذيبي ويبخـــل باللقيـــا

رمـــاني فأصابني[1] بـــأول نظـــرة

فيا عجباً من علم الرشـــأ الرميـــا

وبـــدد جســـمي نـــوره وكأنـــــه

أشعـــة شمس قابلت جسدي مليـــاً

تصور لي من عالم الحسن خالصاً

فمن عجب أن كان من عالم الدنيا

وهم بأن يرقى إلى الحور جسمــه

فثقلتـــه كتبـــاً وحملتـــه حليـــــا

إذا ما انثنى أو لاح أو جاح أو رنا

سبا القُضب والأقمار والمسك والضيا

رعى الله دهـــراً كان ينشر وصله

برود طواها البين في صدره طيا][2]

---

[1] جعلها د. طويل: ((فصابني))؛ وذلك أسلم.

[2] هذه القصيدة المحصورة بين حاصرتين وردت فقط في مخطوط الإسكوريال.

مشيختـه

ومما يشتمل على أسماء شيوخه، ويدل على تبحره في الأدب ورسوخه؛ إجازته **أبا الوليد إسماعيل بن تبر الأيادي**، وعندها يقال، أتى الوادي[1]:

إن لي عنـــد كل نفحـــة بستـــا
نِ من الورد أو من الياسمينـــا
نظـــــرة والتفاتـــــة أتمـــنى
أن تكـــوني حللـــت فيما تلينـــا

ما هذه الأنوار اللايحة، والنوار الفايحة، إني لأجد ريح الحكمة، ولا مفند، وأرد مورد النعمة ولا مُنكد[2]، أمسك دارين ينهب، أم المندل الرطب في الغرام الملهب، أم نفحت أبواب الجنة ففاح نسيمها، وتوضحت أسباب المنة، فلاح وسيمها [3]:

---

[1] البحر الخفيف.
[2] هكذا في الإسكوريال؛ أما في الزيتونة فكتبت: ((يكند)).
[3] البحر الطويل.

محيـــاك أم نور الصباح تبسمـــا
وريـــاك أم نور الأقـــاح[1] تنسمـــا
فمن شم من ذا نفحة رق شيمـــة
ومن شام من ذا لمحة راق مبسما

أجل: ﴿ **خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ** ﴾[2]. قال **رسول الله** صلى الله عليه وسلم، (لتفهموا أسرار الحكم وتعوا، وإذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا)، يعني مجالس الذكر، ومأنس النظر والفكر، ومطالع المناظرة، ومواضع المحاضرة، فهذه بتلك، وقد انتظمت الجواهر النبيوية في سلك، ولهان حمى للعطارة[3] وطيس، بين مسك المداد، وكافور القراطيس. فيا أيها المعلم[4] الأوحد، والعالم الذي لا تنكر إمامته ولا تجحد، حومت على علم الملوك، ولزمت بحلم طريق الحكم المسلوك، فلم تعد أمل

---

[1] جعلها د. طويل: ((أقاحي)).
[2] الآية كاملة هكذا: [خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلاَ تَسْتَعْجِلُونِ). سورة الأنبياء؛ الآية: 37.
[3] هكذا في الإسكوريال؛ أما في ج والزتونة فكتبت: ((للمعاطرة)).
[4] هكذا في المخطوطين؛ بينما كتبت في الإسكوريال: ((العلم)).

الحكماء، ولم تعد إلا بعمل العلماء، وقد قال حكيمهم الفاضل وعظيمهم [الذي لا مناظر له ولا مفاضل][1]، إذا خدمت الأمراء، فكن [بين استلطاف واستعطاف][2]، تجن المعارف والعوارف، دانية القطاف. فتعلمهم وكأنك تتعلم منهم، وترويهم[3]، وكأنك تروي عنهم، فأجريت الباب، وامتريت من العلم اللباب، ثم لم تبعد، فقد فعل النحويون ذلك في يكرم، ويعد، ويعز[4]، ولا غرو أن تقرأ على من هو دونك. وتستجيز الإجازة [عن القوم العظام][5]، يقصدونك. فهذا **رسول الله** صلى الله عليه وسلم، قد أمره الله بأن يقرأ على **أبي [بن كعب]**[6]، [فهل في حي الخواطر الذكية من حيّ][7]، فقال فقال له رضي الله عنه، [الله أمرك][8] أن تقرأ علي،

---

[1] **وردت هكذا في الزيتونة وج؛ أما في الإسكوريال فكتبت هكذا: ((الذي لا يناظر ولا يناضل)).**
[2] **في المخطوطين هكذا؛ أما في الإسكويال فكتبت العبارة هكذا: ((استعطاف واستلطاف)).**
[3] **وردت في الإسكوريال؛ وسقطت في المخطوطين.**
[4] **أضيفت من المخطوطين.**
[5] **هكذا في المخطوطين؛ وأما في الإسكوريال فكتبت: ((للأعلام)).**
[6] **أضيفت من المخطوطين.**
[7] **هذه العبارة وردت في الإسكوريال وفي ج؛ بينما سقطت في الزيتونة.**
[8] **هكذا في الإسكوريال؛ بينما كتبت في المخطوطين: ((آمرك)).**

والعناية الربانية، تنادي إليّ إليّ، وإذا قال لي من أحب مولاي، واستعار لزينته حلاي[1]:

فمـــا على الحبيب من اعتـــراض
وللطبيـــب تصرف في المـــراض
قـــد يرحـــل المـــرء لمطلوبـــه
والسبـــب المطلوب في الراحـــل

عجت متواضعاً، فما أبرمت في معاجك، ولا ظلمت في السؤال، نعجته إلى نعاجك، فإنه سر الله، لا يحل فيه الإفشاء، وحكمة الله البالغة، والله: ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ﴾[2]، وإن لبست من التواضع شعاراً، ولبست عن الترفع تتبيهاً[3] على السر المكتوم وإشعاراً. فهذه الثريا من العجايب إذا ارتفعت في أعلى صعودها، وأسمى راياتها الخافقة وبنودها. نهاية وجودها الحسي

[1] ثمة اضطراب في هذه القطعة التي يبدو فيها البيت الثاني من البحر البسيط.
[2] الآية كاملة هكذا: [يُؤْتِي الحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذّكّرُ إلاّ أُولُوا الألْبَابِ). سورة البقرة؛ الآية: 269.
[3] هكذا في الإسكوريال؛ أما في ج، والزيتونة فكتبت: ((شبهاً)). وكتبها د. طويل: ((تنبيهاً)). ويبدو أن هذا صحيح.

عدم، وغاية وصفها الشَّبهي، أن تشبه بقدم، فإذا همت بالركوع، وشمت في المغرب ريح الوقوع، كان لها من السمو القدح المعلى، وعادت قرطاً تتزين به الآذان وتتحلى[1]:

وفي الشرق كأس وفي مغاربهـــا
قـــرط وفي وسط السماء قـــدم

هذه آثار التواضع متلوة السور، مجلوة الصور، وكان بعضهم إذا أعطى الصدقة، يعطيها ويده تحت يد السايل، وهكذا تفهم المسايل. فإنه لما سمع النبوة تقول: (اليد العليا، خير من اليد السفلى)[2]؛ أراد أن يؤثر المقام[3] الأعلى. ولما أعطى **أبو بكر،** رضي الله عنه. ماله كله، أعطى **عمر** رضي الله عنه النصف [من المال][4] لا احتياطاً

---

[1] البحر الطويل.

[2] ورد هذا الحديث هكذا: عن حكيم بن حزام - رضي الله عنه- عن النبي - صلى الله عليه وسلم – قال: ((اليد العليا خير من اليد السفلى؛ وأبدأ بمن تعول؛ وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى؛ ومن يستعفف يعفه الله؛ ومن يستغن يغنه الله)). متفق عليه؛ واللفظ للبخاري.

[3] في الإسكوريال: ((بالمقام))؛ وصوبت من ج.

[4] أضيفت من ج.

على ماله؛ ولكن ليقف **لأبي بكر** في مقام القصور عن كماله، تفويضاً وتسليماً، وتنبيهاً لمن كان له قلب وتعليما. ورُؤي **الدَّارَقُطْني**[1] [رحمة الله عليه][2] يحبس أباه[3] بركابه، فلا ينكر عليه، فقيل له في ذلك، فقال رأيته يبادر إلى فضيلة فكرهت مخالفته[4]:

فوق السماء وفوق الزهر ما طلبوا

وإذا[5] ما أرادوا غاية نزلوا

وإلى هذا وصل الله حفظك، وأجزل من الخيرات حظك، فإنه وصلتني الكراسة المباركة، الدالة على التفنن في العلوم والمشاركة، فبينما أنا أتلو الإجازة، وأريق

---

[1] هو الحافظ الإمام أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني الشافعي؛ ولد ولد بدار القطن ـ حي من أحياء بغداد ـ سنة 306هـ/919م، وتوفي ببغداد سنة 385هـ/995م. من اقطاب أئمة الحديث؛ وهو أول من صنف القرآت، وسن لها أبواباً. من مؤلفاته: ((السنن))، (والعلل الواردة في الأحاديث النبوية))، ((والمجتبى من السنن المأثورة))، ((والمختلف والمؤتلف)) في الحديث، ((والضعفا)).

[2] هذه الإضافة من الإسكويال.

[3] ذكر عنان أن هذه الكلمة؛ وردت في المخطوطات الثلاثة: ((أبوه))، ثم سعى إلى تصوبها؛ فكتب: ((أباه)) اجتهاداً منه؛ غير أنه لم يلحظ أن الكلمة مبنية للمجهول؛ ويمكن أن تصبح صحيحة في المخطوطات؛ إذا قرئت مشكولة هكذا: ((يُحْبَسُ أبُوهُ)). والله أعلم.

[4] البحر البسيط.

[5] جعلها د. طويل: ((وهم إذا ما))؛ وهي أسلم.

صدور البيان وإعجازه، ألقي إلي كتاب كريم، إنه من **أبي الوليد**، وإنه بسم الله الرحمن الرحيم[1]، فحرت، ووقفت كأنني سحرت، وقلت ساحران تظاهرا معاً، وأحدهما قاتلي، فكيف إذا اجتمعا[2]:

فلو كان رمحاً واحداً لاتقيته[3]
ولكنه رمح وثان وثالث

[ومن لعبت بشيمته المثاني
فأحرى أن تطير به المثالث][4]

وطار بي الشوق كل مطار، وقرأت سماء فكرتي سورة الانفطار، وكدت أصعد إلى السماء توقداً، واختلط بالهواء توددا[5]:

---

[1] **تأثراً واقتباساً لقوله تعالى: [يَا أَيّهَا المَلأُ إِنّي أُلْـقِيَ إِلَيّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنّهُ مِنْ سُلَيْمَـانَ وَإِنّـهُ بِسْمِ اللّـهِ الرّحْمَـنِ الرّحِيمِ). سورة النّمْل؛ الآيتان: 29 - 30.**

[2] **البيت الأول من البحر الطويل؛ أما الثاني فمن البحر الوافر.**

[3] **هكذا في الإسكوريال؛ بينما كتبت في ج: ((لاستنيته))، وفي الزيتونة: ((لما التقيته)).**

[4] **ورد هذا البيت في الإسكوريال بعد كلمة الانفطار؛ المذكورة في الجملة الموالية؛ بينما كتبت البيت في موضعه هذا في الزيتونة، و ج.**

[5] **الكامل.**

كانـــت جواهرنا أوايل قبـــل ذان[1]
فـــالآن صـــارت بالتحول ثـــوان[2]
وجدت وراء الحسن وهي كثيفـــة
فوجودهـــن[3] الآن في الأذهـــــان

ولـم يكـف أن بهرت بالحسن الخلوب، حتى أمرت أن أنظـم على ذاك الأسلوب، وبالحريّ لذلك النثر البديع، **الحريري** أو **البديع**، ولذلك النظم العجيب، **المتنبي** أو **حبيب**، ولذلك التصوف الرقيق، **الحارث بن أسد** ذي التحقيق. وأما الحديث، فما لك تقطع تلك المسالك، إلا أن العربية[4] ليس لأحد معه فيها دليل، أستغفر الله إلا **للخليل**، لكن أصول الدين مجرية، تركت تلك الميادين. هناك الله جمع كل منقبة جليلة، فترى الفضيلة لا ترد فضيلة، فمر الرديف وقد ركب غضنفرا، أو المدعي صفة

[1] في الإسكوريـال: ((ذا)).
[2] في ج: ((تبيـدان)).
[3] في الزيتونـة: ((فوجودهـا)).
[4] هذه الكلمـة سقطت في المخطوطين.

فضل، (**وكل الصيد في جوف الفرا**)[1]. من يُزحم[2] البحر يغرق، ومن يطعم الشجر يشرق. وهل يبارى التوحيد بعمل، أو يجارى البراق بجمل. ذلك انتهى إلى سدرة المنتهى. وهل[3] انبرى ليلطم خده في الثرى. لا تقاس الملايكة[4] بالحدادين، ولا حكماء يونان بالفدادين. أفي طريق الكواكب يسلك، وعلى الفلك الأثير يستملك[5]. أين الغد من الأمس، وظلمة الغسق من وضح الشمس. ولولا ثقتي بغمام فضلك الصيب لتمثلت لنفسي[6] بقول **أبي الطيب**[7]:

---

[1] يقال هذا المثل للتنويه بالأفضل. وأصل المثل أن ثلاثة صيادين خرجوا للصيد؛ فاصطاد الأول أرنباً، والثاني ظبياً، والثالث حماراً وحشياً. فأسرع الأول والثاني مستبشرين؛ ومتفاخرين بما اصطاداه. فالتفت إليهما الثالث؛ الذي اصطاد حمار الوحش ـ وهو الأكبر والأعظم والأهم ـ ثم قال: ((كل الصيد في جوف الفرا)). والفرا هو اسم أيضاً لحمار الوحش. وبذلك يكون ما اصطاده الثالث يفوق الأرنب والظبي معاً.

[2] في الإسكوريال: ((يرحم)). وفي المخطوطين: ((يحزم)). واختار عنان كلمة: ((يزحم كما ورد في النص.

[3] في الإسكوريال: ((وهذا))؛ فصوبت من ج.

[4] في ج، والزيتونة: ((الملوك)).

[5] هكذا في المخطوطين؛ بينما كتبت في الإسكوريال: ((يستغلب)).

[6] وردت في الإسكوريال فقط.

[7] البحر الطويل.

إذا شـــاء أن يلهو بلحية أحمــق
أراه غبـــاري ثم قـــال له الْحـــق

فإن رضيت أيها العلم، فما لجرح إذا أرضاكم ألــم [تر][1] كيف أجاري أعوج **بمغرب** أهوج وأجاري ذا العقال بجحش في عقال. ظهر بهذه الظلمة، ذلك الضياء، وبضدها تتبين الأشياء. وما يزكو بياض العاج حتى يضاف إلى سواد الأبنوس. ألفاظ تذوب رقة، وأغراض تملك حب الكريم ورِقّة الزّهر، والزهر بين بنان وبيان، والدر طوع[2] لسان وإحسان[3]:

وقالــوا ذاك سحـــر بأهـــلي[4]
فقلـــت وفـــي مكـــان الهاء بـــاء

[1] هذه الكلمة سقطت في الإسكوريال.
[2] وردت هكذا في الإسكوريال؛ بينما كتب في المخطوطين: ((بين)).
[3] البحر الوافر.
[4] جعلها د. طويل: ((باهلي))؛ من أجل سلامة الوزن.

وأما محاسن **أبي الوليد**، فيقصر عنها **أبو تمام وابن الوليد**[1]:

معـــان لبســـن ثيـــاب الجمـــال

وهـــزت لهـــا الغانيات القـــدودا

كســـون عبيـــداً ثيـــاب عبيـــد

وأضـــحى لبيـــد لديهـــا بليـــداً

وكيف أعجب من إجرايك لهذه الجياد، وأياديك[2] من إياد. أورثت هذه البراعة[3] المساعدة، عن **قِسٍّ بن ساعدة.** أجدك أنت الذي وصف **رسول الله** صلى الله عليه وسلم، فقال، كأني أنظر إليه في **سوق عكاظ** على جمل أورق، وهو يقول أيها الناس: مطر ونبات، وآباء وأمهات، إلى قوله[4]:

في الذاهبيـــــن الأوليـــ

ـــنَ من القرون لنا بصايـــر

---

[1] **البحر المتقارب.**
[2] **صوبها عنان؛ بعد أن جاءت في المخطوطات الثلاثة: ((وإنه أيك ـ وإذا يك)).**
[3] **سقطت هذه الكلمة في المخطوطين.**
[4] **مجزوء الكامل.**

لمـــا رأيـــت مـــــوارد
للموت ليـــس لها مصـــادر
أيقنـــت أنـــي لا محـــا
لـــة حيث صار القوم صاير

إيه بغير تمويه. رجع الحديث الأول إلى ما عليه المعول. سألتني أيها السيد الذي يجب إسعافه، أن أرغم[1] أنف القلم حتى يجري رعافه، وأن أكحل جفون الأوراق بمداد الأقلام، وأن أجمع الطروس والأمِدَّة، بين إصباح وإظلام، وأطرز بياض السوسن بخضرة الآس، وأبرز العلم الأبيض تحت راية **بني العباس**، فقلت مبادراً ممتثلاً، وجلت في ميدان الموافقة متمثلاً[2]:

لبيك لبيـــك أضعافـــاً مضاعفـــة
إني أجبـــت ولكن داعيَ الكـــرم

[1] **حرفت في الإسكوريال فكتبت: ((أرغف)).**
[2] **البحر البسيط.**

أتى من المجــد أمر لا مرد لــه

أمشي على الرأس فيه لا على القــدم[1]

دعاء والله مجاب، ونداء ليس دونه حجاب[2]:

[كتبــت ولــو أني أستطيــع

لإجــلال قــدرك بيــن البشــرْ

قــددت اليراعة من أنمــلي

وكأن[3] المداد ســواد البصــرْ][4]

نعم أجزت سيدي الفقيه الأجل، الخطيب الأكرم، العالم العَلَم، الأوحد الأكمل، الحسيب الأحفل الأطول، **أبا الوليد** بن الفقيه الأجل، المعظم[5] الموقر، المكرم المبارك الأظهر، المرحوم **أبي زكريا يحيى بن سعيد**[6] **بن قتري الإيادي القرموني**[7]، وبنيه السادات، النجباء المباركين، **أبا**

---

[1] **في المخطوطين: ((قدم))؛ وصوبت من الإسكوريال.**

[2] **البحر المتقارب.**

[3] **حذف د. طويل الواو؛ فغدت: ((كأن))؛ وذلك من أجل سلامة الوزن.**

[4] **هذان البيتان وردا هكذا في الإسكوريال؛ بينا كتبا في ج، والزيتونة بنثر مرسل.**

[5] **أضيفت من الإسكوريال.**

[6] **هكذا في ج؛ أما الإسكوريال فكتب: ((إسماعيل)).**

[7] **هكذا في الزيتونة؛ أما في ج؛ فكتبت: ((الغزموني))؛ وفي الإسكوريال: ((القزمومن)).**

القاسم أحمد، وأبا إسحق إبراهيم، وأبا الحسين بتزيا[1].
ونعمت الأغصان والشجرة، والأفنان والثمرة، أقر الله بهم أعين المجد، ولا زالوا بدورا في مطالع السعد، ولا برحوا في مكارم، يجنون نوارها، ويجتلون أنوارها، وتفيض عليهم [يد][2] العناية الإلهية، نهرها الكوثري ونهارها، جميع ما رويته، قراءة وسماعاً، وإجازة ومناولة من العلوم على اختلافها، وتباين أصنافها، بأي وجه رويته، وعلى أي وصف تقلدته ودريته. وكذلك أجزتهم جميع ما قلته وأقوله من مسطور[3] ومرسوم، ومنثور ومنظوم، وتصرفت فيه من منقول ومفهوم، وقصايدي المسماة بالروحانيات، ومعشراتي الحبيبات، وما نظمته من الوتريات، وشرحي لشعر **أبي الطيب** المسمى[4] بـ**((ظهور الإعجاز بين الصدور والأعجاز))**، وكتابي المسمى **((شمس البيان في لمس البنان))**، و**((الزهرة الفايحة في الزهرة اللايحة))**، و**((نفح الكمامات في شرح**

---

[1] سقطت هذه الكلمة في الزيتونة.
[2] سقطت في المخطوطين.
[3] سقطت في المخطوطين.
[4] وردت في الإسكوريال والزيتونة؛ بينما سقطت في ج.

المقامات))، و**((اقتراح المتعلمين في اصطلاح المتكلمين))**، و**((كتاب التصور والتصديق في التوطية لعلم التحقيق))**، و**((رقم الحلل في نظم الجمل**[1]**))**، و**(([مفتاح الإحسان في إصلاح اللسان]**[2]**))**؛ وما أنشأته من السلطانيات نظماً ونثراً، وخطابة وشعراً. والله تعالى يجعل أعمالنا خالصة لوجهه بمنه وكرمه؛ فليقل الفقيه الأجل، وبنوه الأكرمون[3] رضي الله عنهم، [أنبأنا وأخبرنا وحدثنا][4] أو ما شاءوا من ألفاظ الرواية، بعد تحري الشروط المرعية، في الإجازات الشرعية، وإن ذهبوا حفظ الله كمالهم، وأراهم في الدارين آمالهم، إلى تسمية من لي من المشايخ قدس الله أرواحهم، وزحزح عن النار أشباحهم: فمنهم: الأستاذ الخطيب الكبير، العالم الفاضل الجليل، البقية الصالحة، آخر الأدباء، وخاتمة الفضلاء، **أبو جعفر أحمد بن يحيى بن إبراهيم الحميري القرطبي** الدار، رضي الله

[1] حرفت في ج؛ فكتبت: ((الدول)). والمعروف أن كتاب ((رقم الحلل في نظم الدول)) هو كتاب لابن الخطيب.

[2] ورد اسم هذا الكتاب في ج هكذا: ((مفتاح الإحسان في اصطلاح الإحسان)).

[3] في الإسكوريال: ((المباركون)).

[4] نفسه: ((أخبرنا وأنبأنا)).

عنه. قرأت عليه **بقرطبة**، شعر **أبي الطيب**، قراءة فهم لمعانيه، وإعراب لألفاظه؛ وتحقيق للغته، وتنقير عن بديعه. وكذلك قرأت عليه أكثر شعر **أبي تمام**. وسمعت عليه **كتاب الكامل لأبي العباس [المبرد]**[1]**، ومقامات التميمي**، كان يرويها عن منشيها، وكانت عنده بخط **أبي الطاهر**. وتفقهت عليه **(تبصرة الضمري)**. وكان على شياخته رحمه الله، ثابت الذهن، مقبل الخاطر، حافظ الْمُعَيَّا[2]:

يروع ركانة ويذوب ظرفا

فما تدري أشيخ أم غلام

نأتيه بمقاطيع[3] الشعر فيصلحها لنا، ويقف على ما نستحسنه[4] منها، فنجده أثبت منا، ولقد أنشدته يوماً، في فتى مفقود العين اليسرى[5]:

---

[1] أضاف عنان هذه الكلمة.

[2] البحر الوافر.

[3] هكذا في الزيتونة، وفي ج: ((بمقاطع))، وفي الإسكوريال: ((بمقطعات)).

[4] في المخطوطين: نسخناه)).

[5] البحر الكامل.

لم تزو إحدى زهرتيه ولا انثنــت
عــن نورها وبديــع ما تحويــه
لكنـــه قــد رام يُغلــق جفنــه
ليصيــب بالسهم الــذي يرميــه

فاستفادهما وحفظهما. ولم يزل رحمه الله، يعيدهما مستحسناً لهما، متى وقع ذكري. وكان يروي عن الأمام **المازري** بالإجازة، وعن القاضي **أبي مروان بن مسرة**، وعن **الأستاذ عباس**، وعن **أبي عبد الله بن أبي الخصال**. ومنهم الفقيه الأجل [العالم العدل][1]، المحدث الأكمل، المتفنن، الخطيب، القاضي **أبو محمد بن حوط الله**، سمعت عليه كتباً كثيرة **بمالقة**، بقراءة الفقيه الأستاذ **أبي العباس بن غالب**، ولقيته **بقرطبة** أيضاً، وهو قاضيها. وحدثني عن جدي، وعن جملة[2] شيوخ. وله برنامج كبير. وأخوه القاضي الفاضل، **أبو سليمان** أيضاً منهم. ومنهم الفقيه الأجل، العالم العَلَم، الأوحد. النحوي، الأديب

---

[1] هذه العبارة ساقطة في الإسكوريال.
[2] في الإسكوريال: ((جلة)).

المتفنن، **أبو علي عمر بن عبد المجيد الأزدي**، قرأت عليه **القرآن العزيز** مفردات، **وكتاب الجمل**، **والإيضاح**، **وسيبويه** تفقهاً، وكذلك **الأشعار الستة** تفقهاً، وما زلت مواظباً له إلى أن توفي رحمه الله. وكان فريد عصره في الذكاء [والزكا][1]، ولم يكن في حلبة الأستاذ **أبي زيد السهيلي** أنجب منه [على كثرتهم][2]. وقد قال الأستاذ **أبو القاسم السهيلي** للإمام **المنصور** رضي الله[3]، هو أقعد **لكتاب سيبويه** منا. وقال لي يوما، وقد نظر إلى طالب يصغي بكليته إلى ثان، فقلت ماذا؟ فقال إن حب الشيء يعمي ويصم[4]، فقلت له، ويعيد الصبح [ليلاً][5] مدلهم، فاستحسنه. ومنهم الفقيه الأجل، الأديب الأريب الكامل، اللغوي الشهير، **أبو علي بن كسرى المورى**، قريبي ومعلمي. وكان من طلبة **أبي القاسم السهلي**، وممن نبغ

---

[1] سقطت هذه الكلمة في المخطوطين.
[2] سقطت هذه العبارة في المخطوطين.
[3] هكذ.
[4] في المخطوطين: ((ويصمي)).
[5] سقطت هذه الكلمة في المخطوطين.

صغيراً. وهو الذي أنشد في طفولته **السيد أبا إسحق الكبير بإشبيلية**[1]:

قسمـــا بحمـــص[2] وإنـــه لعظيـــم

فـــهي المقـــام وأنـــت إبراهيـــم

وكان بالحضرة[3] الأستاذ **أبو القاسم السهيلي**، فقام عند إتمامه القصيدة، فقال لمثل هذا كنت أُحْسِيك الحسا، [ولمثل هذا][4] كنت أواصل في تعليمك الإصباح والإمساء. وقد أنشد هذا لأمير المؤمنين **أبي يعقوب**[5] رضي رضي الله عنه[6]:

---

[1] البحر الكامل.

[2] المقصود بحمص في هذا البيت: مدينة إشبيلية؛ لأن جند الشام عندما استقروا بها؛ عند دخولهم الأندلس مع بلج بن بشر؛ شبهوها بحمص الشام؛ فصاروا يطلقون هذا الاسم عليها.

[3] في المخطوطين: ((بالحاضرة)).

[4] سقطت في المخطوطين.

[5] المقصود هو الخليفة الموحدي؛ أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي؛ الذي حكم المغرب والأندلس من سنة 558هـ/1162م. إلى سنة 580هـ/1184م.

[6] البحر الطويل.

أمعشر أهل الأرض بالطول والعرض

بهـــذا أنـــادي في القيامة والعـــرض

فقـــد قال الله فيـــك ما أنـــت أهلـــه

فيقضى بحكـــم اللـــه فيك بلا نقض

فإيـــاك يُعنى ذو الجـــلال بقولـــه

كذلـــك مكنـــا ليوســـف في الأرض

ومنهم الفقيه الأجل، العالم المحدث، الحافظ الفاضل المؤثر، السيد **أبو محمد القرطبي**. قرأت عليه **القرآن** بالروايات مفردات، وتفقهت في **الجمل والأشعار**، وأجازني [جميع][1] ما رواه. وكذلك فعل كل واحد ممن تقدم ذكره. وكان رحمه الله آخر الناس علماً ونزاهة وحسن خلق، وجمال سمت [وأبهة][2] ووقار، وإتقان وضبط، وجودة وحفظ. ومنهم الفقيه الأجل، الحاج الفاضل، الشهيد في **كاينة العقاب**[3]، المحدث الورع،

---

[1] سقطت في الإسكوريال.

[2] سقطت في المخطوطين.

[3] يقصد بكاينة العقاب: المعركة التي دارت بين المسلمين والنصارى؛ في صفر من عام 609هـ الموافق ليوليه 1212م. وتسمى بالإسبانية Las Navas de Tolosa حدث ذلك في هضبة سانتا إلينا الموجودة شمال

الزاهد الطاهر، **أبو عبد الله بن حسين بن صاحب الصلاة الأنصاري**، وعليه كان ابتدائي للقراءة، وكان مبارك التعليم. حسن التفهيم، شديد التواضع. ومنهم الفقيه الأجل الفاضل الورع، المحدث، الحاج الملهم، المجاب الدعوة، الميمون النقيبة الأواب. **أبو الحجاج بن الشيخ**. رضي الله عنه. وهذا الكتاب[1] على الإطالة مني. ولكن القرطاس فني، والسلام الأتم عليكم، ورحمة الله وبركاته. قال ذلك، وكتبه، العبد المعترف بذنبه، الراجي رحمة ربه. **محمد بن عبد الله الحميري ثم الإستجي**، في أواسط شعبان المكرم؛ من عام أحد وأربعين وستمائة [2].

غربي مدينة أبدة. وكان يقود جيش المسلمين ـ آنئذ ـ الخليفة الموحدي الناصر لدين الله؛ وفي المقابل يقود جيش النصارى ملك قشتالة ألفونسو الثامن. وقد انهزم الموحدون في هذه المعركة هزيمة مؤلمة؛ بحيث تعتبر علامة بارزة في انحدار الدولة الموحدية في طريقها إلى الزوال.

[1] كتبت في المخطوطين، وفي الإسكوريال: ((الكتب))؛ وصوبها عنان.

[2] الموافق لـ 1243م.

وفاتـــه

من خط الوزير **أبي محمد عبد المنعم بن سِماك**. قال، قدم **غرناطة** ـ أظن ـ سنة تسع وثلاثين وستمائة[1]، وشكى علة البطن؛ مدة ثمانية أشهر؛ بدار أبي رحمه الله، مرضناه الثلاثة الأخوة، إلى أن توفي [رحمه الله][2]، ودفن بمدفنه، مَغْنَى الأدب، **بروضة الفقيه أبي الحسن سهل بن مالك.**

***

[1] **الموافق لـ 1241م.**
[2] **هذه الإضافة من الإسكويال.**

محمد بن أحمد

ابن علي الهواري[1]؛ يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن جابر؛ من أهل ألمرية.

حالـه

رجل كفيف البصر، مدل على الشعر، عظيم الكفاية والمنة، على زمانته. رحل إلى **المشرق**، وتظافر[2] برجل من أصحابنا يعرف **بأبي جعفر الإلبيري،** صارا روحين في جسد، ووقع الشعر منهما **بين لَحْيَيْ أسد** وشمر[3] للكدية، فكان وظيف الكفيف النظم، ووظيف[4] البصير الكتب، وانقطع الآن خبرهما. وجرى ذكره في **الإكليل** بما نصه: محسوب، من طلبتها الجلة، ومعدود فيمن طلع بأفقها من الأهلة، رحل إلى **المشرق**، وقد

---

[1] **هذه الترجمة وردت في الإسكوريال؛ ولم ترد في المخطوطين. وتوجد ترجمته أيضاً في نفح الطيب.**
[2] **في النفح: ((تظاهر)).**
[3] **نفسه: ((وشمر للعلم وطلبه فكان وظيفة الكفيف...)).**
[4] **نفسه: ((وظيفة)).**

أصيب ببصره، واستهان في جنب الاستفادة[1] بمشقة سفره، على بيان عذره، ووضوح ضره.

شعره

وشعره كثير، فمنه قوله[2]:

سلوا مَسَرَّ[3] ذاك الخال في صفحة الخد
متى رقموا بالمسك في ناعم الورد
ومن هو[4] غصن القدّ منها لفتنتي
وأودعه رمانتي ذلك النهد
ومزمتي[5] القضب اللدان بوصلها[6]
إلى أن أعزر[7] الحسن من ذلك القد

[1] في النفح: ((الإفادة)).
[2] البحر الطويل.
[3] في النفح: ((حسن)).
[4] نفسه: ((ومن هزّ)).
[5] نفسه: ((ومَنْ مَتَّعَ))؛ وهذا أصوب.
[6] نفسه: ((بوصفها)).
[7] نفسه: ((إلى أن أعرن))؛ وهذا أصوب.

فتـــاة تفـــت القلـــب مني بمقلـــة

لـــه رقة الغزلان في سطوة الأســـد

تمنيـــت أن تهــــــدي إلى نهودهـــا

فقالـــت رأيـــت البدر يهـــداه أو يُهْدِ[1]

فقلـــت وللرمّـــان[2] بـــدٌّ من الجـــنى

فتاهـــت وقالت باللواحـــظ لا الأيـــد[3]

فقلـــت ليـــس للقلب عندك حاصـــل[4]

وقالت[5] قلـــوب الناس كلهـــم عنـــدي

وقلت[6] اجعليني من عبيدك في الهوى

فقالت كفـــاني كم لحسنيَ من عبـــد

إذا شئت أن أرضاك عبداً فمت هوًى[7]

ولا تشـــكي[8] واصبـــر على ألـــم الصـــد

---

[1] **جعلها د. طويل: ((يهدي)).**
[2] **في النفح: ((أللرمان)).**
[3] **جعلها د. طويل: ((الأيدي)).**
[4] **ورد هذا الشطر في النفح هكذا: ((فقلت أليس القلب عندك حاصلا)).**
[5] **نفسه: ((فقالت)).**
[6] **نفسه: ((فقلت)).**
[7] **نفسه: ((جوًى)).**
[8] **نفسه: ((ولا تشتكي))؛ وهذا أسلم.**

ألم تــر أن النحــل يُحمــل ضرهــا

لأجل الذي تجنيــه من خالص الشهد

كذلك بذل النفيس سهل لــذي النُّــهى

لما يكســب الإنسان من شرف الحمد

ألســت تــرى أزجاتــه طالمــا[1]

أضــاع كريم المال في طلــب المجد

ومن شعره أيضاً قوله[2]:

عــرج عــلى بــان العذيــب ونــاد

وأنشــد فديتــك إن[3] حــل فــؤادي

وإذا مررت على المنــازل بالحــمى

فاشــرح هنالك لوعــتي وسهــادي

إيــه فديتــك يا نسيمــة خبــري

أرب[4] الأحبــة والحــمى والــــوادي

---

[1] ورد هذا الشطر في نفح الطيب هكذا:
((ألست ترى كفَّ ابن جانة طالما))؛ وهذا أسلم.

[2] البحر الكامل.

[3] في النفح: ((أين))؛ وهذا أسلم.

[4] نفسه: ((كيف)).

يا سعــد قــد بان العذيــب وبانـــه

فانـــزل فديتـــك قد بـــدا إسعـــادي

خذ فـــي البشـــارة مهجتي يومـــا إذا

بـــان العُذَيْـــب ونـــور حسنه سعادي[1]

قد صح عيدي يوم أبصـــر حسنهـــا

وكـــذا الهـــلال علامـــة الأعيــــاد

ومما نقلناه من خبر قيّده لصاحبنا الفقيه الأستاذ **أبي علي منصور الزواوي**، ومما أدعاه لنفسه[2]:

عـــليّ لكـــل ذي كـــرم ذمـــام

ولي بمـــدارك المجـــد اهتمـــام

وأحســـن ما لـــدي لقـــاء حـــرّ

وصحبتـــه معشـــر بالمجد هـــام[3]

وإني حيـــن أنســـب من أنـــاس

على قمـــم النجـــوم لهـــا مقـــام[4]

---

[1] **ورد هذا الشطر في النفح هكذا: ((بان العُذَيْبُ ونورُ حُسْنِ سعاد))؛ وهذا أسلم.**

[2] **البحر الوافر.**

[3] **ورد هذا الشطر في النفح هكذا: ((وصحبة معشر بالمجد هاموا))؛ وهذا أسلم.**

[4] **نفسه: ((لهم مقام)).**

يميل بهـــم إلى المجـــد ارتيـــاح

كمـــا مالـــت بشارتهـــا المـــرام[1]

هم لبســـوا أديـــم القيـــل[2] بـــرداً

ليسفـــر من مرادهـــم[3] الظـــلام

هم جعلـــوا متون العيـــش[4] أرضا

فمذ عزموا الرحيـــل فقـــد أقـــام[5]

فمـــن كل البـــلاد لنا ارتحـــال

وفي كـــل البـــلاد لنـــا مقـــام

وحـــول موارد العليـــاء منهـــا[6]

لنا مع كـــل ذي شـــرف زحـــام

تصيب سهامنـــا غرض المعالي

إذا ضلـــت عن الغوص السهـــام

---

[1] في النفح: ((بشاربها المدام)).
[2] نفسه: ((الليل)).
[3] نفسه: ((عن أديمهم)).
[4] نفسه: ((العيس))؛ وهو أصوب.
[5] نفسه: ((فقد أقاموا))؛ وهذا أصوب.
[6] نفسه: ((منا)).

وليـــس لنا من المجـــد اقتنــاع

ولـــو أن النجـــوم لنـــا قيــــام[1]

ننـــزه عرضنـــا عن كل لـــوم

فليـــس يشيـــن سؤددنـــا مـــلام

ونبـــذل لا نقـــول العـــام مـــاذا

سواء كان خصـــب أو حطـــام

إذا ما المحـــل عـــم بـــلاد قوم

أثبنـــاهـــا فجـــاد بنـــا الغمـــام

وإن حضـــر الكـــرام ففي يدينا

مـــلاك أمورهـــم ولنا الكـــلام

وفينـــا المستشـــار بكـــل علـــم

ومنا الليـــث والبطـــل الهمـــام

فميـــدان الكـــلام لنـــا مـــداه

وميـــدان الحـــروب بنـــا يقـــام

كلا الأمريـــن ليـــس له بقـــوم

سوانـــا يـــوم نازلـــة تمـــام

[1] في النفح: ((خيـام)).

يريـــق دم المـــداد بكل طـــرس

وليـــس سوى اليراع لنا سهـــام

ونكتـــب بالمثقفـــة العـــــوالي

بحيـــث الطـــرس لبات وهـــام

إذا عبست وجـــوه الدهـــر منـــا

إليهـــا فانثنـــت ولهـــا انتقـــــام

لقد علمت قلـــوب الـــروم أنـــا

أنـــاس ليـــس يعوزنـــا مـــرام

وليـــس يضيرنـــا أنـــا قليـــل

لعمـــر أبيـــك ما كثـــر الكـــرام

إذا ما الرايـــة الحمراء هُـــزَّت

نعـــم فهنـــاك للحـــرب ازدحام

وما أحمـــرت سدى بل من دماً[1]

ليـــس على جوانبهـــا انسجـــام

تظلـــل من بني نصر ملوكـــا

حـــلال النـــوم عندهـــم حـــرام

---

[1] تصرف فيها د. طويل؛ فجعلها: ((دماء)).

فكم قطعوا الدجى في وصل مجد

وكم سهروا إذا ما النـــاس نـــام[1]

أبا الحجـــاج لم تأت الليـــالي

بأكـــرم منـــك إن عد الكـــرام

ولا حملت ظهور الخيل أمضى

وأشجـــع منه إن هـــز الحســـام

وأني جئـــت من شرق لغـــرب

ورُمْـــت بِيَ الزَّمـــان كما ترام

وجربت الملـــوك وكل شخـــص

تحـــدث عن مكارمـــه الأنـــام

فلـــم أر مثلكـــم يـــا آل نصـــر

جمال الخلـــق والخلق العظـــام

ومنها:

لأندلـــس بكـــم شـــرف وذكـــر

تـــود بلـــوغ أدنـــاه الشـــآم

سعى صوب الغمـــام بلاد قـــوم

هـــم في كـــل مجدبـــة غمـــام

---

[1] في النفح: ((ناموا))؛ وهذا أصوب.

إليــك بهــا مهذبــة المعــاني

يــرينهــا ابتســـــام وانتظــام

لها لجنـــاب مجدكـــم انتظـــام

طـــواف وفـــي أركـــان إســـلام

نجزت وما كادت، وقد وطِي الإيطاء صروحكم، وأعيا الإكثار حارثها وسروجها، الله ولي التجاوز بفضله.

***

محمد بن أحمد

ابن الحداد الوادي آشي؛ يكنى أبا عبد الله.

حالـه

شاعر مفلق، وأديب شهير، مشار إليه في التعاليم، منقطع القرين منها، في الموسيقى، مضطلع بفك المُعمَّى. سكن **ألمرية**، واشتهر بمدح رؤسائها من **بني صُمادح**. وقال **ابن بسام**[1]: كان **أبو عبد الله** هذا، شمس ظهيرة، وبحر خبر وسيرة، وديوان تعاليم مشهورة، وضح في طريق المعارف، وضوح الصبح المتهلل، وضرب فيها بِقِدحِ **ابن مقبل**[2]، إلى جلالة مقطع، وأصاله منزع، ترى العلم ينمُّ على أشعاره، ويتبين في منازعه وآثاره.

---

[1] صاحب كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة.

[2] هو أبو كعب تميم بن أبي بن مقبل؛ من ابن العَجْلان؛ شاعر مخضرم، ومن فحول الشعراء؛ مات سنة 37هـ/657م. ويقال: أنه أوصف العرب لقِدْح؛ حتى أنهم قالوا: ((قِدْح بن مُقْبل)). ومطلع أشهر قصائده:

((كان الشباب لحاجات وكن له * فقد فزعت إلى حاجاتيَ الأخَر)).

تواليفه

ديوان شعر[1] **كبير** معروف. وله في العروض تصنيف، مزج فيه بين الأنحاء[2] الموسيقية[3]، والآراء الجليلة.

بعض أخباره

حدث بعض المؤرخين، مما يدل على ظرفه، أنه فقد سكناً[4] عزيزاً عليه، وأحوجت[5] الحال إلى تكلف سلوة، فلما حضر الندماء؛ وكان قد رصد الخسوف بالقمر[6]، فلما حقق أنه قد ابتدأ، أخذ العود وغنى[7]:

---

[1] في نفح الطيب: ((شعره)).
[2] هكذا في الإسكوريال؛ أما في نفح الطيب؛ فكتب: ((تصنيف مشهور مزج فيه من الألحان الموسيقية والآراء الخليلية)).
[3] حرفت في المخطوطين فكتبت: ((الوصفية)). وما ورد في النص يتطابق مع الإسكوريال، وكتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة.
[4] هكذا في الإسكوريال ونفح الطيب؛ بينما كتب في المخطوطين: ((مسكناً)).
[5] هكذا في الإسكوريال ونفح الطيب؛ بينما كتب في المخطوطين: ((واتاج)).
[6] هكذا في المخطوطين؛ أما الإسكوريال، ونفح الطيب فكتب: ((القمري)).
[7] هذان البيتان لابن الحداد الأندلسي؛ وهما من البحر المتقارب.

شقيقــك غيــب فــي لحــده

وتشــرق يا بــدر من بعــده

فهلا خسفت وكان الخســوف

حــداداً لبســت عــلى فقــده

وجعل يرددها، ويخاطب البدر، فلم يتم ذلك، إلا واعترضه[1] الخسوف، وعظم من الحاضرين التعجب. قال[2]: وكان مُني في صباه بصبية من **الروم**، **نصرانية**، ذهبت بلبه وهواه، تسمى **نويرة**، افتضح[3] بها، وكثر نسيبه.

شعـره

قال في الغرض المذكور[4]:

حديثك ما أحلى [فزيدي وحــدثي][5]

عن الرشــإ الفرد الجمال المثلــث

---

[1] **هكذا في الإسكوريال؛ وكتب في المخطوطين: ((واستعرضه)).**

[2] **أي: ابن بسام.**

[3] **هكذا في الإسكوريال؛ وفي المخطوطين: ((فنعم)).**

[4] **هذه القصيدة توجد في ديوان محمد بن الحداد الأندلسي. وهي من البحر الطويل.**

[5] **وردت هذه العبارة هكذا في المخطوطين، والذخيرة؛ أما الإسكوريال فكتب فيها: ((فزيدي وحدث)).**

[ولا تسأمي][1] ذكراه فالذكر مؤنسي

وإن بعث الأشواق من كل مَبْعَـــثِ

وباللــــه فارقي خَبْل نفسي بقولـــه

وفي عقد [وجدي][2] بالإعادة فأبعـــث[3]

أحقـــاً وقـــد صرحت ما بيَ أنـــه

تبســـم [كالـــلاهي بنـــا المتعبـــث][4]

وأقســـم بالإنجيـــل أنيَ شابـــــق[5]

وناهيك دمعي[6] من محق محنـــث

ولا بد من قصي على القس قصـــتي

عســـاه مغيث المدنف المتغـــوث

[1] هكذا في الإسكوريال والذخيرة؛ بينما حرفت في المخطوطين فكتبت: ((ولا تنسى من)).
[2] أضيفت من الذخيرة.
[3] في الديوان: ((فانفثي)).
[4] هكذا في الإسكوريال والذخيرة؛ بينما بقي في موضعها بياض في ج؛ أما الزيتونة فقد سقط البيت بالتمام.
[5] هكذا في المخطوطين والإسكوريال؛ بينما كتب في الذخيرة: ((لمائن)).
[6] هكذا في الإسكوريال والذخيرة؛ بينما كتبت في المخطوطين: ((دمى)).

ولم[1] يأتهــم عيسى بديــن قســاوة

فيقسو على بثِّي[2] ويلهــو بمكــرث

وقلبي مــن حَلْي التجلــد عاطــل

هوى في غزال الواديين المرعَّث[3]

سيصبح[4] سرى كالصبح[5] مشهــراً

ويمسي حدثيي عرضه المتحــدث[6]

ويغري بذكري بين كأس وروضة

ويشدو بشعري فوق مثنًى ومثلث[7]

ومن شعره في الأمداح الصمادحية[8]:

لعلــك بالــوادي المقدس شــاطئ

وكالعنبــر الهندي ما أنت واطــئ[9]

---

[1] في الديوان: ((فلم)).
[2] نفسه: ((مضنًى))
[3] ورد هذا الشطر في الديوان هكذا: ((هوًى في غزال ذي نفار مُرَعَّثِ)).
[4] هكذا في الإسكوريال والذخيرة؛ وفي المخطوطين: ((فيصبح)).
[5] في الديوان: ((كالصباح))؛ وهذا أسلم.
[6] هكذا في المخطوطين والذخيرة؛ وفي الإسكوريال: ((للتحدث)).
[7] ورد هذا الشطر في الديوان هكذا: ((وينشد شعري بين مثنًى ومثلث)).
[8] لم يرد من هذه القصيدة في ج، والزيتونة سوى البيتين الأولين؛ بينما وردت كلها في الإسكوريال، والذخيرة، والديوان. هي من البحر الطويل.
[9] جاء هذا الشطرفي الديوان هكذا: ((فكالعنبر الهندي ما أنا واطئ)).

وإني في رياك واجد عرف ريحهم[1]

فروح الجوى بين الجوانح نـــاشئ

ولي في السرى من نارهم ومنارهـــم

هـــداة حـــداة والنجـــوم طـــوافئ

لذلك ما حنت ركايـــبي[2] وحمحمت

عِـــرابي وأوحى سيرها المتباطئ

فهل هاجهـــا ما هاجني أو لعلهـــا

إلى الوخد من نيران وجدي لـــواجئ

رويـــداً فـــذا وادي لبيـــني وإنـــه

لـــورد لبانـــاتي وإنـــي لظـــامئ

ميادين تهيامي ومسرح ناظـــري

فللشـــوق غايات لهـــا[3] ومبـــادئ

ولا تحسبوا غيداً حمتها مقاصـــر

فتلـــك قلـــوب ضمنتهـــا جـــآجئ

[1] ورد هذا الشطر في الديوان هكذا: ((وإنيَ في ريّاكَ واجدُ عرفهم))؛ وهذا أسلم.
[2] في الديـوان: ((ركـابي))؛ وهـو أسلـم.
[3] نفسـه: ((بـه)).

ومنها:

محـــا ملة السلوان مبعث حسنـــه
فكل إلى ديـــن الصبابـــة صـــابئ

فكيف أُرَفّي كلم طرفـــك في الحشا
وليـــس لتمزيق المهنـــد رافـــئ

ومـــاليَ لا أسمـــو مراداً وهمـــة
وقد كرمت نفسٌ وطابت ضآضئ

وما أخرتـــني عن تنـــاه مبـــادئ
ولا قصّرت بي عـــن تباه[1] مناشئ

ولكنـــه الدهـــر المناقـــض فعلـــه
فذو الفضل منحط وذو النقص نـــامئ

كـــأن زمـــاني إذ رآني جذيلـــه
[يلابســـني منـــه][2] عـــدو ممـــالئ

فداريـــت إعتابـــا ودارأت عاتبـــاً
ولـــم يغنني أني مـــدار مـــدارئ

---

[1] هكذا في الذخيرة؛ بينما وردت في الإسكوريال: ((تناه)) للمرة الثانية.
[2] هكذا في الإسكوريال؛ أما في الذخيرة، والديوان فكتبت: ((قلاني فلي منه)).

فألقيـــت أعبـــاء الزمـــان وأهلـــه

فمـــا أنـــا إلا بالحقائـــق عـــابئ

ولازمت سمت الصمت لا عن مذامـــة[1]

فلي منطق للسمع والقلـــب صابئ[2]

ولولا عـــلا الملك ابن معن محمد

لما برحـــت أصدافهـــن الـــلآلئ

لآلئ إلا أن فكـــري غائـــص

وعلمي [ذو ماء][3] ونطقي شـــاطئ

تجاوز حد الوهم واللخـــط والمنى

وأعشى الحجـــا لألاؤه المتـــلألئ

فتنعكـــس الأبصار وهي حواســـر

وتنقلـــب الأفكار[4] وهي خـــواسئ[5]

---

[1] في الديـوان: ((فدامـة))؛ وهي قلـة الفهم وغيـاب الفطنـة.
[2] نفسـه: ((مـالئ)).
[3] في الإسكوريـال هكـذا؛ وفي الذخيـرة، والديـوان ((دأمـاء)).
[4] هكـذا في الذخيـرة؛ أمـا في الإسكوريـال فكتبـت: ((الأبصـار)).
[5] جـاء هذا البيـت في الديـوان هكـذا:
((فتنعكس الأنصار وهي خواسر * وتنقلب الأبصار وهي خواسئ))

وقال من أخرى[1]:

أقبلن في الحبرات يقصرن الخطا
ويرين حلــل الوارشيــن القطــا[2]

سرب الجوى لا الجو عوّد حسنه
أن يرتعي حــب القلوب ويلقطــا

مالت معاطفهن من سكر الصبــا
ميلا يخيــف قدودهــا أن تسقطــا

وبمسقــط العلمين أوضح معلــم
لمهفهف سكن الحســا[3] والمسقطــا

ما أخجل البدر المنير إذا مــشى
يختال والخوط النضير إذا خطــا

ومنها في المدح:

يا وافدي شرق البــلاد وغربهــا
أكرمتمــا خيل الوفــادة فاربطــا

---

[1] البحـر الكامـل.
[2] ورد هـذا الشطـر في الديـوان هكـذا:
((ويريـن في حلـل الوراشيـن القطـا))؛ وهـذا أسلـم.
[3] في الديـوان: ((الحشـا)).

ورأيتمـــا ملـــك البريـــة فاهنـــآ
ووردتما أرض المرية فاحططـــا
يدمي نحور الدارعين إذا ارتـــأى
ويذل عـــز العالميـــن إذا سطـــا[1]

وإحسانـــه كثيـــر. دخـــل **غرناطـــة**، ومـــن بنـــات عملهـــا وطنـــه[2] رحمـــه اللـــه.

***

[1] لـم يـرد هـذا الشعر في الزيتونـة وج؛ بينمـا جـاء في الإسكوريـال.
[2] يقصد بوطنـه مدينـة وادي آش؛ الـتي تدخل في أعمـال سلطنـة غرناطـة.

محمد بن إبراهيم

ابن خيرة[1]؛ يكنى أبا القاسم؛ ويعرف بابن المواعيني[2]؛ حرفة أبيه؛ من أهل قرطبة؛ واستدعاه السيد أبو سعيد الوالي بغرناطة إليه؛ فأقام عنده مدة من عامين في جملة من الفضلاء مثله.

حاله

قال **ابن عبد الملك**[3]**:** كان كاتباً بليغاً، شاعراً مجيداً، استكتبه **أبو حفص ابن عبد المؤمن**، وحظي عنده حظوة عظيمة، لصهر كان بينهما بوجه ما، ونال فيه جاهاً عظيما، وثروة واسعة[4]. وكان حسن الخط، رايقه، سلك فيه[5] في ابتدايه مسلك المتقن **أبي بكر بن خيرة**[6].

---

[1] وردت هذه الترجمة في الإسكوريال؛ ولم تذكر في ج، ولا في الزيتونة. وتوجد ترجمة محمد بن إبراهيم (ابن المواعيني) أيضاً في: التكملة، والذيل والتكملة، والمغرب، وتاريخ المن بالإمامة.

[2] في التكملة لكتاب الصلة: ((يعرف بالمواعيني)).

[3] صاحب كتاب الذيل والتكملة.

[4] في الذيل والتكملة: ((ونال باختصاص أبي حفص إياه جاهاً عريضاً وغزوة واسعة)).

[5] في الذيل: ((وبه)).

[6] نفسه: ((خير)).

مشيخته

روى عن **أبي بكر بن عبد العزيز، وابن العربي، وأبي الحسن شريح، ويونس بن مغيث، وأبي عبد الله حفيد مكي ، وابن أبي الخصال، وابن بقي**[1] **.**

تواليفه

له تصانيف تاريخية وأدبية منها: ((**ريحان الآداب**[2]**، وريعان الشباب))** لا نظير له. و((**الوشاح المفضل**))[3]. **وكتاب في الأمثال السايرة. وكتاب في الأدب**[4]؛ نحا فيه[5] منحى **أبي عمر بن عبد البر** في ((**بهجة المجالس**)).

---

[1] في الذيل: ((أبو القاسم أحمد بن محمد بن بقي)).
[2] في التكملة لكتاب الصلة: ((الألباب)).
[3] نفسه: ((المفصل)).
[4] نفسه: ((في الآداب)).
[5] نفسه: ((به)).

وفاتــه

تـوفي **بمراكـش** ؛ سنـة أربـع وستيـن وخمسمائـة[1] .

***

[1] الموافـق لـ 1168م. أمـا ابـن الأبـار في التكملـة فقـال أن وفاتـه حدثـت ((في نحـو سنـة السبعيـن وخمسمائــة)).

محمد بن إبراهيم

ابن علي بن باق الأموي[1]؛ مرسي الأصل، غرناطي النشأة، مالقي الإسكان؛ يكنى أبا عبد الله.

حالـه

من **عايد الصلة**: كان رحمه الله[2]، كاتباً أديباً ذكيا، لوذعيا، يجيد الخط، ويرسل النادرة، ويقوم[3] على العمل، ويشارك في الفريضة. وبَذَّ السُّبَّاق في الأدب الهَزْلي المستعمل **بالأندلس**. عَمر[4] زمانا من عمره، محارفاً للفاقة، يعالج بالأدب الكدية، ثم استقام له الميسم، وأمكنه البخت من امتطاء غاربه، فأنشبت الحظوة فيه أناملها بين كاتب وشاهد ومحاسب ومدير تجر، فأثرى ونما ماله، وعظمت حاله، وعهد[5] عندما شارف الرحيل،

---

[1] وردت هذه الترجمة في الإسكوريال، ولم ترد في ج، والزيتونة. وبالمقابل فقد وردت ترجمة محمد بن باق الأموي كذلك في: الدرر الكامنة، ونفح الطيب.
[2] في نفح الطيب: ((رحمه الله تعالى)).
[3] نفسه: ((يقدم)).
[4] نفسه: ((غبر)).
[5] نفسه: ((عهد)).

بجملة تناهز الألف من العين، لتصرف في وجوه من البر، فتوهم أنها [كانت][1] زكاة امتسك بها[2].

وجرى ذكره في **التاج** بما نصه: مدير أكواس[3] البيان المعتق، ولعوب بأطراف الكلام المشقق، انتحل لأول أمره الهزل من أصنافه، فأبرز در معانيه من أصدافه، وجنى ثمرة الإبداع لحين قطافه. ثم تجاوزه إلى المُعَرَّب[4] وتخطاه، فأدار كأسه المترع وعاطاه، فأصبح لِفَنَّيْهِ[5] جامعاً، وفي فلكيه شهاباً لامعاً، وله ذكاء يطير شرره، وإدراك تتبلج غرره، وذهن يكشف الغوامض، ويسبق البارق الوامض[6]، الوامض[6]، وعلى ذلاقة لسانه، وانفساح أمد إحسانه، فشديد الضنانة يشعره[7]. مُغْلٍ لسعره.

[1] هذه الإضافة من نفح الطيب.
[2] في النفح: ((أمسك)).
[3] نفسه: ((أكؤس)).
[4] نفسه: ((المغرب)).
[5] أي لفني: النظم والنثر.
[6] أي المضيء.
[7] في النفح: ((فشديد الصبابة بشعره)).

شعـره

أخبرني الكاتب **أبو عبد الله بن سلمة**، أنه خاطبه بشعر أجابه عنه بقوله، في رَوِيِّهِ[1]:

أحرز الخصل من بني سلمه

كاتــب تخــدم الظبا قلمــهْ

يحمــل الطِّرس عن أناملــه

إثــر الطــرس[2] كلما رقــهْ[3]

ويمــد البيـــان بفكرتــه[4]

مرسلاً حيث يَمَّمَــتْ دِيَمُــهْ

خصني متحفــاً بخمــس إذا

بسم الروض فُقْــنَ مبتسمـــهْ

قلت أُهدي زهر الربا خضلا

فــإذا كــلُّ زهــرةٍ كَلِمَــهْ

---

[1] أي رَوِيّ أبيات الشعر. وهذه القصيدة من البحر الخفيف.

[2] هكذا في الإسكوريال؛ أما في نفح الطيب فكتبت: ((الحسن)).

[3] ورد هذا البيت في نفح الطيب هكذا:

((يحمل الطرس من أنامله * أثر الحسن كلما رقمهْ))؛ وهذا أسلم.

[4] ورد هذا الشطر في النفح هكذا: ((وتمد البيان فكرتهْ))؛ وهذا أسلم.

أقســـم الحســـن لا يفارقهـــا

فأبـــر انتقاؤهـــــا قسمـــــه

خـــط أسطارهـــا ونمقهـــــا

فأتـــت كالعقـــود منتظمـــه

كاسيـــاً من حـــلاه لي حلـــلاً

رسمهـــا من بديع ما رسمـــه

طالبـــاً عند عاطـــش نهـــلا

ولديـــه الغيـــوث منسجمـــه

يبتغي الشعـــر من أخي بلـــه

أخـــرس العِيّ والقصور فمه

أيها الفاضـــل الذي حمـــدت[1]

ألسن المـــدح والثنـــا شيمـــه

لا تكلـــف أخـــاك مقترحـــا

نشر عـــار لديـــه قد كتمـــه

وابـــق في عزة وفي دعـــه

صافي العيش وارداً شبمـــه

---

[1] هكذا في الإسكوريال؛ بينما كتبت في نفح الطيب: ((حفظت)).

ما ثنى الغصن عطفه طربـــاً
وشـــدا الطيـــر فوق نغمـــه[1]

مشيختـه

قرأ على الأستاذ **أبي جعفر الزبير**[2]، والخطيب **أبي عثمن بن عيسى**.

تـوفي

بمالقة؛ في اليوم الثامن والعشرين لمحرم؛ عام اثنين وخمسين وستمائة[3]. وأوصى ـ بعد أن حفر قبره، بين شيخيه الخطيبين **أبي عبد الله الطنجالي، وأبي عثمن بن عيسى** ـ أن يدفن[4]، وأن يكتب على قبره هذه الأبيات[5]:

---

[1] في نفح الطيب: ((فوقه نغمه)).
[2] هو ابن الزبير. وسقطت في الإحاطة كلمة ((بن)).
[3] الموافق لـ1254م. وفي النفح: ((لمحرم فاتح عام اثنين وخمسين وسبعمائة)).
[4] في النفح: ((به))؛ وهي ساقطة في الإحاطة.
[5] البحر الطويل.

ترحـــم على قبر ابن باق وحيـــه

فمن حق ميت الحي تسليم حيـــه

وقل آمـــن الرحمن روعة خائف

لتفريطـــه في الوجبـــات وغيـــه

قد اختار هذا القبر في الأرض راجياً

من اللـــه تخفيفـــاً بقـــرب[1] وليـــه

فقـــد يشفع الجار الكريم لجـــاره

ويشمـــل بالمعـــروف أهل نديـــه

وإني بفضـــل الله أوثـــق واثـــق

وحسبي وإن أذنبـــت حـــب نبيـــه

***

□

[1] هكذا في الإسكوريـال؛ أمـا في نفـح الطيب؛ فكتـب: ((بقـدر)).

محمد بن إبراهيم

ابن سالم بن فضيلة المعافري[1]؛ من أهل ألمرية؛ يدعى بالبيّو[2]؛ ويكنى أبا عبد الله.

حاله

من **الإكليل الزاهر**[3]، شيخ أخلاقه لينة، ونفسه كما قيل هينة، ينظم الشعر سهلا مساقه، محكما اتساقه، على فاقة ما لها من إفاقة. أنشد السلطان[4] بظاهر بلده قوله[5]:

سرت ريح نجد من رُبَى أرض بابـــل
فهاجت إلى مسرى سراها بلابـــل[6]

وذكرني عرف النسيم الذي سرى
معاهـــد أحبـــاب ســـراة أفاضـــل

---

[1] وردت هذه الترجمة في الإسكوريال؛ بينما سقطت في ج، والزيتونة. وجاءت ترجمة صاحبها أيضاً في الدرر الكامنة، ونفح الطيب.
[2] في نفح الطيب: ((المدعو بالتنوء))
[3] هذا الكتاب لابن الخطيب في التراجم؛ قال في كتابه ((ريحانة الكتاب)): أنه رفعه إلى السلطان أبي الحجاج. ويسمى بالكامل: ((الإكليل الزاهر فيما فضل من نظم التاج من الجواهر)). ويعتبر من بين الكتب المفقودة.
[4] في النفح: ((أنشد المقام السلطاني)).
[5] البحر الطويل.
[6] في النفح: ((بلابلي)).

فأصبحت مشغوفاً بذكرى منــازل

ألفت فوا شــوقي لتلك المنــازل

فيا ريح هبي بالبطــاح وبالربــا

ومري على أغصان زهر الخمائل

وسيري بجسمي للتي الروح عندها

فروحي لديها من أجــل الوسائــل

وقولي لها عني معنــاك بالهــوى[1]

له شوق معمــود وعبــرة ثاكــل

فيا بأبي هيفاء كالغصــن تَثَــنَّى[2]

بقــد يقــد[3] كــاد ينقــد مايــل

فتــاة براهــا الله من فتنــة فمــن

رآهــا ولم يفتــن فليــس بعاقــل

لها منظر كالشمس في رونق الضحا

ولحظ كحيل ساحر الطرف بابــل[4]

---

[1] هكذا في الإسكوريال؛ بينما كتب في نفح الطيب: ((بالنوى)).
[2] في النفح: ((تَنْثَنِي))؛ وهو أسلم.
[3] نفسه: ((تقد بقد)).
[4] نفسه: (بابلي)).

بطيب شذاها عطّرت كل عاطــر
كما بحلاها زينــت كــل عاطــل
رمتني بسهم من سهــام جفونهــا
فصادف ذاك السهم مــني مقاتــل[1]
فظلت غريقاً في بحار من الهوى
وما الحب إلا لجــة دون ساحــل
فيا من سبت عقلي وأفنت تجلدي
صليني فإن البعد لا شــك قاتــل[2]
فــلي كبــدٌ شوقي إليك تفطــرت
وقلب بنيران الجوى في مشاعــل[3]
ولي أدمع تحكي ندا كف يوســف
أمير العلى الأرضي الجميل الفضايل
إذا مد بالجود الأنامــل لم تــزل
بحور الندى تهمي بتلك الأنامــل

---

[1] في النفح: ((مقاتلي)).
[2] نفسه: ((قاتلي)).
[3] نفسه: ((مشاعلي)).

ومن شعره قوله من قصيدة[1]:

بهرت كشمس في غلالة عسجـــد

وكبـــدر تم في قضيـــب زبرجـــد

ثم انثنت كالغصن هزتـــه الصبـــا

طربـــاً فتـــزري بالغصون الميـــد

حوراء بارعة الجمـــال غريـــدة[2]

تـــزهى فتـــزري بالقضيب الأملـــد

إن أدبرت لم تبـــق عقـــل مدبـــر

أو أقبلـــت قتلـــت ولكـــن لا تـــد[3]

---

[1] البحر الكامل.
[2] في النفح: ((غريرة)).
[3] نفسه ((تجدي)).

توالیفه

قال شيخنا **أبو البركات**: ابتلي باختصار كتب الناس؛ فمن ذلك مختصره المسمى ((**بالدرر المنظومة الموسومة في اشتقاق حروف الهجا المرسومة**))[1]، وكتاب في حكايات تسمى ((**روضة الجنان**))[2]، وغير ذلك.

وفاته

توفي في أواخر رمضان؛ من عام تسعة وأربعين وسبعماية[3]؛ ودخل **غرناطة** غير مرة.

***

[1] **في النفح: ((الدرر الموسومة في اشتقاق الحروف المرسومة)).**
[2] **نفسه: ((وكتاب حكايات يسمى دوحة الجنان وراحة الجنان)).**
[3] **الموافق لـ 1348م.**

محمد بن إدريس

ابن علي بن إبراهيم بن القاسم؛ من أهل جزيرة شقر[1]؛
يكنى أبا عبد الله؛ ويعرف بابن مرج الكحل[2].

حاله

كان شاعراً مفلقاً[3] غزلا[4]، بارع التوليد، رقيق الغزل. وقال الأستاذ **أبو جعفر**: كان[5] شاعراً مطبوعاً، حسن الكفاية، ذاكراً للأدب، متصرفاً فيه. قال **ابن عبد الملك**: وكانت بينه وبين طائفة من أدباء عصره مخاطبات،

---

[1] تسمى بالإسبانية El Jucar؛ وهي بلدة في أعمال شرقي الأندلس؛ وتتواجد بين شاطبة وبلنسية؛ وتقع على النهر المسمى بالاسم نفسه؛ ((نهر شقر)). وإلى جانبها الجزيرة المسماة جزيرة شقر.

[2] توجد ترجمة محمد بن مرج الكحل في: كتاب المغرب في حلى المغرب؛ حيث سمي فيه محمد بن الدمن المعروف بمرج الكحل. ثم كتاب زاد المسافر، والوافي بالوفيات، وإعمال الأعلام (القسم الثاني))، وبرنامج شيوخ الرعيني، ورايات المبرزين، والمقتضب من كتاب تحفة القادم، والتكملة، والذيل والتكملة، ونفح الطيب، ووفيات الأعيان.

[3] في التكملة: ((كان شاعراً مغلقاً بديع التوليد والتجويد...)).

[4] وردت في ج، والإسكوريال؛ وسقطت في الزيتونة.

[5] في النفح: ((شاعر مطبوع، حسن الكتابة، ذاكراً للأدب، متصرف فيه)).

ظهرت فيها إجادته. وكان مبتذل اللباس، على هيئة[1] أهل البادية. ويقال إنه كان أمياً.

من أخذ عنه

روى عنه **أبو جعفر بن عثمان الوراد، وأبو الربيع ابن سالم، وأبو عبد الله بن الأبار، وابن عسكر، وابن أبي البقاء، وأبو محمد بن عبد الرحمن بن برطلة، وأبو الحسن الرعيني.**

شعره ودخوله غرناطة

قال في عُشَيَّةٍ **بنهر الغُنداق**، خارج[2] بلدنا **لوشة**؛ بنت الحضرة، والمحسوب من دخلها فقد دخل **إلبيرة**، وقد قيل إن[3] هذا النهر من **أحواز برجة**، وهذا الخلاف داع إلى ذكره[4]:

[1] وردت هذه الكلمة في المخطوطين ونفح الطيب هكذا؛ بينما كتبت في الإسكوريال مكررة خلف بعضها: ((أهل)).
[2] في النفح: ((من خارج)).
[3] نفسه: ((إنّ نهر الغنداق)).
[4] هذه القصيدة في: الذيل والتكملة، ورايات المبرزين، وأزهار الرياض، ونفح الطيب، والمغرب، والمقتضب من كتاب تحفة القادم؛ وهي من البحر الكامل.

عـــرج بمنعرج الكثيب الأعفـــر

بين الفرات وبين شط الكوثـــر

ولنغتبقهـــــا[1] قهـــوة ذهبيـــــة

من راحتي أحـــوى المراشف[2] أحور

وعُشَيَّـــة قد[3] كنت أرقب وقتهـــا

سمحت بها الأيـــام بعد تعـــذر

[نلنا بهـــا آمالنـــا][4] في روضـــة

تهـــدي لنا بشقها[5] شميم العنبـــر

والدهـــر من ندم[6] يسفـــه رأيـــه

فيما مـــضى منـــه بغير تكـــدر

والورق تشدو والأراكة تنثـــني

والشمس ترفل في قميص أصفر

---

[1] في النفـح، والمغرب، والمقتضـب، والذيـل، والتكملـة: ((ولتغتبقهـا)).
[2] في المغرب، والمقتضب، والذيـل، والتكملـة: ((المدامـع)).
[3] هكذا في ج، والزيتونة. أما في الإسكوريال، ونفح الطيب، والذيل فكتبت: ((كم كنت)). بينما كتب في رايات المبرزين، والمقتضب، والمغرب: ((كم بت)).
[4] هكذا في الإسكوريال؛ بينما حرفت في النفح؛ فكتبت: ((فلنا بهذا ما لنا في...)).
[5] في النفـح: ((لناشقهـا)). أمـا في المقتضـب؛ فكتـب: ((شفهـا نسيـم العنبـر)).
[6] في أزهـار الريـاض: ((قـدم)).

والروض بين [مفضض ومذهب][1]

والزهر بين مدرهـــم ومدنـــر

والنهر مرقوم الأباطح والـــربى[2]

بمصنـــدل من زهره ومعصفـــر

وكأنـــه وكأن خضــــرة شطـــه

سيف يسل على بساط أخضر

وكأنمـــا[3] ذاك الحبـــاب فرنـــده

مهما طفـــا في صفحة كالجوهر[4]

وكأنـــه وجهـــاتـــه محفـــوفـــة

بالآس والنعمـــان خـــد معـــذر

نهر يهيـــم بحسنه من لم يهـــم

ويجيد فيه الشعر من لم يشعـــر

ما اصفر وجه الشمس عند غروبها

إلا لفرقـــة حســـن ذاك المنظـــر

---

[1] هكذا في الإسكوريـال ونفـح الطيـب؛ بينمـا كتبت في المخطوطيـن: ((مذهـب ومفضـض)). أمـا أزهـار الريـاض؛ فكتبـت: ((ومعسجـد)).

[2] ورد هـذا الشطر في رايات المبرزين هكـذا: ((والنـهـر فيهـا والنبـات يحفـه)).

[3] هكـذا في الإسكوريـال؛ أمـا في ج؛ فكتبـت: ((وكـأن مـن)).

[4] سقـط هـذا البيـن في الزيتونـة.

ولا خفاء ببراعة هذا النظم[1]. وقال أيضاً[2]:

أرأت جفونـــك مثله من منظـــر[3]

ظــلٌ وشمـــسٌ مثل خدّ معـــذّرِ[4]

وهذا تتميم عجيب ؛ لم يسبق إليه. ثم قال منها :

وقـــرارة[5] كالعشـــر بين خميلـــة

سالـــت مذانبهـــا بها كالأسطـــر

فكأنهـــا مشكولـــة بمصنـــــدل

من يانـــع الأزهار أو بمعصفـــر

أمل بلغنـــاه بهضـــب حديقـــة

قد طرزتـــه يد الغمام الممطـــر

[فكأنـــه والزهـــر تـــاج فوقـــه

ملْـــك تجـــلى في بساط أخضر][6]

---

[1] في النفح: ((هذا الشهر)).
[2] نفسه: ((وقال منها)).
[3] هذا الشطر كتب هكذا في الإسكوريال ونفح الطيب؛ بينما حرف في المخطوطين؛ فكتب: ((إذا أجفانك مثله منظر)).
[4] ورد في نفح الطيب آخر بعد هذا؛ لم يرد في الإحاطة؛ وهو: ((وجداول كأرقام حصباؤها كبطونها وحبابها كالأظهر)).
[5] هكذا في الإسكوريال ونفح الطيب؛ أما في المخطوطين فكتبت: ((وقراءة)).
[6] هذا البيت ساقط في الزيتونة، وج.

راق النواظـــر منه رايق منظـــر

يصف النضارة عن جنان الكوثر

كم قاد [خاطر خاطر][1] مستوفـــز

وكم استفز جماله من مبصـــر

[لو لاح لي][2] فيما تقدم[3] لم أقـــل

(عرج بمنعرج الكثيب الأعفـــر)[4]

قال أبو الحسن الرعيني، وأنشدني لنفسه[5]:

وعشيـــة كانت قنيصـــة فتيـــة

ألفوا من الأدب الصريح شيوخا

فكأنمـــا العنقـــاء قد نصبـــوا لها

من الانحناء إلى الوقوع فخوخـــا

---

[1] هكذا في الإسكوريـال و نفـح الطي،ب؛ أمـا في الزيتونـة، وج؛ فكتبـت: ((كـم قـاد خاصـر مستوفـر)).

[2] وردت هـذه العبـارة هكـذا في: الإسكوريـال، والزيتونـة، ونفـح الطيـب؛ بينمـا كتبـت في ج: ((لـولا ذلـتي)).

[3] في النفـح: ((تقـادم)).

[4] كـر مطلـع قصيدتـه هنـا.

[5] هـذه الأبيـات وردت في الإسكوريـال ونفـح الطيـب؛ بينمـا سقطـت في المخطوطيـن. وهي مـن البحـر الكامـل.

شملتهــم آدابهــم فتجــاذبــــوا

ســـر السرور محدثاً ومصيخـــا

والوُرْق تقرأ سيرة[1] الطرب التي

ينسيك منها ناسخــاً[2] منسوخـــا

والنهـــر قد صفحت به نارنجـــة

فتيممـــت من كان فيـــه منيخـــا

فتخالهـــم حلل[3] السماء كواكبـــا

قد قارنـــت بسعودهـــا المريخـــا

خرق العوائد في السرور نهارهم

فجعلـــت أبيـــاتي لهم[4] تاريخـــا

---

[1] **في نفـح الطيـب، والذيـل والتكملـة: ((سـورة)).**
[2] **في المصديريـن نفسيهمـا: ((ناسـخٌ)).**
[3] **في المدريـن نفسيهمـا: ((خلـل)) بالخـاء المعجمـة.**
[4] **هكذا في الإسكوريال؛ أما في نفح الطيب، والذيل والتكملة فكتبت كلم: ((له)).**

ومن أبياته في البديهة[1]:

وعندي من مراشفها حديث[2]
يخبر أن ريقتها مدام

وفي أجفانها[3] السكرى دليل
وما ذقنا[4] ولا زعم الهمام

تعالى الله ما أجرى دموعي
إذا عنت[5] لقلتيَ الخيام

وأشجاني إذا لاحت بروق
وأطربني إذا غنَّتْ حَمام

ومن قصيدة[6]:

[عذيري من الآمال خابت قصودها[7]
ونالت جزيل الحظ منها الأخابث

---

[1] وردت هذه الأبيات في نفح الطيب، وأزهار الرياض؛ بينما اكتفي في المغرب بالبيتين: الأول والثاني. وهي من البحر الوافر.
[2] في المغرب: ((معاطفها حديث)).
[3] في المغرب: ((وفي ألحاظها)).
[4] نفسه: ((ولا ذقنا)).
[5] في أزهار الرياض: ((عرضت)).
[6] الأبيات الآتية وردت في الإسكوريال ونفح الطيب؛ وساقطة في المخطوطين. وهي من البحر الطويل.
[7] هكذا في المخطوطين ونفح الطيب؛ أما في الإسكوريال فكتبت: ((قصورها)).

وقالوا ذكرنـــا بالغـــنى فأجبتهـــم

خمولاً وما ذكر مع البخل ماكـــث

يهـــون علينـــا أن يبيـــد أثاثنـــا

وتبقى علينا المكرمـــات الأثابـــت[1]

وما ضَرَّ أصلاً طيِّباً عدم الغـــنى

إذا لم يغيره من الدهـــر حـــادث]

ولـه ؛ يتشـوق إلى **أبي عمـرو بـن أبي غيـاث**[2]:

أبـــا[3] عمـــرو متى تُقْضَى الليالي

بلقياكـــم وهن قصصن ريـــشي

أبت نفـــسي هوى إلا شريشـــاً

وما[4] بعد الجزيـــرة من شريـــش

---

[1] **في نفـح الطيـب: ((الأثائـث)).**
[2] **البحـر الوافـر.**
[3] **في النفـح: ((أيـا)).**
[4] **في النفـح: ((ويـا)).**

وله من قصيدة[1]:

طَفَـلَ المساء وللنسـم تضـوع
والأنـس ينظم[2] شملنـا ويجمـع

والزهر يضحك من بكاء غمامـة
ريعت لشيم سيـوف برق تلمـع

والنهر من طرب يصفق موجـه
والغصن يرقص والحمامة تسجع

فانعم أبا عمران والْـهُ بروضـة
حَسُنَ المصيف بها وطاب المربع

يا شـادن البان الذي دون النقـا
حيث التقى وادي الحمى والأجرع

[الشمـس يغرب نورهـا ولربمـا
كسفـت ونورك كل حين يسطـع][3]

---

[1] البحر الكامل.
[2] هكذا في المخطوطين وفي الإسكوريال؛ أما في نفح الطيب فكتبت: ((يجمع)).
[3] سقط هذا البيت في المخطوطين والإسكوريال؛ وورد في نفح الطيب.

إن غاب نور الشمس بتنـــا[1] نتـــقي

بسنـــاك ليـــلَ تَفَـــرُّقٍ يتطلـــع

أفلت فنـــاب سناك عن إشراقهـــا

وَجِـــلاً من الظلمـــاء مـــا يتوقـــع

فأمنت يا موسى الغروب ولم أقل

(فَوَدِدْتُ يا موسى لَوَ أنَّـــكَ يوشع)[2]

وقال[3]:

ألا بشـــروا بالصبـــح مني باكيـــاً[4]

أضر به الليـــل الطويل مع البكـــا

ففي الصبح للصب المتيم راحـــة

إذا الليل أجرى [دمعه][5] وإذا شكـــا[6]

ولا عجب أن يمسك الصبح عبـــرتي

فلم يزل الكـــافور للـــدم ممسكـــا

---

[1] **هكذا في ج؛ وفي الإسكوريـال ونفـح الطيـب: ((لسنـا)).**

[2] **اقتبس هذا الشطر من قصيدة للرصافي البلنسي.**

[3] **البحر الطويل.**

[4] **تصرف د. طويل؛ فجعلها: ((من كان باكياً))؛ دون سند.**

[5] **هذه الكلمة وردت في المخطوطين ونفح الطيب؛ وسقطت في الإسكوريال.**

[6] **هكذا في الإسكوريال ونفح الطيب؛ وكتبت في المخطوطين: ((بكا))**

ومـن بديـع مقطوعاتـه قولـه[1]:

مثـــل الـــرزق الـــذي تطلبـــــه

مثل الظـــل الذي يمـــشي معـــكْ

أنـــت لا تدركـــــه متبعـــــا

فـــــإذا وليـــت عنـــه أتبعـــــكْ[2]

قـال[3]:

دخلتـــم فأفسدتـــم قلوبـــاً بملككـــم[4]

فأنتم على ما جاء في سورة النمل[5]

---

[1] **هـذان البيتـان يوجـدان في: نفـح الطيـب، ووفيـات الأعيـان، والتكملـة. وهمـا مـن بحـر الرمـل.**

[2] **في نفـح الطيـب، ووفيـات الأعيـان: ((تبعـك)).**

[3] **البحـر الطويـل.**

[4] **هكـذا في المخطوطيـن والإسكوريـال؛ وفي النفـح: ((بملكهـا)).**

[5] **يشيـر هنـا إلى قولـه تعـالى: [قَالَـْت إنَّ المُلُـوكَ إذَا دَخَلُـوا قَرْيَـةً أفْسَدُوهَـا وَجَعَلُـوا أعِـزّةَ أهْلِهَـا أذِلّـةً وَكَذَلِـكَ يَفْعَلُـونَ). سـورة النمـل؛ الآيـة: 34.**

وبالعــدل[1] والإحسان لــم تتخلقــوا

فأنتم على ما جاء في سورة النحل[2]

وقال **أبو بكر محمد بن محمد بن جهور**: رأيت **لابن مرج الكحل** مرجاً أحمر قد أجهد نفسه في خدمته فلم ينجب، فقلت[3]:

يا مرج كحل ومن هذي المروج لـــه

ما كان أحوج هذا المــرج للكحــل

يا حمرة[4] الأرض من طيب ومن كرم

فلا تكن طمعــاً في رزقهــا العجــل

فإن مــن شأنهــا إخــلاف آملهــا[5]

فيمــا تفارقهــا كيفيــة الخجــــل

---

[1] **هكذا في المخطوطين والإسكوريال؛ وفي النفح: ((وبالجود)).**

[2] **يشير هنا إلى قوله تعالى: [وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لاَ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاَهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لاَ يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ). سورة النحل؛ الآية: 76.**

[3] **البحر البسيط.**

[4] **في نفح الطيب: ((ما حمرة)).**

[5] **هكذا في الإسكوريال ونفح الطيب؛ بينما كتبت في المخطوطين: ((آمالها)).**

فقال مجيباً بما نصه[1]:

يا قائلا إذ رأى مرجي وحمرته
ما كان أحوج هذا المرج للكحل

هو احمرار دماء الروم سيلها
بالبيض من مر من آبائيَ الأول

أحببته إن من[2] فتنت به
في حمرة الخد أو إخلافه أملي

وفاته

توفي ببلده يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول؛ سنة[3] أربع وثلاثين وستماية[4]، ودفن في اليوم بعده.

***

[1] البحر البسيط.
[2] ورد هذا الشطر في نفح الطيب هكذا: ((أحْبَبْتُهُ أنْ حَكَى من فُتِنْتُ به)).
[3] في النفح: ((عام أربعة...))
[4] الموافق لـ 1236م.

محمد بن محمد

ابن أحمد الأنصاري؛ من أهل مرسية؛ يكنى أبا عبد الله؛
ويعرف بابن الجنّان[1]

حاله

كان محدثاً راوية، ضابطا، كاتباً بليغا، شاعراً بارعا، رايق الخط، دينا فاضلا، خيراً، زكياً[2]. استكتبه بعض أمراء **الأندلس**، فكان يتبرم من ذلك، ويقلق[3] منه، ثم خلصه الله[4] منه. وكان من أعاجيب الزمان في إفراط القماءة[5]، حتى يظن رائيه إذا[6] استدبره، أنه طفل ابن ثمانية ثمانية أعوام أو نحوها، متناسب الخلقة؛ لطيف الشمايل، وقورا، خرج من بلده، حين تمكن العدو من بيضته[7]

---

[1] **توجد ترجمة محمد بن الجنان في عنوان الدراية، ونفح الطيب.**
[2] **في نفح الطيب: ((ذكيا)).**
[3] **هكذا في الإسكوريال، ج؛ أما في الزيتونة فكتبت: ((يضيق)).**
[4] **في نفح الطيب: ((الله تعالى)).**
[5] **هكذا في الإسكوريال؛ وحرفت في المخوطوطين؛ فكتبت: ((القغامة)). والقماءة: هي القصر.**
[6] **في النفح: ((الذي)).**
[7] **نفسه: ((قبضته سنة 640هـ)).**

عـام أربعيـن وستمايـة[1]، فاستقـر **بأوريولـة**[2]، إلى أن استدعاه[3] إلى **سبتة**، الرييس بها[4]، **أبو علي بن خلاص**[5]، **خلاص**[5]، فوفد عليه، فأجل وفادته، وأجزل إفادته، وحظي عنده حظوة تامة. ثم توجه إلى **إفريقية**، فاستقر **ببجاية**. وكانت بينه وبين كتاب عصره مكاتبات، ظهرت فيها براعته.

مشيخته

روى ببلده وغيرها[6] عن **أبي بكر عزيز بن خطاب**[7]، **خطاب**[7]، **وأبي الحسن بن سهل بن مالك**[8]، **وابن قطرال**،

---

[1] الموافق لـ 1242م.

[2] تسمى بالإسبانية **Orihuela**؛ وتتواجد في الشمال الشرقي من مرسية؛ تابعة للمنطقة الشرقية من الأندلس؛ وموقعها على نهر شقورة. احتلها جيش مملكة أراغون سنة 661هـ/1262م.

[3] في النفح: ((دعاه)).

[4] سقطت كلمة: ((بها)) من نفح الطيب.

[5] هو الرئيس أبو علي الحسن بن خلاص البلنسي؛ ولي أيام الموحدين مدينة سبتة؛ وذلك سنة 637هـ/1239م. ولكنه ثار على الدولة في عهد السعيد علي بن إدريس الموحدي؛ سنـ 641هـ/1243م. وأعلن بالدعوة إلى الأمير الحفصي أبي زكرياء؛ المتغلب على إفريقية. ثم مات سنة 646هـ/1258م.

[6] في نفح الطيب: ((وغيره)).

[7] هكذا في الإسكوريال؛ وحرفت في المخطوطين فكتبت: ((ابن خاطب)).

[8] في نفح الطيب: ((وأبي الحسن سهل بن مالك)).

قطرال، وأبي الربيع بن سالم، وأبي عيسى بن أبي السداد، وأبي علي الشُّلوبين، وغيرهم.

من روى عنه

روى عنه صهره **أبو القاسم بن نبيل**، **وأبو الحسن محمد بن رُزَيْق.**

شعره

[قال القاضي **أبو عبد الله بن عبد الملك**: وكان له في الزهد، ومدح **النبي** صلى الله عليه وسلم بدايع، ونظم في المواعظ للمذكرين كثيرا][1]. فمن ذلك قوله في توديع رمضان وليلة القدر[2]:

مضى رمضان وكأن[3] بك قد مضى
وغاب سناه بعد ما كان أومضا
فيا عهده ما كان أكرم معهدا
ويا عصره أعزز علي أن انقضا

---

[1] ما بين حاصرتين ورد في المخطوطين، وسقط في الإسكوريال.
[2] البحر الطويل.
[3] حذف د. طويل حرف الواو؛ فأضحت: ((كأنْ)).

ألم بنـــا كالطيف في الصيف زائـــرا

فخيـــم فينـــا ساعـــة ثـــم قوضـــا

فيا ليت شعري إذ نوى غربة النـــوى

أبِالسّخـــط عنا قد تـــولى أم الرضـــا

قضى الحـــق فينا بالفضيلـــة جاهـــداً

فـــأي فتى فينـــا له الحـــق قد قضـــا[1]

وكم من يـــد بيضاء أسدى لذي تقى

بتوبتـــــه فيـــه الصحايـــف بيضـــا

وكـــم حســـن قـــد زاده حسناً وسنـــا

محـــاه وبالإحسان والحسن عوضـــا

فللـــه من شهـــر كريـــم تعرضـــت

مكارمـــه إلا لمـــن كـــان أعرضـــا

نفى بينه وبيـــن شجونـــك[2] معلمـــا

وفـــي إثره أرســـل جفونـــك فيضـــا

---

[1] **هكذا في الإسكوريال؛ وفي المخطوطين: ((مضى)).**

[2] **جعلها د. طويل: ((شجوك))؛ من أجل سلامة الوزن.**

وقــــف بِثُنَيَّــات[1] الــوداع فإنهــا

تمحــص مشتاقــاً إليهــا وتمحضــا

وإن قضيــت قبــل التفــرق وقفــة

فمقضيهــا من ليلة القــدر ما قضــا

فيا حسنهــا من ليلــة جــل قدرهــا

وحــض عليهــا الهاشمي وحرضــا

لعــل بقايــا الشهــر وهي كريمــة

تبيــن ســراً للأواخـــر[2] أغمضــا

وقد كان أضفى ورده كي يفيضـــه

ولكــن تلاحى [من تلاحى][3] فقيضــا

وقــال اطلبوهــا تسعــدوا بطلابهــا

فحــرك أربــاب القلوب وأنهضــا

جــزى الله عنــا أحمــداً الجــزا[4]

على كرم أضفــاه بــردا وفضفضــا

---

[1] هكذا في الإسكوريال؛ وفي المخطوطين: ((بثنايات)).
[2] هكذا في الإسكوريال؛وفي المخطوطين: ((في الأواخر)).
[3] هكذا في الإسكوريال؛ وفي الزيتونة: ((إثبات فيها)). وهي ساقطة في ج.
[4] جعلها د. طويل: ((أحمداً للجزاء)).

وصلى عليـــــه مـــن نبي مبـــارك

رؤوف رحيـــم للرسالـــة مرتضـــا

له عـــزة أعلى من الشمـــس منـــزلا

وعزمته[1] أمضى من السيف منتضـــا

له الذكـــر يهمي فض مسك ختامـــه

تـــأرج مـــن ريـــا فضايلـــه الفضـــا

عليـــه سلام اللـــه ما انهـــلَّ ساكـــب

وذهـــب مـــوشيّ الرياض وفضضـــا

ومن ذلك قصيدة في الحج[2]:

[تذاكـــر الذكـــر وتهيـــج اللواعجـــا[3]

فعالجـــن أشجانـــاً يكاثـــرن عالجـــا

ركابـــاً سرت بين العُذَيْـــت وبـــارق

نوابيـــج[4] في تلك الشعـــاب نواعجـــا

---

[1] هكذا في المخطوطين؛ وفي الإسكوريال: ((وعزمتنا)).

[2] وردت هذه القصيدة في الإسكوريال؛ وسقطت في ج، والزيتونة. وهي من البحر الطويل.

[3] تصرف د. طويل ـ دون ذكر السند ـ فعدل هذا الشطر من أجل سلامة الوزن؛ فجعله: ((مذاكرة الذكرى تهيج اللواعجا)).

[4] غيرها د. طويل؛ ـ دون ذكر السند ـ إلى ((نوافيج)).

تيمَّمْـــن مـــن وادي الأراك منـــازلا

يُطرنهـــا إلا فـــي الأراك سجاسجـــا[1]

لهن من الأشـــواق حاد فـــإن ونـــت

حـــداه يرجعـــن الحنيـــن أهازجـــا

ألا بأبي تلـــك الركـــاب إذا ســـرت

هـــوادي يمـــلأن الفـــلاة هوادجـــا

براهـــم سوامح أو سراهـــم فأصبحوا

رسومـــاً على تلك الرسوم عوالجـــا

لهم في منى أسنى المنا ولدى الصفـــا

يرجون من أهل الصفـــا[2] المناهجـــا

سمـــا بهـــم طـــوف ببيـــت طامـــح

أراهـــم قبابـــاً للعـــلى ومعارجـــا

فأبدوا من اللوعـــات ما كان كامنـــا

وأذروا دموعـــاً بل قلوبـــاً مناضجـــا

---

[1] **تصرف د. طويل في هذا الشطر ـ دون ذكر السند ـ فجعله هكذا: ((يطرينها في الأراك سجاسجا)).**

[2] **أضاف د. طويل الهمزة؛ فأضحت: ((الصفاء))؛ من أجل سلامة الوزن.**

ولمـــا دنـــوا نـــودوا هنيـــا وأقبلـــوا

إلى الركـــن من كـــل الفجاج أدارجا

وقضـــوا بتقبيـــل الجـــدار ولثمـــه

حقوقـــاً تقـــضي للنفـــوس حوايجـــا

إذا اعتنقـــوا تلـــك المعالـــم خلتهـــم

أســـاور فـــي إيمانهـــا وجهالجـــا

فللـــه ركـــب يممـــوا نحـــو مكـــة

لقد كرمـــوا قصداً وحلـــوا مناسجـــا

أناخـــوا بأرجاء الرجـــاء وعرســـوا

فأصبـــح كل ما بـــز[1] القـــدح فالجـــا

فبشـــروا[2] لهم كم خولوا من كرامـــة

فكانـــت لمـــا قدمـــــوه نتايجـــــا

بفتـــــح بـــاب للقبـــول[3] وللرضـــــا

ووفدهـــم أضحى على الباب وَالِجَـــا

---

[1] جعلها د. طويل: ((مايز))؛ من أجل سلامة الوزن.

[2] جعلها د. طويل: ((فبشرى))؛ من أجل سلامة الوزن.

[3] جعلها د. طويل: ((باب القبول))؛ من أجل سلامة الوزن.

تميــز أهــل السبــق لكن غيرهــم

غــدا همجــاً بين الخليقــة هامجــا

أيلحـــــق جلــس للبيــوت مداهــم

ولم يلعــب[1] في تلك المدارج دارجــا

ألا ليت شعري للضـــرورة هل أرى

إلى الله والبيت المحجـــب خارجــا

له اللـــه من ذي كربة ليـــس يرتجى

لمرتجيهـــا[2] يوما ســوى الله فارجــا

قد أسهمــت شتى المسالـــك دونـــه

فـــلا نهــج يلقى فيه للـــه ناهجــاً

يخوض بحـــار الذنـــب ليس يهابهـــا

ويصعق ذعراً إن يرى البحر هائجــا

جبـــان إذا عن الهــدى وإذا الهوى

يعــن له كـــان الجــريء المهارجــا

---

[1] غيرها د. طويل؛ فأضحت: ((ولم يله))؛ من أجل الوزن السليم.

[2] جعلها د. طويل: ((لِمُرْتَجِّهَا))؛ من أجل سلامة الوزن.

يتيــه ضــلالا في غيابــة همــه

فلا حجــر تهديــه لرشد ولا حجــا

فــوا حربــا لاح الصبــاح لمبصــر

وقلبي لم يبصر سوى الليل إذ سجــا

لعــل شفيــعي أن يكــون معاجــلا

لــداء ذنــوب بالشفــاء معالجــــا

فينشقــني بيــت الإلــه نوافحــــاً

ويعبــق لــي قبــر النــبي نوافجــا

فمالي لإمالــتي ســوى حب أحمــد

وصلت له من قــرب قلبي وشايجــا

عليــه سلام اللــه من ذي صبابــة

حليــف شجــاً يكنى من البعد ناشجا

ولو أنصفــت أجفانــه حــق وجــده

سفكــت دمــا للدمــوع موازجــا]

كتابتـه

وكتابته شهيرة، تضرب بذكره فيها الأمثال، وتطوى عليه الخناصر. قالوا: لما عقد[1] أمير المسلمين ؛ **أبو عبد الله محمد بن يوسف [بن هود]**[2] البيعة لابنه **الواثق** بالإمارة من بعده، تولى إنشاءها، وجعل الحاء المهلة سجعها مردفا إياها بالألف، نحو ((صباحا، وصلاحا))[3]، وما أشبه ذلك، طال مجموعها فناهزت الأربعين. وطاب مسمعها[4]، فأحرزت بغية المستمعين: فكتب إليه **أبو المطرف بن عميرة** رسالته الشهيرة ؛ يداعبه في ذلك، وهي التي أولها: ((تحييك الأقلام تحية كسرى، وتقف دون مداك حَسْرَى)). ومنها في الغرض: ((ومالك أمنت تغير الحالات[5]، فشننت غارتك على الحاءات، ونفضت عنها المهارق، وبعث في طلبها السوابق، ولفظتها من الأفواه،

---

[1] هكذا في الإسكوريال؛ وفي المخطوطين: ((جعل)).
[2] هذه الإضافة من الإسكوريال.
[3] هكذا في المخطوطين؛ أما في الإسكوريال فكتبت: ((وفلاحا)).
[4] هكذا في الزيتونة وج؛ وفي الإسكوريال كتبت: ((مسموعها)).
[5] هكذا في الزيتونة، وج؛ أما في الإسكوريال فكتبت: ((الحارات)).

وطلبتها بين الشفاه، حتى شهد أهل اللسان[1]، بتزحزحها عن ذلك المكان، وتوارت بالحلوق. ولو تغلغلت إلى العروق، لآثرتها جيادك، واقتنصها قلمك ومدادك)).
[وهي طويلة][2].

فراجعه[3] بقوله: ما هذه التحية الكِسْرَوِيَّة؟ وما[4] هذا الرأي؟ وما[5] هذه الرَّوِيَّة؟ [أتنكيت من الأقلام؟ أم[6] تبكيت من الأعلام؟ أم كلا الأمرين توجه القصد إليه]؟[7]: و﴿هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾[8]. وإلاّ فعهدي بالقلم، يتسامى عن عكسه[9]، ويترامى إلى الغاية البعيدة بنفسه، فمتى لانت أنابيبه للعاجم، ودانت أعاربه[10] بدين

---

[1] في المخطوطين: ((الشان)).
[2] هذه الإضافة من الإسكوريال.
[3] في الإسكوريال: ((فأجابه)).
[4] في النفح: ((وهذه)).
[5] نفسه: ((وهذه)).
[6] نفسه: ((أو)).
[7] ما بين الحاصرتين سقط في الزيتونة.
[8] إشارة إلى قوله تعالى: [وَالذِي أوْحَيْنَا إلَيْكَ مِنَ الكِتَابِ هُوَ الحَقُّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ]. سورة فاطر؛ الآية: 31.
[9] عندما تعكس كلمة ((قلم))؛ تصبح ((ملق)). ومعنى ملق الشيء هو: محاه.
[10] في المخطوطين: ((إعرابه)). وفي النفح: ((أعاريبه للأعاجم)).

الأعاجم. واعجبا (لقد استنوق الجمل)[1]، واختلف القول والعمل. (لأمر ما جدع أنفه **قصير**)[2]، وارتد على عقبه الأعمى[3] **أبو بصير**[4]. أمْسِ أسْتَسْقي من سحابه، فلا يسقيني، وأستشفي بأسمايه فلا يشفيني، واليوم يحلني محل **أنوشروان**[5]، ويشكو مني شكوى

---

[1] اقتبس هذا القول من المثل السائر: ((قد استنوق الجمل)). أي أصبح ناقة. ويضرب في التخليط بين الأمور والأشياء. ويقال أن هذا المثل لطرفة بن العبد؛ حين سمع ـ في صغره ـ الشاعر المتلمس ينشد قصيدة له؛ خلط فيها بين التأنيث والتذكير؛ فقال ـ وهو صبي يلعب مع الصبيان ـ ((قد استنوق الجمل)).

[2] (لأمر ما جدع أنفه قصير). يطلق هذا المثل على من استعمل حيلة للوصول إلى غرضه. وهذا القول للزباء ملكة تدمر؛ وذلك بعد أن احتال عليها وزير عدوها قصير بن سعد القضاعي؛ وأوهمها بأنه لجأ إليها بعد أن مثل به عدوها وجدع أنفه وضربه. فخدعها واحتال حتى أدخل في قلعتها جنداً قتلوها.

[3] هذه الكلمة سقطت في المخطوطين.

[4] هو الصحابي أبو بصير عتبة بن أسيد بن جارية الثقفي؛ حليف بني زهرة. هاجر إلى المدينة بعد صلح الحديبية؛ الذي يلزم الطرفين برد اللاجئين إلى أهلهما. فطلبت قريش برد أبي بصير؛ فاحترم رسول الله صلى الله عليه وسلم العهد، وأمر أبا بصير بالعودة إلى مكة مع طالبيه. ولكنه استطاع ـ في طريق العودة ـ من التحرر؛ بعد أن قتل أحد المرافقين له. ووصل به الحال في النهاية إلى تكوين جماعة من أمثاله؛ فشن حرب مقاومة ضد قريش وقطع الطريق أمام قوافلها؛ الأمر الذي ألزم قريشاً إلى التنازل عن شرطها في المعاهدة؛ وطلبت من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلحق أبا بصير وجماعته به في المدينة.

[5] هو كسرى الأول أو (خُسرو الأول Khosrau (531 - 579)؛ معروف أيضاً باسم أنوشيروان العادل؛ أي الروح الخالدة؛ كان ملكاً ساسانياً؛ واسمه بالكامل: كسرى أنوشروان بن قباذ بن يزدجرد بن بهرام جور.

اليزيدية[1] من **بني مروان**؛ ويزعم أني أبطلت سحره[2]، كما أبطل سحر بردوران[3]، ويخفي في نفسه ما الله مبديه[4]، ويستجدي

---

[1] **في نفح الطيب: ((الزيدية)). والصحيح ما جاء أعلاه؛ لأن الزيدية: هي فرقة منحرفة ظهرت في سنة 132هـ/749م. أي بعد سقوط دولة بني أمية مباشرة. اتصفت في بداية الأمر على أنها حركة سياسية؛ تهدف إلى إعادة مجد بني أمية؛ ولكنها انحرفت في النهاية؛ فغدت فرقة مذهبية؛ تقدس يزيد ابن معاوية، وإبليس اللّعين؛ الذي يطلقون عليه اسم (طاووس ملك) وعزازيل.**

[2] **في النفح: ((سحره ببئر ذروان)).**

[3] **يبدو أن خطأ ـ هنا ـ وقع فيه الناسخ؛ لأن الصحيح ليس ((بردوران)) كما كتب؛ بل الصحيح هو ـ كما جاء في النفح -: ((بئر ذروان)). وهذا البئر هو الذي استعمل في سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم. فدفنه عليه السلام بعد أن أبطل السحر؛ بالدعاء إلى الله. وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: سَحَرَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رَجُلٌ من بني زُرَيق؛ يقال له لبيد بن الأعصم؛ حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله؛ حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندي، لكنه دعا ودعا، ثم قال: ((يا عائشة؛ أشَعَرْتِ أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه؛ أتاني رجلان؛ فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي؛ فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ فقال: مطبوب؛ قال: من طبَّه؟ قال: لبيد بن الأعصم؛ قال: في أي شيء؟ قال: في مُشط ومُشاطة، [المُشاطة ما يخرج من شعر إذا مشط] : وجُفِّ طَلْع نخلة ذكَر؛ قال: وأين هو؟ قال: في بئر ذَرْوان)). فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس من أصحابه؛ فجاء فقال: ((يا عائشة، كأن ماءها نُقاعة الحِنَّاء، أو كأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين)). قلت: يا رسول الله: أفلا استخرجته؟ قال: ((قد عافاني الله؛ فكرهت أن أثوِّرَ على الناس فيه شراً)). فأمر بها؛ فدُفِنَت.**

[4] **إشارة إلى قوله تعالى في الآية الكريمة: [وَإِذْ تَقُولُ لِلّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمّا قَضَى زَيْدٌ وَطَراً زَوّجْنَاكَهَا لِكَيْ**

بالأثـــــر[1] مـا عنــد مستجديه. فمـن أيـن جاءت هـذه الطريقـة المتبعـة، والطريفـة[2] المبتدعـة، أيظـن أن مَعَمَّاه لا يفـك[3]؛ وأنـه لا يتجلى[4] هـذا الشـك. هـل هـذا[5] منـه إلاّ إمحـاض التيـة، وإحمـاض تَفْنِيَـة[6]، ونشـوة مـن خمـرة[7] الهـزل، ونخـوة مـن ذي ولايـة آمـن العـزل.

تالله لـولا محله مـن القسـم، وفضلـه في تعليـم النسـم، لأسمعتـه[8] ما ينقطع بـه صلفـه، وأودعتـه مـا ينصــدع بـه صدفــه، وأشــدت[9] بشرف المشرقي ومجده[10]، وأشرت إلى تعاليه عن اللعب بجده. ولكن هـو القلـم الأول، فقولـه على أحسـن الوجـوه يتأول[11]، ومعـدود في

لاَ يَكُونَ عَلَى المُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً). سورة الأحزاب؛ الآيـة: 37.

[1] في الإسكوريـال: ((بـالأسـد)).

[2] في نفـح الطيـب: ((والشريعـة)).

[3] نفسـه: ((لا ينفـك)).

[4] نفسـه: ((لا ينجلـي)).

[5] في الإسكوريـال، ونفـح الطيـب: ((ذلـك)).

[6] جعلهـا د. طويـل: ((تَفَنُّيـه)).

[7] في النفـح: ((خمـر)).

[8] نفسـه: ((لأسلمتـه)).

[9] نفسـه: ((وأشـرت)).

[10] نفسـه: ((المشـرفي وحـده)).

[11] في المخطوطيـن: ((يتأمـل))؛ وصوبـت مـن الإسكوريـال.

تهذيبه، كل ما لسانه يهذي به: ﴿ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ ﴾[1]؛ أياديه أن أذكرها[2]، وإنما أقول[3]: ((ليت التحية كانت لي فأشكرها)).[4] ولا عتب إلاّ على الحاء[5]، الحاء[5]، المبرحة بالبرحاء، فهي التي قيمت[6] قيامتي في الأندية، وقامت عليّ قيام المعتدية[7]، يتظلم وهو عين الظالم، ويلين القول، وتحته سمّ الأراقم[8]، ولعمر البراعة وما نصعت[9]، واليراعة وما صنعت، ما خامرني هواها؛ ولا كلفت بها دون سواها[10].

---

[1] في الإسكوريال، ونفح الطيب: ((أنساني)). وقد أشار هنا إلى قوله تعلى: [قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ عَجَباً) سورة الكهف؛ الآية: 63.

[2] في المخطوطين: ((أذكره))؛ فصوبت من الإسكوريال.

[3] البحر البسيط. وهذا الشطر هو صدر بيت لقصيدة قالها كثير عزة. وعجزه هو: ((مكان يا حمل حييت يا رجل)).

[4] هذا صدر لبيت قاله كثير بن عبد الرحمن الخزاعي؛ صاحب عزة بنت جميل بن حفص؛ جاء فيه:

ليت التحية كانت لي فأشكرها * مكان يا جمل حييت يا رجل

[5] إشارة إلى كتاب ولاية العهد الذي كتبه عن ابن هود؛ والذي سجعه بالحاء المهملة؛ كما سبق ذكره.

[6] في النفح: ((أقامت)).

[7] نفسه: ((المتعدية)).

[8] الأراقم؛ مفردها: أرقم: هو من أخبث الحيات وأخطرها.

[9] في النفح: ((ولعمر اليراعة وما رضعت)).

[10] يقصد ((الحاء)).

ولقد عرضت نفسها عليّ مراراً، فأعرضت عنها ازوراراً، ودفعتها عني بكل وجه: تارة بلطف، وأخرى بنَجْه[1]؛ وخفت منها السآمة، وقُلْتُ أنكحي **أسامة**[2]؛ فرضيت منها[3] **بأبي جهم**[4] وسوء سَلْكَته[5]، **وابن أبي سفيان** وصعلكته[6]، وكانت أسرع من أم **خارجة** للخطبة[7]، للخطبة[7]، وأسمج من **سجاح**[8] في استنجاح تلك الخطبة.

---

[1] النَّجْه: الرّد القبيح.

[2] يشير هنا إلى الصحابي أسامة ابن زيد.

[3] في النفح: ((مني)).

[4] هو أبو جهم بن حذيفة بن غانم؛ من بني عدي. أسلم عندما فتحت مكة. اشتهر بالغلظة والشدة.

[5] أي سلوكه. وفي النفح كتب: ((ملكته)).

[6] يشير بهذه العبارة إلى حديث فاطمة بنت قيس؛ (أخت الضحاك بن قيس قيس بن خالد الأكبر)؛ حيث قالت: ((أن معاوية وأبا جهم خطباني...))؛ وأن رسول الله قال لها: ((أما معاوية فصعلوك لا مال له، وأما أبو جهم؛ فلا يضع عصاه عن عنقه؛ (أي يضرب النساء)؛ ولكن أنكحي أسامة بن زيد))؛ فنكحته؛ فقالت: لقد اغتبطت بنكاحي إياه. (طبقات ابن سعد؛ مج: 8، ص: 273.

[7] أم خارجة هي: عمرة بنت سعد بن عبد الله بن قداد بن ثعلبة البجلي؛ وتعتبر من أشرف النساء في الجاهلية. يضرب بها المثل في سرعة الزواج. فكانت تشترط في خاطبها؛ أن يكون الأمر بيدها؛ إن شاءت بقيت على ذمته، أو تخلت عنه. ويقال أنها تزوجت نيفاً وأربعين زوجاً. وأصبح نسلها يشكل قبائل عديدة.

[8] في النفح: ((وأسمح من سجاح)). وسجاح هي: سجاح بنت الحارث بن سويد التميمي المتنبئة التي اشتركت مع مسيلمة الكذاب في إعلان الردة، وقتال المسلمين؛ ثم تزوجت مسيلمة. وكانت سجاح مشهورة بالكذب حتى ضربوا المثل بها فقالوا: ((فلان أكذب من سجاح)).

ولقد كنت أخاف من انتقال الطباع في [عترتها][1]، واستثقال الاجتماع من [عشرتها][2]، وأرى من الغبن والسفاه[3] [أخذها، وترك بنات الأفواه والشفاه][4] إذ هي أيسر مؤنة، وأكثر[5] معونة. فغلطي[6] فيها، أن كانت بمنزل بمنزل تتوارى صوناً عن الشمس، ومن نسوة خفرات لا ينطقن إلا بالهمس، ووجدتها أطوع من البنان للكف، والعنان للوكف[7]، والمعنى للاسم، والمغنى للرسم، والظل والظل للشخص، والمستبدل[8] للنص، فما عرفت منها إلا خبرا[9] أرضاه [حتى حسبتها][10] من الحافظات للغيب بما حفظ الله. فعجبت لها الآن كيف زلت نعلها، ونشزت فنشرت ما استكتمها بعلها، واضطربت [في

[1] في نفح الطيب: عشرتها)).
[2] رتبت هاتان الكلمتان هكذا في المخطوطين؛ بينما وردتا في الإسكوريال، الإسكوريال، والنفح هكذا: ((عشرتها..... عترتها)).
[3] في الزيتونة: ((والسافة))؛ وفي الإسكوريال: ((السفه)).
[4] ما بين الحاصرتين ساقط في المخطوطين. ويقصد ببناة الأفواه والشفاه: الحروف التي تخرج من بين الشفاه؛ كالميم، والباء... وهي تختلف عن مخرج الحاء.
[5] في النفح: ((وأكبر)).
[6] نفسه: ((فغلطني)).
[7] نفسه: ((للكفّ)).
[8] نفسه: ((والمستدل)).
[9] وردت في ج، الزيتونة والإسكوريال والنفح: ((خيراً)).
[10] في الإسكوريال، وج: وحسبتها)).

رأيها][1] اضطراب **المختار أبي عبيد**[2]، وضربت وضربت في الأرض تسعى علىّ بكل مكر وكيد، وزعمت أن حرف[3] الجيم خدعها، والآن[4] أخدعها، وأخبرها أن سيبلغ بخبرها الخابور[5]، وأحضرها لصاحبها كما أُحْضِرَ بين يدي **قيصر سابور**[6]، فقد جاءت إفكاً وزوراً، وكثرت من أمرها شزوراً[7]، وكانت كالقوْس أرَنَّتْ وقد أصْمَت القنيص والمراودة[8]، قالت: ﴿يَا

---

[1] سقطت هذه العبارة في الإسكوريال.
[2] سقطت في الإحاطة كلمة ((بن))؛ وقد صوبها د. طويل؛ لأن المقصود هو المختار بن أبي عبيد الثقفي؛ الذي انتفض ضد الأمويين سنة 65هـ/684م. مطالباً بدم الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما.
[3] في النفح: ((أن الجيم)).
[4] نفسه: ((ألان)).
[5] الخابور: هو أحد روافد نهر الفرات. ويرمي بقوله هذا: أنه سيصل خبرها مكاناً قصياً مثل خابور الفرات.
[6] يُدْعَى: سابور ذو الأكتاف. وذكر الأخباريون أنه تنكر، وذهب إلى بلاد الروم متجسساً؛ فوقع أسيراً بين يدي القيصر.
[7] في النفح: ((منزوراً)).
[8] تلميح إلى امرأة العزيز؛ في قوله تعالى: (وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ). سورة يوسف؛ الآية: 23.

جَزَاءُ)[1]، وهي التي قدت القميص، وربما يظن بها الصدق، وظن الغيب ترجيم.

ويقال [لقد خفضت الحاء، بالمجاورة لهذا الأمر الجسيم][2]، وتنتصر لها أختها[3] التي خيمت بين النرجسة والريحانة، وختمت السورة باسم جعلت ثانيه أكرم [نبي على الله سبحانه][4]، فإن امتعضت لهذه المتظلمة[5]، تلك التي سبقت بكلمتها بشارة المتكلمة[6]، فأنا ألوذ بعدلها، وأعوذ بفضلها، وأسألها أن تقضي قضاء مثلها، وتعمل بمقتضى: ﴿فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا﴾[7]. على أن هذه التي قد أبدت مينها[8]، ونسيت الفضل بيني

---

[1] الآية كاملة هكذا: [وَاسْتَبَقَا البَابَ وَقَدّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيّدَهَا لَدَا البَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً إلاّ أنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ). سورة يوسف؛ الآية: 25.

[2] وردت هذه العبارة في الزيتونة: ((لقد حفظت الحوار بالحوار))؛ وفي الإسكويال، ونفح الطيب: ((لقد خفضت بالجوار هذا الجيم)).

[3] سقطت هذه الكلمة في ج، وفي نفح الطيب.

[4] ما بين الحاصرتين سقط في الزيتونة والإسكوريال.

[5] في النفح: ((التكملة)).

[6] نفسه: ((الكلمة)).

[7] الآية كاملة هكذا: [وَإنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنَهُمَا فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا إنْ يُرِيدَا إِصْلاَحاً يُوَفّقِ اللّهُ بَيْنَهُمَا إنّ اللّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً). سورة النساء؛ الآية: 35.

[8] أي كذبها.

وبينها، أن قال الحكمان منها كان النشوز، عادت **حرورية**[1] العجوز، وقالت التحكم[2] في دين الله لا يجوز، يجوز، فعند ذلك يحصحص الحق[3]، ويعلم من الأولى بالحكم والأحق، ويصيبها ما أصاب **أروَى**، من دعوة سعيدة[4] حين الدعوى، ويا ويحها أن[5] أرادت [أن تجني علي فجنت لي، وأناخت][6] لي مركب[7] السعادة، وما ابتغت إلا ختلي، فأتى شرها بالخير، وجاء النفع من طريق ذلك الضير.

---

[1] الحرورية: نسبة إلى حروراء القريبة من الكوفة. وأصحابها فرقة من الخوارج الذين رفضوا التحكيم، وخرجوا عن صف علي بن أبي طالب؛ رافعين شعار (أن لا حكم إلا لله).

[2] في النفح: ((التحكيم)).

[3] أي يظهر الحق وينجلي.

[4] الصحيح هو ((سعيد)) وليس ((سعيدة))؛ وهذا خطأ من الناسخ؛ لأن المقصود هي قصة الصحابي سعيد بن زيد بن عمرو (وهو من العشرة المبشرين بالجنة)؛ مع أروى بنت أويس؛ التي ادعت عليه؛ أنه أخذ شيئاً من أرضها؛ فاشتكت إلى مروان بن الحكم؛ فقال سعيد: أنا كنت آخذ من أرضها شيئاً بعد الذي سمعتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: وما سمعتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: مَنْ أَخَذَ شبرًا مِنَ الأَرْض ظُلْماً طُوِّقَهُ إلى سَبْع أرَضِينَ. فقال له مروان: لا أسألك بيّنة بعد هذا؛ فقال: اللهم إن كانت كاذبة فأعم بصرها، واقتلها في أرضها. قال: فما ماتت حتى ذهب بصرها. ثم بينا هي تمشي في أرضها؛ إذ وقعت في حفرة فماتت.

[5] سقطت كلمة: ((أن)) في النفح.

[6] ما بين الحاصرتين ساقط في الزيتونة:

[7] كتبت في الزيتونة: ((موكب)).

أتراها علمت بما يثيره اعوجاجها، وينجلي عنه عجاجها. فقد أفادت عظيم الفوايد، ونظيم الفرايد، ونفس الفخر، ونفيس الذخر[1]، وهي لا تنكر[2] أن كانت من الأسباب، ولا تذكر إلا يوم الملاحاة والسباب. وإنما يستوجب الشكر جسيماً، والثناء الذي يتضوع نسيماً، الذي شرف إذ أهدى أشرف السِّحاءات[3]، وعرف بما كان من انتحاء تلك الحاء المذمومة في الحاءات، فإنه وإن ألم بالفكاهة، فما أملى[4] من البداهة، وسَمّى باسم السابق السُّكَيْت، وكان من أمر مداعبته كَيْت وكَيْت، [وتلاعب بالصفات][5]، تلاعب السيل[6] بالصفاة، والصَّبا بالبانة، والصِّبا بالعاشق ذي اللُّبانة، فقد أغرب بفنونه، وأغرى القلوب[7] بفتونه، ونفث بجفنه[8]

---

[1] كتبت في ج، والنفح: ((الدر)).
[2] في الإسكوريال، والنفح: ((تشكر)).
[3] في الإسكوريال، والنفح: ((السجلات)).
[4] نفسهما: ((بما أملّ)).
[5] في الزيتونة: ((وتلاعبت الصفات)). وفي النفح: ((في الصّفات تلاعب الصّفاح والصَّبا بالبانة)).
[6] وردت في الإسكوريال؛ بينما سقطت في المخطوطين.
[7] في المخطوطين: ((القلب)).
[8] في المخطوطين، ونفح الطيب: ((بخفية)).

الأطراف، وعبث من الكلام المشقق الأطراف[1]، وعلم كيف يلخص[2] البيان، ويخلص العقيان.

فمن الحق أن أشكره على أياديه البيض، وأن آخذ لفظه[3] من معناه في طرف النقيض. تالله أيها الإمام الأكبر، والغمام المستمطر، والخبر[4] الذي يُشفي سايله، والبحر الذي لا يُرى ساحله؛ ما أنا المراد بهذا المسلك، ومن أين حصل النور[5] لهذا الحلك؟ وصح أن يقاس، بين بين الحداد والملك؟ إنه لتواضع الأعِزَّة. [وما يكون للأكارم[6] عند المكارم من العِزَّة][7]، وتحريض الشيخ للتلميذ؛ في[8] إجازة الوضوء بالنَّبيذ. ولو حضر الذي قضي له بجانب الغربي أمر البلاغة، وارتضى ماله في هذه الصناعة، من حسن السبك لحليتها والصياغة، وأطاعته فيما أطلعته طاعة القوافي الحسان، وأتبعته فيما جمعته

---

[1] في النفح: بالأطراف)).
[2] نفسه: ((يمحض)).
[3] نفسه: ((وإن أخذ لفظه..))
[4] في النفح: ((والحبر)).
[5] نفسه: ((من أين حصل ذلك النور)).
[6] نفسه: ((عند الكرام من الهزة)).
[7] في ج: وما يكون عند الكرام من الهزة)).
[8] في النفح: ((وترخيص في...)).

لكن بغير إحسان لأذعن كما أذعنت، وظعن عن محل دعوى[1] الإجادة، كما ظعنت. وأنَّى يضاهي الفرات المعين[2]
المعين[2] بالنُّغْبَة[3]، ويباهي بالفلوس من أوتى من الكنوز: ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ﴾[4]، وأي حظ للكلالة في النَّشَب[5]، وقد اتصل للورثة عمود النسب؟ هيهات والله بعد[6] المطلب، وشتان الدُّرّ والخشلب[7]، وقد سيم الغلب،
الغلب، ورجع إلى قيادة السلب؛ وإن كنا ممن تقدم لشدة الظمأ إلى المنهل، وكمن أقدم إلى **عين تبوك**[8]؛ بعد النهي

---

[1] وردت في الإسكوريال وساقطة في المخطوطين والنفح.
[2] ساقطة في ج.
[3] أي: جرعة من الماء.
[4] الآية كاملة هكذا: [إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنْ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لاَ تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْفَرِحِينَ]. سورة القصص؛ الآية: 76.
[5] في النفح: ((بالنشب)). والنشب: هو العقار، والمال الأصيل من الصامت والناطق.
والناطق.
[6] سقطت في الإسكوريال، و ج، ونفح الطيب.
[7] هكذا. وفي النفح: ((المخشلب)). ولعله خشب، أو خشل: أي الرديء من الأشياء.
الأشياء.
[8] يشير إلى الحديث الشريف الخاص بعين تبوك؛ إذ روى مسلم عن معاذ ابن جبل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنكم ستأتون غداً إن شاء الله عين تبوك، وإنكم لن تأتوها حتى يضحى ضحى النهار؛ فمن جاءها؛ فلا يمس من مائها شيئاً حتى آتى)). قال: فجئناها وقد سبق إليها رجلان؛ والعين مثل الشراك؛ تبض بشئ (كناية عن قلتها) فسألهما رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((هل مسستما من مائها شيئاً؟)). قالا: نعم: فسبهما؛ وقال لهما: ما شاء الله أن يقول. ثم غرفوا من العين قليلا

النهي للعل والنهل. فقد ظهرت بذلك[1] المعجزة عياناً، وملئ ما هناك[2] جناناً، وما تعرضنا بإساءة الأدب واللَّوم؛ ولكن علمنا أن آخر الشراب[3] ساقي القوم، وإن أسْهَبْنَا فيما نلنا رتبة ذلك الإيجاز، وإن أعرقنا فهوانا في الحجاز، فلكم قصيرات الحجال، ولنا قصيرات الخطا في هذا المجال، وإكثارنا في قلة، وجارنا من الفقر في فقر[4] وذلة.

ومن لنا بواحدة يشرق ضياؤها، ويُخفي النجوم خجلها منها وحياؤها؟ إن لم تطل فلأنها للفروع كالأصل، وفي الجموع[5] كليلة الوصل. فلو سطع[6] نورها الزاهر، ونورها الذي تطيب منه الأنوار الأزاهر؛ لسجدت النيران **ليوسف** ذلك الجمال، ووجدت نفحات رياها في

قليلا حتى اجتمع في شئ. ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه ويديه ثم أعاده فيها فجرت العين بماء كثير؛ فاستقى الناس ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يا معاذ يوشك إن طالت بك حياة أن ترى ما ها هنا قد ملئ جنانا)). وتعتبر الآن تبوك من أهم مدن المملكة العربية السعودية؛ وتتمز ببساتينها ومزارعها؛ وتقع في الشمال الغربي من المدينة المنورة، وتبعد عنها بـ 700 كلم تقريبا.

[1] في النفح ((بعد ذلك)).

[2] نفسه: ((وملأ ما هنالك)).

[3] في النفح: ((الشَّرْب)).

[4] سقطت هذه الكلمة في المخطوطين.

[5] في النفح: ((المجموع)).

[6] في الإسكوريال: ((قطع)).

أعاطاف الجنوب والشمال، وأسرعت نحوها النفوس إسراع الحجيج يوم النفر، وسار خبرها[1] وسَرَى، فصار حديث المقيمين والسفر.

وما أظن[2] تلك الساخرة [في تدليها، إلا السارحة بتجنيها، إذ كانت ربيبتها، بل ربئتها، هذه][3] التي سبقتني لما سقتني بسينها[4]، ووجدت ريحها، لما فصلت من مصرها مصرها غيرها[5]؛ وحين وصلت، لم يدلني على سابقها[6] إلا عبيرها، وكم رامت أن تستتر عني بليل حَبَرها في هذه المغاني؛ فأغراني بهاؤها[7]، وكل مُغْرَمٍ مُغْرى ببياض صبح صبح الألفاظ والمعاني. وهل كان ينفعها تلفحها بمرطها وتلفعها؟ إذ نادتها المودة، فقد عرفناك يا سودة. فأقبلت على شم نشرها، وعرفها، ولثم سطرها وحرفها،

---

[1] في الزيتونة: ((حديثها)).
[2] في النفح: ((وما ضر تلك)).
[3] العبارة المحصورة بين حاصرتين وردت في نفح الطيب هكذا: ((في تجليها، الساحرة بتجنيها؛ أن كانت بمنزلة ربيبتها بل تربها؛ هذه...)).
[4] في النفح: ((بسيبها)).
[5] نفسه: ((من مصر عيرها)).
[6] في ج، والنفح: ((ساريها)).
[7] ساقطة في الزيتونة.

وقَرَيْتُها[1] الثناء الحافل، وقرأتُها؛ فَزُيِّنَت بها المحاضر والمحافل[2]؛ ورمت أمر الجواب، فَغَرَّتْني[3] في الخطاب. لكن لكن رسمت هذه الرقعة التي هي لديكم بعجزي واشية، وإليكم مني على استحياء ماشية، وإن رق وجهها فما رقت لها حاشية، فمنوا بقبولها على علاتها[4]، وانقعوا بماء بماء سماحتكم حَرَّ غللها، فإنها وافدة من استقر قلبه عندكم وثوى، وأقر بأنه يلقط في هذه الصناعة ما يُلقى للمساكين من النَّوَى. بقيتم؛ سيدي الأعلى[5] للفضل والإغضاء، ودمتم غرة في جبين السمحة البيضاء، واقتضيتم السعادة المتصلة مدة الاقتضاء، بيمن الله سبحانه. انتهى.

ومحاسنه عديدة، وآماده بعيدة.

---

[1] في المخطوطين: ((وزودتها)).
[2] في النفح: ((فزينت بها المحافل)).
[3] نفسه: ((فعزتني)).
[4] في المخطوطين، والنفح: ((عللها)).
[5] سقطت كلمة ((الأعلى)) في النفح.

دخوله غرناطة

دخلها مع **المتوكل** مخدومه، أو وجده بها.

من روى عنه

روى عن **أبي الحسن سهل بن مالك**.

وفاته

قال الأستاذ في **الصلة**[1]: انتقل إلى **بجاية** فتوفي بها؛ في عشر [الخمسين][2] وستمائة[3].

***

[1] هو (صلة الصلة) لأحمد بن الزبير.
[2] هذه الإضافة من الإسكوريال.
[3] الموافق لـ 1252م.

محمد بن محمد

ابن أحمد بن شلبطور الهاشمي[1]؛ من أهل ألمرية؛
يكنى أبا عبد الله؛ من وجوه بلده وأعيانه.

نشأ نبيه البيت، ساحباً بنفسه وبماله ذيل الحظوة، متحلياً بخصل من خط وأدب. وزيراً، متجنداً، ظريفاً، درباً على ركوب البحر وقيادة الأساطيل. ثم انحط في هواه انحطاطاً، أضاع مروءته، واستهلك عقاره، وهدّ بيته، وألجأه أخيراً إلى اللحاق **بالعدوة**؛ فهلك بها.

وجرى ذكره في **الإكليل** بما نصه: مجموع شعر وخط، وذكاء عن درجة الظرفاء، غير منحط إلى مجادة أثيلة البيت، شهيرة الحي والميت. نشأ في حجر الترف والنعمة، محفوفاً بالمالية الجمة، فلما غفل[2] عن ذاته، وترعرع بين لداته، أجرى خيول لذاته، فلم يَدَعْ منها ربعاً إلا أقفره، ولا عقاراً إلا عقره، حتى حط بساحلها،

---

[1] هذه الترجمة وردت في الإسكوريال. كما ووردت ترجمة محمد بن شلبطور أيضاً في نفح الطيب؛ غير أنه سمي فيه ((سلبطور))؛ بالسين المهملة. أما لقب ((شلبطور)) فمرجعه الأصلي - كما يبدو - إسباني؛ **Salvador**؛ وعليه يكون هذا الشاعر من المولدين الأسبان الداخلين في الإسلام.

[2] في النفح: ((عقل)).

واستولى بسعر[1] الإنفاق على جميع مراحلها، إلا أنه خلص بنفس طيبة، وسراوة سماؤها صيبة، وتمتع ما شاء من زيرٍ وبَمٍّ، وتأنس لا يعطي القياد لهم. وفي عفو الله سعة، وليس مع التوكل على الله ضعة.

شعره

من شعره [قوله][2] يمدح السلطان، وأنشدها إياه بالمضارب من **وادي الغيران** عند قدومه من **ألمرية**[3]:

أثغـــرك أم سمـــط من الـــدر ينظـــم
وريقـــك أم مســـك به الراح تختـــم

ووجهـــك أم بـــاد من الصبـــح نيـــر
وفرعـــك أم داج من الليـــل مظلـــم

أعلـــل منك النفـــس والوجـــد متلفي[4]
وهل ينفـــع التعليـــل والخطب أعظم[5]

---

[1] في النفـح: ((بسفـر)).
[2] هـذه الإضافـة مـن نفـح الطيـب.
[3] البحـر الطويـل.
[4] ورد هـذا الشطر في النفح هكـذا: ((أعلـل منـك الوجـد والليـل ملتـقى)).
[5] في النفـح: ((مؤلـم)).

وأقنــع من طيــف الخيــال يزورني[1]

لــو أن جفــوني بــالمنــام تنعــم

حملــت الهــوى حينــاً فلما علمتــه

سلــوت لأنــي بالمكــارم مغــرم

ولــي في أميــر المسلميــن محبــة

فــؤادي مشغــوف بهــا ومتيــم

بلغــت المنى لمــا لثمــت يمينــه

فهــا أنــذا في جنــة الخلــد أنعــم

يصوغ قومي الشعر في طيب ذكــره

ويحســن فيــه النظم من ليس ينظــم

فاستمسك الديــن الحنيــف زمانــه

وقــام منــار الحق والشرك مغــرم

لــه نظــر في المشكــلات مؤيــد

واللــه مُهْــدٍ إلــى الــرشــد ملهــم

ويستغــرق طارحاً فيه وابل جــوده

فمــن فعلــه فــي جــوده يُتَعلــم

---

[1] **في النفح: ((بزورة)).**

فلـــو أن أملاك البسيطـــة أنصفـــوا

لألقوا إليـــه الأمـــر طوعـــاً وسلـــم[1]

وفي الدين والدنيا وفي البأس والندى

لكـــم يا بـــني نصـــر مقـــام معظـــم

ومنهـا :

إليـــك أميـــر المسلميـــن اقتضيتهـــا

حمايـــل شكـــر طيرهـــا متـــرنـــم

تنـــم بعـــرف المســـك أنفاسهـــــا

إذا يفوه لراوٍ في النـــدى بهـــا فـــم

فباسمك سيرت في المسامع ذكرهـــا

ويغـــزى في أقصى البـــلاد ويشمـــم

ولو أنني في المدح سحبـــان وائـــل

وأنجـــدني فيـــه حبيـــب ومسلـــم

لما كنـــت إلا عن عـــلاك مقصـــر

ومن بعض ما نشدت وتولي وتنعـــم

بقيـــت مـــلاذاً للأنـــام ورحمـــــة

وساعـــدك الإسعـــاد حيـــث يتمـــم

---

[1] جعلها د. طويل: ((وسلموا)).

ومن شعره مذيلاً على البيت الأخير حسبما نسب إليه[1]:

نامــت جفونـــك يا سُؤْلي ولم أنـــم

ما ذاك إلا لفــرط الوجــد والألـــم[2]

أشكو إلى اللـــه ما بي من محبتكـــم

فهـــو العليـــم بمـــا نلقى من السقـــم[3]

(إن كـــان سفك دمي أقــصى مرادكم

فما غلــت نظرة منكــم بسفــك دم)[4]

ومما نسب إليه كذلك[5]:

قـــف بي ونادِ بيـــن تلـــك الطلـــول

أيـــن الأُلَـــى كانـــوا عليهـــا نـــزول

أيـــن لياليـنـــــا بهـــــم والمُـــــنَى

نَجْنيـــه غضـــاً بالرضـــا والقبـــول

---

[1] البحر البسيط.
[2] في النفح: ((والسقم)).
[3] في النفح: ((بما القىمن الألم)).
[4] هذا البيت الأخير للحلاج. وهو من قصيدة جاء فيها:
إن الحبيب الذي يرضيه سفك دمي * دمي حلال لـه في الحل والحرم
إن كان سفك دمي أقصى مرادكم * فلا عدت نظرة منكم بسفـك دمي
والله لو علمت روحي بمن علقت * قامت على رأسها فضلا عن القدم
[5] البحر السريع.

لا حملــوا بعــض الــذي حملــوا

يــوم تولــت بالقبـــاب الحُمــول

إن غبتــم يــا أهــل نجـــد فــفي

قلــبيَ أنتــم وضلــوعي حلــول

ومما خاطبني به[1]:

تاللـــه ما أورى زنـــاد القلــــق

ســـوى ريح[2] لاح لي بالأبــرق[3]

أيقنــت بالحَيْــنِ فلــولا نفحــة

نجديـــة منكــم تلافــت رمــق[4]

لكنــت أقــضي بتلــظي زفــرة

وحســـرة بيـــن الدمـــوع تلتـــق[5]

فآه من هول النـــوى وما جَــنِيَ

على القلــوب موقــف التفــرق

---

[1] الرجز.

[2] في النفح: ((بريق)).

[3] الأبرق: اسم مكان.

[4] في النفح: ((رمقي)).

[5] نفسه: ((بين الضلوع تلتقي)).

يا حـــاكي الغصن انثـــنى متوجا

بالبـــدر تحـــت لمة من غســـق

اللـــه في نفـــس مُعَنَّى أقصـــدت

من لاعـــج الشـــوق بما لم تطق

أتى على أكثرها بـــرح[1] الأســـى

دع ما مضى منها وأدرك ما بق[2]

ولو بإلمـــام خيـــال فـــي الكرى

إن ساعد الجفـــن رقيـــب الأرق

فـــرب زور مـــن خيـــال زائـــر

أقـــر عيـــني وإن لـــم يصـــدق

شفيت[3] من برح الأسى لو أن من

أصبـــح رقي في يديـــه معتـــق[4]

ففـــي معانـــاة الليالـــي عائـــق

عن التصـــابي وفنـــون القلـــق

---

[1] أي من شدة الأسى.

[2] في النفح: ((ما بقي)).

[3] في النفح: ((شقيت)).

[4] نفسه: ((معتقي)).

وفي ضمان ما يعاني المرء مـــن

نوايب الدهــر مشيـــب المفــرق

هذا لعمري مـــع أنـــي لم أبــت

منها بشكـــوى روعة أو فَــرَق[1]

فقد أخذت من خطوب غدرهــا[2]

بابن الخطيـــب الأمن مما أتــق[3]

فخـــر الوزارة الـــذي ما مثلـــه

بدر علا في مغرب أو مشـــرق

ومـــذ أرانيـــه زمانـــي لم أُبَــلْ[4]

من صرفه من مُرْعد[5] أو مبـــرق

لا سيمـــا مـــذ[6] حططت في حمى

جـــواره[7] الأمنـــع رحـــل أينـــق[8]

---

[1] الفَرَق؛ بالفتح: الخوف.
[2] في الإسكوريال: ((دهرها)).
[3] في النفح: ((مما أتقي)).
[4] يقصد: لم أبالِ. أي لم أكترث.
[5] في النفح: ((بمُرْعِدٍ)).
[6] نفسه: ((منذ))؛ وهذا أسلم.
[7] نفسه: ((مقامه)).
[8] نفسه: ((أينقي)).

أيقنت أني في رجائي[1] لم أخـــب

وأن مسعى بغيــتي لـــم يخفـــق

نـــدب له في كـــل حســـن آيـــة

تناسبـــت في الخلـــق أو الخلـــق[2]

في وجهـــه مسحة بشر إن بـــدت

تبهرجت أنـــوار شمـــس الأفـــق

تعتبـــر الأبصـــار فـــي لألأتهـــا[3]

عليه من نور السماح المشـــرق

كالدهـــر في استينائـــه وبطشـــه

كالسيف في حد الظبا والرونـــق

إن بخـــل الغيـــث استهلت يـــده[4]

بوابـــل من غيث جـــود غـــدق

وإن وشت صفحة طرس انجـــلى

ليـــل دجاها عن ســـنى مؤتلـــق

---

[1] في الإسكوريـال: ((رجـا)).

[2] في النفـح: ((تناسبـت في الخلـق أو في الخلـق)).

[3] نفسـه: ((لألئهـا)).

[4] أي كثـر إغداق يـده.

بمثلهـــا مـــن حبـــرات أخجلـــت

حواشي الروض خدود المهـــرق

ما راق في الآذان أشناف ســـوى

ملتقطـــــات لفظـــه المفتـــرق

تـــود أجياد الغـــواني أن يـــرى

حليهـــا مـــن در ذاك المنطـــق

فســـل به هل آده[1] الأمـــر الـــذي

حمل في شرخ الشباب المونـــق

إذا رأى الـــرأي فـــلا يخطئـــه

يمـــن اختيـــار للطريق الأوفـــق

أيـــه أبـــا عبـــد الإله هاكهـــا

عذراء تحثـــو في وجوه السبـــق

---

[1] **أي هل ثقل عليه الأمر.**

خذها إليك بكـــر فكـــر يـــزدري

لديك بالأعـــشى لـــدى المحلـــق[1]

لا زلت مرهوب الجناب مرتـــجى

موصـــول عز في سعود ترتـــق[2]

مبلـــغ الآمـــال فيمـــا تبتـــغي

مؤمـــن الأغـــراض فيما تتـــقي[3]

---

[1] يشير هنا إلى حكاية الأعشى ميمون بن قيس مع المحلق الكلابي؛ (واسمه بالكامل عبد العزى بن حنتم بن شداد). وكان فقيراً، وله بنات كثيرات؛ لم تتوج واحدة منهن. فأكرم الأعشى ونحر له الناقة الوحيدة التي يملكها؛ فمدحه الأعشى في سوق عكاظ؛ في قصيدة منها:

لعمري لقد لاحت عيونٌ كثيرةٌ   إلى ضوء نار باليفاع تحرق

تشب لمقرورين يصطليانها   وبات على النار الندى والمحلق

رضيعي لبان ثدي أمٍ تحالفا   بأسحم داجٍ عوض لا نتفرق

فلم يمر العام حتى تقاطر عليه الخطاب، وتزوجت كل بناته.

[2] في النفح: ((ترتقي)).

[3] نفسه: ((مما تتقي)).

ناب في القيادة البحرية عن خاله القايد **أبي علي الزُّنداحي**، وولي أسطول **المُنَكَّب** برهة.

وفاته

توفي **بمراكش** في عام خمسة وخمسين وسبعمائة[1]. رحمه الله.

***

[1] **الموافق لـ 1354م.**

محمد بن محمد

ابن جعفر بن مُشتمل الأسلمي[1]؛ من أهل ألمرية، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالبلياني.

حاله

قال شيخنا **أبو البركات**: ناب عني في بعض الأعمال **بألمرية**، وخطب **بنحانس** من غرْبيّها، ثم خطب **بحمة مُرشانة**، وهو الآن بها، وعقد الشروط قبلُ **بألمرية**. عفيف طاهر الذيل، نبيل الأغراض، مهذب الأخلاق، قيم على القراءات، والنحو والأدب، جيد الشعر والكتابة..........[2] من الضبط، وإجادة العبارة عن المعنى المراد.

تواليفه

قال: له ((**رجز في علم الكلام**))؛ جيد، **و((رجز آخر في ألفاظ فصيح ثعلب))**؛ عري عن الحشو؛ على تقعير فيه يغتفر؛ لما جمع من اقتصاره، وله تأليف

---

[1] **وردت هذه الترجمة في الإسكوريال فقط. ولم ترد في المخطوطين.**
[2] **في هذا الحيز؛ كلمات مشوهة وممحاة.**

في الوبـــا[1] سمـــاه ((**بإصـــلاح النيــة في المسلـــة[2] الطاعونيـــة**)).

مشيخته

قال: أخذ عني وعن أبيه جملة من الدواوين، وعن غيري من أهل بلده.

شعره

قال: ومما أنشدني من شعره قوله[3]:

هفـــا بي من بيـــن المغاني عقيقهـــا
ومن بينه انفضـــت لعيـــني عقيقهـــا

ومالـــت لليـــد قبابـــه وأشـــرقــــ
ــنـــي بالدمـــع منهـــا شروقهـــــا[4]

يُهَيّـــج أنفـــاسي غرامـــاً نسيمهـــا
وتقـــدح نار الشوق عنـــدي بروقهـــا

---

[1] كتبها د. طويل: ((الوباء)).
[2] قد تكون؛ كما كتبها د. طويل: ((المسألة)).
[3] البحر الطويل.
[4] تصرف د. طويل؛ فغير هذا البيت المضطرب؛ فجعله هكذا:
((ومالت من البيداء عنها قبابه * وأشرقني بالدمع منها شروقها)).

ومــــن دون واديهــــا ظبـــاً[1] خـــوادل[2]

حكى لحظهـــا ماضي الشفار رقيقهـــا

فلو برزت الشمس[3] منهن في الضحى

مخـــدرة أضحـــت كمـــالا تفوقهـــا

نسيـــم الصبا أن سُيِّـــرَت نحو الحمى

فقل[4] تُحيِّي الديار النازحات تشوقهـــا

غريـــب كييـــب مستهـــام متيـــم

جريـــح الجفون الساهرات عريقهـــا

فهل عطفـــة ترجى وهل أمل يـــرى

بعـــودة أيـــــام تقـــضى أنيقهـــــا

سقى وتعلم من أدمع الصب جودهـــا[5]

من[6] دِيَـــم الغيـــث الملتـــات ريقهـــا

---

[1] جعلها د. طويل: ((ظباء))؛ وهو أسلم.

[2] الخوادل: هنّ النساء الممتلئات لحماً.

[3] جعلها د. طويل: ((للشمس))؛ وهذا أسلم.

[4] حذف د. طويل كلمة: ((فقل))؛ من أجل الوزن.

[5] تصرف د. طويل؛ فغير هذا الشطر؛ فجعله:
((سقتنا ومن أدمع الصّب جودها)). وذلك من أجل الوزن.

[6] حذف د. طويل الواو؛ فغدت: ((من))؛ لسلامة الوزن.

قال: وأنشدني أيضاً، وقال كَلِفْت إجازة هذا (البيت الأول؛ من هذه القصيدة، إذ ليس لي)[1]:

من عـــادى ومن ناصري ومنصفي[2]
هذا دمعي[3] سفكتـــه بنت المنصـــف

أو من يخلصني وقـــد أوهى صحيـــ
ـــح الجسم مني لحظ طرف مدنـــف

جفـــن تحيـــر والهــــوى يهديـــه
لفـــؤاد كل مـــن الهـــوى لم يألـــف

متناعس يُهدي السهاد ويصـــرع الـــ
ـــبطـــل الكمي بلحظـــه المتضعـــف

تبـــدو وتشـــدو للعيـــون وللمســـا
مع فهي بيـــن مكحـــل ومشنـــف

ملكـــت بصنعتهـــا عنـــان عنانهـــا
وعـــدت عليها كـــأن[4] لـــم تعـــرف

---

[1] البحر الكامل.

[2] تصرف د. طويل؛ فغير هذا الشطر؛ فجعله هكذا:
((من عادلي؟ من ناصري أو منصفي؟))؛ بحجة سلامة الوزن.)).

[3] غيَّرَها د. طويل؛ فجعلها: ((دمي))؛ لسلامة الوزن.

[4] جعلها د. طويل: ((كأنها)).

تغني إذا غَنَّـت بطيـب صوتهـا

عـن أن يـزود لحنهـا بالمعـزف

أمـا تغنـت أو تثنـت تهتـف

قمـري نغمتها وغـض المعطـف

يـأتي على تكـرر[1] ما غَنَّـتْ بـه

صدقـاً بكل غريـب أو مستطـرف[2]

تهدي للنفوس[3] على اختلاف طباعهـا

مـن نبلهـا مـا تشتهي بتلطـف

كنـا وجفـن الدهـر عنـا ناعـس

خلـف[4] ستـر للأمـان مسجـف

حـتى وشى بالسـر دهـر حاسـد

كلـف بتنغيـص الكريـم الأشـرف

واخجلتـا إن لم أمـت يوم النـوى

لهفا ومـا إن كنـت بعد بمنصـف

---

[1] جعلها د. طويل: ((تكرار)).

[2] تصرف د. طويل؛ فجعل هذا البيت هكذا:

((يأتي على تكرار ما غنَّت به * صدقا بكل غريب مستطرف)).

[3] جعلها د. طويل: ((النفوس))؛ من أجل سلامة الوزن.

[4] جعلها د. طويل: ((من خلف))؛ ليستقيم الوزن.

لكنـــني ممـــا نحلـــت وذبـــت لـــم

يرني الحمـــام فكنـــت عنـــه أختـــف[1]

كم ذا أبيـــت وليـــس لي مـــن مسعد

في حالـــتي غيـــر الدمـــوع الـــذرف

يا هل ترى هذا الزمـــان وصرفـــه

هـــل يسمحـــان بعـــودة وتألـــــف

صبـــراً أبـــا يعقوبهـــم فهي النـــوى

لـــولا همت شوقـــا للقيـــا يوســـف

قال وأنشدني أيضاً لنفسه، (والبيت الأخير لغيره)[2]:

ما للأحبـــة في أحكامهـــم جـــاروا

نـــأوا جميعـــاً فـــلا خـــل ولا جـــار

كيـــف البقـــا[3] وقـــد بانـــت قبابهـــم

وقد خلـــت منهـــم وأســـفي الـــدار

---

[1] **جعلها د. طويل: ((أختفي)).**

[2] **البحر البسيط.**

[3] **جعلها د. طويل: ((البقاء))؛ من أجل الوزن.**

حــداة تمسهــم بالقلــب قد رحلــوا

يا ليتهم حملــوا الجثمــان إذ ســار[1]

جــار الزمــان علينــا في فراقهــم

من قبل أن تنقضي للصـــب أوطـــار

ســاروا فخيمت الأشــواق بعدهــم

مالي عليهــا سوى الآمــاق أنصـــار

تــراك يا ربعهم ترجــو رجوعهــم

يا ليــت لو ساعدت في ذاك أقــدار

ودعت منهــم شموساً ما مطالعهــا

إلا مــن الــوشي أطـــواق وأزرار

أستودع الله من فــاز الفــراق بهــم

وخلفــوا[2] ودمــع العيــن مــدرار

---

[1] جعلها د. طويل: ((ساروا)).

[2] جعلها د. طويل: ((وخلفونا))؛ من اجل سلامة الوزن.

قلت: ولا خفاء بتخلف هذا النمط عن الإجادة، والله يقبض ويبسط، وشافعنا عرض الإكثار.

وفاته

توفي في آخر أربعة وستين وسبعماية[1].

***

[1] الموافق لـ 1362م.

محمد بن محمد

ابن حزب الله[1]؛ من أهل وادي آش؛ يكنى أبا عبد الله؛
ويعرف باسم جدّه.

حالـه

دمث؛ متخلق، سهل الجانب، كثير الدعابة، خفيف الروح، له خط حسن ووراقة بديعة، وإحكام لبعض العملية، واقتدار على النظم. اتصل بباب السلطان ملك **المغرب**، وارتسم كاتبا مع الجملة، فارتاش، وحسنت حاله.

وجرى ذكره في **الإكليل الزاهر**[2] بما نصه: راقم واشي، رقيق الجوانب والحواشي، تزهى بخطه المهارق والطروس، وتتجلى في حلل بدايعه، كما تتجلى العروس، إلى خلق كثير التجمل، ونفس عظيمة التحمل. ودُود[3] سهل الجانب، عذب المذانب. لما قضيت

---

[1] **توجد له ترجمة أيضاً في الكتيبة الكامنة.**
[2] **هو من الكتب التي ألفها ابن الخطيب؛ وقد سبقت الإشارة إليه.**
[3] **وردت في مخطوط الإسكوريال: ((وود)).**

الوقيعة بطريف[1]، أقال الله عثارها، وعجل ثارها، قذف به موج ذلك البحر، وتفلّت إفلات الهَدْي المقرّب إلى النحر، ورمى به إلى **رُندة** [2] القرار؛ وقد عرى من أثوابه، كما عرى الغرار، فتعرف للحين بأديبها المفلق، وبارقها المتألق **أبي الحجاج المنتشافري**، فراقه يبشر لقايه، ونهل على الظمأ في سقائه، وكانت بينهما مخاطبات، أنشدنيها بعد إيابه، وأخبرني بما كان من ذهاب زاده، وسلب ثيابه.

وخاطبني من شرح حاله في ارتحاله بما نصه: ولما دخلت **رُندة** الأنيقة البطاح، المحتوية على الأدب والسماح، والعلم والصلاح، أبرز القدر أن لقيت بها شيخنا المعمر رئيس الأدباء، وقدوة الفقهاء، **أبا الحجاج المنتشافري**، وكنت لم أشاهده قبل هذا العيان، ولا سمح لي بلقاية صرف الزمان، ولم أزل أكلف بمقطوعاته العجيبة، وأولع

---

[1] موقعة طريف ـ كما سبق ذكره ـ هي المعركة التي حدثت بين المسلمين والنصارى على ضفاف نهر سالادو القريب من طريف؛ وذلك سنة 741هـ/1340م. وقد انهزم المسلمون في هذه المعركة؛ هزيمة ثقيلة.

[2] تقع مدينة رندة؛ غربي مالقة، وإلى الجنوب من نهر وادي لكه. وسقطت هذه المدينة في قبضة النصارى سنة 890هـ/1385م.

بضرايبه الغريبة، وتأتي منه مخاطبات تزري بالعقود بهجة، وتطير لها العقود لهجة. نظْمٌ كما تَنَفَّسَ الصُّبح عن تسنيمه، ونثر كما تأسس الدر بتنظيمه، فأحلني منه محل الروح من الجسد، وشهد لي أني أعز من عليه ورد، ورآني قد ظهرت على مضاضة الاكتياب، لكوني قريب عهد بالإياب، مهزوماً انهزام الأحزاب، خالي الوطاب[1]، نزر الثياب، فقال فيم الجزع، ذهب بحول الله الخوف، وأمن الفزع، فأجبته عجلاً، وقلت أخاطبه مرتجلا[2]:

لا تجــزعي نفسي لفقــد معاشــري

وذهــاب مالي في سبيــل القــادر

ورنــدة[3] هــا أنــت خيــر بـــــلاده

وبهــا أبــو حجــاج المنتشافــري

[1] خالي الوطاب: أي خالي من وسيلة السقاية؛ لأن الوطاب هو سقاء اللبن المصنوع من جلد الجَذَع. والمراد من هذا التعبير أنه مهزوم أو مقتول.

[2] البحر الكامل.

[3] جعلها د. طويل: ((يا رندة))؛ من أجل سلامة الوزن.

سيريك حســـن فرايـــد مـــن نظمـــه
فتـــزيـــل كل كآبـــة فـــي الخاطـــر

فأجابني مرتجلا[1]:

سُـــرّاي يا قلبي المشوق وناظـــري
بمـــزار ذي الشرف السني الطاهـــر
روض المعارف زهرهـــا الـــزاهي
ومن أوصافه أعيـــت ثنـــا الشاكـــر[2]
ولـــواد آش فخـــار[3] لـــم يـــزل
من كابن حـــزب اللـــه نور الناظـــر
وافى يشـــرف رنـــدة بقدومـــه
فغـــدت بـــه أفقـــا لبـــدر زاهـــر
من روضة الأدبـــاء أبـــدى زهـــرة
قـــد أينعت عن فكـــر حَبْـــر ماهـــر

[1] البحـر الكامـل.
[2] جعل د. طويـل هـذا الشطـر هكـذا:
((أوصافـه أعيـت ثنـاء الشاكـر)). وذلـك مـن أجـل سلامـة الـوزن.
[3] أضـاف د. طويـل كلمـة: ((مـن))؛ فأضحـت: ((مـن فخـار))؛ لسلامـة الـوزن.

جمـــع المآثـــر بالسنـــاة[1] وبالسنـــا
أعظـــم بـــه مـــن صانـــع لمآثـــر
ما زلـــت أسمـــع من ثنـــاه مآثـــراً
كانـــت لسامعهـــا معـــاً والذاكـــر
حتى رأى بصري حقائـــق وصفـــه
فتنعمـــت كالأقمـــــار نواظـــــري[2]
لا زال محبـــــواً بكـــل مســــــرة
تجـــري له بالحـــظ حكـــم مغـــادر

ثم خاطبه القاضي المنتشافري بعد انصرافه إلى وطنه بقوله[3]:
أبـــى الدمـــع بعـــدك إلا انفجـــارا
لدهـــر ببعـــدك فـــي الحكـــم جـــارا
أذاق اللقـــاء الحلـــو لـــو لم يصـــل[4]
بـــه للنـــوى جرعـــات مـــــرارا

[1] جعلها د. طويل: ((بالسناء)).
[2] هذا الشطر مضطرب الوزن.
[3] البحر المتقارب.
[4] هذا الشطر مضطرب الوزن. وسيستقيم لو حذفت همزة ((اللقاء))؛ فيصبح: ((أذاق اللقا الحلو لو لم يصل)).

رعـــى اللـــه لمـــح ذاك اللقـــاء

وإن يـــك أشواقنـــا قـــد أثـــارا

قصـــاراى شكـــواي طـــول النـــوى

وفقـــدي أنـــــاة وصـــل قصـــارا[1]

سقتـــني القـــــداح ومـــن بعـــده

فـــؤادي القريـــح قَـــدَ اْذْكَـــت أوارا

ألا يـــا صبـــا هـــب مـــن أربعي

إلـــى وادِ آشٍ تُحَـــيِّي الديـــــارا

ألا خـــص مـــن ربعهـــا منـــــزلا

بأربابـــه الأكرميـــــن استنـــــارا

وهـــــم إلـــى حـــزب الإلـــه الألى[2]

تسامـــوا فخـــاراً وطابـــوا نجـــاراً

---

[1] هذا الشطر مضطرب الوزن.
[2] هذا الشطر مضطرب الوزن.

فأجابه بأبيات منها[1]:

تــألــق بــرق العــلا واستنــارا
فأجــج إذ لاح فــي القلــب نــارا
وذكــرني وقــت[2] أنــس مــضى
برنــدة حيــث الجــلال استشــارا[3]
وكانت لنفــسي سنــا[4] فــي حماهــا
طــوالا فأصبحــت[5] لديهــا قصــارا
فأجريــت دمــع العيــون اشتياقــاً
ففاضــت لأجــل فــــراقي بحــارا
وقالــت لي النفــس مــن لــم يجــد
نصيــراً سوى الدمــع قلّ انتصــارا
قطعـــــت المــنى عندهــا لمحـــــة
وودعتهــــا وامتطيــت القفــــارا

---

[1] البحـر المتقـارب.
[2] في الكتيبـة الكامنـة: ((أنْسَ وقت)).
[3] نفسـه: ((استنـارا)).
[4] في الكتيبـة الكامنـة: ((منـى)).
[5] نفسـه: ((فأضحـت))؛ وهذا أسلم.

وضيعــت تلـــك المــنى غفلـــة

ووافيــت أبــغي نابـــس ديــارا[1]

ومنهــا :

أرقـــت لـــذاك السنــا ليلـــة

ومــا نومهــا ذقــت إلا غـــرارا

وجســمي أجــل الجســوم التهابــا

وقلــبي أشـــد القلــوب انكســارا

إلـــى أن تجرعــت كــأس النــوى

وقلــت زماني على الشمــل جــارا

وصبـــرت نفـــسي لفقدانهـــا

هنالــك بالرغــم ليــس اختيــارا

[1] **هذا البيت سقط في الكتيبة الكامنة؛ وهو مختل ومضطرب هنا.**

وقال من قصيدة[1]:

حللت[2] لبرق لاح من سرحتي نجـــد
حنيـــن تِهامي تحِـــنُّ إلـــى نجـــــد[3]

وقلت لعـــل القلـــب تبـــرا كلومـــه
ومن ذا يصد النار عن شيمة الوقـــد

إن[4] شاركتـــني في المحبـــة فرقـــة
فهـــا أنا في وجـــدي وفي كلفي وجد[5]

وهو إلى هذا العهد بالحال الموصوفة.

***

---

[1] البحر الطويل.
[2] في الكتيبة الكامنة: ((حننت)).
[3] نفسه: ((يَحِنُّ إلى نجد)).
[4] في الكتيبة: ((لكن)).
[5] نفسه: ((وحدي)).

محمد بن إبراهيم

ابن عيسى بن داود الحميري[1]؛ من أهل مالقة؛ يكنى أبا عبد الله؛ ويعرف بابن عيسى.

حالـه

كان أديباً، حسن الخط، جيد النظم، متظرفاً، لوذعياً، مطبوعاً، منحطاً في هواه، جامحاً في ميدان بطالته، معاقراً للنبيذ، على حفظ للرسم، واضطلاع بالخدمة، وإيثار للمروءة، ومعرفة بمقادير الأمور، وتشبث بأذيال الحظوة. كتب للرياسة **السعيدية بمالقة**، ونظر على ألقاب جبايتها، وانتفع الناس بجاهه وماله، ووقع الثناء على حسن وساطته. ثم سافر عنها، وقد سمت مجادة السلطان في غرض انتقالها إلى **العدوة**، معوضة بمدينة **سلا** من **مالقة**. وكان ما كان من معاجلة الأمر، والقبض

[1] **هذه الترجمة وردت في الإسكوريال؛ ولم ترد في الزيتونة، وج. بينما وردت ترجمة صاحبها في كل من: الكتيبة الكامنة؛ غير أن اسمه فيها هو: ((أبو عبد الله محمد بن محمد بن عيسى الحميري، ثم نفح الطيب حيث كتب اسمه: ((أبو عبد الله محمد بن محمد بن إبراهيم بن عيسى ابن داود الحميري)).**

على الريس، وقيام ولده بالأمر، فانبَتَّ المذكور **بالعدوة**، وكانت بها وفاته.

وجرى ذكره في **الإكليل الزاهر** بما نصه: [علَمٌ][1] من أعلام هذا الفن، ومشعشعي[2] راح هذا الدَّن، بمجموع[3] أدوات، وفارس يراعة ودواة[4]، ظريف المنزع، أنيق المرآى والمسمع، اختص بالرياسة، وأدار[5] فلك إمارتها، واتسم باسم كتابتها ووزارتها، ناهضاً بالأعباء، راقياً[6] في درج[7] التقريب والاجتباء، مصانعاً دهره في راح وراحة، آوياً إلى فضل وسماحة، وخصب ساحة، كلما فرغ من شأن خدمته، وانصرف عن رب نعمته، عقد شرباً[8]، وأطفأ من الاهتمام بغير الأيام حرباً، وعكف على صوت يستعيده، وظرف يبديه ويعيده. فلما تقليت[9]

---

[1] هذه الإضافة من نفح الطيب.
[2] في نفح الطيب: ((ومشعشع)).
[3] نفسه، والكتيبة: ((مجموع)).
[4] كلمة: ((دواة)) أضيفت من الكتيبة والنفح، والدرر الكامنة.
[5] في النفح: ((فأدار)).
[6] نفسه: ((صاعداً)).
[7] في الكتيبة: ((درجات)).
[8] في النفح: ((ترباً)).
[9] في الكتيبة، والنفح، والدرر: ((تقلبت)).

بالرياسة الحال، وقوضت منها الرحال، استقر **بالمغرب** غريباً، يقلب طرفاً مستريبا، ويلحظ الدنيا تبعة عليه وتثريباً، وإن كان لم يعدم من أمرايها[1] حظوة وتقريباً، وما برح يبوح بشجنه، ويرتاح إلى عهود وطنه.

شعره وكتابته

مما كتبه، وبين فيه أدبه قوله[2]:

يا نازحيـــن ولـــم أفـــارق منهـــم
شوقاً تأجج في الضلوع[3] ضرامه
غيبتم عن ناظـــري وشخصكـــم
حيث استقـــر من الضلـــوع مقامه
رمت النوى شملي فشتت نظمـــه[4]
والبيـــن رامٍ لا تطيـــش سهامـــه
وقد اعتـــدى فينـــا وجـــدَّ مبالغـــا
وجـــرت بمحكم جـــوره أحكامـــه

[1] في النفح: ((أمرائـه)).
[2] البحـر الكامـل.
[3] في الكتيبـة: ((في الفـؤاد)).
[4] في النفـح: ((شملـه)).

أتــرى الزمان مؤخــراً في مدتي

حــتى أراه قد انقضــت أيامــه

تحملها يا نسيم نجديه النفحات، وجديــة اللفحــات، [يؤدي عني نغمها[1] إلى الأحبة سلاماً، ويورد عليهم][2] لفحها برداً وسلاماً، ولا تقل كيف تحملني ناراً، وترسل على الأحبة مني إعصارا. كلا إذا أهديتهم تحية إيناسي، وأنسوا من جانب هبوبك[3] نار ضرام أنفاسي، وارتاحوا إلى هبوبك، واهتزوا في كف مسرى جنوبك، وتعللوا بها[4] تعليلا، وأوسعوا آثار مهبك تقبيلا، أرسلها عليهم بليلا، وخاطبهم بلطافة تلطفك تعليلا. ألم تروني كيف جئتكم بما حملني عليلاً[5].

---

[1] سقطت هذه الكلمة في نفح الطيب، ووردت في الإسكوريال.

[2] كتب ما بين الحاصرتين في نفح الطيب هكذا: ((تؤدي إلى الأحبة نفحها سلاماً، وتورد عليهم...)).

[3] هكذا في نفح الطيب؛ أما في الإسكوريال فكتبت: ((حقوقك)).

[4] في النفح: (بك)).

[5] البحر الوافر.

كـــذاك تركتـــه ملـــقى بـــأرض[1]

لـــه فيهـــا التعلـــل بالريـــاح

إذا هبـــت إليـــه صبـــا إليهـــــا

وإن جاءتـــه من كـــل النـــواح[2]

تساعـــده الحمايـــم حين يبـــكي

فما ينفـــك موصـــول النيـــاح[3]

يخاطبـــن[4] مهما طـــرن شوقـــاً

أمـــا فيكـــن واهيـــة[5] الجنـــاح

ولولا تعلله بالأماني، وتحدث نفسه بزمان التداني، لكان قد قضى نحبه، ولم أبلغكم إلا نعيه أو ندبه، لكنه يتعلل من الآمال بالوعد الممطول، ويتطارح[6] باقتراحاته على الزمن المجهول، ويحدث نفسه، وقد قنعت من بروق[7]

---

[1] ورد هذا الشطر في الكتيبة الكامنة هكذا:
((غريبٌ بعدكُمْ مُلْقًى بأرض))
[2] كتبها د. طويل: النواحي)).
[3] في النفح: ((النواح))، وفي الكتيبة: ((التياح)).
[4] في الكتيبة: ((يخاطبهن)).
[5] نفسه، والنفح: ((واهبة)).
[6] في الإسكوريال: ((يطارح)).

بروق[1] الآمال بالخلب[2]، ووثقت بمواعيد الدهر القُلَّب[3]؛ فيناجيها بوحي ضميره، وإيماء تصويره، كيف أجدك يوم الالتقاء بالأحباب؟ والتخلص من ربقة الاغتراب؟ أبائنة الحضور أم بادية الاضطراب؟ كأني بك وقد استفزك وله السرور، فصرفك عن مشاهدة الحضور، وعاقتك غشاوة الاستعبار للاستبشار، عن اجتلاء محيا ذلك النهار[4]:

يـــوم يـــداوي زماناتي من أزمـــاني
أزبــــر[5] تتغيـــص أحيـــاني فأحيـــاني
جعلـــت للـــه نـــذراً صومـــه أبـــداً
أفـــي بـــه وأوفـــي شـــرط إيمـــاني
إذا ارتفعنـــا وزال البعد وانقطعـــت
أشطـــان دهر قد التفـــت بأشطاني[6]

[1] نفسه: ((برق)).
[2] أي السحابة المبرقة التي يؤمل في حملها للمطر؛ ولكنها في الحقيقة غير ممطرة.
[3] أي الدهر المتقلب بكثرة.
[4] البحر البسيط.
[5] في النفح: ((أزال)).
[6] أي التفت بحبالي.

أعـــدده[1] خيـــر أعيـــاد الزمـــان إذا
أوطأني[2] السعـــد فيه تـــرب أوطاني

أرأيت كيف ارتياحي إلى التذكار، وانقيادي إلى معللات توهمات الأفكار؟ كأن البعد باستغراقها، قد طويت شقته، وذهبت عني مشقته، وكأني بالتخيل بين تلك الخمايل أتنسَّم صباها، وأتسَنَّم رباها[3]، وأجتني أزهارها، وأجتلي أنوارها، وأجول في خمايلها. وأتنعم ببكرها وأصايلها، وأطوف بمعالمها، وأتنشق أزهار كمايمها، وأصيخ بإذن الشون[4] إلى سجع حمايمها، وقد داخلتني الأفراح، ونالت مني نشوة الارتياح. ودنا السرور لتوسم[5] ذهاب الأتراح[6].

---

[1] في النفح: ((أعدُّه))؛ وهذا أسلم.
[2] نفسه: ((أوْطانِيَ)).
[3] أي أعتلي رباها؛ حتى أصل إلى سنامها وقمتها.
[4] في النفح: ((الشوق)).
[5] نفسه: ((لتوهم)).
[6] في الإسكوريال: ((الانتزاح))؛ وقد صوبت من نفح الطيب.

فلما أفقت من غمرات سكري، ووثبت من هفوات فكري، وجددت[1] مرارة ما شابه لبي[2] في استغراق دهري، وكأني من حينئذ عالجت وقفة الفراق، وابتدأت منازعة الأشواق، وكأنما أغمضتني للنوم[3]، وسمح لي بتلك الفكرة الحلم[4]:

ذكــر الديار[5] فهاجــه تذكـــاره

وســـرت به من حينـــه أفكـــاره

فاحتـــل منها حيث كان حلولـــه

بالوهـــم فيها واستقـــر قـــراره

يا لقـــرب الآمـــال من هفواتـــه

لـــو أنـــه قضت بهـــا أوطـــاره[6]

---

[1] في النفح: ((وجدت)).
[2] نفسه: ((لي)).
[3] في النفح: ((أغمضني النوم)).
[4] البحر الكامل.
[5] في الإسكوريال: ((العقيق)).
[6] ورد هذا البيت بشكل سليم في النفح هكذا:
((ما أقرب الآمال من غفواته * لو أنها قضيت بها أوطاره)).

فإذا جيتها أيها القادم، والأصيل قد خلع عليها برداً مورساً، والربيع قد مد على القيعان منها سندساً، اتخذها[1] فديتك مُعَرَّساً[2]، واجرر ذيولك فيها تبختراً[3]، وبث فيها من طيب نفحاتك عنبرا، وافتق عليها من نوافح[4] أنفاسك أنفاسك مسكاً أذفراً، واعطف بعاطف[5] بانها، وارقص قضب ريحانها، وصافح صفحات نهرها، ونَافِح[6] نفحات زهرها. هذه كلها أمارات، وعن أسرار مقاصدي عبارات، هنالك تنتعش بها صبابات، تعالج صبابات، تتعلل بإقبالك، وتعكف على لثم أذيالك؛ وتبدو لك في صفة الفاني المتهالك، لاطفها بلطافة اعتلالك، وترفق بها ترفق أمثالك، فإذا أمالت[7] بهم إلى هواك الأشواق، ولووا إليك الأرؤس والأعناق، وسألوك عن اضطرابي في الآفاق، وتقلبي بين الإشآم والإعراق، فقل لهم عرض

---

[1] في النفح: ((فاتخذها)).
[2] المُعَرَّس: مكان النزول ليلاً.
[3] في النفح: ((متبختراً)).
[4] نفسه: ((من نوافج)).
[5] نفسه: ((معاطف)).
[6] أي أظهر وزايد في نشر عطر زهرها.
[7] في النفح: ((مالت)).

له[1] في أسفاره، ما يعرض للبدر في سراره، من سرّ[2] السرار، وطاق[3] المحاق، وقد تركته وهو يسامر الفرقدين، الفرقدين، ويساير النيرين، وينشد إذا راعه البين[4]:

قـد نكون وما يُخشى[5] تفرقنا

واليوم[6] نحن وما يُرجى تلاقينا

لم يفارق وعثاء الأسفار، ولا ألقى من[7] يده عصا التسيار، يتهاداه للغور[8] والنجد. ويتداوله الإرْقال والوَخْد[9]، وقد لفحته الرمضاء، وسيّمه[10] الإنضاء. فالجهات تلفظه، والآكام تبهظه، تحمل[11] هومه الرواسم، [وتحفى به النواسم][12]:

---

[1] في الإسكوريال: ((لهم)).
[2] في النفح: ((من سرار)).
[3] نفسه: ((ولحاق)).
[4] البيت الموالي لابن زيدون؛ وهو من البحر البسيط.
[5] في الإسكوريال: ((ولا)).
[6] في النفح: ((فاليوم)).
[7] في الإسكوريال: ((عن)).
[8] في النفح: ((الغور)).
[9] الإرْقال والوَخْد: شكلين من السَّيْر السريع.
[10] في النفح: ((وسئمه))؛ وقد تكتب بالأسلوب المغربي: ((سَيمَهُ))؛ بدون تشديد.
[11] نفسه: ((يحمل)).
[12] نفسه: ((وتحياته البواسم)). والبيت الموالي من البحر البسيط.

لا يستقــر بأرض حين يبلغهــا

ولا له غير حدو العيس إينـــاس

ثم إذا استوفوا سؤالك عن حالي[1]، وتقلبي بين حالي حلي[2] وترحالي، وبلغت القلوب منهم الحناجر[3]، وملأت الدموع المحاجر، وابتلت ذيولك بمائها، لا بل تضرجت بدمائها، فحيهم عني تحية منفصل، وودعهم[4] وداع مرتحل. ثم اعطف عليهم ركابك، ومهد لهم جنابك، [وقل لهم][5] إذا سألني عن المنازل بعد سكانها، والربوع بعد ظعن أظعانها، بماذا أجيبه، وبماذا[6] يسكن

---

[1] هذه الكلمة زائدة في مخطوط الإسكوريال.

[2] في النفح: ((بين حلّي وترحالي)).

[3] اقتبست من قوله تعالى: [وَإِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا). سورة الأحزاب؛ الآية: 10.

[4] سقطت كلمة: ((وودعهم)) في النفح.

[5] هذه زائدة في نفح الطيب.

[6] في الإسكوريال: ((ولماذا)).

وجيبه[1]، فسيقولون لك هي البلاقع[2] المقفرات التي[3] أصبحت نكرات[4]:

صُــمَّ صداهـــا وعـــفَّى[5] رسمهـــا
واستعجمت عن منطق السايـــل

قل لهم كيف الروض وآسه، وعمَّاذا[6] تتأرج أنفاسه، عهدي به والحمام يردد أسجاعه، والذباب يغني به هزجاً، فيحك بذراعه ذراعه، وغصونه تعتنق، وأحشاء جداوله تصطفق، وأسحاره تتنسم، وآصاله تغتبق[7]، كما كانت بقية نضرته، وكما عهدتها أنيقة خضرته، وكيف التفاتة[8] عن أزرق نهره؟ وتأنقه في تكليل أكليله بيانع زهره؟ وهل رق نسيم آصاله[9]؟ وصفت موارد جداوله؟

---

[1] الوجيب: الخفقان.
[2] أي الأراضي الخالية.
[3] في النفح: ((والمعارف التي)).
[4] البيت الموالي من البحر السريع.
[5] في النفح: ((وعفا))؛ وهو أسلم.
[6] نفسه: ((وعمَّ)).
[7] نفسه: ((تتوسم)).
[8] نفسه: ((التفاته)).
[9] نفسه: ((أصائله)).

وكيف انفساح ساحاته؟ والتفاف دوحاته؟ وهل تمتد كما كانت مع العشي فينانة سرحاته؟ عهدي بها، المديدة الظلال، المزعفرة السربال، فلم تحدق الآن به عيون نرجسه، ولا سُدَّ[1] بساط سندسه. وأين منه مجالس لذاتي؟ ومعاهد غدواتي وروحاتي؟ إذ أباري في المجون لمن أباري، وأسابق إلى اللذات كل من يُجاري[2]. فسيقولون لك ذَوَتْ أفنانه، وانقصفت أغصانه، وتكدرت غدرانه، وتغير ريحه[3] وريحانه، وأقفرت معالمه، وأخرست حمايمه، واستحالت به[4] حلل خمايله، وتغيرت وجوه بكره وأصايله. فإن صَلْصَلَ حنين رعد، فعن قلبي لفراقه خفق، وإن تلألأ برق، فعن حر حشاي ائتلق، وإن سحت السحب فمساعدة لجفني، وإن طال بكاؤها فعني، حياها الله[5] منازل لم تزل بمنظوم الشمل أواهل. وحين انتثر[6] نثرت أزهارها أسفاً؛ ولم تثن الريح من أغصانها معطفاً،

[1] في النفح: ((ويمد)). وكتبها د. طويل: ((صُدَّ)) بالصاد المهملة.
[2] نفسه: ((أجاري)).
[3] نفسه: ((روحه)).
[4] سقطت كلمة: ((به)) في النفح.
[5] في النفح: ((حيّاها الله تعالى)).
[6] نفسه: ((انتثرت)).

أعاد الله[1] الشمل فيها إلى محكم نظامه، وجعل الدهر الذي فرقه يتأنق في أحكامه. وهو سبحانه يجبر الصدع، ويُعَجِّل الجمع، إنه بالإجابة جدير، وعلى ما يشاء قدير.

إيه بُنَيَّ؛ كيف حال من استودعتهم أمانتك؟ وألزمتهم صونك وصيانتك؟ وألبستهم نسبك، ومهدت لهم حسبك؟ الله في حفظهم، فهو اللائق بفعالك، والمناسب لشرف خلالك، ارْعَ لهم الاغتراب لديك، والانقطاع إليك، فهم أمانة الله [تعالى][2] في يديك، وهو سبحانه يحفظك بحفظهم، ويوالي بلحظك أسباب لحظهم، وإن ذهبتم إلى معرفة الأحوال، فنعم الله ممتدة الظلال، وخيراته[3] ضافية[4] السربال، لولا الشوق الملازم، والوجد الذي سكن الحيازم.

---

[1] في النفح: ((أعاد الله تعالى)).
[2] هذه الإضافة من النفح.
[3] في الإسكوريال: ((وخيره)).
[4] في النفح: ((وارفة)).

ووقفت من شعره على قصيدة من جملة رسالة، أثبتها وهي[1]:

أَلِلْبَرق يبدو تسطير[2] الجوانح
للورق تشدو وتستهل السوابح[3]

وقلبي[4] للبرق الخفوق مساعد
ووجدي[5] للورق الثكالى مطارح

إذا البرق أورى في الظلام زنادي[6]
فللوجد في زند الصبابة قادح

وكم وقفة لي حيث مال بيَ الهوى
أغاد[7] بها شكوى الجوى وأراوح

تنازعني منها للشجون[8] فأشتكي
ويكثر بثي عندها فأسامح

---

[1] هذه القصيدة من البحر الطويل.
[2] في الكتيبة: ((تستطير))؛ وهو أسلم.
[3] ورد هذا العجز في الكتيبة سليماً هكذا:
((وللوُرْق تشْدُو تَسْتهلُّ السَّوافِحُ)).
[4] في الكتيبة: ((فقلبي)).
[5] نفسه: ((وجدِّيَ)).
[6] نفسه: ((زناده)).
[7] نفسه: ((أغادي)).
[8] نفسه: ((الشجون)).

أبـــث شجـــوني والحمام يصيـــخ لي

ويسعـــدني فيمـــا تبيـــــح[1] التبـــارح

وتطـــرب أغصــــان الأراك فتنثـــني

إلى صفحــــة النهر الثقيـــل[2] تصافـــح

فتبتســـم الأزهـــار منهـــا تعجبــــــاً

فتهـــدي إليهـــا عرفهـــا وتتافـــح

كذلـــك حتى مــــاد عطـــف شغـــفي[3]

وطرفيَ أبـــدى هـــزة وهـــو مـــارح

فلمــــا التظى وجـــدي ترنـــم صاهلاً

فقلت أمثـــلي يشتكي الوجـــد نابـــح[4]

صرفت عـــدو البيد أرخـــو عنانــــه

وقلـــت لـــه شمـــر فـــإنني سابـــح[5]

[1] في الكتيبـة: ((تهيـج)).
[2] نفسـه: ((الصقيـل)).
[3] في الكتيبـة: ((مثقفي)).
[4] نفسـه: ((سابـح)).
[5] ورد هـذا البيـت في الكتيبـة الكامنـة هكـذا:
((صرفت إلى البيـداء رخـو عنانـه * وقلـت لـه شمر فـإنيَ سابـح)).

تهيـــأ لقطع البيد واعتسف السُّــرَى

سيلقـــاك غيظـــــان بهـــا وممايـــح[1]

فحمحم لو يستطيـــع نطقاً لقـــال لـــه[2]

بمثـــليَ تلـــقى هـــــذه وتكافـــــح

وحملتـــه عزمـــــاً تعَـــــوَّد مثلـــه

فقـــام بـــه مستقبـــلا مـــن يناطـــح

ويممـــت بيـــداً لم أصاحب لجوهـــا[3]

ســـوى جَلَدٍ لا يُتَّقَى منـــه فاضـــح[4]

وماضي الغرارين استجدت مضـــاه[5]

إذا جـــردت يوم الجـــلاد الصفايـــح

ومندمـــج صدق الأنابيب نافـــذ بـــه

عنـــد كـــرّي في الحـــروب أفاتـــح

---

[1] جـاء هذا العجز في الكتيبـة هكـذا: ((سيلقـاك غيطـان بهـا وضحاضـح)).
[2] جـاء هذا الصـدر في الكتيبـة هكـذا: ((فحمحم لـو يسطيـع نطقـاً لقـال لي)).
[3] في الكتيبـة: ((لِجَوْبهـا)).
[4] نفسـه: ((باطـح)).
[5] نفسـه: ((مضـاءه))

وســـرت فلا ألقى سوى الوحش نافراً

وقد شـــردت في الظبـــا[1] السوانـــح

تحدق نحـــوي[2] أعينـــاً لم يلـــح لهـــا

سناً لـــك أســـنى[3] ولا هـــو لايــــح

وقـــد زأرت أســـد تقحمـــت غيلهـــا

فقلـــت تعـــاوت إنهـــا لنوايــــح[4]

وكم طاف بي للخبر من طايف بهـــا[5]

فلم أصغ سمعاً نحوها وهـــو صايـــح

ويعرض لي وجهـــاً دميمـــاً ومنظـــراً

شنيعـــاً لـــه تبـــدو عليـــه القبايـــح

فمـــا راعني منـــه تلـــون حالـــه

بلَ أيقظ عزمي فانثنى وهـــو كالـــح

---

[1] **في الكتيبـة: ((والظبـاء))؛ وهـو أسلـم.**
[2] **نفسـه: ((عنـدي)).**
[3] **نفسـه: ((هنالـك أنـسي)).**
[4] **في الكتيبـة: ((نوابـح)).**
[5] **جاء هذا الشطر في الكتيبـة هكذا: ((وكـم طـاف بي للجن مـن طائـف لهـا)).**

فلما اكتست شمـــس العشي شحوبهـــا

ومالـــت إلى أفـــق الغروب تتـــازح[1]

تسربلـــت لـــلإدلاج جنـــح دُجْنَـــــة

فها أنـــذا غرسي إلى القصد جانـــح[2]

فخضت ظلام الليل والنجم شاخـــص

إلـــيّ بلحـــظٍ طرفـــــه لـــي لامـــح[3]

يـــــرده[4] شـــزراً إلـــي كأنمـــــا

عـــليّ لـــه حقـــد بـــه لا يسامـــح

وراقب من شكلي[5] السماك نظيـــــره

خـــلا لزمكلي أعزل وهـــو رامـــح[6]

يخطُّ وميض البرق لي منه أسطـــراً

عـــلى صفحـــة الظلماء فهي لوايـــح

---

[1] في الكتيبة: ((تبارح)).
[2] جاء هذا الشطر في الكتيبة هكذا: ((فما أبداً عزمي إلى القصد جانح)).
[3] جاء هذا العجز في الكتيبة الكامنة هكذا:
((إليَّ بطرف لحظه ليَ لامح)).
[4] في الكتيبة: ((يردده))؛ وهذا اسلم.
[5] نفسه: ((من شكل)).
[6] جاء هذا الشطر في الكتيبة هكذا: ((خلا أنَّ شكلي أعْزَلٌ وَهْوَ رامح)).

إذا خطهـــا ما بيـــن عينيّ لـــم أزل[1]

أكلـــف دمعي نحوها فهـــو طامـــح

وما زلت سراً في حشى النبل[2] كامناً

إلى أن بدا من ناسم الصبـــح فاتـــح[3]

وهـــب نسيم الصبح فانعطفـــت لـــه[4]

قـــدود غصون قد رقتهـــا صـــوادح[5]

تجـــاذب ذكـــرى أحاديـــث لـــم أزل[6]

يرددهـــا مـــنِّي[7] مجـــد ومـــــازح

وملت إلى التعريس لما انقضى السُّـــرَى

أروض لـــه نفسي وعـــزمي جامـــح

ومـــال الكـــرى بي ميلة سكنـــت لها

على نَصَبِ الوعثـــاء مني الجـــوارح[8]

الجـــوارح[8]

---

[1] في الكتيبة: ((لم يزل)).
[2] نفسه: ((الليل)).
[3] نفسه: ((نافح)).
[4] في الكتيبة: ((فانقطعت له)).
[5] نفسه: ((الصوادح)).
[6] ورد هذا الصدر في الكتيبة هكذا: ((تجاذبن من ذكريَ أحاديث لم تزل)).
[7] في الكتيبة: ((منها)).
[8] نفسه: ((الجوانح)).

كمن[1] أخذت منه الشمـــول بثارهـــا

فبـــات يشقى[2] وهـــو ريـــان طافـــح

وقربـــت الأحـــلام لي كـــل مأمَـــلٍ[3]

فأدْنَتْـــه مني وهـــو في الحق نـــازح

أرتني وجوهـــاً لـــو بذلت لقربهـــا

حياتي لمـــن بالقـــرب منه يسامـــح

لقل لهـــا عمري وما ملكـــت يـــدي

وحدثـــت[4] نفسي أن تجـــري رابـــح

وما زلت أشكو بيننا غصص[5] النوى

وما طوحت بي في الزمان الطوايـــح

فمنهـــا ثغـــور للســـرور بواســـــم

لقربـــه ومنهـــا[6] للفـــراق نوايـــح

---

[1] في الكتيبـة: ((وكـم)).

[2] نفسـه: ((يُسَقَّى))؛ وهـذا أسلـم.

[3] جـاء هذا الشطر في الكتيبـة هكـذا: ((وقربـت الأحـلام كـل مُوَمَّـلٍ)).

[4] في الكتيبـة: ((وصدفت)).

[5] نفسـه: ((مضـض)).

[6] نفسـه: ((لقربيَ منهـا)).

تقـــربهـــا الأحــــلام مـــني ودونهـــا

مهامـــه فيهـــا للهجيــــر لوافـــح

وبحـــر طمـــت أمواجـــه وشآبيـــب[1]

وقفـــر بـــه للسالكيـــن جوامــــح[2]

قضيت حقوق الشوق في زورة الكرى

فـــإن زيـــارات الكـــرى لموانـــح

يقـــرن[3] آمـــالا تباعـــــد بينهـــــا

وتعبـــث فيهـــا للنفـــوس الطوايـــح[4]

فلمـــا تـــولى عني النـــوم أعقبـــت[5]

همـــوم أثارتهـــا الشجـــون فـــوادح

وعدت إلى شكوى البـــلاء[6] ولـــم أزل

أرددهـــا والعـــــذر مـــني واضـــح

---

[1] في الكتيبة: ((وسباسب)).
[2] نفسه: ((جوائح)).
[3] في الكتيبة: ((يقربن))؛ وهو أسلم.
[4] نفسه: ((بالنفوس الطوامح)).
[5] نفسه: ((أقبلت)).
[6] نفسه: ((البعاد)).

ومـــا بلغــت عني مشافهة الكــرى

تبلغهـــا عــني الريـــاح اللوافـــــح[1]

وحسبـــك قلـــب في أســـار اشتياقـــة

وقد أسلمتـــه فـــي يديـــه الجوانـــح

وفاته

قال شيخنا **أبو بكر بن شبرين**: توفي **بسجلماسة** في صفر؛ عام ستة عشر وسبعماية[2].

***

[1] في الكتيبـة: ((النوافـح)).

[2] الموافق لـ 1316م.

محمد بن محمد

ابن عبد الله بن مقاتل[1]؛ من أهل مالقة؛ يكنى أبا بكر.

حاله

من **كتاب الإكليل**: نابغة **مالقية**، وخلفٌ وبقية، **ومغربي** الوطن أخلاقه **مشرقية**. أزمع الرحيل إلى **المشرق**، مع اخضرار العود، وسواد المفرق، فلمّا توسطت السفينة اللّجج، وقارعت الثّبج[2]، مال[3] عليها البحر، فسقاها كأس الحِمام، وأولدها قبل التّمام، وكان فيمن اشتملت عليه أعوادها، وانضم على نوره سوادها، جملة[4] من الطلبة والأدباء، وأبناء السّراة الحسباء، أصبح كل منهم مطيعاً لداعي الردى وسميعاً، وأحيوا فرادى وماتوا جميعاً، فأجروا الدموع حزناً، وأرسلوا العبرات عليهم مزنا. وكان[5] البحر لما طمس سبل[6] خلاصهم وسدها،

[1] **توجد ترجمة محمد بن مقاتل أيضاً في الدرر الكامنة، ونفح الطيب.**
[2] **الثبج: معظم الشيء. وهنا معظم الموج.**
[3] **في النفح: ((هال)).**
[4] **نفسه: ((من جملة)).**
[5] **نفسه: ((وكأن)).**
[6] **نفسه: ((سبيل)).**

وأحال[1] هضبة سفينتهم وهدّها، غار على نفوسهم النفيسة واستردها[2]. والفقيه **أبو بكر**، مع إكثاره، وانقياد نظامه، ونثاره، لم أظفر من أدبه إلاّ بالقليل التافه، بعد وداعه وانصرافه.

فمن ذلك قوله وقد أبصر فتى عاثراً[3]:

ومهفهــفٍ هافي المعاطــف أحــور
فضحـــت أشعـــة نـــوره الأقمـــارا
زلـــت لـــه قـــدم فأصبـــح عاثـــراً
بيـــن الأنـــام لَعـــاً[4] لـــذاك عثـــارا
لو كنت أعلم ما يكون فرشـــت فـــي
ذاك المكـــــان الخـــــد والأشفـــارا

---

[1] في النفح: ((وأهال)).
[2] نفسه: فاستردها)).
[3] البحر الكامل.
[4] تقال كلمة ((لعا)) للذي يعثر؛ وتعني: أنعشك الله.

وقال متغزلا[1]:

أيا لبني الرفــاء [تتضي ظباؤهــم][2]
جفــون ظُباهــم والفــؤاد كليــم[3]

لقد قطــع الأحشاء منهم مهفهــف
لــه التبــر خــد واللجيــن أديــم

يســدد إذ يرمي قــسي جواجــب
وأسهمهــا مــن مقلتيــه تســوم

وتسقمــني عينــاه وهي سقيمــة
ومن عجــب سقــمٌ جنــاه سقيــم

ويذبــل جسمي في هواه صبابــة
وفــي وصلــه للعاشقيــن نعيــم

---

[1] البحـر الطويـل.
[2] جـاءت هاتـان الكلمتـان في نفـح الطيـب هكـذا؛ بينمـا وردتـا في الإسكوريـال: ((تمـضي ظباهـم)).
[3] في النفـح: ((فالفـؤاد كليـم)).

وفاتـه

توفي في حدود أخريات عام تسعة وثلاثين وسبعماية[1] غريقاً بأحواز الغِبْطة من ساحل ألمرية.

***

[1] الموافق لـ 1338م.

محمد بن أحمد

ابن أحمد بن صفوان القيسي[1]؛ ولد الشيخ أبي الطاهر؛
من أهل مالقة.

من **كتاب الإكليل**: نبيل فطن، متحرك ذهن، كان أبوه رحمه الله، يتبرم بجداله، ويخشى مواقع رشق نباله، ويشيم بأرقِّ الاعتراض في سؤاله، فيشفق من اختلال خلاله، إذ طريقه إنما هي أذواق لا تشرح، وأسرار لا تفضح. وكان ممن اخترم، وجد حبل أمله وصرم، فأفل عقب أبيه، وكان له أدب يخوض فيه.

فمن ذلك، وقد أبصر فتى وسيما على ريحانه[2]:

بــدر تجلى على غصــن من الآسي
يبري ويسقــم فهو الممرض الآســي
عادى المنــازل إلا القلــب منزلــة
فما له وجميــع النــاس مــن نــاس

[1] اقتصرت هذه الترجمة على الإسكوريال؛ ولم تذكر في ج، ولا في الزيتونة.
[2] البحر البسيط.

وقـال:

يـــا عالمـــا بالســـر والجهـــر
ومـلجـــأي في العســـر واليســـر
جـــد لي بمـــا أملتـــه منـــك
يا مولاي[1] واجبر بالرضا كَسْرِي

وفاتـه

في عام خمسة وسبعماية[2].

***

[1] حذف د.طويل (ياء النداء؛ فأضحت: ((مولاي))؛ من أجل الوزن)).
[2] الموافق لـ 1305م.

محمد بن محمد

ابن عبد الواحد بن محمد البلوي[1]؛ من أهل ألمرية؛ يكنى أبا عبد الله؛ ويعرف بنسبه؛ وقد مرّ ذكر أبيه في العمال.

حالـه

هذا الرجل من أبناء النعم، وذوي البيوتات، كثير السكون والحياء، آل به ذلك أخيراً لِلُوثَة[2]، لم يستفق منها لطف الله به. حسن الخط، مطبوع الأدب، سيال الطبع، معينه. وناب عن بعض القضاة، وهو الآن رهين ما ذكر، يتمنى أهله وفاته[3]، والله ولي المعافاة، بفضله[4].

وجرى ذكره في **الإكليل** بما نصه: من أولي الخلال[5] البارعة والخصال، خطا رايقا، ونظما بمثله لايقاً، ودعابة يسترها تجهم، وسكوتاً[6] في طيه إدراك وتفهم. عُنِيَ بالرواية[7] والتقيد، ومال في النظم إلى بعض التوليد، وله

---

[1] لم ترد هذه الترجمة في ج، ولا في الزيتونة؛ بينما وردت في الإسكوريال؛ بالإضافة إلى أن ترجمة صاحبها وردت أيضاً في نفح الطيب.
[2] في نفح الطيب: ((إلى لوثة))؛ أي أصيب في عقله.
[3] نفسه: ((موته)).
[4] سقطت كلمة ((بفضله)) في نفح الطيب.
[5] في النفح: ((الاتصال)).
[6] نفسه: ((سكوناً)).
[7] نفسه: ((بالدراية)).

أصالة ثبتت[1] في السرو عروقها، وتألقت في سماء المجادة بروقها، وتصرف بين النيابة في الأحكام الشرعية، وبين الشهادات العملية[2] المرعية.

شعره

ومن شعره فيما خاطبني به، مهنئاً في إعذار أولادي أسعدهم الله، افتتح ذلك بأن قال:

قال، يعتذر عن خدمة الإعذار، ويصل المدح والثنا على بعد الدار، وذلك[3] بتاريخ الوسط من شعبان؛ في عام تسعة وأربعين وسبعمائة[4]:

لا عـذر لي عـن خدمـة الإعـذار[5]
وإن[6] نـأى وطني وشـط مـزاري

[1] في النفح: ((نبتت)).
[2] نفسه: ((العلمية)).
[3] كتبت في مخطوط الإسكوريال: ((ولان))؛ فصوبها عنان.
[4] الموافق لـ 1348م. والقصيدة التالية من البحر الكامل.
[5] الإعذار: طعام يعد ويتخذ لمناسبة فيها سرور وفرح ما؛ سواء نجاح، أو ختان، أو غيره.
[6] في النفح: ((ولأن)).

أو عاقــني عنــه الزمان وصرفــه

نقــضُ الأمــان[1] عــادة الأعصــار

قد كنت أرغب أن أفــوت[2] بخدمــتي

وأخطــر حلِّي[3] عنــد بــاب الــدار

بــاب المســرة بالضبــع وأهلـــه[4]

متشمـــــراً فيــــه بفضــــل إزار[5]

إزار[5]

من شـــاء أن يلقى الزمـــان وأهلــه

ويرى جــلا الإشعــاع[6] في الأفــكار[7]

الأفــكار[7]

فليــأت حي ابــن الخطيــب ملبيــا

فيفـــوز بالإعظـــام والإكبــار

كم ضـــم مــن جيــد[8] كــرام فضلهم[9]

---

[1] في النفـح: ((تقضي الأمـاني)).
[2] نفسـه: ((أفـوز)).
[3] نفسـه: ((وأحـط رحـلي)).
[4] ورد هذا الشطر في النفـح هكذا: ((بـادي المسـرة بالصنيـع وأهلـه)).
[5] في النفـح: ((إزاري)).
[6] في الإسكوريـال: ((الإشـاع))؛ فغيرهـا عنـان.
[7] جـاء هذا الشطر في النفـح هكذا: ((ويـرى جـلالا شعـاع في الأقطـار)).
[8] في النفـح: ((صيـد)).
[9] نفسـه: ((قـدرهـم)).

يسمـــو ويعلـــو في ذوي الأقـــــدار

إذ حيـــث ناديـــه فقـــف عني وقُـــل[1]

نلـــت المـــنى بتلطـــف ووقـــار

يا من له الشرف القديم ومن لـــه الـــ

ـــحسب الصميـــم العد يوم فخـــار

يهنيـــك ما قد نلـــت من أمـــل بـــه

فـــي الفرقديـــن النيريـــــن يســـار[2]

يســـار[2]

نجـــلاك قطبـــا كـــل تجـــر[3] بـــاذخ

أمـــلان مرجـــوان فـــي الاعتبـــار[4]

الاعتبـــار[4]

عبـــد الإلـــه وصنـــوه قمـــر العـــلا

فرعـــان مـــن أصل زكـــا وبحـــار[5]

ناهيك من قمريـــن في أفـــق العـــلا

ينمِّيهمـــا نـــــور مـــن الأنــــــوار

---

[1] جاء هذا الشطر في النفح هكذا: ((إذ جئت ناديه فنب عني وقل...)).

[2] في النفح: ((لساري)).

[3] نفسه: ((مجد)).

[4] نفسه: ((في الإعسار)).

[5] نفسه: ((ونجار)).

زاكي الأرومة مغــرق[1] في مجــده

جــم الفضايــل طيــب الأخبـــار

رقــت طبايعــــه وراق جمالـــــه

فكأنمـــا خلقـــا مـــن الأزهـــار

وجلـــت[2] شمايـــل حسنـــه فكأنمـــا

خلعــت عليــه رقـــــة الأسحـــار

فـــإذا تكلـــم قلـــت ظـــل[3] ساقـــط

أو وقـــع در مـــن نحـــور جـــوار

أو فـــت مسك الحبـــر[4] في قرطاسه

بالـــروض[5] غـــب الواكف المـــدرار

تتســـــم[6] الأقـــلام بيـــن بنانـــــه

فيريـــك[7] نظـــم الـــدر في الأسطـــار[8]

الأسطـــار[8]

[1] في النفـح: ((معـرق)).
[2] نفسـه: ((وحلـت)).
[3] نفسـه: ((طـل)).
[4] نفسـه: ((حبـر المسـك)).
[5] نفسـه: ((فالـروض)).
[6] نفسـه: ((تتبسـم)).
[7] نفسـه: ((فتريـك)).
[8] نفسـه: ((في الأمطـار)).

فتخـــال مـــن تلـــك البنـــان كأنمـــا

نهلـــت تفتـــــح ناضـــــر النـــــوار[1]

تلقـــــاه فيـــاض النـــدى متهلـــلا

يلقـــــاك بالبشـــــر والاستبشـــــار

بحـــــر البلاغـــة قسهـــا وأيادهـــا

سحبانهـــا خبـــر مـــن الأخبـــــار[2]

إن ناظـــر العلمـــاء فهـــو إمامهـــم

شـــرف المعـــارف واحـــد النظـــار

أربى على العلمـــاء بالصيت الـــذي

قـــد كـــان[3] في الآفـــاق كل مطـــار

مـــا ضـــره إن لم يـــجئ متقدمـــاً

السبـــق[4] يعـــرف آخـــر المضمـــار

إن كـــان أخَّـــره الزمـــان لحكمـــة

ظهرت وما خفيـــت كضـــوء نهـــار

---

[1] جـاء هـذا البيـت في نفـح الطيـب هكـذا
((فتخـال مـن تلـك البنـان كمائمـا * ظلـت تفتـح ناضـر النـوار)).

[2] ورد هـذا الشطـر في النفـح هكـذا: ((سحبانـهـا حبـر مـن الأحبـار)).

[3] في النفـح: ((قـد طـار)).

[4] نفسـه: ((بالسبـق)).

الشمس تحجــب وهي أعظــم تبــر[1]

وتــرى مــن الآفــاق إثــر درار

يا ابن الخطيــب خطبتهــا لعلاكــم

بكــرا تــزف لكــم مــن الأفكــار

جاءتــك من خجل على قــدم الحيــا

قــد طيبــت بثنايـــك المعطــار

وأنت[2] تــؤدي بعض حــق واجــب

عــن نــازح الإمكــان والأفــكار[3]

مــدت يــد التطفيــل نحو علاكــم

فتوحشــت مــن جودكــم بنضــار[4]

فابــذل لهــا في النقد صفحك إنهــا

شكــوى التقصيــر[5] في الأشعــار

---

[1] في النفـح: ((نيِّـر)).
[2] نفسـه: ((وأتـت)).
[3] نفسـه: ((الأوطـان والأوطـار)).
[4] ورد هـذا الشطر في نفـح الطيـب هكـذا: ((فتوشحـت مـن حليكـم بنضـار)).
[5] في النفـح: ((تشكـو مـن التقصيـر)).

لا زلـــت فـــي دعـــة وعـــز دايـــم

ومســـرة تتـــرى مـــع الأعصـــار[1]

ومـن السلطانيـات قولـه مـن قصيـدة نسيبهـا[2]:

تبســـم ثغر الدهر في القضـــب الملـــد

فأذكى الحيـــا[3] خجلـــة وجنـــة الـــورد

ونبـــه وقع الطـــلل ألحـــاظ نرجـــس

فمال إلى الوسنان وعـــاد إلى الشهـــد[4]

وثمَّ سبـــر[5] الروض في مسكـــة الدجى

نسيـــم شذا الخيـــر كالمســـك والنـــد

وغـــطى ظـــلام الليـــل حمـــرة أفقـــه

كمـــا دار مســـود العـــذار على الخد

وباتت قلـــوب الشهـــب تخفـــق رقـــة

لمـــا حـــل بالمشتـــاق من لوعة الوجد

---

[1] في النفـح: ((مـع الأعمـار)).

[2] البحـر الطويـل.

[3] جعلهـا د. طويـل: ((الحيـاء))؛ مـن أجـل سلامـة الـوزن.

[4] تصـرف د. طويـل فكتـب هـذا البيـت هكـذا:

((ونبـه وقع الطـلّ ألحاظ نرجـس * فمال إلى الوسنـان عاد إلى الشهـد)).

[5] أضـاف د. طويـل حـرف الـلام؛ فغـدت: ((لسبـر))؛ مـن أجـل سلامـة الـوزن.

وأهــمى عليه الغيــم أجفـــان مشفــق

بذكـــره[1] فاستمطـــر الدمـــع للخـــد

ومنها:

كـــأني[2] لم أقف في الحي وفقة عاشـــق

غـــداة افترقنـــا والنـــوى رُنْدها يعـــد[3]

ونـاديـــت حـــاديَ العيس عَـــرِّج لعلني

أبثـــك وجـــدي إن تمـــر على نجـــد

فقـــال اتَّيـــد[4] يا صـــاح مالـــك ملجـــأ

سوى الملك المنصور في الرفق والرفد

ومما خاطبني به قوله[5]:

عللـــوني ولـــو بـــوعـــد محـــــال

وحلـــوني ولـــو بطيـــــف خيـــــال

---

[1] جعلها د. طويل: ((يذكره))؛ من أجل سلامة الوزن.
[2] جعلها د. طويل: ((كـأن)).
[3] جعلها د. طويل: ((يعدي))؛ من أجل سلامة الوزن.
[4] هكذا بتخفيف الهمـزة؛ بالرسم المغربي. وهي: ((اتَّئـد)).
[5] البحر الخفيف.

واعلمــوا أنــني أسيـــر هواكـــم

لســت أنفـــك إلا[1] عـــن عقـــال

فدمـــوعي من بينكـــم فـــي انسكـــاب

وفـــؤادي مـــن سحركـــم في اشتغال

يـــا أهيـــل الحـــمى كفـــاني غـــرامي

حســبي بمــــا[2] قـــد جـــر...... ال[3]

مـــن مجيـــري من لحظ ريم ظلـــوم

حلل الهجـــر بعـــد طيـــب الوصـــال

ناعـــس الطرف أسمـــر الجفـــن مني

طـــال منـــه الجـــوى بطـــول الليـــال[4]

بابـــلي اللحـــاظ أصـــمَى فـــؤاده

ورمـــــــاه مـــن غنجـــه بنبـــــال

وكســـا الجســـم مـــن هـــواه نحـــولا

قصـــده فـــي النـــوى بـــذاك النحـــال

---

[1] **جعلها د. طويل: ((إنما))؛ من أجل سلامة الوزن.**
[2] **حذف د. طويل حرف الباء؛ فغدت: ((ما)).**
[3] **بياض بقدر كلمة. يمكن أن تكون: ((جرى لحال)).**
[4] **جعلها د. طويل: ((الليالي)).**

ما ابتــدا في الوصال يومــاً بعطــف

مــذ روى فــي الغــرام باب اشتغــال

ليس لي منــه في الهــوى من مخبــر

غيــر تــاج العــلا وقطــب الكمــال

علــــم الديــــن عــزه وسنـــــاه

ذروة المجــد بــدر أفــــق الجــلال

هــو غيــث النــدا وبحــر العطايــا

هو شمـــس الهــدى فــريــد المعــال[1]

إن وشَى فــي الرقــاع بالنقــش قلنــا

صفحــة الطــــرس حليــت بالــلآل[2]

أو دجا الخطــب فهــو فيــه شهــاب

رايــة الصبــح في ظلــل[3] الضـــلال

أوينا العضب فهو في الأمــن مــاض

صـــــادق العــــزم ضيــق المجــال

---

[1] جعلها د. طويل: ((المعالي)).
[2] جعلها د. طويل: ((باللآلي)).
[3] جعلها د. طويل: ((ظلال)).

لســت تلــقى مثــالــه فــي زمــان

جــل فــي الدهــر يا أخــي عن مثال

قــد نــأى حــبي لــه[1] عــن ديــاري

لا لجـــــدوى ولا لنيـــــــل نــــوال

لكــن اشتقــت أن أرى منــه وجهــاً

نــوره فــاضــح لنــــور الهــــلال

وكمــا همــت فيــه ألثــم كفّــــا

قــد أتــت بالنــوال قبــل الســـؤال

سألها[2] ابــن الخطيب عــذراً أجابــت

تلثــم النعــل قبــل شســع النعــــال

وتــوفي حـــق الــــوزارة عمـــــن

هــو ملــك لهـــا على كــل حـــال

***

[1] جعلها د. طويل: ((ما له)).
[2] جعلها د. طويل: ((سأل))؛ من أجل سلامة الوزن.

تذكير

هذا ختام القسم الثاني من كتاب الإحاطة في
أخبار غرناطة للكاتب المعجزة والشاعر
المبدع ذي الوزارتين لسان الدين ابن
الخطيب. ويلي هذا القسم الثاني؛
القسم الثالث الذي يبدأ بترجمة
محمد بن محمد
ابن الشُّدَيْد

فهرس الموضوعات والتراجم

(القسم الثاني)